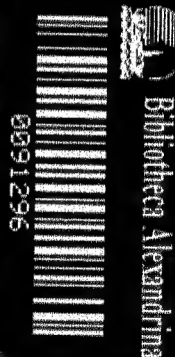


بُلُوغُ الْأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَعْرَابِ

مُتَأَلِّفٌ
السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ رَشِيدُ كَرِيمِ الْأَوْتَمِي
الْبَغْدَادِيُّ

قُدِّسَ بِشَرَحِهِ وَتَعْلِيلِهِ وَتَرْجُمِهِ
مُحَمَّدٌ بَهْجَةُ الْأَثَرِيِّ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



0091296

04

30712

909.049

27

د غ د

ب

۷۱



بُلُوغُ الْأَرَبِ
فِي بَعْدِهَا لِمَوْلَى الْعَرَبِ

1. The first part of the report is a general introduction to the subject of the study. It discusses the importance of the study and the objectives of the research. It also provides a brief overview of the methodology used in the study.

2. The second part of the report is a detailed description of the study area. It includes information about the location of the study area, the population of the study area, and the characteristics of the study area. It also discusses the data sources used in the study.

3. The third part of the report is a detailed analysis of the data collected during the study. It includes a description of the data collection process, a description of the data analysis process, and a discussion of the results of the data analysis. It also includes a discussion of the limitations of the study.

4. The fourth part of the report is a conclusion and a discussion of the implications of the study. It includes a summary of the findings of the study, a discussion of the implications of the findings, and a discussion of the limitations of the study.

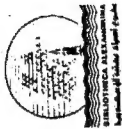
بلوغ الأرب

في معرفة أحوال العرب

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم الكتاب	353.04927
تاريخ	ب. غ. ب.
ملاحظات	٢/٤٦٥٦٨

تأليف
السيد محمود شكري الألوسي
البنفاديني

عني بشرحه وتصحيحه وضبطه
محمد بهجت الأثري



General Organization Of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

سببوزنات - البستانات

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي الشأن ، العظيم السلطان ، صرف الدهور بقدرته والأكوان ،
وأبهرت حكمته المقول والأذهان ، يخلق ما يشاء كما يشاء ، من غير تعريف
ولا بيان . والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي استخلصه من أفضل المعادن
منبتاً ، وأعزُّ الأرومات^(١) مغرساً ، فكان سيد ولد عدنان وقطان ، وهو
النبي الأمي ، العربي الهاشمي ، الذي أنقذنا بنور وجوده من ظلمات جهل الجاهلين
إلى ذروة الفضل والعرفان ، وعلى آله وأصحابه هداة كل حيران ، المفصحين
عن الحق المبين ، بأفصح لسان ، وأعذب بيان ، والمتفحصين عن أحوال الأمم
الغابرين ، ليزدادوا إيماناً على إيمان ، وعلى من تبهم بإحسان ، ما تعاقب
الملوان^(٢) ، وكرّ الجديدان^(٣) .

(أما بعد) : فإن العبد الفقير ، إلى لطف مولاه العزيز ، محمود شكرى
ابن عبد الله بن محمود الألوسى البغدادى ، كان الله تعالى له خير معين ،
وأحسن هادى ، ووفقه سبحانه لشكر مزيد النعم والأيادي . يقول : لا يخفى
على من عرف أحوال الأمم ، ووقف على ما كان عليه أجيال بني آدم ، أن
أمة العرب على اختلافها ، وتفاوت أصولها وأصنافها ، كانت ممتازة على غيرها
من الناس ، متقدمة في الفضائل والمآثر على سائر الأنواع والأجناس ،
فإن الله تعالى قد شرفها برسوله ، وفضلها بتزيله ، وخصها بالخطاب المعجز ،

(١) الأرومة بالفتح وتضم : الأصل

(٢) الملوان : الليل والنهار أو طرفاهما

(٣) الجديدان والأجدان : الليل والنهار

واللفظ البليغ الموجز^(١) ، والسؤال الشافي ، والجواب الكافي ، فالعرب أمراء الكلام ، ومعادنت العلوم والأحكام ، وهم ليوث الحرب ، وغيوث الكرب والرفد^(٢) في الجذب ، وهم أهل الشَّيْمة^(٣) والحياء ، والكرم والوفاء ، والمروءة والسخاء ، أحكمتهم التجارب ، وأدبتهم الحكمة فقصوا منها المآرب ، ذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز^(٤) ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بحسن الفعال ، ولبسوا من المجد ثوباً سندسى الطراز^(٥) ، يفسلون من العار وجوهاً مسودة ، ويفتحون من الرأي أبواباً منسدة ، كأنَّ الفهم منهم ذو أذنين ، والجواب ذو لسانين . يضربون هامات الأبطال ، ويعرفون حقوق الرجال ، إلى أن تلاعبت بهم أيدي الأقدار ، وتفرقوا في أقصى الأنحاء والأقطار ، وإني لم أزل أتشوق للوقوف على آثارهم ، والاطلاع على شريف سيرهم وأخبارهم ، وأتمنى أن أظفر بكتاب يشتمل على أحوالهم قبل الإسلام ، ويحتوى على ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والأحكام ، فلم أر ذلك فيما بين الأيدي من الكتب والجامع ، ولا أنه قد طرق باب سمع من السامع ، مع أنَّ المتقدمين ، من علماء المسلمين ، لم يهملوا مثل هذا المهم ، ولم يتركوا قولاً لقائل في كل علم ، وهم الذين امتدَّ باعهم في جميع الفنون ، وحسنت مَنَّا بهم الظنون . غير أنَّ مرور الأعصر والأعوام ، أدى بآثارهم إلى الضياع ، وأودى بها في سائر البقاع ، وكان كثيراً ما يختلج في القلب ،

(١) الموجز : القصير السريع الوصول الى الفهم : يقال وجز اللفظ بالضم وجازة فهو وجيز ويتعدى بالحركة والهمزة فيقال وجزته من باب وعد واوجزته وبعضهم يقول وجز في كلامه واوجز فيه ايضاً (٢) الرفد بالكسر العطاء والصلة : والجذب : المحل (٣) الشَّيْمة : الفريزة والطبيعة والجبلة وهى التى خلق الانسان عليها والمراد بها ههنا الاخلاق الحسنة (٤) يقال نجز الوعد نجراً : تعجل ويعدى بالهمزة والحرف فيقال انجزته ونجزت به اذا عجلته (٥) سندسى الطراز السندس بالضم رقيق الديباج معرب والطراز بالكسر علم الثوب معرب .

ويخطر بالبال ، أن أتطفل بجمع كتاب يستوعب أحوالهم على سبيل الإجمال ،
غير أن قلة البضاعة تصدني عن الإقدام ، وتثبطني^(١) عن طرُق باب هذا المرام ،
حتى اتفق بعض الدواعي التي لم أر للتخلف عنها سييلا ، ولم أجد للإعراض
عن هذا الغرض مقيلا ، فشرعت في المقصود ، وبذلت فيه غاية المجهود لما
يترتب على ذلك من المصالح العمومية ، وما يستنتجه إن شاء الله تعالى من
الفوائد الكلية ، وقد التزمتُ طريق الاختصار ، وتجنبت عن التطويل والإكثار ،
ومنع ذلك فإني معترف بالقصور والنقصان ، وإني لست من فرسان هذا الميدان ،
ولله تعالى درّ الأقدار ، فإنها تسوق المرء إلى ما ليس له فيه اختيار .

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت المأجر بالحازم

(وقد سميت) ما جمعته وكتبته في هذا الباب وحررته : « بلوغ الأرب » ،
في معرفة أحوال العرب » ومن الله تعالى أستمد الإعانة والتوفيق ، والهداية
إلى أقوم طريق ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣١٤

(١) ثبطه عن الأمر عوقه وبطأ به عنه كثبطه فيهما

تعريف العرب وبيان أنواعهم وأقسامهم

العرب جيل من الناس لم يزالوا موسومين^(١) بين الأمم بالبيان في الكلام ، والفصاحة في المنطق ، والدلالة^(٢) في اللسان ، ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة ، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه ، ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « الثيب تُعَرَّبُ عن نفسها » والبيان ستمهم بين الأمم وستم بك قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أن يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضى لذلك فاختر منهم وفداً أوفده عليه ، وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف ، وهم أمة قديمة فقد كانوا بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام في عاد الأولى وثمود والمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمى إليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح ، ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الأمم وأبادهم^(٣) الله تعالى بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب نسبهم من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرغشذ بن سام ، ثم لما تطاولت تلك العصور وتماقبت وكان بنو شالخ بن عابر أعالي من بين ولده واختص الله تعالى بالنبوة منهم إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ وكان من شأنه مع نمرود ما قصه القرآن ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور وتخلف ابنه إسماعيل مع أمه هاجر بالحجر قرباناً^(٤) لله تعالى ومرت بها رفقة من جرهم في تلك المغازة فخالطوها ونشأ إسماعيل بينهم وربى في أحيائهم وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان

(١) موسومين السمة العلامة (٢) الدلالة : البلاغة في المنطق (٣) أبادهم : أهلكهم (٤) قرباناً بالضم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبح وغيره وهو فعلا من القرية .

أبوه أمجماً ، ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله تعالى إلى جرحم والمارقة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثر وصار أباً لجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعكّ وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد إسماعيل وهم العرب التابعة للعرب ، ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام وخالطوا المعجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آحاد^(١) متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين^(٢) في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة وقبائل المشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة^(٣) والحبشة وبلاد الشام والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان أم لا يأخذها الحصر والضبط قد كاثروا أم الأرض .

وقد حصر ابن خلدون في كتاب « العبر » أجيال العرب من مبدأ الخليقة إلى عهده في أربع طبقات متعاقبة ، وذكر ما كان في كل طبقة منها من عصور وأجيال ودول وأحياء وبدأ أولاً بذلك :

الطبقة الأولى

وهي العرب العاربة وذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة وسمى أهل هذا الجيل العرب العاربة إما بمعنى الراسخة في العروبية كما يقال : ليل أليل وصوم صائم . أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم ، ثم :

(١) آماد جمع امد محركة ، قال الراغب في المفردات : يقال باعتبار الغاية والزمان عام في الغاية والمبدأ ويعبر به مجازاً عن سائر المدة ، والآمد المنتهى من الأعمار .

(٢) بدا القوم بداء خرجوا إلى البادية .

(٣) النوبة بالضم بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشى .

الطبقة الثانية

وهم العرب المستعربة من بنى حمير بن سبأ وذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك والدولة باليمن في التبابعة وأعقابهم وإنما سمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم وهى اللغة العربية التى تكلموا بها فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجمل واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلاً كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة ، ثم ذكر :

الطبقة الثالثة

وهم العرب التابعة للعرب من قضاة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر وبدأ بقضاة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوى فى آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بن حجر آكل المرار^(١)، ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوى بالشام فى بنى جفنة بالبقاء والأوس والخزرج بالمدينة النبوية ، ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة فى قريش ، ثم ما شرفهم الله تعالى به وجيل الأدميين أجمع من النبوة وذكر الهجرة والسيرة النبوية وغير ذلك ، ووجه تسمية هذا الجيل بذلك الاسم ظاهر ، ثم ذكر :

الطبقة الرابعة

وهم العرب المستعجمة ومن له ملك بدوى بالمغرب والمشرق ، وسموا بذلك لاستعجم لغتهم على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن وهو لسان سلفهم وقد أطنب رحمه الله تعالى الكلام فى ذكر هذه الطبقات الأربع حيث كانت موضوع

(١) المرار بالضم شجر من أفضل العشب واضخمه اذا اكلتها الابل قلصت مشافرها فبدت اسنانها ولذلك قيل لجد امرئ القيس آكل المرار لكشر كان به والناس يقرؤنه بالكسر وهو غلط فتنه .

كتابه ومدار بحثه وهذا الكتاب مما تداوله الأيدي فلا حاجة في إتعاب البنان
بنقل ما ذكره .

تعريف من يطلق عليه لفظ العرب

إن لفظ العرب في الأصل اسم لقوم جمعوا عدة أوصاف : أحدها أن لسانهم
كان اللغة العربية . الثاني أنهم كانوا من أولاد العرب . الثالث أن مساكنهم
كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة
ومن أقصى حبر بالين إلى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم
ولا تدخل فيها الشام ، وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله فلما جاء
الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد ومن أقصى المشرق إلى أقصى
المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر
وغيرهم ، ثم انقسمت هذه البلاد قسمين منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى
لا تعرف عامتهم غيره أو يعرفونه وغيره مع ما دخل في لسان العرب من اللحن
وهذه غالب مساكن الشام وعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك وأرض فارس
وخراسان كانت هكذا قديماً ومنها ما العجمية كثيرة فيهم وغالبة عليهم كبلاد
الترك وخراسان وإرمينية وأذربيجان ونحو ذلك فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو
عربي ابتداء وإلى ما هو عربي انتقالاً وإلى ما هو عجمي ، وكذلك الأنساب ثلاثة
أقسام : قوم من نسل العرب وهم باقون على العربية لساناً وداراً أو لساناً لا داراً
أو داراً لا لساناً ، وقوم من نسل العرب بل من نسل بني هاشم ثم صارت العربية
لسانهم ودارهم أو أحدها ، وقوم مجهولو الأصل لا يدرون أمن نسل العرب هم
أم من نسل العجم وهم أكثر الناس اليوم سواء كانوا عرب الدار واللسان
أو في أحدها ، وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام : قوم يتكلمون بالعربية لفظاً
ونعمةً وقوم يتكلمون لفظاً لا نعمةً وهم المتعربون الذين لم يتعلموا اللغة ابتداءً

من العرب وإنما اعتادوا غيرها ثم تعلموها كغالب أهل العلم ممن تعلم العربية وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلا وهذان القسمان منهم من تغلب عليه العربية ومنهم من تغلب عليه المعجمة ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران إما قدرة وإما عادة .

الفرق بين العرب والأعراب في المعنى

ذهب بعض أهل اللغة الى الترادف بين اللفظين وأنهما بمعنى واحد ، قال الجوهري في كتاب الصحاح : العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار والنسبة إلى العرب عربي وإلى الأعراب أعرابي والذي عليه العرف العام إطلاق لفظ العرب على الجميع ومثل ذلك في القاموس وغيره من كتب اللغة المعتمدة ، وذكر أبو العباس أحمد بن عبد الله الشهير بابن أبي غدة في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أن العرب هم أهل الأمصار والأعراب سكان البادية وفي العرف يطلق لفظ العرب على الجميع وقال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتاب (الاقتضاء) : إن لفظ الأعراب هو في الأصل اسم لبادية العرب فإن كل أمة لها حاضرة وبادية فبادية العرب الأعراب ، وقد يقال : إن بادية الروم الأرمن ونحوهم ، وبادية الفرس الأكراد ونحوهم ، وبادية الترك التتر ونحوهم ، قال : وهذا والله أعلم هو الأصل وإن كان قد يقع فيه زيادة ونقصان ، وقال أهل التفسير : الأعراب صيغة جمع وليست بجمع للعرب على ما روى عن سيبويه لثلاث يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هذا الجيل المعروف مطلقا والأعراب سكان البادية منهم ولذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي وقال فريق منهم : العرب سكان المدن والقرى والأعراب سكان البادية من هذا الجيل أو مواليهم فعلى هذا القول هما متباينان ويفرق بين الجمع والواحد بالياء فيهما ، فيقال للواحد عربي وأعرابي والجماعة عرب وأعراب وكذا أعراب وذلك كما يقال للواحد

مجوسى ويهودى ثم تحذف الياء فى الجمع فيقال المجوس واليهود واستعمالُ البلغاء يوافق قولَ المفسرين فى الكتاب الكريم عند بيان أحوال منافق العرب إثر بيان منافق أهل المدينة من سورة التوبة (وجاء المُعذِّرون^(١)) من الأعراب ليؤذن لهم) وفى آية أخرى (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق^(٢)) لا تعلمهم ، نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) وفى أخرى (الأعراب أشد كُفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ، ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم) .

والمؤرخون على القول بأن الأعراب قسم من العرب ، فى كتاب «العرب» عند القول فى أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم : اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجمة أهل الخيام لسكنائهم والخيول لركوبهم والأنعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها ويتخذون الدفء^(٣) والأثاث^(٤) مع أوبارها وأشعارها

(١) المعتذرون بتشديد الدال المكسورة : المعتذرون الذين لهم عذر وبه قرأ سائر قراء الامصار ومعنى المعتذرون الذين يعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن وهو هنا شبيهه بأن يكون لهم عذر ، وقال أبو الهيثم فى تفسير هذه الآية : معناه المعتذرون يقال عذر يعذر عذاراً فى معنى اعتذر ويجوز عذر الرجل يعذر فهو معذور واللغة الأولى أجودهما قال ومثله هدى يهدى هداء إذا اهتدى ، قال الله عز وجل : امن لا يهدى الا ان يهدى ، قال الأزهري : وقد يكون المعذر بالتشديد غير محقق وهم الذين يعتذرون بلا عذر فالمعنى المقصرون بغير عذر فهو على جهة المفعول لانه الممرض والمقصر يعتذر بغير عذر ، وقرأها ابن عباس (رض) بالتخفيف من اعدر وكان يقول : والله لهكذا انزلت . وكان يقول : امن الله المعتذرين بالتشديد كان المعذر عنده انما هو غير المحق وبالتخفيف من له عذر (٢) مردوا على النفاق ، قال الفراء : يريد مرثوا عليه كقولك تمردوا . وقال ابن الأعرابى المرد التطاول بالكبر والمعاصى . وفى المفردات للراغب : هو من قولهم شجرة مرداء أى لا ورق عليها ، أى أنهم خلوا عن الخير ، وليس بشيء .

(٣) الدفء : ما استدفع به من الأكسية والახبية وغير ذلك .

(٤) الأثاث : متاع البيت واحداً أثاثه .

ويحملون أثقالهم على ظهورها يتنازلون خلالها متفرقة ويتنغنون الرزق في غالب أحوالهم من القنص ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حمارة القيظ^(١) تارة وصبارة البرد أخرى وانتجاعاً^(٢) لمرعى غنمهم ، وارتباداً^(٣) لمصالح إبائهم الكفيلة بمعايشهم وحمل أثقالهم ودفعهم ومنافعهم فاخصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من الغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكروه من مصر وصحارى بركة وتلولها وقسطنطينية وإفريقية وزاغا والمغرب الأقصى والسوس لاختصاص هذه البلاد بالرمال والغفار المحيطة بالأرياف^(٤) والتلول والأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعى الكلاء^(٥) والعشب في منابتها والتنقل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدة الأقوات في سنتهم من حبوبها ، وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من أضرارهم بإفساد السابلة^(٦) ورعى الزرع مخضراً وانتهابه قائماً وحصيداً إلا ما حاطته الدولة وذاذت عنه الحامية في الممالك التى للسلطين عليهم فيها ، ثم ينحدرون في فصل الخريف إلى الغفار لرعى شجرها وتناج إبائهم في رمالها وما أحاط به عملهم من مصالحها وفراراً بأنفسهم وظعائهم من أذى البرد إلى دفء ماشيتها فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام شعارهم لبس المحيط في الغالب ولبس المعائم تيجاناً على رؤوسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق

(١) حمارة القيظ شدته وصبارة البرد شدته ايضاً .

(٢) انتجاعاً : طلباً الكلاء في موضعه .

(٣) ارتباداً أى طلباً .

(٤) الأرياف : جمع ريف بالكسر أرض فيها زرع وخصب .

(٥) الكلاء مهموز : العشب رطباً كان أو يابساً والجمع الكلاء مثل نسبب واسباب وموضع كالىء ومكلىء فيه الكلاء .

(٦) السابلة من الطرق المسلوكة والقوم المختلفة وأسبلت الطريق كشرت سابلتها .

وقوم يلفون منها الليث^(١) والأخدع^(٢) قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضائنها وهم عرب المغرب .. حاكوا بها عمائم زناتة^(٣) من أمم البربر قبلهم وكذلك لقنوا منهم في محل السلاح اعتقال الرماح الخطية^(٤) وهجروا تنكب القسي^(٥) وكان المعروف لأولهم ومن بالشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمرين . انتهى المقصود من نقله وهذا هو المشهور ، وعليه من أهل اللغة الجمهور .

معنى الجاهلية وما تطلق عليه

الجاهلية الزمان الذي كثر فيه الجهال وهي ما قبل الإسلام وقيل : أيام الفترة وهي الزمن بين الرسولين ، وقد تطلق على زمن الكفر مطلقاً وعلى ما قبل الفتح وعلى ما كان بين مولد النبي والمبعث « وعن ابن خالويه » أن هذا اللفظ اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة « قال العسقلاني » في شرحه على البخاري : وهذا هو الغالب ومنه (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) ثم قال : وأما جزم النووي في عدة مواضع في شرح مسلم أن هذا هو المراد حيث أتى . ففيه نظر فإن هذا اللفظ وهو الجاهلية يطلق على ما مضى والمراد ما قبل إسلامه وضابط آخره فتح مكة انتهى . وتفصيل الكلام أن لفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسماً لذي الحال فن الأول قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي ذرّ « إنك امرؤ فيك جاهلية » وقول عُمَرَ رضي الله تعالى عنه : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة ، وقول عائشة رضي الله تعالى عنها : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء . وقولهم : يارسول الله كنا

(١) الليث بالكسر : صفحة العنق (٢) الأخدع عرق في المحجمتين وهو شعبة من الوريد (٣) زناتة بالكسر : قبيلة بالمغرب منها الزناتى المنجم (٤) الرماح الخطية : منسوبة الى خط اسم ارض ، قال الاصمعي : لاعلام الام نسبة الخط وهي جزيرة بالبحرين اليها تنسب الرماح الا ان يقال ان سيفن الرماح ترفا الى هذا الموضع فقليل الرماح خطية (٥) تنكب القسي بكسر القاف : جمع قوس وهو يذكر ويؤنث ، وتنكبها القاها على منكبه .

في جاهلية وشر ، أى في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة ولكن غاب عليه الاستعمال حتى صار اسماً ومعناه قريب من معنى المصدر . وأما الثانى فتقول : طائفة جاهلية وشاعر جاهلى وذلك نسبة إلى الجهل الذى هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم ، فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل » . ومن هذا قول عمرو بن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم أى نجاريهم بسفههم جزاء يربو عليه ، استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، كما قال سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عمل سوءاً فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمضى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعفه فى القاب بمقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فتصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال فى مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً ولا خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى ومُحمياً وبُسماً وضالين وجاهلين ويصِفُهُم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويَصِفُ المؤمنين بأولى الألباب وأولى النهى وأنهم مهتدون وأن لهم نوراً وأنهم يسمعون ويعقلون . فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى حال جاهلية جهلاً منسوباً إلى الجاهل

فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل . وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية أو نصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار غير الإسلام وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام فأما في زمان مطلقاً فلا جاهلية بعد بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطمع في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة . وقال لأبي ذرٍّ لما عيّر رجلاً بأمه « انك امرؤ فبك جاهلية » فهذه كلها جاهلية وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها قبل الإسلام ، لما كانوا عليه من مزيد الجهل في كثير من الأعمال والأحكام ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين » وقد اختلف المفسرون في المراد من الجاهلية الأولى في قوله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى » فقيل : كانت في الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام فقد كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي في وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقال الحكم بن عتيبة^(١) : كانت بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة وحكيّت لهم سيرة ذميمة . وقال ابن عباس : ما بين نوح وإدريس . وقال السكبي : ما بين نوح وإبراهيم قيل إن المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين

(١) كذا في الأصل ولعله عتيبة وهو الامام الحكم بن عتيبة الكندي .

وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنهما وقالت فرقة : ما بين موسى وعيسى . وقال الثعلبي : ما بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال أبو العالية هي زمان داود وسليمان عليهما السلام كان المرأة قيص من الدر غير مخيط الجانبين . وكان النساء يُظهِرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها ورجلها فينفرد خلها بما فوق الإزار وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البذل . وقال مجاهد : كانت النساء يمشين بين الرجال فذلك التبرج . قال ابن عطية : والذي يظهر عندي أنه تعالى أشار للجاهلية التي أدركنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار لأنهم كانوا لا غيره عندهم فكان أمر النساء دون حجة وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كنَّ عليه . وليس المعنى أن ثَمَّ جاهلية أخرى وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام كما لا يخفى .

بيان فضل جنس العرب وما امتازوا به

اعلم أن كمال كل نوع إنما هو بحصول صفاته الخاصة به وصدود آثاره المقصودة منه وبحسب زيادة ذلك ونقصانه يفضل بعض أفرادها بعضاً ، إلى أن يُعَدَّ أحدها سماء والآخر أرضاً ، والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز . والفضاء ، وللنباتات في الاغتذاء والنشو والنماء ، وللحيوانات المعجم في حيويته بأنفاسه ، وحركته بإرادته وإحساسه ، وإنما يتميز بما أعطى من القوة النطقية ، وما يتبعها من العقل والعلوم الضرورية ، والأعمال الصالحة المرضية ، وأهليته للنظر والاستدلال ، وترقيته بذلك في مدارج الكمال ، وعلمه بما أمكن واستحاله ، فإذا كماله إنما هو بتعقل العقولات ، واكتساب المجهولات ، وبالأخلاق الحسنة التابعة للأعمال الصالحات ، فالإنسان فضل على سائر الحيوانات كلها في نفسه وجسمه ، « أما فضله في نفسه » فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة

والتدبير والرأى فإن البهائم وإن كان كلها يحس وبعضها يتخيل فليس لها فكرة ولا روية ولا استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الأشياء ولا أسبابها وليست فى قوتها تعلم الصناعات الفكرية وإنما يتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة فأقواها فى ذلك الفيل والقرود ، « وأما فضله فى جسمه » فباليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما أوجد فى هذا العالم ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله « لقد خالقنا الإنسان فى أحسن تقويم » وقوله « وصوركم فأحسن صوركم » ولم يعن الصورة التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعقولة ولتشریفه تعالى إياه بذلك قال « ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » ومن زعم أن الإنسان خلق خلقاً ناقصة عن الوحشيات من حيث إنه لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط سلاحاً فى ذاته كما أعطى كثير منها فنظره ناقص ، إذ قد أعطى الإنسان بدل ذلك التمييز الذى يمكنه أن يتخذ به كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريد فيتناوله متى أراد ويضعه متى أحب ثم لو أعطى الإنسان بعض الأسلحة التى أعطيته لم يمكنه أن يستعمل غيره كالوحشيات وأيضاً فلو أعطى ذلك لكان من الحق أن لا يعطى التمييز لأنه حينئذ كان يستغنى عنه فتبطل فائدته وفعل الله تعالى منزه عن ذلك ، إن قيل كيف قال تعالى « خلق الإنسان ضعيفاً » فاستضعفه قيل ضعفه بالإضافة إلى الملأ الأعلى لما فيه من الحاجات البدنية التى كفيها ، فإذا كان مناط الفضيلة ما ذكرناه ففضل جنس العرب على غيرهم بسبب ما اختصوا به فى عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم ؛ وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع وإما بالعمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذى هو الحفظ والفهم وتام وهو قوة المنطق الذى هو البيان والعبارة والعرب هم أفهم من غيرهم وأحفظ وأقدر على البيان .

(أما كمالهم فى الفهم) فلائهم كانوا لا يبارون قوة ذكاء وإصابة حدس وحدة ألمعية وصدق فراسة يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم كأن قد شاهدوه ،

ويصف لهم الحدس الصائب حال الورد قبل أن يردوه ، ويثبتون أبعاد شيء
بحدة ألمعتهم كأن ليس ببعيد . وينظم لهم المجهول صدق فراستهم في سلك المعروف
منذ زمان مديد ، وقد كان منهم في الأزمنة المتأخرة من هو دون السابقين بمراتب
كثيرة ومع ذلك يتفطنون للرمزة والدقيقة ويتنبهون من اللحظة الخفية والإشارة
اللطيفة كما يحكى أن سليمان بن عبد الملك أتى بأسارى وكان الفرزدق حاضراً فأمره
سليمان بضرب واحدٍ منهم فاستمعى فاعنى وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب
ليستعمله فقال الفرزدق : بل أضرب بسيف أبي رَغْوَان^(١) سيف مجاشع يعنى
نفسه وكأنه قال : لا يستعمل ذلك السيف إلا ظالم أو ابن ظالم ، ثم ضرب بسيفه
الأسيرَ واتفق أن نبا السيف فضحك سليمان من حوله .

فقال الفرزدق :

أعجب الناس أن أضحكت سيدهم خليفة الله يُستسقى به المطر
لم ينب^(٢) سيفي من رعب ولا دهش عن الأسير ولكن آخر القدر
ولن يقدم نفساً قبل ميتهها جمع اليمين ولا الصمصامة^(٣) الذكر
ثم أغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يعاب سيده إذا صبا^(٤) ولا يعاب . صارم إذا نبا
ولا يعاب شاعر إذا كبا^(٥)

ثم جلس يقول : كآنى بآبن المراغة قد هجأنى فقال :

سيف أبي رَغْوَان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(١) رَغْوَان لقب مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم ، لقب به لفصاحته ولجهارته صوته ، ويقال وقالت امرأة سمعته :
ما هذا الا يرغو ، فلقب رَغْوَان (٢) لم ينب: أى لم يكل عن الضريبة ، قال الشاعر
أنا السيف الا أن للسيف نبوة ومثلى لاتنبو عليك مضاربه
(٣) الصمصامة: السيف لا ينثنى كالصمصام والذكر أبيض الحديد واجوده
واشده كالذكر كأمير وهو خلاف الانثى وبذلك يسمى السيف مذكراً (٤) صبا
الى المرأة صبوة وصبوة وصبوا حن ، وأصبته وتصبته شاقته ودعته الى
الصبا فحن اليها (٥) كبا : انكب على وجهه

وقام وانصرف وحضر جرير نخب الخبر ولم ينشد الشعر

فأنشأ يقول :

سيف أبي رَغْوَانٍ سيفٍ مُجَاشِعٍ ضربتَ ولم نُضربَ بسيفِ ابنِ ظالمٍ
فأعجب سليمان ما شاهدتهُ قال : يا أمير المؤمنين كَأَنِّي بَابِنِ القَيْنِ قد أَجَابَنِي فقال :
ولا نَقْتُلُ الأَسْرَى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارمِ
ثم أخبر الفرزدق بالهجو دون ما عداه فقال مجيباً :

كذلك سيوف الهند تنبؤ ظبائها^(١) وتقطع أحياناً مناط التمام
ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارمِ
وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب أو أخاً مثل دارم
وما يحكي أن ذا الرِّمَّةِ استرفد^(٢) جريراً في قصيدته التي مستهلها :
نبت عيناك عن طَلَلٍ^(٣) بحزوى^(٤) عفته الريحُ وامتنح القطارا
عدة أبيات فقالها له وهي هذه :

يمد الناسبون إلى تميم بيوتَ المجد أربعةً كبارا
يمدون الرِّباب^(٥) وآل بكر وعمرأ ثم حنظلة^(٦) الخيارا

(١) جمع ظبة وظبة السيف حده (٢) الاسترفاد والمرافدة : اخذ الشعر هبة (٣) طلل محرّكة الشاخص من آثار الدار والجمع اطلال وربما طول (٤) حزوى كقصوى اسم موضع قال ذو الرمة :

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض او يترقرق وعفته الريح : درسته ومحته ، وامتنح اخذ العطاء ، وامتنح مالا رزقه ، والقطار المطر قال الرمخشري : ومن المجاز منحت الأرض القطار ثم انشد البيت (٥) الرباب بالكسر خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة وهم ضبة وثور وعكل وتيم وعدى ، وانما سموا بذلك لانهم غمسوا ايديهم في رب وتحالفوا عليه ، وقيل سموا به لانهم تربوا اى تجمعوا والنسبة اليهم ربي بالضم لان الواحد منهم ربة لانك اذا نسبت الشيء الى الجمع رددته الى الواحد الا ان تكون سميت به رجلا فلا ترده الى الواحد كما يقال في انمار انمارى وفي كلاب كلابى (٦) حنظلة اكرم قبيلة من تميم يقال لهم حنظلة الاكرمون وابوهم حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ينسب اليه العنبر والهجين والحرث الحبط ومالك وغيرهم ، وآل بكر بطن من ربيعة من العدنانية وفيهم العدد والشهرة .

ويذهب فيهما الرّى لغواً كما ألغيت في الدية الحواراً^(١)

فضمنها القصيدة وهي اثنان وخمسون قافية . ثم مر به الفرزدق فاستنشدته إياها فأخذ ينشدها والفرزدق يستمع لا يزيد على الاستماع حتى بلغ هذه الأبيات الثلاثة استعادها منه الفرزدق مرتين ثم قال : والله لقد علّكهن من هو أشد منك لحين . وما يحكي أن عمر بن لجأ^(٢) أنشد جريراً شعراً فقال : ما هذا شعرك هذا شعر حنظلي . ولا تسأل عن فطانتهم المنتهية على الرزمة اللطيفة ، وحدة نظرهم الداركة للمحة الضعيفة ، كما يترجم عن ذلك الروايات عنهم المشهورة ، يروى أن فزاريّاً ونميرياً تسائراً فقال الفزاري للنميري : غُضّ لجام فرسك . فقال : إنها مكتوبة . وإنما أراد الفزاري ما قيل في بني نمير :

(١) الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه أو الى ان يفصل عن امه والمرى المنسوب الى بنى مرة ، والدية بالكسر حق القتل والهاعوض من الواو (٢) عمر بن لجأ قال المجد لجأ جد عمر بن الأشعث لا والده ووهم الجوهري ، قال الزبيدي : وهذا الذي ذكره الجوهري هو الذي أطبق عليه أئمة الانساب . واللغة ، قال البلاذري في معاجم الأشراف مانصه : وولد ذهل بن تيم بن عبد مناذ بن اد بن طابخة سعد بن ذهل فولد سعد ثعلبة ابن سعد وجشم بن سعد وبكر بن سعد فولد ثعلبة امرا القيس بن ثعلبة فولد امرؤ القيس جلهم ، منهم عمر بن لجأ بن حدير بن مصاد بن ذهل بن تيم بن عبد مناة بن اد الشاعر ، وكان يهاجى جرير بن عطية بن الخطفي وكان سبب تهاجهما أن ابن لجأ أنشد جريراً باليمانية :

تجر بالاهون في أدنائها — جر العجوز جانبى خبائها
فقال له جرير : هلا قلت : جر العروس طرفى ردائها ، فقال بن لجأ فانت الذى تقول :

لقومى احمى للحقيقة منكم واضرب للجبار والنقع ساطع
واوثق عند المردفات عشية لحاقا اذا ماجرد السيف مانع

ارابت اذا اخذن غدوة ولم تلحقهن الا عشية وقد تكحن فما غناؤهم فتحا
كما الى عبيد بن غاضرة العنبرى فقصى على جرير فهجاه بشعر مذكور في الكتاب المذكور وكذا جواب ابن لجأ . ومات عمر بن لجأ بالاهواز وبينهما مفاخرات ومعارضات حسنة ليس هذا محل ذكرها . وقد عرفت من كلام البلاذري ان لجأ والده لاجده وعلى التسليم فان مثل ذلك لا يعترض به لانه كثيرا ما ينسب الرجل الى جده لكونه اشهر او افخر او غير ذلك من الأغراض ، الا ترى الى قول النبی صلى الله عليه وسلم « انا النبی لا کذب انا ابن عبد المطلب » وامثلة ذلك لا تحصى والله اعلم — وانظر الاغانى (ج ٧ ص ٤١ و ٤٢ و ٦٤)

فغض الطرف^(١) إنك من نَمِيرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
ولمّا عني النَمِيرى ما قيل في بنى فزارة :

لا تأمنن^(٢) فزاريّا خلّوت به على قلوبك واكتبها بأسيار^(٣)

وأن واحداً من نَمِير هو شريك النَمِيرى لقي رجلاً من تميم فقال له التميمي
يمجّني من الجوارح البازي : قال شريك : وخاصة ما يصيد القطا أراد التميمي بقوله
البازي :

أنا البازي^(٤) المطل على نَمِير أتبيح من السماء له انصباباً

(١) قال ابن رشيق : وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه
وسقط من رتبته وعيب بفضيلته بنو نَمِير وكانوا جمرة من جمرات العرب
إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بنى نَمِير الى
أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعي فسهر لها
وطالت ليلته الى أن قال : فغض الطرف الخ فاطفاً سراجة ونام وقال : قد
والله اخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا البيت حتى
أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممثّراً فيصيح به بنو نَمِير يا جوداب
باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له إذا نبزوك فقل
لهم فغض الطرف الخ . . ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال
غمض والا جاعك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها .

ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نَمِير فأرادوا النظر اليها فقالت : قبّحكم
الله يا بنى نَمِير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم)
ولا قول الشاعر فغض الطرف الخ . .

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدامغة
تركت بنى نَمِير ينتسبون بالبصرة الى عامر بن صعصعة ويتجاوزون اباهم
نَميراً الى ابيه هرباً من ذكر من نَمِير وفراراً مما وسم من الفضيحة والوسمة
(٢) البيت لابن دارة يعبر به بنى فزارة بغشيان الابل والقلوص من الابل
الشابة او الباقية على السير او أول ما يركب من أنانها الى أن تشنى ثم هي
ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالابحاث والجمع قلائص وقلص (٣) اكتبها
باسيار : أي شد حيائها أي اختتمه بأسيار جمع سير

(٤) البازي بالياء مخففاً ضرب من الصقور وهو أفصح لغاته ثم البازي بالياء
مشددة كما حكاه ابن سيده ويكنى بابى الأشعث وأبى البهلول وأبى لاحق
وهو من أشد الحيوانات تبكراً واضيقها خلقاً وفي عجائب المخلوقات
للقرطبي أنه لا يكون الا انثى وذكرها من نوع آخر من الحداة والشواهين
ولهذا اختلفت أشكاله انتهى ويضرب به المثل في نهاية الشرف كما في قوله :

إذا ما اعتسز ذو علم بمال فعلم الفقه أولى باعتزاز

وكم طيب يفوح ولا كمسك ولا طير يطير ولا كبازي

وقوله المطل يقال أطل عليه إذا أشرف وأتبيح له الشيء قدر أو هيء له
والانصباب الانحدار

وعنى شريك بذكر القطا قول الطرمّاح :
 تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سُبُل الكارم ضلت
 وأن معاوية قال للأحنف : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال : السخينة ،
 وإنما أراد معاوية قول القائل :

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجىء بزاد
 بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملفف في البجاد
 تراه يطوف في الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد
 وكان الأحنف من تميم وإنما أراد الأحنف بالسخينة وهي حساء يؤكل عند
 غلاء السم وكان قوم معاوية يقتصرون عليه ، رَمِيَهُمُ بالبخل . وأن رجلاً من
 بني محارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالي فقال عبد الله ماذا لقينا البارحة من
 شيوخ محارب ما تركونا ننام وأراد قول الأخطل :

تكش^(١) بلا شيء شيوخ محارب وما خلّتها كانت تريش ولا تبرى
 ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل على صوتها حية البحر
 فقال : أصلحك الله تعالى أضلوا البارحة برُقعاً فكانوا في طلبه أراد قول القائل .
 لسكّ هلالٍ من اللؤم برقع ولابن يزيد برقع وجلال

(١) يقال كش الضب والصفدع يكش كشيها صوت وخال ظن وفلان
 لا يريش ولا يرى أى لا يضر ولا ينفع والصفدع حيوان نهري وفي الأمثال قالوا :
 أنق من صفدع ، قال عبد القاهر : والشعبان يستدل بصياح الصفدع عليه
 فيأتى على صياحه فيأكله وأنشد في ذلك :
 يجعل في الأشداق ماء ينصفه حتى ينق والنقيق يتلفه
 ينصفه بضم الياء وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه
 الأعلى ، وقوله والنقيق يتلفه أراد به الضفادع إذا صاحت يتبعها الشعبان
 فيجىء فيأكلها كما قال القائل : ضفادع في ظلماء البيت وحية البحر الأفعى
 التي تكون في البر وهي تعيش في البر والبحر ومحارب فيها ضعة وخمول ،
 وعليه قول اسمعيل بن عمار الأسدي :

بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت هلال بن مرزوق ببشر بن غالب
 وهل هي إلا مثل عرس تبدلت على رغمها من هاشم في محارب
 يقول ماهي في استبدالها إلا كهروس زوجت في بني هاشم ثم انتقلت في
 محارب حتى قال بعض الشعراء وهو يحلف فصيرني ربي إذا من محارب

وأن رجلاً وقف على الحسن بن أبي الحسين^(١) البصري رحمة الله عليه فقال
أعتمر أخرج أبادر . فقال : كذبوا عليك ما كان ذلك إن السائل أراد عثمان
أخرج أبادر . وأن الحسن بن وهب نهض ذات ليلة من مجلس ابن الزيات . فقال
سحيراً أى بت بخير فقال له ابن الزيات : بنّيه ، أى بت به . وما ظنك بكياسة جيل
قد بلغت من الذكاء نساؤهم إلى حدٍ تقدهن للكلام ما يحكى أنشدت واحدة
وكانت الخنساء^(٢) .

(١) كذا في الأصل وفي المفتاح : بن الحسن
(٢) أقول : ان المصنف نقل هذه القصة عن (مفتاح العلوم) للامام السكاكي
والصحيح أنها وقعت للناطقة الديباني مع حسان بن ثابت (رض) على ما نقل
كثير من أئمة الأدب . منهم أبو أبوعبد الله المرزباني في (الموشح) وابن أبي الأصبع
في باب (الافراط في الصنعة) من كتاب (تحرير التحبير) وأبو الفرج
الأصبهاني في (الأغاني) والرضي في (الكافية) والشيخ عبد القادر البغدادي
في (خزانة الأدب) والامام سيبويه في (الكتاب) وغيرهم . . . قال المرزباني في
(الموشح) : كتب الى احمد بن عبد العزيز أخبرنا عمر بن شبة حدثني أبو
بكر العليمي حدثنا عبد الملك بن قريب قال : كان الناطقة الديباني تضرب له
قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ،
قال : فأول من أنشده حسان بن ثابت الأنصاري :

لنا الجففات الغر يلعبن في الضحى
ولدنا بنى العنقاء وابن محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما
فقال له الناطقة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك . . . وحدثني علي بن يحيى حدثنا أحمد بن
سعيد حدثنا الزبير بن بكار حدثني عمي مصعب بن عبد الله قال أنشد
حسان ، ناطقة بنى ذبيان ، قصيدته التي يقول فيها لنا الجففات الغر فقال له :
ما صنعت شيئاً قلت أمركم فقلت جففات وأسياف . . . وأخبرني الصولي
قال حدثني محمد بن سعيد ومحمد بن العباس الرياشي عن الأصمعي عن أبي
عمرو بن العلاء قال : كان الناطقة الديباني تضرب له قبة بسوق عكاظ من
ادم فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فاتاه الأعشى فكان أول من أنشده
ثم أنشده حسان بن ثابت قصيدته التي منها : لنا الجففات الغر وذكر
البيتين فقال له الناطقة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت
بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . . . قال الصولي فانظر الى هذا النقد الجليل
الذي يدل عليه نقاء كلام الناطقة ودباجة شعره لأنه قال وأسيافنا ، وأسياف
جمع لأدنى العدد والكثير سيوف والجففات لأدنى العدد والكثير جفان وترك
الفخر بابائنا وفخر بمن ولد نساؤه ، قال : ويروى أن الناطقة قال له أقللت
أسيافك ولعلت أجفانك يريد قوله لنا الجففات الغر والغرة لمعة بياض في
الجفنة فكان الناطقة عاب هذه الجفان وذهب الى أنه لو قال لنا الجففات
البياض فجعلها بياضاً كان أحسن فلعمري أنه حسن في الجفان الا أن الغر أجمل =

لنا الجففات الغريلمن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
فقلت أى نحر يكون فى أن له ولعشيرته ولن ينصوى إليهم من الجفان ما نهايتها
فى العدد عشرة وكذا من السيوف ألا استعمل جمع الكثرة الجفان والسيوف . وأى
نحر فى أن تكون جفنة وقت الضحوة — وهو وقت تناول الطعام — غراء لامة
كجفان البائع أما يشبه أن قد جعل نفسه وعشيرته بأئى عدة جففات ، ثم أنى يصلح
للمبالغة فى التمدح بالشجاعة وأنه فى مقامها يقطرن أما كان يجب أن يتركها إلى يسائر
أو يفرضن أو ما شاكل ذلك . وقد اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل
وراوية نصيب وأخذ يتمصّب كل واحد لصاحبه ويجمع له فى البلاغة قصب الرهان
فحكموا واحدة وكانت سكتة . فقلت لراوية جرير : أليس صاحبك القائل :

طرفتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمى بسلام
وأى ساعة أولى بالزيارة من الطروق^(١) قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم
قلت لراوية كثير : أليس صاحبك الذى يقول :

يقرّ بعينى ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرّت
وليس شيء أقرّ لعيونهن من النكاح أفيحبّ صاحبك أن ينكح قبح الله
صاحبك وقبح شعره . ثم قلت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

= لفظا من البيض . . قال أبو عبد الله المرزبانى « وقال قوم ممن انكر هذا
البيت فى قوله يلعب بالضحي ولم يقل بالدجى وفى قوله وأسيفنا يقطرن
ولم يقل يجرين لأن الجرى أكثر من القطر وقد رد هذا القول واحتج فيه قوم
لحسن بما لاوجه للذكره فى هذا الموضع فأما قوله فخرت بمن ولدت ولم
تفخر بمن ولدك فلا عذر عندى لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر ، وقد
احترس من مثل هذا الزلل رجل من كلب فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن
الزبير وغيره ممن ولده نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومصعبا وكلب اب للصالحين وابود
فانه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضل رجالهم واخبر أنهم يلدون الفاضلين
وجمع ذلك فى بيت واحد واجاد « انتهى والتفصيل فى خزانة الأدب ولب
لباب لسان العرب للإمام عبد القادر البغدادي (٣ - ٤٣٠) .
(١) الزيارة ليلا قال الشاعر :

الا طرقتنا مية ابنة منذر فما ارق النيام الا سلامها

فلو تركتُ عقلي ممي ما طلبتها وإن طَلابِها لما فات من عقلي
فما أرى لصاحبك هوى إنما طاب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت
لراوية نُصِيبُ : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعدي ما حييتُ فإن أمت فياويح نفسي من يهيم بها بعدى
أما كان لصاحبك همٌّ إلا هم من يهيم بها قبح الله صاحبك وقبح شعره ،
ألا قال :

أهيم بدعد ما حييتُ فإن أمت فلا صلحتُ دعد لذي خلة بعدى
بل قد وصل العرب في الفطنة والذكاء وحسن الفهم إلى ما كاد أن يصل إلى
حد الإعجاز . وفي الأغاني لأبي فرج الأصبهاني بسنده إلى عبد الملك بن عمير .
قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه
الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وابدأ أنت
يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير أحدث الحق أم حديث الباطل . قال :
بل حديث الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى^(١) بأليّة أن لا يتزوج امرأةً حتى
يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين فجعل يخطبُ النساء فإذا سألهن عن هذا قان
أربعة عشر فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرة
كأنها البدرُ ليلة تمامه فأعجبته ، فقال لها يا جارية : ما ثمانية وأربعة واثنتان .
فقلت : أما ثمانية فأطباء الكلبة^(٢) وأما أربعة فأخلاق^(٣) الناقة ، وأما اثنتان .
فثديا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها ، وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها
عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبدٍ
وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى

(١) آلى : أى أقسم ، وفي الأغاني انظر (ج ٨ ص ٧١ و ٧٢) من طبعة الساسي
(٢) الأطباء : جمع طبي لدات الخف والظلف كالشدى للمرأة وبطلق قليلا
لدات الحافر والسباع (٣) الاخلاف : جمع خلف من ذوات الخف كالشدى
للانسان وقيل الخلف طرف الضرع

إليها نحيًا^(١) من سمن ونحيًا من غسل وحلة^(٢) من عصب^(٣) فنزل العبد بيمض
المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بشعره فانشتت وفتح النحيين فطمع أهل الماء
منهما فنقصا ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف^(٤) فسألها عن أبيها وأميها وأخيها ودفن
إليها هديتها . فقالت له : اعلم أى أخبر مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد
قريباً ، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخى يراعى الشمس وأن
سماءكم انشتت وإن وعاءكم نضبا^(٥) فقدم الغلام على مولاه فأخبره . فقال أما
قولها : إن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على
قومه . وأما قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة^(٦)
نفساء . وأما قولها : إن أخى يراعى الشمس فإن أخاها فى سرح^(٧) له يراعه فهو
ينتظر وجوب الشمس^(٨) ليروح^(٩) به . وأما قولها : إن سماءكم انشتت فإن
البرد الذى بعثت به انشق . وأما قولها : إن وعاءكم نضبا ، فإن النحيين اللذين
بعثت بهما نقصا ، فأصدقنى ، فقال : يا مولاي إني نزلت بماء من مياه العرب
فسألوني عن نسي فأخبرتهم إني ابن عمك ونشرت الحلة فانشتت وفتحت النحيين
فأطعمت منهما أهل الماء فقال : أولى لك^(١٠) . ثم ساق مائة من الإبل وخرج

(١) النحي بالكسر الزق أو ما كان للسمن خاصة (٢) الحلة بالضم لا تكون
الأثوبين من جنس واحد (٣) العصب مثل فلس برد يصبغ غزله ثم ينسج ،
ولا يثنى ولا يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليه فيقال بردا عصب وبرود
عصب والاضافة للتخصيص ويجوز أن يجعل وصفا فيقال شريت ثوبا
عصبا (٤) وهم خلوف بالضم وهم الذين ذهبوا من الحى
(٥) يقلل نضب المال ينضب وينضب نضوبا ذهب فى الأرض والمراد هنا
نقصا (٦) قبلت القابلة الولد تلفته عند خروجه قبالة بالكسر والجمع قوايل
وامرأة قابلة وقبيل أيضا (٧) السرح المال السائم (٨) وجوب الشمس :
أى غروبها (٩) أى ليرجع يقال راح يروح ورواحا وتروح مثله يكون بمعنى الغدو
وبمعنى الرجوع وقد طابق بينهما فى قوله تعالى : غدوها شهر ورواحها شهر
أى ذهابها ورجوعها وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون الا فى آخر
النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى
وقت كان من ليل أو نهار ، قاله الأزهري وغيره (١٠) أولى لك تهديد ووعيد ،
قال الأصمعى : أى قاربه ما يهلكه أى نزل به ، ومنه قوله تعالى أولى لك
فأولى ، معناه التوعد والتهديد أى الشر اقرب إليك .

نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا فخرج الغلام يسقى الإبل فمجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر . وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ولكن انحروا له جزوراً^(١) وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا فقالت : اسقوه لبناً حازراً . وهو الحامض فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرث^(٢) والدم . ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه إني أريد أن أسألك ، فقال : سألني عما شئت . فقالت : مم تختلج^(٣) شفتاك ؟ قال : لتقبلي إياك . قالت : فم يختلج كشحاك^(٤) ؟ قال : لا لتزاي إياك . قالت : فم يختلج فخذاك ؟ قال : لتوركي إياك . قالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به . ففعلوا . قال : ومرة قوم فاستخرجوه امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والكبد والملكاء^(٥) . فأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً حازراً . فأبى أن يشربه وقال فأين الصريف^(٦) والرئثة^(٧) . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوق التلعة^(٨) الحمراء واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلم شريطتي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها أن سألني عما شئت . فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لشربي المشعشات^(٩) قالت : فم يختلج كشحاك ؟ قال للبسي الحبرات^(١٠)

(١) الجزور من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى والجمع جزر مثل رسول ورسيل ويجمع أيضا على جزرات ثم على جزائر ولفظ الجزور أنثى يقال رعت الجزور قاله ابن الأنباري وزاد الصاغاني وقيل الجزور الناقة التي تنجر وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل نحرتها
(٢) الفرث : السرجين (٣) تختلج : تضرب وتتحرك (٤) الكشح ما بين الخصرة إلى الضلع الخلف (٥) الملكاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى المعجز (٦) الصريف : اللبن ساعة حلب (٧) الرئثة : اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر (٨) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ضد والمراد هنا الأول (٩) المشعشع : الشراب المزوج ، قال عمر بن كلثوم مشعشة كان الحصص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

(١٠) الحبرات جمع حبرة وزان عنية ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط ، يقال برد حبرة على الوصف وبرد حبرة قال الأزهرى ليس حبرة

قالت . فهم يختلج فخذاك ؟ قال : لركضى المظلمات^(١) . قالت . هذا زوجي
لممرى فمليكم به واقتلوا العبد . فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن
هبيرة : حسبكم فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن
تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا وأمرلى بجائزة . وقال المبرد في كتابه الموسوم
(بالروضة) . كانت العرب تستدل بالاحظظة واللفظة ، فمن ذلك ما روى أن جيلا
قال لكثير : لو صرت إلى بثينة فأخذت لي عنها موعداً . فقال : إن غاشية عمها
كثير . فقال : إن الحيلة تأتي من وراء ذلك . فاطرق كثير إطراقة . ثم قال : متى
كان آخر عهدك بها ؟ قال : يوم كذا . قال : في أى موضع ؟ قال : في واد يقال
له « وادى الدوم » فأصاب ثوبها شيء ففسلته قال : فأتى الحى فجعل يتحدث إليهم حتى
أتى عمها فخادته وقال : أسمعك أبياتاً في عزة حضرتى قال : هاها فاعلن إنشاده
لتسمع بثينة وقال :

أقول لها يا عرّ : أرسل صاحبي على نأى دار^(٢) والرسول موكل
بأن يجعل بينى وبينك موعداً وأن تأمرينى بالذى فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل
فعلت أنه إياها يقصد بالعلامة فصاحت : اخساً^(٣) فصاح بها عمها ما خسأت ؟
قالت : كلباً يمترينا ليلاً ثم رأيته الساعة . فرجع كثير إلى جميل فقال : أيتها الليلة
فإنها ذكرت الليل . وقال ابن الأعرابي : أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب فقدم
عليه أبوه وعمه ليفدياه فاشتطوا^(٤) عليهما في الفداء فأعطيا به عطية فلم يرضوا بها
فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين^(٥) يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم

موضعا أو شيئاً معلوماً إنما هو وشى معلوم اضيف الثوب اليه كما قيل
ثوب قرمز بالاضافة والقرمز صبغة فاضيف الثوب الى الوشى والصبغ
للتوضيح (١) المظلمات : الخيل التامة الحسن (٢) النأى : البعد (٣) اخساً :
أى ابعد والخاسي من الكلاب المبعد لا يترك ان يدنو من الناس (٤) اشتطوا :
أى جاروا عليه في الطلب (٥) الفرقدان : نجمان في السماء لا يفرقان ولكنهما
يطوفان بالجدى ، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب ، وقيل هما كوكبان
في بنات نعش الصغرى

على ما أعطيتكم . ثم انصرفا ، فقال الأب للمم : لقد ألقيت إلى ابني كلمة لأن كان فيه خير لينجون بها . فما لبث أن نجا واطرد قطعة من إبلهم فذهب بها كأنه قال : الزم الفرقدن على جبل طيء فإنهما طالعان عليه وهما لا يغبيان عنه . وفي كتاب الملاحن ^(١) : يروى عن ابن دريد في أسير بكر بن وائل حيث سألهم رسولا إلى قومه فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا ، اشفاقاً منه أن يُنذرهم فقد كانوا هموا بغزو قومه فجاء بعبء أسود فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إني لعاقل . قال : ما أراك عاقلاً . ثم قال : ما هذا ؟ وأشار بيده إلى الليل فقال : هذا الليل فقال : أراك عاقلاً . ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدري وإنه لكثير . قال : أيما أكثر النجوم أم النيران ؟ قال : كلٌّ كثير . قال : أبلغ قومي التحية وقل لهم : أكرموا فلاناً — يعني أسيراً كان في أيديهم — فإنهم لي مكرمون وقل لهم : إن العرفج قد أذى وقد شكت النساء ومُرهم أن يعروا ناقتي الحراء فقد أطالوا ركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً وسلوا الحارث عن خبري . فلما أدى العبد إليهم الرسالة قالوا : قد جن الأعور . والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جلاً أصهب . ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث وقصوا عليه القصة فقال : قد أنذركم . أما قوله قد أذى العرفج أى الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح . وقوله شكت النساء أى اتخذوا الشكاء للسفر والشكوة القربة الصغيرة . وقوله : اعروا ناقتي الحراء . أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمل الأصهب . وقوله : أكلت معكم حيساً يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع السمن والتمر والأقط . فامثلوا ذلك وعرفوا ما قال . فأخذ هذا المعنى رجل كان أسيراً في بني تميم فكتب إلى قومه ملفزاً في الشعر يُنذرهم .

(١) هو لابن دريد والملاحن الانغاز وهى الحاجة لأنها تظهر الحجى والمعاية والرمز والمعنى ، قال الخفاجى : والمتأخرون من الأدباء اصطلمحوا على التفريق بينهما وهو ليس بأمر الهوى وقد تطلق على كنيائهم كقولهم للخمر اشقر والماء اشهب الى غير ذلك مما ذكر فى كتاب الكناية لابن المكرم

خلوا عن الناقة الحمراء واقتمدوا إلى موذ الذي في جنابي ظهره وقع
إن الذئاب قد اخضرت برائنها والناس كلهم بكر إذا شبعوا

قال أبو عثمان الاثنانداني في أبيات المعاني : أراد بالناقة الحمراء الدهناء وهي
أرض لبنى تميم تشبهاً بالناقة لتأنيها وسهولة ركوبها لأنها أرض فلاة سهلة واقتمدوا
العود أي اسكنوا الصمان وهو بلد لبنى تميم أرض غليظة صلبة . وإنما شبهه بالعود
لتذكير اسمه والعود المسن من الإبل وجعل في ظهره وقماً وهو آثار الدبر في ظهر
البعير تشبهاً للصمان بما قد وطئ وكثرت آثار الناس فله بظهر بعير موقع . يقول
امتنعوا بركوب الصمان لأنه وعر صلب يشق على الخيل أن تطأه ، والدهناء ممكنة .
وأراد بالذئاب القوم الذين يغيرون عليهم ، شبههم بالذئاب لخفتهم وحرصهم على
الغارة . وقوله قد اخضرت برائنها : يريد قد اخضرت الأرض وكثر العشب
فيها وأمكن الغزو والأقدام مخضرة من الكد . فجعل الأقدام برائن . وقوله والناس
كلهم بكر إذا شبعوا : يريد أن بكر بن وائل أشد الناس عداوة لبني تميم يقول :
إذا شبعوا وأخصبوا فمداوتهم كمداوة بكر . ومن الغريب في هذا الباب ما روى
المرزبان أن رجلاً كثير المال يحب عبيدين في سفر فلما توسط الطريق هما بقتله
فلما صبح ذلك عنده . قال أقسم عليكما إذا كانا لا بد لكما من قتلى أن تمضيا إلى
داري وتنشدا ابنتي هذا البيت . قالا : وما هو قال :

من مبلغ بنتي أن أباهما لله درُّ كما^(١) ودر أيمكما

فقال أحدهما للآخر : لا نرى به بأساً فلما قتلاه جاء إلى داره وقالاً لابنته الكبرى :
إن أباك لحقه ما يلحق الناس وآلى علينا أن نخبركما بهذا البيت فقالت الكبرى :
ما أرى فيه شيئاً تخبراني به ولكن اصبر حتى أستدعي أختي الصغرى . فاستدعتها
فأنشدتها البيت فخرجت حاسرة^(٢) وقالت : هذان قتلا أبي يامعشر العرب ما أنتم

(١) لله دره : أي عمله ولا ددره لازماً عمله (٢) حاسرة : أي كاشفة .
يقال حسرت المرأة ذراعها وخمارها من باب ضرب كشفته

فصحاء قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : الصراع الثانى يحتاج إلى أول والأول يحتاج إلى ثان لا يليق أحدهما بالآخر ؟ قالوا : فما ينبغى أن يكون ؟ قالت : ينبغى أن يكون :

من مخبر بنتى أن أباهما أمسى قتيلاً بالفلاة مجندلاً^(١)

لله دركاً ودر أيسكاً لن يرح العبدان حتى يقتلا

قال : فاستخبروها فوجدوا الأمر على ما ذكرت . ومما يدل على غزارة فهم العرب ودقيق نظرهم ما اختصوا به من قرع المصا وهو أشد أنواع الرموز استخراجاً وأصعبها استنباطاً لخلوه من النطق وللإقتصار فيه على مجرد الفعل فإنه شارة بالفعل دون القول . وقد ادعى بنو قيس بن ثعلبة أن أول من قرع المصا سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة قرعها لأخيه عمرو بن مالك وذلك حين لقي النعمان سعداً ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها أعراء مهملة . فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها فقال سعد : إني لم أقد هذه لأمنعها . ولم أعر هذه لأضعيها^(٢) فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيث يحمد أثره . ويروى شجره . فقال سعد : أما المطر فغزير . وأما الورق فشكير . وأما النافذة فساهرة . وأما الحازرة فشبي نائمة . وأما البرشاء فقد امتلأت مساربها . وابتلت جنباتها ويروى جنباتها . وأما الجوف فغدير لا تطلع . وأما الحذف فمزاف لا ينكع . يفتر إذا يرتع^(٣) . فقال النعمان وحسده على ما رأى من ذرب لسانه : وأبيك إنك لمفوة فإن شئت أنتيتك بما تميأ عن جوابه . فقال : شئت إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاد . فأمر النعمان وصيفاً فلطمه . وإنما أراد أن يتعدى في القول فيقتله . فقال : ما جواب هذه ؟ فقال سعد : « سفيه مأمور » فأرسلها مثلاً . قال النعمان للوصيف : أطمه أخرى فلطمه . قال ما جواب هذه ؟ قال : لو نهى عن الأولى لم يعد للأخرى فأرسلها

(١) مجندلاً : أى مصروعاً على الجدالة كسحابة وهى الأرض

(٢) لاهبها

(٣) سيأتى شرح هذه الكلمات فى الأصل

مثلاً . فقال النعمان : أطمه أخرى ففعل فقال : ما جواب هذه . فقال : ربُّ يؤدَّبُ عبده . فقال : أطمه أخرى ، ففعل . فقال : ما جواب هذه . فقال : « ملكت فأسجح^(١) » فأرسلها مثلاً . فقال النعمان أصبت فأقعد فكث عنده ما مكث ، ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرتاد له السكلا فبعث عمرو بن مالك أخا سعد فأبطأ عليه فأغضبه ذلك . فأقسم لئن جاء حامداً للسكلا أو ذاماً ليقتلنه ، فلما قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس وسعد قاعد لديه مع الناس ، وكان قد عرف ما أقسم به النعمان من يمينه ، فقال سعد : أتأذن لي فأكله ؟ قال : إن كلمته قطعت لسانك . قال : فأشير إليه ؟ قال : إن أشرت إليه قطعت يدك . قال فأومىء إليه ؟ قال : إذن انزع جدقتيك . قال فأقرع له العصا ؟ قال : أفرع . فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعا بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة فنظر إليه أخوه ثم أوماً بالعصا نحوه فعرف أنه يقول مكانك ثم قرع العصا قرعة واحدة ثم رفعها إلى السماء ثم مسح بعصاه بالأخرى فعرف أنه يقول قل له لم أجد جدباً ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً فعرف أنه يقول ولا نباتاً ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان فعرف أنه يقول كله . فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان فقال له النعمان هل حدثت خصباً . أو ذمت جدباً . فقال عمرو لم أذم جدباً . ولم أحم بقل . الأرض مُشكلة لا خصبها يُعرف . ولا جدبها يوصف . رائدتها واقف . ومنكرها عارف . وآمنها خائف . فقال النعمان : أولى لك^(٢) بذلك نجوت فنجاً وهو أول من قرعت له العصا . فقال سعد بن مالك لقرعة العصا :

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لولا ذاك للقوم تقريع
فقال : رأيت الأرض ليست بمُحل ولا سارح منها على الرعي يشبع

(١) الأسجح حسن العفو ، أى ملكت الأمر على فأحسن العفو عنى وأصله السهولة والرفق يقال مشية سجع أى سهلة . يضرب في العفو عند المقدرة .
(٢) سيأتى شرحها في الأصل

سواء فلا جذب فيعرف جذبها ولا صابها غيث غزير فتمرّع^(١)
 فنجى بها حوباء^(٢) نفس كريمة وقد كاد لولا ذاك فيهم يقطع
 قول سعد : « أما الورق فشكير » يعنى أنه صغير لم يكبر . « وأما النافذة
 فساهرة » يعنى التي قد نفدت من الهزال فلم يبق فيها قوة ففى ساهرة لأنها لم
 تشبع بعد فسررها لفقد الشبع . والحازرة يجب أن تكون من قولهم حزرة المال
 خياره أى هى تقتدر بقوتها على الرعى فتشبع فتنام . والبرشاء أرض فيها رمت^(٣) .
 والمسارب جمع مسرب وهى المواضع التى تسرب فيها المال أى الإبل . وقوله
 ابتلت جنباتها فى مثل الجنباب . وإذا قيل جنباتها فيجوز أن يكون مثل الجنبابذ
 وهى جمع جنبذة . والجنبذة المكان المرتفع فأبدلت الثاء من الذال كما قالوا جث وجذ .
 ومن روى الرهاء فيجوز أن يكون من الأرض التى قد أصابها الرهام .^(٤) والجوف
 البطن من الأرض . والغدر جمع غدير . يعنى أن الوادى لم يكثر المطر فيسيل فيه
 فيرتفع سيله إلى جوانبه فيجاوز حد الغدران . والحذف ضرب من الشاء صفار ،
 وعزاف يعنى أنها تعزف نفوسها عن الماء لكثرة ولا ينكع : أى لا يقطع شربها .
 يقال نكع . وأنكع . إذا قطع . قال الشاعر :

بنى ثعل لاتنكعوا^(٥) العنز شربها بنى ثعل من ينكع العنز ظالم
 وتقر تكشف أسنانها إذا رفعت رءوسها من الرعى ، وأولى لك كلمة تقال

(١) مرع الوادى وامرع : اكلاً واخصب ، وقيل لم يات مرع ، وقال ابن
 الاعرابى امرع المكان لا غير (٢) سيأتى شرحها فى الأصل (٣) رمت بالكسر
 مرعى الإبل من الحمض وشجر يشبه الغضى (٤) الرهام كجبال جمع رهمة
 بالكسر المطر الضعيف الدائم الصغير القطر (٥) نكعه عن الأمر أعجله عنه
 أو رده ومنعه ورفع وقيل نكعه نفسه بالأعجال كنكعه تنكيها وقال الليث
 نكعه وكسعه ضرب بظهر قدمه على دبره وكذلك بكعه بالموحدة ، وأنشد :
 بنى ثعل لاتنكع العنز شربها الخ ، قال الزبيدى وأنشد سيبويه هكذا وفسره
 فقال ونكعه الورد ومنه . ومنعه إياه انتهى ، وبنى ثعل كسر ابن عمرو بن
 العوث حى من طيء ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بنى ثعل مثليج كفيه فى قره
 وفى الأساس : وإن دعوت على أبناء رجل أسمه عمر أو زفر فقل : اتيج
 لكم يابنى فعل ، رام من بنى ثعل .

للرجل إذا نجا من شر بعد ما كاد يصيبه . وقوله حوباء نفس كريمة فيه وجوه يقال
أن الحوباء النفس فإذا أخذ بها فأعما أضيفت الحوباء إلى النفس في شعر سعد لاختلاف
اللفظين . وربما قالوا الحوباء خالص النفس . وقال بمضهم الحوباء روح القلب . وأهل
اليمين يقولون إن أول من قرعت له العصا عمرو بن مُحَمَّة الدوسي . روى ذلك الشعبي عن
ابن عباس وأنه المراد بذى الحلم في قول الحارث ابن وعله .

لا تأمنن قوما ظلمتهم وبدأتهم بالشم والرمم
أن يأبروا^(١) نخلا لغيرهم والشئ تحقره وقد ينمى
وزعمتم أن لاحلوم لنا إن العصا قرعت لذى الحلم

يريد أن الأمر والشأن لاحلوم لنا فإن كان الأمر كما زعمتم فنبهونا أنتم فإن الدوسي
كان يقرع له العصا فينبه لما كان يزيغ في الحكم لكبر سنه . وهذا تهكم منهم أى
عرضتم في قولكم بأنا سفهاء فاكثفينا بالتمريض عن التصريح كاكثفاء ذى
الحلم بقرع العصا . ومضر تدعى أن ذا الحلم عامر بن الظرب المدوانى وإياه عنى
ذو الأصبع في قوله .

ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

وتدعيه ربيعة فتقول قيس بن خالد الشيبانى وهو جد بسطام بن قيس بن مسعود
ابن خالد . فأما ما يدعى لعمرو بن مُحَمَّة فالخبر فيه وفى عامر بن الظرب واحد .
وهو أن كل واحد منهما كان حكما للعرب يتحاكون إليه فى كل مُعضلة . وهو
لعمرو بن مُحَمَّة فى هذا الحديث أشهر . وذلك أن العرب أتوه يتحاكون إليه
فغلط فى حكومته وكان قد أسنَّ فقالت له ابنته إنك قد صرَّتَهم فى حكمك أى
تغلط فقال : إذا رأيت ذلك منى فاقرعى العصا . فكان إذا قرعت له العصا فثاب
إليه حلمه فأصاب فى حكمه .

(١) ابرت النخل ابرا من باب ضرب وقتل لقحته وأبرته تابيرا مبالغة
وتكثير والابور وزان رسول ما يؤبر به

ومن الرموز بالفعل دون القول التي اختصت العرب بفهم المراد منها ما يروى في الأمثال عن أبي فيد السدوسي . قال : حدث أبو خالد السكابي أن الأحوص بن جعفر أتى ققيل له أتاناً رجل لا نعرفه فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته وأتى شجرة فعلق عليها وطباً^(١) من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك في بعضها ثم أتى راحلته فاستوى عليها فنظر الأحوص والقوم في أمره فمى به . فقال الأحوص أرسلوا إلى قيس بن زهير فأتوا قيساً فجاءوا به إليه فقال له الأحوص : ألم تكن تخبرني أنه لا يرد عليك أمر إلا عرفت مأثاه ما لم تر نواصي الخيل . قال وما الخبر ؟ فأعلموه فقال : قد بين الصبح لذي عينين^(٢) « فصار مثلاً يضرب به في وضوح الشيء . قال أما صرة التراب فإنه زعم أنه أتاكم عدد كثير . وأما الحنظلة فإنه يخبركم أن حنظلة قد أتتكم . وأما الشوك فإنه يخبركم أن لها شوكة . وأما اللبن فهو دليل لكم على قرب القوم وبمدهم . فإن كان حلواً حليياً فقد أتتكم الخيل . وإن كان لا حلواً ولا حامضاً فعلى قدر ذلك . وإن كان قارصاً^(٣) فعلى قدره . وإن كان خائراً فلكم مهلة من الرأي . وإنما ترك الرجل كلامكم لأنه قد أخذت عليه العهود وقد أنذركم . ونظائر هذه الحكايات التي رواها الثقة كثيرة ، وسيأتي عند الكلام على علوم العرب ما يزيد المقام وضوحاً .

ولما كانت العرب في قوة الفهم وحدة الذهن إلى غاية الغايات كان معجزهم القرآن فإن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني إسرائيل بلاذة وغباوة لأنه لم ينقل عنهم ما تدون من كلام مستحسن أو يستفاد من معنى مبتكر . وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . فخصوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم . والعرب أصبح الناس أفهاماً . وأحدهم أذهاناً . قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها .

(١) الوطب : سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه والجمع اوطب ووطاب
واوطاب (٢) بين هنا بمعنى تبين ، يضرب الأمر يظهر كل الظهور (٣) القارص :
اللبن الحامض

ومن المعاني أغربها . ومن الآداب أحسنها . نخصوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم . وتصل إليه أذهانهم . فيُدركونه بالفطنة دون البديهة . وبالروية دون البادرة .^(١) لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها . ويوافق فهمها . والله ولى التوفيق .

وأما كونه العرب أممًا من غيرهم

فَلأنَّ الغالب منهم أمميون . لا يقرءون ولا يكتبون . بل إن جميع عرب البوادي كذلك ومع هذا حفظوا على سبيل التفصيل أيامهم وحروبهم ووقائعهم وما قيل فيها من شعر وخطب . وما جرى من المفاخرات والمناورات^(٢) بين قبائلهم . وضبطوا أنسابهم وأسماء فرسانهم الذين نزلوا في ميادين حروبهم وأنهم من أى قبيلة وإلى أى أب ينتهون من الآباء الأولين . وأسلافهم السابقين . وكان أحدهم يقول الشعر بلغت أبياته ما بلغت فاهم إلا أن سمعوه فانتقش في صحائف خواطرم وتمثّل في خيالهم . وهذا مما تساوى فيه العامة والخاصة منهم والصغير والكبير والذكر والأنثى من أحيائهم . وذلك مما لا يستريب فيه أحد ولا يشك ذو نظر . وكانوا إذا جرت بينهم حادثة غريبة أو اتفقت لهم نكتة غريبة ضربوا بها الأمثال . وسارت بين القبائل تلك الأقوال . فلا تغيب هاتيك الوقائع عن أفسارهم . ولا تزول مدى الليالى والأيام عن خزائن خواطرم . وقد دون المتأخرون ما تلقّوه من الثقافة . وما سمعوه من أفواه الرواة . من أيامهم وأخبارهم . وأمثالهم وأشعارهم . فبلغ ذلك ما بلغ من الجامع والأسفار . حتى تجاوزت دوائر العدّ والانحصار . هذا مع أن ذلك بالنسبة إلى ما لم يصل إليهم قطرة من

(١) البادرة : ما يبدّر من حدثك في الغضب من قول أو فعل

(٢) نافر : معناه حاكم في النسب وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أنا اعر نفرا

بحار . وذرة من جبال وقفار . وأما الغالب من شعرهم ولغتهم وأيامهم الأول . فقد ذهب بذهابهم وبقي في الصدور ولم ينقل . وأخذوا في أكفانهم^(١) كثيراً من العلوم والفنون . حيث لم يجدوا من يحفظ حقوقها ويصون . وكان لكل شاعر منهم رواية يحفظُ عنه ما يقول . وما يُنشد في المواقع والجامع حين يصل ويجول . وكل رواية من رُوتهم كان يحفظ من الأراجيز والتقصيد وسائر فنون الشعر ما يفوت الإحصاء والمحصر . هذا الأصمى من متأخريهم قال : ما بلغت الحُلمَ حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب ، وكان خَلْفُ الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده . وبالجملة العرب أحفظ الناس . ولا يكاد يمتري في ذلك إلا من عدم الإحساس ، حتى إن في كتاب الوشى المرقوم : أن الهمداني ادعى أنه لم يصل إلى أحد من أخبار العرب والمعجم إلا بالعرب وبين ذلك على أتم وجه وأثبتته ثم قال : والعرب أصحاب حفظ ورواية .

وفي مقدمة أقوم المسالك نقلا عن تاريخ دردي وزير المعارف العمومية بفرنسا : أن الآداب كانت قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤداة بلشتين : الحيرية في اليمن ، والقرشية في الحجاز ، وبالأخرة جاء القرآن ، ولا يخفى عليك أن الذي يقابل الحيرية هو المضرية ، وإن وقع الإجماع في القراءة على خصوص القرشية ، ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها إلى وقتنا هذا باستمرار كتب العلم والديانة وما دخلت المعجمة في اللسان إلا بدخول الأُم في الإسلام ، وتطاول السنين ، واللغة المذكورة من الاتساع وسعة المجال مالا يخفى على مثافئها^(٢) لاسيما في الأشياء

(١) قلت : احفظ في هذا المعنى إبيانا لبعض الأجلة من العراقيين وهي :
اسفنى على فضلى ولم اكن ابصرت عارف حقه فيبين
ومن العلوم الغامضات ورمزها املى قضيت وللـفنـون ديون
واخذت في كفى علوما لم اجد من يحفظن حقوقها ويصون
ورقيق اسرار جعلت لها الحشى مستودعا هي في الدفين دفين
(٢) ثقافته : جالس وقيل لازمه . وكلمه فهو مثافن ومثفن كمحدث وثفن
الشيء يشفنه ثفننا لزمه وثفن فلانا صاحبه حتى لا يخفى عليه شيء من أمره
ورجل مثفن لخصمه أى ملازم له . والمثافنة : المباطنة .

التي بها قوام الميضة في البادية أو تشكرن رؤيتهم لها أو تكثر حاجتهم إليها فقد يكون للشيء الواحد عدة أسماء باعتبار تعدد صفاته وأحواله ، وبكثرة الترداف عندهم اتسعت لهم دوائر الآداب الشعرية . إذ يقال إن للعسل عندهم ثمانين اسماً ، وللشعبان مائتين وللأسد خمسمائة ، وللجمل ألفاً ، وكذا السيف ، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم ولا جرم^(١) . أن استيعاب مثل هذه الأسماء يستدعى حافظة قوية ، وللعرب من قوة الحافظة ، وحدة الفكر ما لا يسع أحداً إنكاره . فن مشاهيرهم حماد الراوية الذي ذكر يوماً للخليفة الوليد أنه ينشد له في الحال مائة قصيدة والقصيدة من عشرين إلى مائة بيت فتعب المستمع قبل المنشد . انتهى نقل ما هو المقصود مما اعترف به هذا الفاضل مع كونه من صميم أهل أوربا مما للعرب من قوة الحافظة التي لم تكن لغيرهم من الأمم . وإنما يعرف ذا الفضل ذووه . والحق يعالو ولا يعلى عليه . فذلك اكتفين في هذا الباب بهذا المقدار .

وأما كون العرب أقدر على البيان من غيرهم

فلأن لسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للعاني جمّاً وفرقاً يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع ، ثم يميز بين كل شيئين بلفظ آخر مميز مختصر ، كما نجده من لغتهم في جنس الحيوان ، فإنهم مثلاً يعبرون عن القدر المشترك بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره من الأصوات والأولاد والمساكن والأطفال إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا تستراب فيها . وقد أفردوا أئمة اللغة بكتب معتبرة ، مطولة ومختصرة . مع ما اشتملت عليه هذه اللغة الجليلية من المزايا التي لم توجد في غيرها من لغات الأمم . انظر إلى المفرد والجمع وأسباب اختلاف العلامات الدالة على الجمع واختصاص كل محل بعلامته

(١) قال في القاموس : لا جرم ولا ذا جرم ولا ان ذا جرم ولا عن ذا جرم ولا جر ولا جرم كجرم ولا جرم بالضم أي لا بد أو حقاً أو لامحالة أو هذا أصله ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم فلذلك يجاب عنه باللام فيقال لا تينك .

ووقوع المفرد موقع الجمع وعكسه . وأين يحسن مراعاة الأصل وأين يحسن العدول عنه . وهذا فصل نافع جداً يُطالعك على سر هذه اللغة العظيمة القدر المفضلة على سائر لغات الأمم ، وذلك أن الأصل هو المعنى المفرد وأن يكون اللفظ الدال عليه مفرداً لأن اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذى حذوه والمناسبة الحقيقية ثابتة بين اللفظ والمعنى طولا وقصراً وخفة وثقلاً وكثرة وقلة وحركة وسكوناً وشدة وليناً ، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه ، وإن كان مركباً ركبوا اللفظ ، وإن كان طويلاً طولوه كالمعْطِنُط والمُسْتَق للطويل . فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه . وانظر إلى لفظ بُحْتَر وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق . وكذلك لفظ الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها تجدد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها ، وكذلك لفظى الحركة والسكون مناسبتهما لمسمييهما معلومة بالحس ، وكذلك لفظ الدوران والثَّوران والغليان وبابه في لفظهما من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها . وكذلك الدَحَال والخَرَّاج والضَّرَاب والأَفَّاك في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرر المعنى . وكذلك الغضبان والظَّمان والحيران وبابه مما صيغ على هذا البناء الذى يتسع النطق به ويمتلئ الفم بألفظه لامتلاء حامله من هذه المعانى فكان الغضبان هو الممتلئ غضباً الذى قد اتسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه . وكذلك بقيتها ولا يتسع المقام لبسط هذا فإنه يطول ويَدِقُّ حتى يكسع عنه أكثر الأفهام وتنبو عنه للطافته . لأنه ينشأ من جوهر الحرف تارة ومن صفته ومن اقترانه بما يناسبه ومن تكرره ومن حركته وسكونه ومن تقديمه وتأخيره ومن إثباته وحذفه ومن قلبه وإعلاله . إلى غير ذلك من الموازنة بين الحركات وتعديل الحروف وتوخي المشاكلة والمخالفة والخفة والثقل والفصل والوصل . وهذا باب يقوم من يتبعه بسفر ضخم . ولندكر منه مسألة واحدة وهى اللفظ في إفراده وتغييره عند زيادة معناه بالثنائية والجمع دون سائر تغييراته . فنقول لما كانت المفرد هو الأصل والثنائية والجمع تابعان له جعل لهما

في الاسم علامة تدل عليهما وجعلت آخره قضاء لحق الأصالة فيه والتبعية فيهما والفرعية فالترمو هذا في الثانية ولم ينخرم عليهم . وأما الجمع فإنهم ذهبوا به كل مذهب وصرفوه كل مصرف فرة جعلوه على حد الثانية وهو قياس الباب كالثنية والنسب والتأنيث وغيرها . وتارة اجتلبوا له علامة في وسطه كالآلاف في جعافر والياء في عبيد والواو في فلوس . وتارة جعلوا اختصار بعض حروفه وإسقاطها علامة عليه نحو عنكبوت وعناكب فإنه لما ثقل عليهم المفرد وطالت حروفه وازداد ثقلها بالجمع خففوه بحذف بعض حروفه لثلاث يجمعوا بين ثقلين . ولا يناقض هذا ما أصلوه من طول اللفظ لطول المعنى وقصره لقصره فإن هذا باب آخر من المعادلة والموازنة عارض ذلك الأصل ومنع من طرده . ومنه جمعهم فمیل وفمول وفعل على فعل كرجيف وعمود وقذال على رغف وعمد وقذل لثقل المفرد بالمدة . فإن كان في واحدة تاء التأنيث فإنها تحذف في الجمع فكروها أن يحذفوا المدة فيجمعوا عليه بين نقصين فقبلوا المدة . ولم يحذفوها كرسالة ورسائل وصحيفة وصحائف فجزبوا النقص بالفرق لا إنهم تناقضوا وتارة يقتصرون على تغيير بعض حركاته فيجعلونها علامة لجمعه كفلك وفلك وعبد وعبد . وتارة يحتلبون له لفظاً مستقلاً من غير لفظ واحد تكيل وأنام وقوم ورهط ونحوه . وتارة يحملون العلامة في التقدير والنية لا في اللفظ كفلك للواحد والجمع فإن ضمة الواحد في النية كضمة قفل وضمة الجمع كضمة رسل وكذلك هجان ودلاص وأسمال وأعشار مع أن غالب هذا الباب إنما يأتي في الصفات لحصول التميز والعلامة بموصوفاتها فلا يقع لبس ولا يكاد يجيء في غير الصفات إلا نادراً جداً . ومع هذا فلا بد أن يكون لمفردة لفظ يباير جمعه ويكون فيه لغتان لأنهم علموا أنه يثقل عليهم ، أما في الجر والنصب فَلِتَوَالِي الكسرات ، وأما في الرفع فَلِتَثْقُلَ الخروج من الكسرة إلى الضمة فمدلوا إلى جمع تسكيره . ولا يرد هذا عليهم في راحين وراحون لفصل الألف الساكنة ومنعها من توالي الحركات فهو كسملين وقائمين . وكذلك عدلوا عن جمع فعل المضاعف من صفات العقلاء كفظّ وبرّ فلم يجمعوه

جمع سلامة . ولم يقولوا برّون وفظّون لثلاث يشته بكلوب وسفود لأنه برّته فكسروه وقالوا أبرار فلما جاءوا إلى غير المضاعف كصعب جمعه جمع تصحيح ولم يخافوا التباساً إذ ليس في الكلام فعلول ، وصعفوق^(١) نادر ، فتأمل هذا التفريق ، وهذا التصور الدالّ على أن أذهان العرب قد فاقت أذهان الأمم كما فاقت لغتهم لغاتهم . والكلام في هذا المقام واسع جداً فأين لغات العرب من هذه الأسرار ، والفرق واضح بين الليل والنهار .

وأما ما اشتمل عليه كلام العرب وتراكيبهم ، وما حازته من فنون البراعة أساليبهم ، فقد تكفل ببسطه كتب المعاني والبيان . وما ألف في بيان إعجاز القرآن . وقد سأل أبو إسحق المتفلسف الكندي أبا العباس المبرد ، فقال : إني أجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله قائم . ثم يقولون إن عبد الله قائم . ثم يقولون إن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد ، فأجابه أبو العباس : إن المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه . وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل . وقولهم إن عبد الله لقائم ، جواب عن إنكار منكر قيامه . فانظر إلى تفاوت هذه المعاني مع تغيير يسير في اللفظ . وأما ما فصّح من لغاتهم ، وما ملح من بلاغاتهم ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحلل في نواديها^(٢) ، ومن قراضبة^(٣) نجد في أكلائها ومراتعها ، ومن سمسرة^(٤) تهامة في أسواقها

(١) الصعفوق : اللثيم ، قال في القاموس : ليس في الكلام فعلول سواء ، وأما خر نوب فضعيف وأما الفصيح فيضم خاؤه أو يشدد راؤه (٢) جمع ناد وهو المجلس ، وقد ادعى بعض العصريين أن هذا الجمع وإن كان هو القياس إلا أنه غير مستعمل وإنما يقال في جمعه الأندية وهو في الأصل جمع ندى بمعنى النادي استغنوا به عن جمع النادي كما استغنوا بالأحاديث الذي هو جمع الأحادثة عن جمع الحديث ، ولا يخفى بطلان هذا القول على من له أقل مسكة من العلم (٣) القراضبة : اللصوص من الفقراء والواحد قرضوب وقرضاب (٤) سمسرة جمع سمسار بالكسر . المتوسط بين البائع والمشتري ومالك الشيء وقيمة السفير بين المحبين وسمسار الأرض العالم بها وهي بهاء والمصدر السمسرة .

ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قُلُبِها^(١) وتساجعت به الرعاة على شفاه عُلُبِها^(٢) ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات الماتنة^(٣) ، وتزاملت^(٤) به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المغاتنة ، فذاك الذي تنفد عند ذكره الحبار ، ولا تستوعب محاسنه صحائف الدفاتر ، وهم الأحرىاء بذلك ، والأحقاء بما هنالك ، أليس قرى الأضياف سجيّتهم ، ونحر المشار للناس دأبهم وهجّيراهم^(٥) ، لا مزقت أيدي الأدوار لهم أديما . ولا أباحت لهم حرّما . أقترام يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد . فإن الكلام المفيد عند الإنسان بالمعنى لا بالصورة أشهى غذاء لروحه . وأطيب قرى لها غبوقه وصَبُوحه^(٦) .

وقد سمعتُ بعض من لاخلاق له من الناس أنه ادعى إن لغات الإفرنج اليوم أوسع من لغة العرب بناء على ما حدث فيها من ألفاظ وضموها لمعانٍ لم تكن في القرون الخالية . والأزمنة الماضية . فضلا عن أن تعرفه العرب فتفوه به . أو تتخيله فتنتطق به . ولا يخفى عليك أن هذا كلام يشعر بعدم وقوف قائله على منشأ السعة وأنه لم يخض بحار فنون اللغة حتى يعلم أن المزية من أين حصلت . وأما ما ذكر من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدثت بعد العرب من الفنون والصنائع مما لم يكن يحظر ببال الأولين فهو غير شين على العربية . إذ لا يسوغ لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة وإنما الشين علينا الآن في أن نستدير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا . على أن

(١) قلبها جمع قلب وهو البئر (٢) عليها جمع علبة بالضم قدح ضخ من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها قال جرير .

لم تتلفح بفضل مئزرها . دعد ولم تسق دعد في العلب (٣) الماتنة . الماطلة والمباعدة في الغاية (٤) تزاملت : تراجزت .

(٥) يقال هذا هجيراه وهجيراه . وهجيراه وهجيراه وهجيراه وهجيراه . أي دأبه وشأنه ، قال الشاعر :

رمى فاختط والأقدار غالباً فانصعن والويل هجيراه والحرب

(٦) الغبوق كصبور ما يشرب بالعشى ، والصبوح ما يشرب بالغداة .

أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي فا الحاجة إلى أن نقول : فريقة أو كرخانة ، ولا نقول مَعمل أو مصنع أو أن نقول بيارستان^(١) ولا نقول مستشفى . أو نقول ديوان ولا نقول مأمر ، أو نقول أسطراب^(٢) ، ولا نقول منظر ، والعرب اليوم بخسوا اللغة حقاً فإنهم عدلوا عنها إلى اللغات العجمية من غير سبب موجب ، فإن من يستعير ثوباً من آخر وهو مستعير منه يحكم عليه بالزيغ والبطر^(٣) . وإذا اعترض أحد بأن دخول الألفاظ العجمية في العربية غير منكر ، وأن كل لغة من اللغات لابد أن يكون فيها دخيل ، فاللغة هي بمنزلة المتكلمين بها فلا يمكن لأمة أن تعيش وحدها من دون أن تختلط بأمة أخرى ، فإن الإنسان مدني بالطبع أي محتاج في تمدنه إلى الاختلاط مع أبناء جنسه . والجواب أن هذا الدخيل إنما يُفَضَّى عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه ، أو لم يمكن صوغ مثله فأما مع وجود هذا الإمكان فالإغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة ، وإلا لزم المستعيرين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسيتين ، أو أن يقدموا المضاف إليه على المضاف . وهناك وجه آخر في العربية لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ العجمية التي اضطررنا إليها وهو باب النحت . قال ابن فارس في فقه اللغة : العرب تَنَحَّتْ من كلتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم : « رجل عبْشَمِي » منسوب إلى اسمين ، وهما عبد شمس .

وأنشد الخليل

أقول لها ودمع العين جارٍ ألم تَحْزُنُكَ حَيْعَلَةُ المَنادي؟

(١) بيمارستان . قال الخفاجي . لفظة فارسية استعمالها العرب ومعناها مجمع المرضى لأن بيمار معناه المريض وستان هو الموضع وأول من صنعه بقراط وسماه اخشتدوكين .

(٢) اسطراب قال الخفاجي الآلات التي يعرف بها الوقت اسطراب والطرجهارة وهي آلة مائية ، وبنكام وهي رمليّة وكلها الفاظ غير عربية ذكرها في نهاية الارب .

(٣) البطر : مجاوزة الحد .

من قولهم : « حَىَّ عَلَى كَذَا » وهذا مذهبننا فى أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضَبْطَر » من « ضَبَطَ » و « ضَبَر » . وفى قولهم « صَهْصَلِقْ »^(١) إنه من « صَهَل » و « صَلَق » وفى « الصِّلِيم » إنه من « الصِّلْد » و « الصَّدْم » إلى آخر ما قال مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات صيغاً وأساليب وأتمها وأكملها نسقاً وتالياً مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة . ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك التلغراف والغاز والبوستة ونحو ذلك مما اخترعه الأفرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناصة فهم على هذا غير ملومين : وإنما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا ولم تنبه لوضع أسماء لها على النسق الذى ألفته العرب وهو الاختصار والإيجاز . « وأما العمل » فإن مبناه على الأخلاق وهى الغرائز المخلوقة فى النفس وغرائز العرب أطوع للخير من غيرهم فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء والغيرة وغير ذلك من الأخلاق الحمودة .

* * *

أما كونه العرب أقرب للسخاء من غيرهم

فذلك الذى لا يحتاج إلى بيان ، ولا يعوز إلى إقامة دليل ولا برهان . قد شهد لهم به الأوداء والأعداء ، واعترف لهم الأقربون والبعداء ، إذا ألم بهم ضيف حكموه على أنفسهم ، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم ، وهذا شعرهم ينطق بما جُبِلوا عليه ويُعرب عما ألقوه وجنحوا إليه ، وهو مما لا يمكن استيماء به فى هذا المقام ، ومن أين لنا الإحاطة بالبحر المحيط وقد ضاقت عنه دوائر الأفهام ؟ غير أن العسور لا يسقط بالميسور . فلا بد من تحلية عاطل جيد هذا الكتاب ، ببعض من عقود نظام در ذلك الباب^(٣) .

(١) صهصليق : المعجوز الصخابة كالصهصليق (٢) الصلدم : كزبرج الاسد والصلب والشديد الحافر كالصلادم فيهما والصلدام بالكسر وهى صلدامة (٣) العباب كغراب معظم السيل وارتفاعه وكثرته او موجه .

قال عتيبة بن بجير المازني من بني الحارث بن كعب :

ومستنجح بات الصدى يستنجه^(١) إلى كل صوت فهو في الرحل جانح^(٢)
فقلت لأهلي : ما يُفام مطية^(٣) وسار أضافته الكلاب النواج^(٤)
فقالوا : غريب طارق طوحت به^(٥) متون الفيافي والخطوب الطوارح^(٦)
فقلت ولم أجثم مكاني ولم تقم^(٧) مع النفس علات البخيل الفواض^(٨)
وناديت شبلاً فاستجاب وربما^(٩) ضمنا قرى عشر لمن لا نصافح^(١٠)
فقام أبو ضيف كريم^(١١) كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح^(١٢)

(١) المستنجح : من يطلب نباح الكلب ليستهدي بذلك في طريقه ، والصدى : الطائر الذي يصيح بالليل وأكثر ما يقولون فيه أنه ذكر البوم وجميعه أصداً وقد يوقعون الصدى على ضرب من الجنادب يصيح بالليل والنهار ، ويستنجه — هو يستنفعه من تاه يتيه إذا ضل والجائح : المائل (٢) البغام : قطع مد الصوت بالحنين ، وأضافته : جاوبته ، والمعنى : فقلت ما هذا البغام الذي اسمع ومن هذا الساري الذي أضافته الكلاب (٣) قال التبريزي : كان يجب أن يقول والخطوب المطوحات في الجمع بالالف والتاء لأن اسم الفاعل من طوح مطوح ولكنه أخرج الطوائج على حذف الزيادة من الفعل ومثله قوله عز وجل : « وارسلنا الرياح لواقح لأن أصله أن يجيء ملاقيح أو ملقحات لكونها ملقحة للأشجار والفعل منه القح فاخرجه على حذف الزوائد فصار لقح ولواقح وكذلك الطوائج قياسه أن يكون إذا عدل عن الجمع بالتاء مطاوح وارتفع غريب على أنه خير مبتدا محذوف كأنه قال هو غريب طارق ومعنى طوحت به حملته على الملأ الك والطائح الهالك . اهـ

وكتب بالهامش قوله كان يجب الخ حله يفيد أن القافية الطوائج بدل الطوارح ولعلهما روايتان والمتن الصلب من الأرض والفيافي جمع فيفاة وهي المكان المستوى أو المغارة لا ماء فيها .

(٤) الجثوم : أصله الصاق الصدر بالأرض ولزومها ويستعمل كثيراً في الطير والسباع والجثمان الشخص منه اشتق ، وقوله لم تكن منع النفس علات البخيل يريد أن نفسي لما تهيات للأضافة لم تقم معها العلات التي تفضح أربابها (٥) يريد بشبل ابنه ، قال أبو العلاء : أشبه ما روى في هذا البيت قرى عشر لمن لا نصافح بفتح العين أي عشر ليال لمن ليس له بيننا وبينه مصافحة توجب مصافحة وبعض الناس يضم العين وله وجه أي ربما ضمنا قرى عشر أموالنا لمن لا نعرف وقد يمكن أن يكون عشر جمع عشير وهو الذي يعاشره من الغرباء أو يكون من عشيرته مثل ما يقال صديق وصدق وكريم وكرم ، وقوله لمن لا نصافح يجوز أن يكون من المصافحة المعروفة ويجوز أن يكون من صفحت الناس أي نظرت في أحوالهم .

(٦) عنى بابي الضيف نفسه وارتفع مازح على أنه خير كان وموضع وقد جد موضع الحال كأنه قال يشابه المازح من فرط الصبابة وهو جاد ويقال فأكهته بملح الكلام وهي الفكاهة .

إلى جذم مال قد نر-كنا سوامه وأعرضنا فيه بواقٍ صَحَّاحٌ^(١)
جعلناه دون النيم حتى كأنه إذا عُدَّ مال الكثيرين النَّاسُخُ^(٢)
لنا سَحْدُ أرباب الثين ولا يُرى إلى بيتنا مالٌ مع الليل راعٍ^(٣)
وقال مرةً بن محكان التميمي السعدي^(٤) :

ياربة البيت قوى غير صاغرة ضمى إليك رجال القوم والقربا^(٥)
في ليلة من جمادى ذات أندية لا يُبصر الكلب من ظلماتها الطنبا^(٦)
لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خيشومه الذنبا^(٧)
ماذا ترين أندنيهم لأرحلنا في جانب البيت أم نبني لهم قبا
لرميل الزاد معنىً بحاجته من كان يكره ذمًا أو يقى حسبا^(٨)
وقت مستبطنًا سيفي فأعرض لي مثل المجادل كؤم بركت عسبا^(٩)

(١) الجذم : الأصل ، ونهكنا سوامه : أى اثربنا فى السائمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض إذا أضر به ، والسوام : الأبل الراعية وجملة إلى جذم مرتبط ب (قام) فى البيت قبله والمعنى فقامت إلى الأبل التى انفدتنا السوام منها فى الضيافة وحمل الديات مع نقاء عرضنا .
(٢) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع إلى الجار لينتفع بابنها ما دام بها لبن فإذا انقطع لبنها ردت ، وقوله جعلناه دون الدم يريد صيرناه دون الدم (٣) يعنى أنها على قلتها بركة بالغناء الحقوق لا تبلغ أن تصير سارحة ورائحة ولكن لنا حمد أرباب الأبل الكثيرة لجودنا وكرمنا .

(٤) محكان علم مرتجل فعلا من م ح ك ، ومرة هذا من بطن يقال لهم بنو ربيع بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهو شاعر إسلامى مقل من شعراء الدولة الأموية ، عاصر جريرا والفرزدق فاخملا ذكره وكان شريفا جوادا ولا عقب له ، وهو أحد من حبس فى القرى والأطعام ، قتله مصعب بن الزبير فى ولايته لأمركان بينهما حبسه ثم دس إليه من قتله .

(٥) القرب جمع قراب السيف وهو كالجواب يوضع السيف فيه بغمده وغير السيف وإنما أمرها بضم الرجال والقرب لأنهم لما نزاوا عنده فقد آمنوا لا يحتاجون إلى حضور السلاح عنده .

(٦) قوله لا يبصر الكلب مبالغة من شدة الظلمة والكلب قوى البصر بالليل فإذا بلغ أمره إلى ما وصف فهو نهاية الظلم والظناب جبل البيت .

(٧) قوله حتى يلفى انتصب الفعل باضمار أن وحتى بمعنى إلى كأنه قال إلى أن يلف الذئب على خرطومه الأنبحة واحدة .

(٨) الرمل : الذى قد انقطع زاده .

(٩) يقال استبطن فلانا دونك أى خامسته وتبطنت كذا دخلت فيه حتى عرفت باطنه وقوله فأعرض لى أى أبدت لى عرضها نوق كأنهن قصور ، والكوم جمع أكوام وكوماء وهى العظام الاسنة ، وعصب جمع عسبة .

فصَادِفُ السِّيفِ مِنْهَا سَاقَ مَتْلِيَةٍ جَلَسَ فَصَادَفَ مِنْهُ سَاقَهَا الْعَطْبَا (١)
 زِيَّافَةٍ بِنْتِ زِيَّافٍ مَذْكُورَةٍ لَمَّا نَعَمَّوْهَا لِرَاعِي سَرَحِنَا اِنتَحَبَا (٢)
 اَمْطَيْتُ جَازِرَنَا اَعْلَى سَنَاسِنِهَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتْبَا (٣)
 يَنْشَنُشُ اللَّحْمَ عَنْهَا وَهِيَ بَارَكَةٌ كَمَا تَنْشَنُشُ كَفَا قَاتِلٍ سَلْبَا (٤)
 وَقَلْتُ لَمَّا غَدَوَا اَوْصَى قَعِيدَتَنَا غَدَى بَنِيكَ فَلَنْ تَلْقِيَهُمْ حَقْبَا (٥)
 اَدْعَى اَبَاهُمْ وَلَمْ اَقْرَفْ بِاُمِّهِمْ وَقَدْ عَمَرْتُ وَلَمْ اَعْرِفْ لَهُمْ نَسْبَا
 اَنَا ابْنُ مَحْكَانَ اُخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ اُنْعَى اِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعِشَرًا نَجْبَا (٦)

« وقال آخر »

وَمُسْتَنْبَحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَضَاتُ لَهَا نَارًا لَهَا حَطْبٌ جَزَلٌ (٧)
 قَعَمْتُ اِلَيْهِ مُسْرِعًا فَغَنِمْتُهُ خَافَةَ قَوْمِي اَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلَ
 فَاَوْسَعْنِي حَمْدًا وَاَوْسَعْتَهُ قُرَى وَاُرْخِصْ بِحَمْدٍ كَانَ كَاسِبُهُ الْاَكْلَ

« وقال آخر »

تَرَكْتُ ضَائِي تَوَدُّ الذَّنْبَ رَاعِيَهَا وَاُنْهَا لَا تَرَانِي اَخَرُ الْاَبَدِ (٨)

- (١) اراد انه عرِقب ناقة منها ، والمتلية هي التي لها ولد يتلوها وقيل هي الحامل ، والجلس : الصلبة المشرفة وقيل هي الواسعة الاخلد من الارض والجلس المكان المرتفع (٢) الزيافة : التي تزيف في مشيها وتتبختر ، والمذكرة المتشبهة بالجمل ، ونعوها : اخبروا بنحورها ، والسرْح : المال الراعى ، والانتحاب رفع الصوت بالبكاء ، وانما بكى عليها لانها من خيار المال واعزه عنده .
 (٣) يقال امطيت البعير اذا ركبت مطاه وهو الظهر . وامطيته غيرى وانما يصف اشراف ناقتة التي نحرها فيقول ركبها جازرنا لما نحرها اذ كان اعلى سناسنها لم تصل يده اليه فصار منها لما عالاها بمكان القتب ، والسناسن اعلى السنام والخارج من تقار الظهر واحدها سنسنة .
 (٤) ينشَنش : اى يكشف ويفرق وقيل النشَنشة مباشرة الشيء حتى تاخذه كما تريد . (٥) الحقب : السنون واحدها حقبه .
 (٦) بنو مطر بن شيبان رهط معن بن زائدة .
 (٧) حضات له نارا : فتحت عينها لتلتهب وقد اوقدت بغلاظ الحطب وكبارها وحضات له نارا جواب رب .
 (٨) الضان : ذوات الصوف من الغنم الواحدة ضائنة والذكر ضائن ، قال ابن الانباري : الضان مؤنثة والجمع اضؤن مثل فلس وأفلس وجمع الكثرة ضئنين مثل كريمة .

الذئبُ يَطْرُقُها في الدهر واحدةً وكلَّ يوم ترائي مُدَيَّةٌ يَدْرِي^(١)
« وقال آخر »

ما أنا بالساعي إلى أمِّ عاصم لأضربها إني إذا لَجَوُلُ^(٢)
لكِ البيتُ إلا فَيِنَّةٌ تُحَسِّنُها إذا حان من ضيفٍ على نزول^(٣)
« وقال بعض بني أسد »

وسوداء لا تُكْسَى الرقاعَ نَبِيلَةً لها عند قَرَاتِ العشياتِ أَرْمَلُ^(٤)
إذا ما قَرَيْنَاها قِراها تَضَمَّنَتْ قِرَى من عرانا أو تزيد فتفضلُ
« وقال آخر وهو عروة بن الورد »

سلي الطارقَ المَعْتَرَّ يا أم مالك إذا ما أتاني بين قَدْرِي ومَجْزَرِي^(٥)
أُسْفِرُ وجهي أنه أول القرى وأبذلُ معروفٍ له دون مُنْكَرِي^(٦)
« وقال آخر »

وإنا لَمَشَّاوُونَ بين رحالنا إلى الضيف منا لَحِيفٌ ومُنِيم^(٧)
فدو الحلم منا جاهلٌ دون ضيفه وذو الجهل منا عن أذاهُ حليم
« وقال ابن هرمة »

أَغَشَى الطريقَ بَقْبَتِي وِرْوَاقِها وَأَحْلُ في نَشْرِ الرُّبَى فَأَقِيمُ^(٨)
إنَّ امرأً جعل الطريقَ لبيتِه طُنْباً وأَسْكَرَ حَقَه لَلنَّيْمِ^(٩)

- (١) المدية : الشفرة والجمع مدى ومديات .
(٢) قوله وما أنا بالساعي كأنه رأى انساناً يضرب امرأته ويحول بينها وبين تدبيرها دارها فنفي عن نفسه مثل ذلك بفعله المتناهي في الجهل .
(٣) الفينة : الوقت . (٤) القرة الشعر بعينه ، ونبيلة : عظيمة الشأن وخص قرات العشيات لأنها وقت الأضياف . (٥) الطارق : الآتي ليلاً ، والمعتز المتعرض ولا يسأل ، وقوله : بين قدرى ومجزرى يريد إذا أتاني في موضع الضيافة أعطيته أما لحماً نياً وذلك من المجزى وأما مطبوخاً وذلك من القدر .
(٦) قوله أنه أول القرى يريد أن اظهار البشاشة للضيف من أوائل قراه والمنكر ههنا أن يسأله عن اسمه ونسبه وبلده ومقصده وكل هذا مما يجلب عليه حياء . (٧) أى يلبسه اللحاف ومنيم يحذنه حتى ينام .
(٨) يعنى أنه يضرب قبة على الطريق ، ويروى في قتل الربى .
(٩) يعنى حق الطريق ولم يرض بالحلول على الطريق حتى وصله بالأقامة ، وقوله جعل الطريق لبيته طنباً أراد جعل الطريق موضع طنب بيته فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

« وقال آخر »

ومستبج تستكشط^(١) الريح ثوبه^(٢) ليسقط عنه وهو بالثوب^(٣) مُعَصِم^(٤)
 هوى في سواد الليل بعد اعتسافه^(٥) لينبح^(٦) كلب^(٧) أو ليفزع^(٨) نوم^(٩)
 بجأوبه مستمع الصوت للقرى له عند إتيان المهين^(١٠) مطعم^(١١)
 يكاد إذا ما أبصر الضيف^(١٢) مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم^(١٣)
 « وقال سالم بن قحطان العنبري »

لا تمذليني في العطاء ويسرى لكل بمير جاء طالبه حبلا^(١٤)
 فإني لا تبكي على إفاها إذا شبت من روض أو طانها بقلا^(١٥)
 فلم أر مثل الإبل مالا لمقتن^(١٦) ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا^(١٧)
 « ومن خبر هذه الأبيات » أن سالم بن قحطان أناه أخو امرأته فأعطاه بميراً
 من إبله وقال لامرأته هاتي حبلا يقرن به ما أعطيتناه إلى بميره . ثم أعطاه بميراً آخر
 وقال هاتي حبلا ثم أعطاه ثالثاً فقال هاتي حبلا فقالت ما بقى عندي حبلى . فقال على
 الجمال . وعليك الجبال . فرمت^(١٨) إليه بخمارها وقالت اجعله حبلا لبعضها فأنشأ يقول
 لا تمذليني في العطاء ، الأبيات . فأجابته امرأته .
 حلقت^(١٩) يميناً يا ابن قحطان بالذى تسكفل^(٢٠) بالأرزاق في السهل والجبل

- (١) كشط واستكشط بمعنى وهو كعجب واستعجب والكشط والقشط
 يتقاربان وأصل الكشط للبعير وإن استعمل في غيره والجلد يقال له الكشاط
 والمعصم والمستعصم واحد وهو المستمسك بالشئ .
 (٢) الاعتساف : الأخذ في الطريق على غير هداية وإنما يقال ليفزع نوم
 لأنهم إذا انتبهوا لصوته أجابوه وتلقوه أو رفعوا النار له .
 (٣) قوله له عند إتيان المهين مطعم ، يعنى سعة عيش الكلب فيما ينحر
 للضيف والمهين الأضياف يقال هب من نومه وأهبيه .
 (٤) أى يكاد الكلب يكلم الضيف حبا له إذا أقبل على عجمته .
 (٥) يسرى أى هيئى وأعدى .
 (٦) أفالها : صفارها الواحد أفيل وفي معناه قولان أحدهما أن الإبل بهائم
 لا تهتم لى إذا مت بل ترتع وتشبع فموتى عندها وموت من لا ينحرها سواء ،
 والآخر أن ابلى لا تبكى بعد موتى بل تفرح بموتى لأنى انحرها فإذا مت فأعله
 يأخذها من لا ينحرها .
 (٧) المقتنى الذى يقتنى المال ونفس المال المدخر قنوة .

تَزَالُ حَبَالٌ مَحْصَدَاتُ أُعْدُّهَا لَهَا مَا مَشَى مِنْهَا عَلَى خَفِّهِ جَلٌ^(١)
فَأَعْطِ وَلَا تَبْخُلْ لِمَنْ جَاءَ طَالِبًا فَعِنْدِي لَهَا خُطْمٌ وَقَدْ زَاغَتْ الْعِلَلُ^(٢)
« وَقَالَ آخِر »

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَذْلًا مَاذَا مِنْ الْبَعْدِ بَيْنَ الْبَخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقٌ غَضًّا أَرَا حُ بِهِ الْمُعْتَفِينَ فَإِنِ لَيْنُ الْمَوْدِ^(٣)
« وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمُنْقَرَى »

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يَفْنَدُهُ وَلَا أَفْنُ^(٤)
مِنْ مِثْقَلٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ وَالْفَصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْفَصْنُ
خُطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاتِعُ لُسْنِ^(٥)
لَا يَفْطَنُونَ لَمِيبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحْفَظِ جَوَارِهِ فُطْنُ^(٦)
« وَقَالَ ابْنُ عَنقَاءِ الْفَزَارِيُّ »

رَأَى عَلَى مَابِ عُمَيْلَةٍ فَاشْتَكَى إِلَى مَا لِي حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرَ^(٧)
دَعَانِي فَآسَانِي وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلُمُّ عَلَى حِينٍ لَا يَدَوُّ رَجَايَ وَلَا حَصَرَ^(٨)
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سَيِّئِيَاءُ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ^(٩)

(١) أي ما تزال وجاز حذفها لدلالة اليمين عليها . (٢) زاحت بمعنى زالت وأزاحتها أزلتها . (٣) الورق المال من الأبل والوراق الرجل الكثير الورق ، يقال رحت له أراح أي ارتحت وقيل الأريحي أفعلى من هذا وذكر الورق كناية عن المال كثير في كلامهم ، قال زهير :

وليس مانع ذي قربي ولا رحم يوما ولا معدم من خابط ورقا
لما استعار الورق للمال وصله بالخابط تحسينا لكلامه وكذلك هذا لما كنى
عن معروفه بالورق وصله بالعود وإذا لأن العود اهتز وعن الاهتزاز للخير
يحصل الندى . (٤) يفنده : يفحشه والفند الفحش ويقال أفند الرجل إذا
أتى بالفحش والأفن أصله استخراج اللبن من الضرع حتى يخلو منه ثم
قيل أفن الرجل فهو مأفون إذا زال عقله .

(٥) المصاقع جمع مصقع وأصل المصقع الضرب وهو هنا رفع الصوت ،
اللسن جمع لسن يقال لسن يلسن لسننا إذا تناهى في البلاغة والفصاحة .

(٦) يقول هم يلبسون الجار على ظاهر امره ولا يتحسسون عليه وإن
اتفق له ما يوجب عليهم حفظه بعقد الجوار فطنوا له ، والفطن جمع فطن .

(٧) اشتكى إلى ما له مجاز جعل رجوعه إلى ما له في إصلاح امره شكاية
منه إليه ، وقوله أسر كما جهر أي لم ينافق يعني أنه أسر الاهتمام بأمري
كما أظهره . (٨) قوله فآسانني أي جعلني أسوة له بأن أعطاني من ماله

ولو ضن أي بخل لم أله لضيق الزمان . (٩) السيمياء الحسن والبهجة
أي قد وسمه الله تعالى بسيمى حسنة مقبولة يلتذ الناظر إليها .

كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعرى وفي وجهه القمر
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر^(١)
ولما رأى المجد استمرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل وانتر
فقلت له خيراً وأثنت فعله وأوفاك ما أسديت من ذم أو شكر^(٢)
قال أبو رياش : مر عميلة الفزاري على ابن عنقاء الفزاري وهو يحتش^(٣) لفنمه .
وقيل يحفر عن البقل ويأكله ، فقال : يا ابن عنقاء ما أشارك إلى هذه الحال ؟ فقال له
ابن عنقاء : تغير الزمان ، وتعذر الأخوان ، وضن^(٤) أمثالك بما معهم فقال عميلة
لاجرم والله لا تطلع الشمس غداً إلا وأنت كأحدنا ثم انصرف كل واحد منهما إلى
أهله . وكان عميلة غلاماً حين بقل وجهه^(٥) فبات ابن عنقاء يتعمل على فراشه
لا يأخذ النوم اشتغالا بما قال له عميلة فقالت له امرأته ما شأنك ؟ فاجبرها الخبر
فقالت : قد خرفت وذهب عقلك حتى تعلق نفسك بكلام غلام حديث السن لا يحفل
بما يجري على لسانه . ويحكى أنه لما أصبح قالت له ابنته لو أتيت عميلة فقد وعدك
أن يقاسمك ماله فقال . يا بنية إن الفتى كان سكران ولا أدري لعله لم يعقل ما قاله فبينما
هي تراجع الكلام إذ أقبل عليهم كالليل من إبل وغنم وخيل ، وإذا عميلة قد وقف
عليه فقال : يا ابن عنقاء أخرج إلى نخرج إليه . فقال : هذا مالي أجمع هلم نقسمه
فقاسمه إياه بعيراً وبميراً وفرساً وفرساً وشاةً وشاةً وجاريةً وجاريةً وغلاماً وغلاماً .
ثم انصرف فقال ابن عنقاء الأبيات .

« وقال آخر »

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمن وإن هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

(١) العوراء الكلمة القبيحة ، وأغضى طبق أجفانه .
(٢) أسدى من سدى البعير إذا قدم يديه في السير ومن أسداك خيراً فكانه
بسط به اليك يده مقبلاً .
(٣) يقطع الحشيش بعد جفافه .
(٤) ضن : أي بخل .
(٥) بقل وجهه أي خرج شعره .

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت (١)
« وقال رجل من بهرّاء واسمه فدكى »

إن أجزّ علقمة بن سيف سمية لا أجزّ ببلاء يوم واحد
لأحبّني حبّ الصبي ورمني رمّ الهدى إلى الغنى الواحد (٢)
وأجاني يوم الصراخ بهجمة مائة تشقّ على عصي الذائد
ولقد نصحت مليتي فتميتت عن آل عتاب بماء بارد (٣)

« ومن خبر فدكى » أنه كان مجاوراً في بني تغلب لبني عتاب بن سعد ابن زهير
ابن جُشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب فأقام فيهم مدة ثم إن علقمة
ابن سيف المتأبى غزا في بعض مغازيه فأغار حنش بن معبد أحد بني ثعلبة بن بكر
ابن حبيب فأخذ إبل البهراني فكان إذا ورد بنو عتاب نعمهم حوض حوضاً واستبق
فيه حتى يملأه ثم يغمز فيه ذكره ويقول : اشرب فإلى مال غيرك وإذا حضر
بجالسهم أنشأ يقول :

هل أنا إلا معزب لياليا لياليا من رجب ثمانيا

ثم تجيء جيرتي بماليا

فلما قدم علقمة بن سيف أخبروه شأن البهراني ، فقال إن حنش بن معبد
لي صديق وإن وفدت عليه رد على الإبل ، فوفد عليه في جماعة من بني تغلب ،
فيهم رجل من بني الأوس بن تغلب ، وهم أشأمّ حتى في العرب بسبب رجل منهم
وقعت حرب البسوس وبسبب رجل آخر منهم وقعت حرب ابني بغيض ذبيان
وعبس . فلما قدّموا على حنش بن معبد فرح بهم وبني عليهم قبة وأكرمهم

(١) الخلة : الفقر هنا ، وقوله فكانت قذى عينيه أي لم يصبر عليها كما
لا يصبر الرجل على قذى عينيه حتى يخرجها .
(٢) رمني : أصلح حالى « رم الهدى : الهدى العروس إذا زفت العروس
إلى الغنى تكلف أهلها في حسن تجهزها لئلا يعيرها أهل زوجها خللاً وقع في
أمرها ولا يعير زوجها ابناً .
(٣) المليّة : شدة العطش والحرارة ، وتميتت : بردت وذابت من ماث
الدواء إذا أذابه .

ووعدهم أن يرد على علقمة بن سيف الإبل إذا أصبحوا فلما كان الليل استسمع عليهم
حنش بن معبد وهم يتحدثون ويذكرون ما صنع بهم حنش ووعده إياهم برد الإبل
وسمع الأوسي وهو يقول ألم أحدثكم أنها كالمصبة ازدردتها^(١) اللبوة إن لا تقمها
تخرها فأغضب ذلك حنشاً وحلف أن لا يرُدَّ منها بعيراً فلما رجعوا أخرج علقمة
بن سيف من ماله مائة بعير فأعطاهم البهراني وقال هذا بدل ما أخذ منك ، فقال
البهراني : سأشكر عمر الأبيات .

وقال الحسين بن مطير الأسدي في بعض العرب

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم^(٢)
فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البأس خلى عقابه على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه على الناس لم يصبح على الأرض معدم

وقال أبو الطمّحان القيني واسمه حنظلة بن الشرق^(٣)

إذا قيل أي الناس خيرٌ قبيلةً وأصبرُ يوماً لا توارى كواكبه^(٤)
فإنّ بني لام بن عمرو أرومةً سمت فوق صعب لا تنال مراقبه^(٥)

(١) زرد اللقمة وازدردها : بلعها ، واللبوة كعنوة ، ويكسر وكسيرة وكقناة
الاسدة ، قال في المصباح : الهاء فيها لتأكيد التانيث كما في ناقة ونعجة لانه
ليس لها مدكر من لفظها حتى تكون فارقة ، ويقال : أجرى من اللبوة .

(٢) يقول أيام هذا المدح مقسمة بين انعام وانتقام يوم بؤس تشقى به
اعدائه ويوم نعيم تحيا به وتسعد اولياؤه ثم جاء بما عنده من الابيات مشروحا
فقال : فيمطر يوم الجود الخ .

(٣) ترجمته في الخزانة (٤٢٦٤٣) .

(٤) قبيلة منصوب على التمييز والمراد باليوم يوم الحرب والقتال، وتوارى
اصله تتوارى فحذف احدى التاءين ، واراد بكواكبه شدة ذلك اليوم ، قال
التبريزي : والاصل في هذا ان يوم حليلة لشدة القتال صعد الغبار في ذلك
اليوم وانعقد في الجو حتى ستر الشمس فرؤيت الكواكب ظهرا - والمعنى ان
سال سائل عن خير قبيلة واصبرها يوم القتال الشديد قيل له بنو لام .

(٥) المراقب : جمع مرقبة وهي المكان المشرف العالي يقف عليه الحارس ،
اي سمت فوق صعب يشق الارتقاء اليه ، الارومة : الاصل .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى نَظُمَ الجزعُ ثاقبه^(١)
وقال آخر

يا أيها المتمنى أن يكون فتي مثل ابن زيد لقد خَلَّى لك السُّبُلَا^(٢)
اعدُدْ نظائر أخلاق عُدِدْنَ له هل سَبَّ من أحد أو سَبَّ إداً بَحِلَا ؟
إن تنفق المال أو تسكف مساعيهُ يَصُغَّبُ عليك وتُفعل دون ما فملا
لو يُبْعَثُ الناس أدنانهم وأبدهم في ساحة الأرض حتى يحرثوا الإِبِلَا^(٣)
كى يطلبو فوق ظهر الأرض لم يجدوا مثل الذى غيبوا فى بطنه رَجَلَا
وقال شقران مولى سلمان من قضاة

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لإنسان من الناس درها
ولكننى مولى قضاة كلها فلست أبالى أن أدينَ وتَمَرَمَا
أولئك قوى بارك الله فيهم على كل حال ما أعفَ وأكرما^(٤)
ثقالُ الجفان والحلوم رَحَاهُمُ رَحى الماء يكتالون كيلا غَدَمَذا^(٥)
جفاة المحز لا يصيبون مَفَصَلا ولا يأكلون اللحم إلا تَخَذَما^(٦)
وقالت ليلي الاخيلية ويقال بل قالها أبوها

نحن الأَخايل لا يزال غلامنا حتى يَدِبَ على العصا مذكوراً^(٧)

(١) الجزع بالفتح ، فيه بياض وسواد ، الواحد جزعة مثل ثمر وثمره ،
والثقوب الإضاءة ، يقال نار ثاقبة وكوكب ثاقب وحسب ثاقب وقد ثقب
أى اشتد ضوؤه وتلاؤه . (٢) أراد بابن زيد عروة بن زيد الخيل أى
لقد خلى لك الطرق فى اكتساب مناقب الفتوة .

(٣) قوله حتى يحرثوا الإبل أى يهزلوها ويضعفوها بالاسفار ، وقوله لم
يجدوا جواب لو ، ومعنى البيتين : لو طاف الناس بالأرض حتى تتعب إبلهم
لكى يصادفوا عليها مثل هذا المدح الذى أودعوه بطنها لم يجدوا له نظيراً .
(٤) قوله على كل حال متعلق بقوله بارك الله فيهم أى بارك الله فيهم فى
سائر أحوالهم ، ثم قال مستأنفاً ما أعف وأكرما أى أعفهم وأكرمهم - والمعنى
أنه يدعو بالبركة ويتعجب من عفافهم وكرمهم . (٥) الغدزم كسفرجل الجزام
(٦) الخدم : سرعة القطع وفى التخدم زيادة تكلف ، يقول إذا أكلوا اللحم
على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان ، وقيل المراد
بالاختدام هو طيب النفس يقال رجل خدم أى طيب النفس والخدم السمع
(٧) الإخايل : جمع وهى قبيلة ، ويقال للشاهين الإخيل والجمع الإخايل
ومراد الشاعر نحن المعروفون المشهورون ، وقوله لا يزال غلامنا أى الغلام
منا رفيع الذكر من صباه إلى أن يهرم .

تبكى السيوفُ إذا فقدنَ اكفنا جزعاً وتعلمنا الرفاقُ بُحوراً
ولنَحْنُ أوثقُ في صدور نساءكم منكم إذا بكر الصراخ بكورا^(١)
وقال عمرو بنُ الاطنابة أحد بني الخزرج^(٢)

إني من القوم الذين إذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل^(٣)
المانعين من الخنا جاراتهم والحاشرين على طعام النازل^(٤)
والخالطين فقيرهم بغيرهم والباذلين عطاءهم للسائل
الضارين الكبش يبرقُ بيضه ضرب المهجج عن حياض الآبل^(٥)
والقاتلين لدى الوغى أقرانهم إن النية من وراء الوائل^(٦)
والقاتلون فلا يماب كلامهم يوم المقامة بالقضاء الفاصل^(٧)
خزرت عيونهم إلى أعدائهم يمشون مشى الأسد تحت الوابل^(٨)
ليسوا بأنكاس ولا ميل إذا ما الحربُ شبت أشعلوا بالشاعل^(٩)

(١) انما خص الصراخ بالكور لان الفارة تقع صباحا (٢) الاطنابة . سير
الحزام يكون هونا لسيره اذا قلق ، قال سلامة : (يركضن قد قلقت عند
الاطناب) والاطنابة سير يشد في وتر القوس العربية والاطنابة المظلة ، واسم
ام عمرو هذا وهو احد من ملك الحجاز في الجاهلية وكان شاعرا مجيدا
وهو القائل :

اقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
تمثل به معاوية (رضى الله عنه) في احدي وقعاته مع علي (رضى الله عنه)
وكاد ينهزم فما لبث ان ثبت مكانه ، واما الخزرج فالريح الجنوب (٣) انتدوا
تصدروا في النادى وهو المجلس ، وقوله بدأوا بحق الله يعنى الواجبات ،
النائل : يعنى العطاء للسائل (٤) قوله الحاشدين اى الذين لا يفترون عن
القيام بذلك ، والخنا : الفحش ، والنازل اراد به الضيف (٥) المهجج الذى
يطرد الأبل عن الحوض اذا رويت فيقول لها جوه أو جاء وعندهم ان جوه
من زجر الاثاث وجاء من زجر الذكور ، والأبل صاحب الأبل كالشاجر واللابن ،
والكبش سيد القوم والبيضة بيضة الحديد التى تلبس للحرب (٦) يقول ان
النية من وراء الهارب اى تلحقه على كل حال لامنحى منه ، والوغى : الحرب
(٧) المقامة : المجلس (٨) الخزر ضيق العين كأنه ينظر بمؤخرها ،
والوابل : المطر الشديد — معناه انهم ينظرون الى أعدائهم نظر استنزاء ولا
يكثرثون بهم ولا يفزعون من شئ لشدة ثباتهم (٩) الانكاس جمع تكس وهو
الذى لاخير فيه ، والميل جمع أميل وهو الذى لا يثبت على الفرس ، والمعنى
انهم ليسوا بالضعفاء بل هم فرسان اذا اوقدت نار الحرب أشعلوها بمن
يشعلها

وقال حجر بن خالد يمدح النعمان بن المنذر

سَمِعْتُ بفعل الفاعلين فلم أجد كمثل أبي قابوس حَزْماً وَنَائِلاً^(١)
فساق إلهي الغيث من كل بلدة إليك فَأُضْحِي حول بيتك نازلاً
فأصبح منه كل وادٍ حَلَّتْهُ من الأرض مسفوح المذائب سائلاً^(٢)
متى تُنْعَمُ يُنْعَمُ الجودُ والبأس والتقى وتُصْبِحُ قلوب الحرب جرباءً حائلاً^(٣)
فلا مِلِكٌ يُدْرِكُكَ سَمِيهٌ ولا سوقةٌ ما يمدحُكَ باطلاً^(٤)

وقال آخر

ومستنبح بعد الهدوء دعوته بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها^(٥)
فقلتُ له : أهلاً وسهلاً ومرحباً بموقد نارِ مُحَمَّدٍ من يرودها
نصبتُ له جوفاء ذات ضبابية من الدم مبطاناً طويلاً رُكُودها^(٦)
فإن شئت أثويناك في الحى مكرماً وإن شئت بلغناك أرضاً تريدها^(٧)

وقال آخر

ومستنبح تهوى مساقط رأسه إلى كل شخص فهو للسمع أصور^(٨)

(١) أبو قابوس كنية النعمان والكاف من كمثل زائدة ومثله (لواحق الأقارب فيها كاللقق) أراد فيها الملقق كما أن هذا يريد لم أر مثل أبي قابوس (٢) فأصبح منه أى من الغيث وانتصب مسفوح المذائب على أنه خبر أصبح والمذائب المسایل (٣) ليس للحرب قلوب إنما هو مجاز استعمله لضعف الحرب بعده لأن القلوب إذا جربت لم تتركب وإذا حالت لم تحلب (٤) السوقة سموا سوقة لأن الملك يسوقهم على حكمه والواحد والجمع في اللفظ سواء ، وقوله ما يمدحك باطلاً أى مدحا باطلاً وانتصب باطلاً على أنه صفة لمصدر محذوف (٥) بعد الهدوء أى بعد قطعة من الليل يهدأ فيها الناس ، وشقراء نار شبهها بالفجر لارتفاعها وانتشارها وقوله ذاك وقودها أى متقد إيقادها وهذا من باب جنونك مجنون وشعرك شاعر ومعنى دعائه إلى النار الهابة إياها ليصير ضوءها فيجىء إليها (٦) جوفاء : أى قدرا واسعة الجوف كثير الأخذ ، والضبابية : ما يتمقب المطر من الظلمة الرقيقة والسحاب الركيك وذكر ههنا مثلاً والدم السود ، وركودها لبثها على النار لعظمتها وكثرة اللحم فيها (٧) يقول أن أردت الإقامة أقمتم مكرماً معظماً وإن أردت التوجه في مقصدك بلغناك مقرك (٨) المساقط جمع مسقط ويريد به المصدر أى يعيل رأسه إلى كل شخص يقدره انساناً ليلتجىء إليه لأنه ضل الطريق،

- يَصْفَقُهُ أَنْفٌ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٌ وَنَكْبَاهُ لَيْلٌ مِنْ جُمَادَى وَصَرَصُ (١)
حَبِيبٌ إِلَى كَلْبٍ الْكَرِيمِ مُنَاخَهُ بَفِيزٌ إِلَى الْكُومَاءِ وَالْكَلْبُ أَبْصَرُ (٢)
حَضَاتٌ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَادَ لَوْ لَا حَضَاةُ النَّارِ يُبْصِرُ (٣)
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلَمْ إِلَى الْقَرَى فَأَسْرَى يَبُوعُ الْأَرْضَ وَالنَّارُ تَزْهَرُ (٤)
فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَبًا هَلَمْ وَلِلصَّالِينَ بِالنَّارِ أَبْشَرُوا (٥)
فَجَاءَ وَمَحْمُودُ الْقَرَى يَسْتَفْزُهُ إِلَيْهَا وَدَاعَى اللَّيْلُ بِالصَّبْحِ يَصْفِرُ (٦)
تَأَخَّرَتْ حَتَّى لَمْ تَكُنْ تَصْطَفِي الْقَرَى عَلَى أَهْلِهِ وَالْحَقُّ لَا يَتَأَخَّرُ (٧)
وَقَدْ بَنَصَلَ السِّيفُ وَالْبَرْكُ هَاجِدٌ بِهَازِرُهُ وَالْمَوْتُ بِالسِّيفِ يَنْظُرُ (٨)
فَاعْضَضْتُهُ الطُّولَى سَنَامًا وَخَيْرَهَا بِلَاءٌ وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا يَتَخَيَّرُ (٩)
فَأَوْفَضْنُ عَنْهَا وَهِيَ تَرْغُو حُشَاشَةً بَدَى نَفْسَهَا وَالسِّيفُ عُرْيَانٌ أَحْمَرُ (١٠)

والاصور . المائل (١) يصفقه . يضربه ، والأنف من الريح اولها ، والنكباء . كل ريح تهب بين ريحين من الرياح الأربع ، والصرصر : الريح الباردة (٢) الكوماء الناقة العظيمة السنام ، وابصر بمعنى أعلم من بصر القلب لا بصر العين ، معناه ان كلب الرجل الكريم يحب الضيف لياكل من طعامه وان ناقتة تكره الضيف لانه ينجرها له (٣) حضات له ناري أي رفعتها له ليستدل بها واولا رفعها له ما كان يبصر الطريق ولا يهتدي (٤) يبيع الارض . أي يقطعها بخطو واسع وحركة سريعة ويقال بعث ابوع بوعا من هذا وفرس بيع واسع الخطو والنار تزهو الواو واو الحال وتزهو تضيء في صعود (٥) أي لما دنا مني وتراي لي شخصه بضوء النار تلقيته بالترحيب وقلت لمن حول النار من المصطللين ومن الأهل والخول استبشروا بالضيف ، وقوله مرحبا تسليم عليه ، وهلم أمر بالدنو له فكانه استأنف بعد التسليم بهذا الكلام ولم يجمعهما اللفظ به في حالة واحدة (٦) يستفزه : أي يستحثه ، وداعى الليل . ما يصوت بالسحر مثل الديك وغيره ، والصغير : كل صوت يمتد مع رقة (٧) أي قلت للضيف تأخرت حتى كاد غيرك يسبق إلى القرى فينال صفوة القرى أي خياره دونك ولكن حق الضيف لا يؤخر عنه بتأخر حضوره (٨) البرك : الأبل ، والهاجد : النائم ، والبهازر جمع بهزرة وهي الناقة العظيمة (٩) فاعضضته الطلوى أي جعات السيف يعضها والطولى مؤنثة الأطول وخيرها بلاء أي أحسنها نعمة ومن نعمة الناقة ان تكون كريمة الأولاد غزيرة اللبن سريعة السير وغير ذلك من الصفات المحمودة فيها ، ومعناه انه نحر من الأبل أطولها سناما وأطيبها لحما وأكرمها عنده منزلة (١٠) أوفضن أي تفرق بسرعة وأصل الإيفاض الإسراع وترغو من الرغاء أي تصوت ، والحشاشة بقية الروح ، وبدى نفسها أي بخالصة نفسها ، وعريان أحمر أي مجرد من غمده متلطح بدم الناقة

فباتت رُحَابٌ جَوْنَةٌ من لحامها وفوها بما في جوفها يتغرغر^(١)
وقال آخر

وما يَكُ في من عيبٍ فإني جبان الكلب مهزول الفصيل^(٢)
وقال آخر

سأفدحُ من قدرى نصيباً لجارتي وإن كان ما فيها كمنافاً على أهلي^(٣)
إذا أنت لم تشرك رفيقك في الذي يكون قليلاً لم تشاركه في الفضل^(٤)
وقال عمرو بن الأهتم

ذريني فإن الشحَّ يا أم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق^(٥)
ذريني وحطى في هواي فإني على الحسب الزاكي الرفيع شفيق^(٦)
ذريني فإني ذو فعال تهمني نوائب يفتشى رزؤها وحقوق^(٧)
وكلُّ كريم يتقى الدم بالقرى وللحق بين الصالحين طريق^(٨)
لمعرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق^(٩)

(١) الرحاب الواسعة وأراد بها القدر ، والجونة السوداء ومن لحامها خبر باتت كقولك أنت منى ، وفوها أى فمها ، ويتغرغر أى يصوت من شدة غلبانها ويسيل بما فيها على النار (٢) جبان الكلب أى كلبى جبان وفصيلى مهزول إنما قال جبان الكلب لأنه تعود أن يسالم الطرايق لئلا تتأذى به الضيوف إذا وردوا وقال مهزول الفصيل لأنه يؤثر بلبس أمه غيره أو تنحر عنه .
(٣) القدح : الغرف ، والكفاف : ما يكف الإنسان عن السؤال ويكون على قدر حاجته لا يزيد عنها ولا ينقص (٤) الفضل ما زاد عن الحاجة ومثل هذا البيت قول الآخر

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل
(٥) يقول ذريني أجر على كرمي فإن الشح يزير للأنسان العذر الكاذب والعلل الباطلة فكأنه يسرق كل أخلاقه الحميدة (٦) حطى فى هواي أى ساعدني على الجود ، والزاكي : الزائد ، وشفيق ومشفق والشفقة عطف مع خوف ولهذا لا يوصف الله تعالى بالشفقة (٧) يفتشى رزؤها أى يفتشاني رزؤها فحذف المفعول ومعنى الرزء هنا أصابة الناس من ماله وانتفاعهم به ويقال منه وهو يرزأ إذا كان سخياً ينال الناس أفضاله (٨) القرى طعام الضيافة معناه أن كل كريم يبدل ماله دون عرضه ويتبع سبيل الحق ويسلك طريقه ليستوجب المدح والشكر (٩) تضيق : أى تضيق بهم فحذف ذلك لأن ما تقدمه يدل عليه ، معناه أن أرض الله واسعة لم تضق على امرئ وإنما تضيق أخلاق الرجال وصدورهم

وقال آخر

أجلك فوم حين صرت إلى الغنى وكل غنى في القلوب جليل^(١)
وليس الغنى إلا غنى زين الغنى عشية يقرى أو غداة يُنيل
وقال المثلث بن رياح المري^(٢)

بكر العواذل بالسواد يلتمنى جهلا يقلن ألا ترى ما يصنع^(٣)
أفنيته مالك في السفاهة وإنما أمر السفاهة ما أمرتك أجمع^(٤)
وقتود ناجية وضعت بقفرة والطير غاشية العواقي وقّع^(٥)
بمهند ذي حلية جردته يبرى الأصم من المقام ويقطع^(٦)
لتنوب نائمة فتعلم أنني ممن يغتر على الثناء فيخدع
إني مقسم ما ملكت فجاعل أجراً لآخره ودينا تنفع
وقال أرطاة بن سهية المري

فلو أن ما نمطى من المال نبتنى به الحمد يعطى مثله زاخر البحر^(٧)
اظلت قراقير صيماً بظاهري من الضحل كانت قبل في لجج خضر^(٨)
ولا نكسر العظم الصحيح تمرزاً ونغنى عن المولى ونجبر ذا الكسر

(١) يقول لما استغنيت عظمت في عيون الناس فأجلوا قدرك وليس الغنى إلا ما يضاف به القوم عشية إذا نزلوا ويصلهم بالغداة إذا ارتحلوا (٢) هو شاعر جاهلي وهو الذي التجأ بالحصين بن الحمام المري لما قتل حباشة الذي كان في جوار الحرث بن ظالم فأجاره الحصين وغرم عنه دية القتيل ، هذا وقال دبيل أن هذه الأبيات لشبيب بن البرصاء (٣) إنما قال بكر العواذل لأن العرب تشرب ليلاً وتسكر وتهب فإذا أصبحت لأمها من أراد لومها على ذلك بالسواد قبل الاسفار وقوله ألا ترى أي شيء تصنع (٤) السفاهة والسفاهة الخفة والطيش معناه قالت لي العواذل ضيعت مالك في السفاهة وليس بي سفاهة وإنما السفاهة ما قلته من عدلي ولومي (٥) وقتود مجرور برب بمقدرة والقتود جمع قند وهو خشب الرجل ، والناجية : الناقة القوية السريعة ، والعواقي : الطير جمع عاقية وهو من قولهم عفاه واعتفاه إذا طلب معروفه (٦) ومهند تعلق بقوله وضعت بقفرة لأنه في معنى عرقت والمراد بالحلية دم الناقة الذي تلتطخ به السيف جعله كالحلية له . ويبرى يقطع ، والأصم : مالميس بأجوف فإذا قطع الأصم فهو للمجوف اقطع معناه أنه عرقت الناقة بسيف ماض (٧) زاخر البحر أي طافي البحر (٨) أي اظلت سفن راكدة وواحد القراقير قرقرور وهي السفن ، والضحل : الماء القليل يترقرق على وجه الأرض ، واللجج جمع لجة ، وهي معظم البحر ، والخضر : السود والبحر الأخضر الأسود

غالبنا بنى حواء مجداً وسودداً ولكننا لم نستطع غلب الدهر^(١)

وقال حُجْرُ بن حِيَةَ العَبْسِي

ولا أدومُ قَدْرِي بعد ما نصِجتُ بُخْلاً لَتَمْنَعُ ما فيها أُنْافِها^(٢)

حتى تقسم شتى بين ما وسِعتُ ولا يؤنَّبُ تحتَ الليل عافِها^(٣)

لا أُحْرِمُ الجارةَ الدنيا إذا اقترِبتُ ولا أقومُ بها في الحى أُخْزِها^(٤)

ولا أكلِهما إلا علانيةً ولا أخْبرها إلا أناديها^(٥)

وقال الساور هند بن قيس بن زهير

فدى لبنى هندی غداة دعوتهم بجو وبال النفس والأب ان^(٦)

إذا جارةٌ شئتُ لسعد بن مالك لها إبل شئتُ لها إبن^(٧)

إذا عقدت أفناء سعد بن مالك لهازمةً عزتُ بكل مكان

إذا سئلو ما ليس بالحق فيهم أبى كل مجنى عليه وجانى

ودارٍ حفاظٍ قد حلّتم مهانةً بها نبيسكم والضعيف غير مهان^(٨)

وقال آخر

جزى الله خيراً غالباً من عشيرةٍ إذا حدثان الدهر ثابت نوائبه^(٩)

فكم دفعوا من كربةٍ قد تلاحت على وموج قد علتني غواربه^(١٠)

إذا قلتُ عودوا عاد كل شمردلٍ أشم من الفتيان جزل مواهبه^(١١)

(١) المراد بنى حواء جميع الناس (٢) أى لا أطيل ادامة قدرى بعد ادراكها على الاثافي بخلا بما فيها وجعل المنع للاثافي لأنها لم تعرف مادامت عليها منصوبة ، والاثافي جمع اثفية وهى الحجارة التى توضع عليها القدر (٣) ولا يؤنَّب أى لا يلام . والعافى طالب المعروف (٤) الدنيا : أى القربى ولا أقوم بها تقول العرب قام بى فلان وقعد اذا تثنا عنك قبيحا . وأخزىها أى أهينها (٥) العلانية ضد السر (٦) وبال . اسم ماء لبنى عيس أضيف إليه الجو وألجوا ما اطمأن من الأرض (٧) شئت : طردت (٨) دار الحفاظ : هى التى يقيم بها أهلها فى الجذب والخصب يحافظ على صيانتها مهانة . والنبي جمع ناب وهى الناقة المسنة (٩) الحدثان . نوائب الدهر وشدائده مصدر حدث (١٠) الكربة اسم لما يأخذ بالنفس من الهم والحزن . وتلاحت . اشتدت ولزمت . والغوارب جمع غارب وهو أعلى الموج وأعلى الظهر (١١) اذا قلت عودوا أى الى الحرب . والشمردل : الطويل ، والأشم . من

إذا أخذت بُزْلُ المخاض سلاحها تجرد فيها متلف المال كاسبه^(١)
وقال آخر

وليس فتى الفتیان من جُلُّ هم صبح وإن أمسى ففضل غبوق^(٢)
ولكن فتى الفتیان من راح أو غدا لضرر عدوٍ أو لنفع صديق
وقال خراز بن عمرو من بنى عبد مناف

لنا إبلٌ لم تهن ربها كرامتها والفتى ذاهب
هجانٌ يكافأ منها الصديق ويدرك فيها المني الراغب^(٣)
ونظمن عنها نحور المدى ويشرب منّا بها الشارب^(٤)
وتؤلفها في السنين الكلول إذا لم يجد مكسباً كاسب^(٥)
ولم تك يوماً إذا روت على الحى يلقى لها جادب^(٦)
حبانا بها جدنا والإله وضرب لنا خذم صائب^(٧)

وقال مضر بن رابعي

وإني لأدعوا الضيف بالضوء بعد ما كسى الأرض نضاح الجليد وجامده^(٨)
لأكرمه إن الكرامة حقه ومثلان عندى قربه وتباعده
أبيت أهشيه السديف وإننى بما نال حتى يترك الحى حامده^(٩)

الشمم كناية عن الكرم وأصله ارتفاع الأنف (١) البزل جمع بازل وهو المتناهى قوة وشباباً . والمخاض . النوق الحوامل والمراد بسلاحها محاسنها وأمارات عتقها وكرمها . ومتلف المال كاسبه هو كقولهم مخلف متلف ومخلاف متلاف (٢) من جل هم أى أكبر همهم وقصده والصبح الشرب فى أول النهار ، والغبوق : الشرب فى آخره (٣) الهجان الإبل البيض ويقع على الواحد والجمع ، ويكافأ من المكافاة وهى المجازاة والمراد بالصديق جنسه . والمراد بالراغب طلب الخير والمعروف (٤) معناه ندفع عنها الغارات ونحامي دونها والمراد بالشارب هنا شارب الخمر (٥) أراد بالكلول الضعفاء الواحد كل . وقوله إذا لم يجد مكسباً كاسب بدل من قوله فى السنين أى إذا اشتد الزمان جعلنا إبلنا يألفها كلول الناس فينالون منها (٦) الجادب العائب (٧) حبانا من الحياء وهو العطاء بلا جزاء ولا من . والخدم . القاطع أى بضرب قاطع صائب (٨) دعوة الضيف بالضوء هى أن العرب كانوا يوقدون النار فى أعالي الجبال ليراهما المارة ويأتوها فيضيفوهم ويكرمهم . والنضاح الرشاش . والجليد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد لبرد الهواء (٩) السديف شحم السنام وقوله وإننى بما نال الخ يريد أن أقترح على شيئاً أعده نعمة يستوجب منى

وقال حماس بن ثامل

ومستنح في لُجّ ليل دعوته بمشوبة في رأس صمدي مقابل^(١)
وقلت له : أقبل فإنك راشدة وإن على النار أندى وابن ثامل^(٢)

وقال النمرى ويقال إنها لرجل من باهلة

وداع دعا بعد الهدوء كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله^(٣)
دعا بأثاساً شبه الجنون وما به جنون ولكن كيد أمره يحاوله^(٤)
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كريم الجدى حلو شمائله^(٥)
فأبرزت نارى ثم أثقت ضوءها وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله^(٦)
فلما رآنى كبر الله وحده وبشر قلباً كان جمّاً بلا به^(٧)
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً رشدت ولم أقعد إليه أسائله^(٨)
وقت إلى برك هجان أعدته لوجبة حق نازل أنا فاعله^(٩)
بأبيض خط نعله حيث أدركت من الأرض لم تخط على حمائله^(١٠)
فجال قليلاً واتقانى بخيره سناماً وأملاه من النى كاهله^(١١)

حمداً وشكراً عليها وذلك له طول مقامه الى أن يفارقنى . وقال النمرى هو منصور بن الزبرقان أحد بنى نمر بن قاسط من شعراء الدولة العباسية وكان مع الرشيد ومقدماً عنده كما فى مختصر شرح الحماسة (١) المستنح من يطلب نباح الكلب ليهدى بذلك فى طريقه ولج الليل معظم ظلمته وأصله لمعظم الماء ، والمشوبة : النار المضرة ، والصمد : الجبل أو الأرض المرتفعة (٢) راشد مهتد ، والندى : الجود (٣) الهدوء السكون ، والسرى السير ليلاً ، وقوله كأنما يقاتل الخ يريد أن الحال بلغ به حدا رأى فيه أن أهوال السرى تغالبه عن نفسه ويصارعها عنها ويدفعها (٤) البائس . هو الذى نزلت به شدة ، والمراد به الكلب ، والكيد الحيلة . ويحاوله يطلب دفعه والخلاص منه (٥) حلو شمائله أى أخلاقه كريمة (٦) أثقت ضوءها أنزته ، والاثقاب الانارة وهو فى البيت مبتداً وخبر وداخله خبر ثان (٧) جما بلا به أى همومه كثيرة (٨) أى وجدت أهلاً وسهلاً وسعة ، ورشدت اهتديت (٩) البرك اسم جمع لما يبرك من الإبل ، والهجان كرائم الإبل . ووجبة الحق نزوله (١٠) بأبيض متعلق بقوله قمت فى البيت قبله . والأبيض السيف ونعل السيف ماتكون فى أسفل غمده من حديد أو غيره من المعادن . ولم تخط أى لم تضطرب ولم تظل . وحمائل السيف علاقاته (١١) فاعل جال عائد على البرك المتقدم ذكره . والنى : الشحم ، والكاهل مابين الكتفين

بقرم هجان مصعب كان فحلها طویل القرى لم يعد إن شق بازله^(١)
فخرٌ وظیفُ القَرَمِ فی نصفِ ساقه وذاك عقالٌ لا يُنشطُ عاقله^(٢)
بذلك أوصانی أبی وبمثلہ كذلك أوصاءُ قديماً أوائله

وقال النابغة الذبياني

له بفناء البيتِ سوداءُ فخمَةٌ تلَقَّمُ أوصالَ الجزورِ المُراعِي^(٣)
بقيةٌ قدرٍ من قدورٍ تُورَّتُ لآلِ الجَلَّاحِ كَبراً بعد كَبر
نَظَّلُ الإماءَ يبتدرنَ قَدِيمَها كما ابتدرتَ سَعْدُ مِياهِ قُراقِرِ^(٤)

وقال الفرزدق

وداعٍ بَلَحْنِ الكلبِ يدعو ودونه من الليل سَجفا ظلمةً وغيومها^(٥)
دما وهو يرجو أن يُنبَهَ إذ دعا فتى كَابَنٍ لَيْلى حين غارتِ نَجُومُها^(٦)
بمَثُ له دهماءُ ليست بِلِقْحَةٍ تَدُرُّ إذا ما هَبَّ نَحْساً عَقِيمُها^(٧)
كَأَنَّ المَحالَّ النُورَ في حَجَرَاتِها عذارى بدتْ لَمَّا أُصِيبَ حِمِيمُها^(٨)

(١) القرم : الجمل الشاب وهو بدل من خبره في البيت قبله ، والمصعب
الفحل الكريم الذي لا يتبدل في العوارض بل يقصر على الضراب والضمير
في فحلها راجع الى البرك فيما تقدم . والقرى الظهر ، وشق بازله طلع سنه
وذلك سن يطلع للجمال في السنة التاسعة من اعمارها (٢) فخر أى فسقط ،
والوظيف : مستندق اليراع ، والعقال ما يعقل ويربط به من حبل ونحوه ،
ولا ينشط أى لا يحل (٣) فناء البيت : هو ما امتد من جوانبه ، ويعنى بالسوداء
القدر ، والفخمة العظيمة ، والأوصال المفاصل ، والجزور الناقة ، والعراعر
العظيم الخلق وجعل اشتمالها على الأوصال كتلقفهما إياها (٤) القديح فعيل
بمعنى مفعول وهو المرق المقدوح ، وقراقير واد بالدهناء وشبه تبادر الإماء
نحو القدر بتبادر بطون سعد الى تلك المياه (٥) يعنى مستنبحا تكلف نبح
الكلب في صورته وفعل ذلك اذ حال بينه وبين المناظر من الليل ستران من
الظلم والتباس الغيوم (٦) غارت نجومها : أى غابت وذهبت (٧) الدهماء :
السوداء وأراد بها القدر ، والعقيم الريح التى ليس معها مطر لأنها لاتنفع
الأشجار ، وقوله ليست باللقحة أى ليست هى بناقة وانما هى قدر تدر بمرقها
اذا ذهب عقيم الرياح بالنحس (٨) المحال : فقر الظهر واحده محالة ، والغر :
البيض ، والحجرات : الجوانب ، والمدارى : الأبقار ، والحميم : القريب
الذى يهتم لأمره وشبه المحال وفقر الظهر فى نواحي القدر وجوانبها وهى
بيضاء سميئة مع تضمن القدر السوداء لها بالمدارى الأبقار وقد لبس ثياب
السوداء لما أصبى بمن يعز عليهن

غَضُوبًا كَحِزُومِ النِّعَامَةِ أَحْمَشْتُ بِأَجْوَا زُخْشَبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا^(١)
مُحَضَّرَةً لَا يُجْعَلُ السُّتْرُ دُونَهَا إِذَا الْمُرْضِعُ الْعُجَاءُ حَالَ بِرَيْمِهَا^(٢)
وَقَالَ شُرَيْحُ بْنُ الْأَحْوَصِ

وَمُسْتَنْبَحٍ يَبْنِي الْمَبِيتَ وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سَجْنَا ظَلَمَةٍ وَسُتُورُهَا
رَفَعَتْ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا زَجَرَتْ كَلَابِي أَنْ يَهْرَّ عَقُورُهَا^(٣)
فَبَاتَ وَإِنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيْلِ عُقْبَةً بَلِيلَةَ صَدَقٍ غَابَ عَنْهَا شُرُورُهَا^(٤)
وَقَالَ مَسْكِينُ الدَّارِي

كَأَنَّ قَدُورَ قَوْمِي كُلِّ يَوْمٍ قَبَابُ التَّرَكِّ مَلْبَسَةُ الْجَلَالِ^(٥)
كَأَنَّ الْمَوْفِدِينَ بِهَا جِمَالٌ طَلَاهَا الزَّفْتُ وَالْقِطْرَانِ طَالِي^(٦)
بَأَيْدِيهِمْ مَغَارِفُ مِنْ حَدِيدٍ أَشْبَهَهَا مَقِيرَةَ الدَّوَالِي^(٧)
وَقَالَ الْمُكَلِّي

أَعَاذَلُ بَكِيئِي لِأَضْيَافٍ لَيْلَةً نَزُورَ الْقَرَى أَمَسَتْ بَلِيلًا شِمَالَهَا^(٨)
أَعَامَرُ مَهْلًا لَا تَلْمَنِي وَلَا تَكُنْ خَفِيًّا إِذَا الْخَيْرَاتُ عَدَتْ رَجَالَهَا
أَرَى إِلَى تَجْزَى بِجَازِي هَجْمَةً كَثِيرٍ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلًا إِفَالَهَا^(٩)
مَثَا كَيْلُ مَا تَنْفَكُّ أَرْحَلُ جُمَةً تُرَدُّ عَلَيْهِمْ نَوْقُهَا وَجَمَالَهَا^(١٠)

(١) غضوباً صفةً للدهماء وجعل غليانها بمنزلة الغضب ، وحيزوم النعامة : صدرها وأحشيت أي أشبعت وقوداً تحتها ، والأجواز : الأوساط ، والهشيم : اليابس المتكسر من النبات . (٢) محضرة أي لا يمنع منها أحد ، والعوجاء : التي أعوجت هزلاً وجوعاً ، والبريم : خيط أو سير ينظم فيه خرز فتشده النساء في أوساطهن وإنما يجول البريم إذا أثر الهزال فيها .

(٣) أراد أن لا يهرهر الكلب إذا صوت وموضع قوله أن يهر نصب على البدل من كلابي . (٤) انتصب عقبة على الظرف وأصلها أن يتعاقب الثنان على بعير فإذا ركب أحدهما مشى الآخر ثم كثر استتماله فاجرى مجرى الثوبة والفرصة . (٥) المعنى أنه يشبه قدور قومه في عظمها واتساعها وأسوداد ظواهرها بقباب الترك التي ألست أغطية سوداً .

(٦) يريد بالموفدين المزاولين لها في نصبها وانزالها وطبخها وأصل الموفد المشرف على الشيء العالی عليه . (٧) المقيرة : المطيلة بالقار وهو الزفت ، والدوالي جمع دالية وهي دلو يستقى بها . (٨) أعاذل منادى مرخم عاذلة ونزور القرى أي قليل القرى : البليل الريح الباردة مع المطر .

(٩) الهجمة : القطعة من الأبل من الأربعين إلى المائة والأفال جمع أفيل

وقال جابر بن حيان

فإن يقتسم مالى بئى وإخوتى فلن يقسموا خلقى الكريم ولا فعلى^(١)
أهين لهم مالى وأعلم أنى سأورثه الأحياء سيرة من قبلى
وما وجد الأضياف فيما ينوبهم لهم عند علات الزمان أباً مثلى^(٢)
وقال عتبة بن بجير

لحافى لحاف الضيف والبيت بيتى ولم يلهى عنه غزال مقنع^(٣)
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسى أنه سوف يهجع
وقال المرار الفقعى

آليت لأخفى إذا الليل جنى سنا النار عن سار ولا متنور^(٤)
فياموقدى نارى ارفماها لعلها تضى لسار آخر الليل مقتر^(٥)
وماذا علينا أن يوارجه نارنا كريم الحيا شاحب المتحسر^(٦)
إذا قال : من أنتم ليعرف أهلها رفعت له باسمى ولم أتسكّر
فبتنا بخير من كرامة ضيفنا وبتنا نهى طعمه غير ميسر^(٧)
وقال يزيد بن الطثرية

إذا أرسلونى عند تقدير حاجة أمارس فيها كنت نعيم المارس^(٨)
ونعمى نفع الموسرين وإمما سواى سوام المقترين المفالس^(٩)

اعتادت أن تشكل ولدها أى تفقده بنحر أو موت أو نحوه ، الجملة الجماعة ترد
فى الصلح بين الناس والارحل جمع رحل وهو المشوى والمنزل .

(١) يقول أن اقتسم مالى أولادى فلن يقسموا ما تفردت به من خلق كريم
وفعل جميل اعدهما لزوارى . (٢) علات الزمان : مكارهه وشدائده وجعل
نفسه أباً للأضياف لأنه يحنو عليهم حنو الأب وهذا على عادتهم فى تسمية
المضيف أباً المشوى . (٣) كنى بالغزال المقنع عن ذى الوجه الجميل ويهجع ينام
ومعنى البيتين كل ما املكه فهو ملك للضيف وليس يلهينى عنه ما يلهى الناس
وانى لا اقتصر على اطعامه بل لا ازال أحدثه وأسامره وأونسه حتى تطيب
نفسه فاذا رآته يميل الى النوم خليته . (٤) آليت : حلفت ، وجنة الليل
ستره ، والسنا : الضوء ، والسارى : المسافر ليلاً . (٥) المقتر : البائس المفتقر
(٦) شاحب المتحسر أى متغير ما يبدو منه كالوجه واليد والرجل وانما
شحب لتعب السفر . (٧) الطعم : الطعام والميسر : القمار .

(٨) أمارس : اعانى وجملة أمارس صفة لحاجة يصف نفسه بحسن الثانى
فى الامور يرسل فيها . (٩) السوام : الانعام الراعية ، والمقتر : الفقير ،

وقال عروة بن الورد العبسي

أرى أمَّ حسانَ الغداةَ تلومني تُخَوِّفني الأعداءَ والنفسُ أخوفُ (١)
لعل الذي خَوَّفَتْنَا من أماننا يُصادفه في أهلِهِ الْمُتَخَلِّفُ
إذا قلتَ قد جاءَ الغنى حالَ دونه أبو صِيبَةٍ يشكو المفاقرَ أعجفُ (٢)
له خَلَّةٌ لا يدْخُلُ الحقُّ دونهَا كَرِيمٌ أَصابته حوادثُ تُجَرِّفُ (٣)

وقال الاقرع بن معاذ

إِنَّ لَنَا صِرْمَةً تُلْنِي مُخِيسَةً فِيهَا مَعَادٌ وَفِي أَرْبَابِهَا كَرَمُ (٤)
تُسَلِّفُ الْجَارَ شِرْبًا وَهِيَ حَامَةٌ وَلَا يَبِيتُ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَسَمُ (٥)
وَلَا تُسَفِّهُ عِنْدَ الْحَوْضِ عَطَشُهَا أَحْلَامَنَا وَشَرِيبَ السَّوِّ يَحْتَدِمُ (٦)

وقال يزيد بن الجهم الهلالي ويروي لَحْمِيذُ بْنُ ثَوْرٍ

لَقَدْ أَمَرْتُ بِالْبُخْلِ أُمَّ مُحَمَّدٍ قَلَّتْ لَهَا حُشْيٌ عَلَى الْبُخْلِ أَحْمَدًا
فَإِنِّي أَمْرُؤٌ عَوَدْتُ نَفْسِي عَادَةً وَكُلُّ أَمْرٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
أَحِينَ بَدَا فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ وَأَقْبَلْتُ إِلَى بَنُو عَيْلَانَ مَثْنَى وَمَوْحَدًا (٧)
رَجَوْتُ سِقَاطِي وَاعْتَلَلْتُ وَنَبَوْتُ وَرَاءَكَ عَنِّي طَالِقًا وَأَرْحَلِي غَدًا (٨)

صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب أموال وتفليس الحاكم معروف وهو من هذا كانه ينسبه الى ذلك فهذا كالتعديل والتفسيق يقول عطائي كثير ومالي قليل لأنني غني النفس .

(١) المعنى أن أم حسان تعدلني وتخوفني الخروج الى أعدائي والنفس أخوف من أن تحذر ولكن الموت لا بد منه والذي تخوفني منه لعله يصادف المتخلف في أهله . (٢) المفاقر الحاجات جمع فقر على غير قياس ، وأعجف هزيل من الضر . (٣) الخلَّة : الحاجة ، والحق : القرابة هنا وتجرف أي تذهب بالمال كما تذهب المجرفة بما يجرف بها . (٤) الصرمة : من الأبل نحو الأربعين والمخيسة التي لم تشرح ولكنها حبست للنحر أو القسم وقوله فيها معاد أي يعود فيها العفاة يصيبون منها مرة بعد أخرى .

(٥) تسلف أي تقدم والجار نصب على نزع الخافض أي تقدم الى الجار والشرب الماء واراد به هنا اللبن والحائم العطشان الذي يحوم حول الماء ولا يبيت على أعناقها قسم يريد لانقسم عليها ان لا تنحر أو توهب .

(٦) يقول اذا اوردناها الماء وبها عطش لا نواثب الموردين ولا نجفوهم فيكون عطشها سفه احلامنا أي عقولنا واصل الاحتدام الاحتراق .

(٧) مثنى معدول عن اثنين اثنين وموحد معدول عن واحد واحد .

(٨) السقاط ان لا يفعل الانسان فعل الكرام وان لا يذهب مذهبهم فيسلك

وقال آخر

إني لم ينل مالي مدى خلقي فيأض ما ملكت كفاي من مال
لا أحيس المال إلا ريث أنلفه ولا تُغيّرني حال إلى حال (١)

وقال سودة اليربوعي

ألا بكرت مئى على تلومنى تقول ألا أهلك من أنت عائله
ذرينى فإن البخل لا يُخلد الفتى ولا يهلك المروء من هو فاعله
وقال المقنع الكندي

نزل الشيب فأن تذهب بعده وقد ارعوى وحان منك رحيل (٢)
كان الشباب خفيفة أيامه والشيب محمله على ثقيل (٣)
ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل (٤)

إلى غير ذلك من الشعر الذى هو على هذا المسلك وكله يدل على ما كان
متنافساً فيه بين العرب من الصفات الحمودة . وعلى ما كانوا عليه من الكرم
والسخاء والسماحة . وقد ألف بعض المتقدمين من أئمة أهل اللغة والأدب كتاباً
فيما ورد من أخبار ضيوف العرب . وما اتفق في ذلك من النوادر والقصص
الغريبة والشعر المنتخب . والذى كتبه من الشعر كان من رواية أبي تمام
في حماسه . ولذلك أعرضت عن شرحه فإن شروح الكتاب كثيرة مشهورة
من أشكل عليه شيء فليراجعها .

ومما يدل على مزيد سخاء العرب أنه كانت لهم نار تسمى نار القرى وهي
نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وكانوا يوقدونها على

طريقهم . والاعتلال التعلل وأراد بالنبوة البعد وقوله وراءك عنى أى أبعد
عنى وطالما انتصب على الحال من قوله وراءك عنى ولم يقل طاعة لأنه أخرج
مخرج النسب .

(١) الريث البطء . (٢) ارعوى عن الشيء انصرف عنه ، وحان : قرب
(٣) محمله أى حملة . (٤) الفضول ما فضل عنك بعد حوائجك والمعنى
ان العطاء من الفضول لا يقال له جود وسماحة وإنما الجود والسماحة ان
يجود الانسان بكل شيء له فلا يبقى قليله ايضاً .

الأماكن المرتفعة لتكون أشهر . وربما أوقدوها بالنمدل الرطب وهو عطر ينسب إلى مندل وهي بلدة من بلاد الهند ونحوه مما يتبخر به ليتهدى إليها العميان . وهذه النار عندهم أجل سائر نيرانهم التي سنفصلها على أتم وجه إن شاء الله تعالى ولم تزل مذكورة على السنة شعرائهم . قال أبو زياد الأعرابي الكلابي يصف بعض أجواد العرب :

له نار تُشَبُّ على يَفَاعٍ إذا النيران ألبست القنعا (١)
ولم يكُ أكثرَ الفتيان مالاً ولكن كان أرجبهم ذراعا (٢)

وقال آخر

إني إذا خَفِيتُ نارَ لمرِمةٍ أُلْفَى بأرفع تلٍّ رافعا ناري (٣)
ذاك وإني على جارى لذوحدب أحنو عليه كما يُحنى على الجار
وأَنهم كانوا يقتنون الكلاب لأموِرٍ منها أَنها تدل الأضياف على منازلهم
بُنابحها وكانو يمدحونها على ذلك ، قال قائل منهم في كلب له .

أوصيك خيرا به فإنَّ له خلائقا لا أزال أحمدها
يدل ضيفي علىَّ في غسق الليل إذا النار نام موقدها (٤)

وكان لَعِبُهُم باليسر منبعا عن السخاء وكرم الطبع فإن أهل الثروة والأجواد منهم في شدة البرد وكلب الزمان (٥) ييسرون أى يتقاربون بالقداح وهي عشرة على جزور يجزؤونها ثمانية وعشرين جزءاً وسيجيء إن شاء الله تعالى كيفية عملهم في ذلك عند الكلام على أعمالهم التي جها الإسلام فإذا قرأ أحدهم جمل أجزاء الجزور لذوى الحاجة وأهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا . وكانت العرب تمدح بأخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم .

(١) تشب أي توقد ، واليفاع المكان المرتفع . واللبست القنعة كناية عن إخمادها . (٢) الذراع والذرع يراد به النفس . (٣) المرمة : الجماعة التي نفذ زادها واقتطعت والتل ما ارتفع من الأرض وإيقاد النار في الأماكن المرتفعة من أخلاق الكرام حتى يتهدى الضيف إليه في الليل المظلم ويأتى .
(٤) غسق الليل : ظلمته . (٥) كلب الزمان : شدته .

قال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا

ولا برما تهدي النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تققعا (١)

وقال العرنديس في قوم من العرب (٢)

هينون لينون أيسار ذوو كرم سواس مكرمة أبناء أيسار (٣)

إن يسألوا الحق يمطوه وإن خبروا في الجهد أدرك منهم طيب أخبار (٤)

وإن توددتهم لانوا وإن شهيموا كشفت أذمار شر غير أشرار (٥)

فيهم ومنهم يعد الجد مثلد ولا يعد ثا خزى ولا عار (٦)

لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا بالكثار (٧)

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وقال لبيد بن مالك في معلقته

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالي متشابه أجسامها (٨)

أدعو بهن لعافر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها (٩)

فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تبالة مخصبا أهضامها (١٠)

(١) هذا البيت من قصيدة له فريدة في بابها يرثي بها أخاه مالكا وكان خرج مع خالد بن الوليد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسدي فقتله وكان مالك من اردان الملوك ومن متقدمي فرسان يربوع ، وقوله ولا برما البرم الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ في الميسر ولا ينزع الا تكدا ، قال النابغة :

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبي إذا الدخان تغشى الاشمط البرما

والقشع الجلد اليابس ويقال لكناسة الحمام القشع ، قال أبو هريرة

وكذبت حتى رميت بالقشع . (٢) العرنديس هو أحد بنى بكر بن كلاب ويمدح

بهذا الشعر بنى عمرو الغنويين وكان أبو عبيدة إذا أنشدها يقول هذا والله

محال كلابي يمدح غنويا . (٣) الأيسار جمع يسر وهم الذين يجيلون القداح ،

وقوله سواس مكرمة أى يروضون المكارم ويلون أمرها . (٤) الجهد :

الشدة ، والحق هنا ما أوجبوه على أنفسهم من مالهم ، وخبروا يريد اختباروا

(٥) توددتهم : أى طلبت مودتهم وشهموا مبنى المجهول من شهيمه إذا

افزعه ، والأذمار جمع ذمر وهو الشجاع والشر الحرب وقوله غير أشرار جمع

شرير على غير قياس . (٦) المثلد : القديم . والنثا ما يخبر به عن الرجل

من حسن أو سىء أى نثاسو يدل صاحبه إذا ذكر به . (٧) لا يمارون أى

لا يجادلون . (٨) المغاليق : سهام الميسر سميت بها لأن بها يغلّق الخطر من

قولهم غلق الرهن يغلّق غلقا إذا لم يوجد له تخلص وفكاك .

(٩) العافر : التي لا تلد ، والمطفل التي معها ولدها ، واللحام جمع لحم .

(١٠) الجنيب : القريب وتبالّة واد مخصب من أودية اليمن والهضم

المطمئن من الأرض والجمع الأهضام والهضوم .

تأوى إلى الاطناب كل رذية^(١) مثل البلية قالص^(٢) أهدامها^(٣)
ويكللون إذا الرياح تناوحت^(٤) خلجاً تمدُّ شوارعاً أيتامها^(٥)
والشعر في ذلك كثير . ثم إن السخاء لا يتوقف على بذل المال فإنه هيئة للإنسان
داعية إلى بذل القنيات حصل معه البذل أو لم يحصل . ويقابله الشح والجود بذل
المقتنى . ويقابله البخل . هذا هو الأصل . وإن كان كل واحد منهما قد يستعمل
في موضع الآخر . وبذلك على هذا الفرق أنهم جعلوا الفاعل من السخاء والشح على
بناء الأفعال الغريزية . فقالوا شحيح وسخى وقالوا جواد وباخل . وأما قولهم بخيل
فمصرف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم ورحيم . ولكون السخاء غريزة
لم يوصف البارئ تعالى به .

من اشتهر بالجود والسخاء وضرب بهم المثل في الكرم من عرب الجاهلية ، منهم :

هاتم الطائي

قالوا في المثل : أجود من حاتم ، يريدون به حاتم بن عبد الله بن ساعد بن الحشرج
ابن امرئ القيس بن عدى بن أحزم الطائي الجواد المشهور وأحد شعراء الجاهلية
ويكنى أبا عدى وأبا سقانة « بفتح السين وتشديد الفاء » . وابنه أدرك الإسلام
وأسلم . أخرج أحمد في مسنده عن ابنه عدي قال قلت يا رسول الله إن أبي كان يصل
الرحم ويفعل كذا وكذا قال إن أباك أراد أمراً فأدركه يعني الذكر . وكانت
سقانة بنته أتت بها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقالت يا محمد هلك
الوالد . وغاب الرافد . فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن

(١) الاطناب : حبال البيت واحدها طناب والرذية الناقة التي تروذى في
السفر أى تخلف لفرط هزالها وكلالها والجمع الرذايا استعارها للفقيرة ،
والبلية : الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت والجمع البلايا
والاهدام الإخلاق من الثياب واحدها هدم . وقلوصها : قصرها .
(٢) تناوحت : تقابلت ومنه قولهم الجبلان متناوحيان أى متقابلان ومنه
النوائح لتقابلهن والخليج جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير أو من
نهر كبير أو من بحر والخليج الجذب وتمد : تزداد وشرع في الماء خاضه .

أبى سيد قومه كان يفك العاني ويحمي الذمار^(١) . ويفرج عن المكروب . ويطعم الطعام ويفشي السلام . ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فردّه أنا ابنة حاتم طيء فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترجمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق .

قال ابن الأعرابي : كان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً يشبهه جوده شعره . ويصدق قوله فمله ، وكان حينما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب ، وإذا غم أنهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق ، وكان أقسم بالله لا يقتل واحداً أمه ، وكان إذا أهلك رجب نحر في كل يوم عشرة من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا عليه ، وكان أول ما ظهر من جوده أن أباه خلفه في إبله وهو غلام فر به جماعة من الشعراء ، فيهم عبّيد بن الأبرص وبشر بن أبي حازم ، والنابغة الذبياني ، يريدون النعمان بن النذر ، فقالوا له : هل من قرى ولم يعرفهم ، فقال : أتسألوني القرى وقد رأيتم الإبل والنعم ، انزلوا فنزلوا فنحروا لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الإبل والنعم وجاء أبوه ، فقال : ما فعلت ؟ قال : طوقتك مجدّ الدهر طوق الحامة وعرفه القضية فقال أبوه : إذا لا أساكنك بعدها أبداً ولا آويك ، فقال حاتم إذا لا أبالي .

« ومن حديثه » . أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عذرة ناداه أسير لهم يا أبا سفانة أكلني الأسار والقمل . فقال : ويحك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي وما لك مترك . ثم ساوم به العنزيين واشتراه منهم بخلاء وأقام مكانه في قيده حتى أتى بفدائه فأداه إليهم .

« ومن حديثه » أن ماوية امرأة حاتم حدثت أن الناس أصابتهم سنة^(٢)

(١) الدمار بالكسر : ما يلزمك حفظه وحمايته (٢) سنة أي اقحطوا

فأذهبت الخف والظلف فبتنا ذات ليلة بأشد الجوع فأخذ حاتم عدياً وأخذت سفانة فمللناها حتى ناما ثم أخذ يملأني بالحديث لأنام فرقت لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أنى نائمة فقال لى أنمت مراراً فلم أجبهُ فسكت ونظر من وراء الخيباء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة تقول يا أبا سفانة قد أتيتك من عند صبية جياع فقال احضرينى صبيانك فوالله لأشبعنهم قالت فقامت سرماً فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقام إلى فرسه فذبحه . ثم أجاج ناراً ورفع إليها شفرة وقال اشتوى وكلى واطعمى ولدك . وقال لى أيقظى صبيتيك فأيقظتهما ثم قال : والله إن هذا للؤم أن تأكلوا وأهل الصرم^(١) حالهم كحالكم فجعل يأتى الصرم بيتاً بيتاً ويقول عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتقع بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ولم يذق منه شيئاً . وقد روى هذه القصة الفاضل شهاب الدين فى العقد على غير هذا الوجه فلتراجع^(٢) والتى ذكرناها رواية الميدانى فى مجمع الأمثال . وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة . ونذكر قضية قراه بعد موته وهى من العجائب . روى محرز مولى أبى هريرة قال مررت من عبد القيس بقبر حاتم فنزلوا قريباً منه فقام إليه رجل يقال له أبو الخيرى وجعل يركض برجله^(٣) قبره ويقول : اقربنا فقال له بعضهم : ويلك ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات أن طياً تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قراه ثم أجبتهم الليل فناموا فقام أبو الخيرى فزعاً وهو يقول : وارا حلتها فقالوا له مالك قال أتانى حاتم فى النوم وعقر ناقى بالسيف وأنا أنظر إليها ثم أنشدنى شعراً حفظته يقول فيه :

أبا الخيرى وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتّامها
أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة قد صدت هامها

(١) الصرم بالكسر إبيات من الناس مجتمعة والجمع اصرام واصارم
(٢) ج ١ ص ١٤٥ من طبعة الجمالية (٣) ركض الرجل ركضاً من باب قتل ضرب برجله .

أَتَبْنِي لِي الذَّمَّ عِنْدَ الْمَيْتِ وَحَوْلَكَ طَى وَأَنْعَامَهَا
فَإِنَّا لَنَشْبَعُ أَضْيَافَنَا وَتَأْتِي الْمَطَى فَتَفْتَأُمُهَا^(١)

فَقَامُوا وَإِذَا نَافَةُ الرَّجُلِ تَكُوسُ^(٢) عَقِيرًا فَانْتَحَرَوْهَا وَبَاتُوا يَأْكُلُونَ وَقَالُوا
قَرَانَا حَاتِمٌ حَيًّا وَمَيْتًا وَأَرْدَفُوا صَاحِبَهُمْ وَانْطَلَقُوا سَائِرِينَ وَإِذَا بِرَجُلٍ رَاكِبٍ بِمِيرَا
وَيَقُودٍ آخِرٍ قَدْ لَحِقَهُ وَهُوَ يَقُولُ أَيُّكُمْ أَبُو الْخَيْرِ قَالَ الرَّجُلُ أَنَا ، قَالَ نَخْذُ هَذَا
الْبَعِيرِ أَنَا عَدِيُّ بَنِي حَاتِمٍ جَاءَنِي حَاتِمٌ فِي النَّوْمِ ، وَزَعَمَ أَنَّهُ قَرَأَ كَمَا بَنَاقَتَكَ ، وَأَمَرَنِي
أَنْ أَهْمَلَكَ فَشَأْنُكَ وَالْبَعِيرُ وَدَفَعَهُ إِلَيْهِمْ وَانْصَرَفَ . وَإِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ أَشَارَ ابْنُ دَاوُدَ
الْعُظْفَانِيُّ فِي قَوْلِهِ بِمَدْحِ عَدِيِّ بَنِي حَاتِمٍ :

أَبُوكَ أَبُو سَفَانَةَ الْخَيْرِ لَمْ يَزَلْ لَدُنْ شَبٍّ حَتَّى مَاتَ فِي الْخَيْرِ رَاغِبًا
بِهِ تَضْرِبُ الْأَمْثَالَ فِي الشَّعْرِ مَيْتًا وَكَانَ لَهُ إِذْ ذَاكَ حَيًّا مُصَاحِبًا
قَرَى قَبْرَهُ الْأَضْيَافَ إِذْ نَزَلُوا بِهِ وَلَمْ يَقْرِ قَبْرَهُ قَبْلَهُ الدَّهْرُ رَاكِبًا
وَلِحَاتِمِ الطَّائِي شَعْرٌ كَثِيرٌ وَهُوَ مِنَ الْبَلَاغَةِ بِمَكَانٍ وَالْمَذْكُورُ فِي دِيْوَانِهِ بَعْضُ مَنْهُ ،
وَمِنْ شَعْرِهِ يُخَاطَبُ امْرَأَتَهُ مَآوِيَةَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ^(٣)
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمَسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي^(٤)
أَخًا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذْمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي^(٥)
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمَةِ الْعَبْدِ^(٦)

(١) عَتِمَتِ الْإِبِلُ وَاعْتِمَتِ وَاسْتَعْتَمَتِ إِذَا حَلَبَتْ عِشَاءً وَهُوَ مِنَ الْإِبْطَاءِ
وَالْتَأَخَّرِ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَدَلِيُّ :

فِيهَا ضَوْيٌ قَدْ رَدَّ مِنْ اعْتَامِهَا

(٢) كَاسُ الْبَعِيرِ : مَشَى عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ وَهُوَ مَعْرُوبٌ .
(٣) ابْنَةُ مَالِكٍ هِيَ مَآوِيَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ زَوْجَةُ حَاتِمِ الطَّائِي وَالْمُرَادُ بِذِي
الْبُرْدَيْنِ عَامِرُ بْنُ أَحِيْمَرَ بْنِ بَهْدَلَةَ أَعْطَاهُ الْمُنْذِرُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ بُرْدَيْنِ حِينَ
سَأَلَهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ فَوَجَدَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْعَرَبِ وَاشْجَعَهُمْ كَمَا فَصَّلَ فِي الْأَصْلِ
وَالْوَرْدُ مِنَ الْخَيْلِ بَيْنَ الْكَمِيتِ وَالْأَشْقَرِ . (٤) الْأَكِيلُ مِنْ يَوْأَكِلُكَ .
(٥) الطَّارِقُ : الَّذِي يَأْتِي لَيْلًا . (٦) ثَاوِيًا : مُقِيمًا .

عنى بذى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . وكان من حديث البردين حين لقب به أن الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء . وهو المنذر ابن امرئ القيس وماء السماء ، قيل : أمه نسب إليها لشرفها ، وقيل لقبت بماء السماء لصفاء نسبها ويقال لنقاء لونها ، ويراد أنها كماء السماء لم يحتمل كدورة ، وأخرج المنذر بردين يوماً يبلو الوفود . وقال ليقم أعز العرب قبيلةً فليأخذها فقام عامر بن أحيمر فأخذها واثنزr بأحدها وارتدى بالآخر ، فقال له المنذر أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : العز والعدد فى معد ، ثم فى نزاري ، ثم فى مُصَر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى عوف ، ثم فى بهدلة ، فن أنكر هذا فلينافرنى فسكت الناس ، فقال المنذر : هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى أهل بيتك وفى نفسك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وخال عشرة وعم عشرة ، وأما أنا فى نفسى فشاهد العز شاهدى ، ثم وضع قدمه على الأرض فقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل فلم يقم إليه أحد من الحاضرين فغاز بالبردين . ومن شعر حاتم أيضاً قوله :

وعاذلة قامت على تلومنى كأنى إذا أعطيتُ مالى أضيئها
أعاذلُ إن الجودَ ليس يمهلكى ولا تُخلد النفس الشحيحة لؤمها^(١)
وتذكرُ أخلاق الفتى وعظاُمه مُغبيةٌ فى اللحدِ بالِ رميمها^(٢)
ومن يتدع مالى من خيم نفسه يدعُه ويغلبُه على النفس خيمها^(٣)

ومن ذلك قوله أيضاً :

أكف يدي عن أن ينال التماسها أكف صحابى حين حاجتنا معا^(٤)
أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا^(٥)

(١) أعاذل مرخم عاذلة . (٢) الرميم : العظم البالى . (٣) الخيم : الطبيعة والخلق . (٤) أكف يدي أى أقبضها ، وقوله حاجتنا معا أى كلنا جائع فحاجته الى الطعام كحاجة صاحبه . (٥) الهضم : الضامر ، والكشح : ما بين الخصرة الى الضلع ، والمضطمر المهزول ، وتضلع الرجل اذا امتلأ من الزاد

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أقرعاً^(١)
وإنك مهما تغط بطنك سؤاله وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا^(٢)
وقال أيضاً

أما والذي لا يعلم السرّ غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم
قد كنت أختار القرى طاوى الحشا محافظةً من أن يقال : لئيم
وإني لأستحي عيني وبينها وبين في داجي الظلام بهم^(٣)
وقال أيضاً

ولما رأيتُ الناس هَرَّتْ كلابهم ضربتُ بسيفي ساقَ أفي نخرتُ
وقلتُ لأصباء صغار ونسوةٍ بشباء من ليل الثمانين قرّتُ :
عليكم من الشّطين كل وريّة إذا النار مست جانبيها ارمعلتُ^(٤)
ولا ينزل المرء الكريم عياله وأضيافه ماساق مالا بضرت
وقال أيضاً

لا تستري قدرى إذا ما طبختها على إذا ما تطبخين حرام
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي يجزلى إذا أوقدت لا يضرام^(٥)
وقال أيضاً

وقائلة أهلك بالجوّد مالنا ونفسك حتى ضرّ نفسك جوّدها
قلّت : دعيني إنما تلك عادتي لكل كريم عادةً يستعيدها
وهو القائل لغلامه يسار ، وكان إذا اشتد البرد وكلب الشتاء^(٦) أمر غلامه

(١) أراد بالاقرع الخالي من الطعام والمعنى انى لاستحيى ممن يجالسنى على الطعام ان يرى مايلينى من المائدة خاليا . (٢) السؤل المسؤل واراد به ما يشتهي والمعنى ان الشخص اذا اعطى بطنه وفرجه ما يشتهي واتبع هواه بقضاء ما تريته له نفسه من شهواتها اصابه من الناس منتهى الذم والشتيم ولقد صدق . (٣) بهيم اى شديد الظلمة لا وضع فيه . (٤) الشط جانب السنام او نصفه ، والورية القطعة من الشحم السمين وارمعل الشواء سال دسّمه . (٥) اليفاع ما ارتفع من الارض ، والجزل الحطب اليابس او الغليظ العظيم منه والضرام ككتاب دقاق الحطب او ما ضعف ولان او ما لا جمر له او ما اشتعل من الحطب . (٦) كلب الشتاء : اى اشتد .

فأوقد ناراً في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضلّ الطريق ليلاً فيصمد نحوه^(١) :

أوقد فإن الليل ليلٌ قرٌ والريح يا واعدٌ ريح صِر^(٢)

علّ برى نارك من يمرُّ إن جلبت ضعيفاً فأنت حر^(٣)

وقال أيضاً

أماوى قد طال التجنبُ والهجر وقد عذرنا في طلابكم المذر^(٤)

أماوى إن المالَ غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

أماوى إما مانع فبين وإما عطاء لا يُنهيه الزجر^(٥)

أماوى إني لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يوماً حل في مالى النزر^(٦)

أماوى لا يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(٧)

أماوى إن يُصبح صدائى بقفرةٍ من الأرض لا مالا لدى ولا خمر^(٨)

ترى أن ما أنفقت لم يكُ ضررى وإن يدى مما بَحَلت به صفر^(٩)

إذا أنا دلّأتى الذين يلونى بمظلمة لجّ جوانبها غير

وراحوا سراعاً ينفضون أكفهم يقولون قد أدمى أظافرنا الحفرُ

أماوى إن المالَ مالٌ بذلته فأوّلُه شكرٌ وآخرُه ذكرُ

وقد يعلم الأقوامُ لو أن حاتماً أراد ثراء المالِ كان له وفرُ

فإني وجدى ربّ واحد أمة أخذت فلاقت عليه ولا أسرُ

(١) الصمد : القصد . (٢) ليل قر : بارد ، وريح صر وصرصر : شديدة الصوت أو البرد . (٣) عل بلام مشددة مفتوحة أو مكسورة لغة في اهل وهى أصلها عند من زعم زيادة اللام ، قال الشاعر :

لا تهين الفقير عليك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
وهما بمنزلة عسى في المعنى وبمنزلة ان المشددة في العمل .

(٤) الهمزة للنداء وأماوى منادى مرخم ماوية وهى زوجته ، وقوله وقد عذرنا الخ عذرته فيما صنع رفعت عنه اللوم فهو معذور أى غير ملوم .

(٥) نههه : كفه ومنعه . (٦) حل في مالنا النزر : أى القلة .

(٧) الحشرجة أو له حاء مهملة وآخره جيم الفرغرة عند الموت وتردد النفس

(٨) الصدى ما يبقى من الميت فى قبره ، والقفرة الأرض الخالية من السكان

والنبات . . (٩) صفر وزان حمل أى خال من المتاع وهو صفر الولدين ليس

ولا أظلم ابن العمّ إن كان إخوتي شهوداً وقد أودى بإخوته الدهرُ
غنيّنا زماناً بالتقصّد والغنى وكل سقانا وهو كاسبنا الدهر^(١)
فما زادنا مأوى على ذى قرابةٍ عنا ولا أزرى بأحلامنا الفقرُ
وله قصيدة طويلة تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق وهى مسطورة فى (الحماسة
البصرية) وهى هذه :

وعاذلتين هبتا بعد هجمةٍ	تلومان متلافا مفيداً ملوماً ^(٢)
تلومان لما غورَ النجمُ ضلةً	فتى لا يرى الإنفاق فى الحمد مغرماً ^(٣)
فقلت وقد طال العتابُ عليهما	وأوعدتان أن تبينا وتصيرما
ألا لا تلومانى على ما تقدما	كنى بصروف الدهر للمرء محكما
فإنكما لا ما مضى تُدركانهُ	ولستُ على ما فاتنى متندماً
فنفسك أكرمها فإنك إن تهنّ	عليك فلن تلقى مدى الدهر مكرما
أهن للذى تهوى التلاد فإنه	إذا متّ كان المال نهباً مُقسماً
ولا تشقين فيه فيسعد وارث	به حين تغشى أغبر الجوف مظلاً ^(٤)
يقسمه غنماً ويشرى كرامةً	وقد صرت فى خط من الأرض أعظماً
قليلا به ما يحمدنك وارث	إذا نال مما كنت تجمع مغنماً
تحلم عن الأدين واستبق ودهم	ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً ^(٥)
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر	وذى أود قومته فتقوماً ^(٦)
وأغفر عوراء الكريم ادخاره	وأعرض عن شتم اللئيم تكرماً
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً	ولا أستم ابن العمّ إن كان مفحماً

(١) غنى كفرح عاش وغنى بالمكان : أقام به . (٢) هبتا أى استيقظتا :
وهذا البيت من شواهد معنى اللبيب . (٣) غور النجم أى غابت الشربا :
وقوله ضلة هو قيد فى اللوم لانه ضلة اذا لم يوفق للرشاد فى لومه ، والمغرم
بالفتح الغرامة . (٤) أغبر الجوف : القبر ومثله خط من الارض .
(٥) تحلماً أى تتحلم أى تتكلف . (٦) قوله فلم تضر من ضار يضير ضد

ولا زادنى عنه منأى تباعدا وإن كان ذا نقص من المال مصرما
وليل بهم قد تسربت هوله إذا الليل بالنكس الدنى تجمها (١)
ولن يكسب الصعلوك حمداً ولا غنى إذا هو لم يركب من الأمر معظما (٢)
لما الله صعلوكا مناه وهمه من العيش أن يلقى كبوسا ومغتما (٣)
ينام الضحى حتى إذا نومه استوى تنبه مثلوج الفؤاد مورما (٤)
مقيماً مع المثرين ليس بيارح إذا نال جدوى من طعام وعجما (٥)
ولله صعلوك يساور همه ويمضى على الأحداث والدهر مقدما (٦)
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ولا شبعة إن نالها عد مغما (٧)
يرى الخمص تعذيباً ولم يلق شبعة يبت قلبه من قلة الهم مبهما
إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت تيمم كبراهن ثمت صمما (٨)
ويمشى إذا ما كان يوم كرهة صدور العوالى فهو غتضب دما
يرى رحمه ونبله ومجنه وذا شطب عصب الضرية تحدما
وأحناء سرج قار ولجامه عتادفتى هيجا وطرفاً مسوما

- (١) النكس بكسر النون الردىء وأصله السهم الذى كسر فوقه ، وتجهم :
كلح وجهه . (٢) الصعلوك بالضم الفقير . (٣) لحا الله : قبح الله .
(٤) مثلوج الفؤاد من المجاز ، تلج قلبه : بلد وذهب والمثلوج الفؤاد البليد ،
قال أبو خراش الهدلى :
ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجا أضاع الشباب فى الريلة والخفض
(٥) المجثم بفتح الميم وكسر المثلثة مكان الجثوم وهو بروك الطائر .
(٦) قوله ولله صعلوك تعجب ومدح يقال عند استغراب الشيء واستعظامه
أى هو صنع الله ومختاره اذ له القدرة على خلق مثله ، ويساور : يواكب ،
وهمه أى عزمه مفعول ، وقوله : ويمضى على الأحداث أى لا يشغله الدهر
وحادثه فى حالة اقدمه على ما يريد . (٧) قوله فتى طلبات اشار الى علو
همته ، والخصم بالفتح الجوع . والترحة ضد الفرحة ، والشبعة المرة من
الشبع . (٨) ثمت حرف يعطف الجمل ورمحه وما عطف عليه مفعول
أول ليرى . (٩) وعتاد هو المفعول الثانى وذا شطب هو السيف جمع شطبة
وهى الطريقة فى متن السيف والمجن بالكسر الترس والدركة والعصب القاطع
والضريبة موضع الضرب والمخدم بكسر اوله وبالمعجمتين السيف القاطع
وباعجام الثانى فقط من الحذم وهو القطع السريع .

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مُذَمَّماً^(١)
وقد أعرضت عن شرح ما أوردته من شعره فإن الغالب منه مشروح في شواهد
كتب العلم ، ومنهم :

كعب بن مامة الأيادي

وكان ممن يضرب بهم المثل أيضاً في الجود ، ومن حديثه أنه خرج في ركب
فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهر ناجر^(٢) فضلوا فتصافنوا ماءم وهو أن يطرح
في القعب^(٣) حصاة ، ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة وتلك الحصاة هي
المقلة^(٤) فيشرب كل إنسان بقدر واحد فقعدهوا للشرب فلما دار القعب فالتهي إلى
كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فأثره بمائه ، وقال للساق : اسق أخاك النمرى
فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر
فتصافنوا بقية ماءهم فنظر إليه النمرى كنظرة أمسه . فقال كعب كقوله أمس وارتحل
القوم . وقالوا يا كعب ارتحل فلم تكن به قوة للنهوض . وكانوا قد قربوا من
الماء فقيل له رد كعب إنك ورّاد ، فمجز عن الجواب فلما يكسوا منه
خيولوا عليه بثوب ينعمه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ففاض . فقال أبوه
مامة يرثيه :

= الاحناء جمع حنو بالكسر يطلق على ما فيه اعوجاج من القتب والسرير
وغيرهما ، والقائس بالقاف وبالمثناة الفوقية الواقى والحافظ لا يعقر ظهر الفرس ،
وعتاد بالفتح اعدة ، وطرفا معطوف على زمحه الذي هو أول مفعول يرى
وهو الكريم من الخيل ، والمسوم المعلم تشهير لعفته ولكرمه من السومة وهي
العلامة او المسيب في الرعى ولا يركب الا في الحروب .

(١) الحسنى مصدر كالبحرى وقيل اسم الاحسان والمعنى سرت بلسل
فقير يوائب همته ويمضي مقدما على الدهر والحال انه فتى طلبات يتجدد
طلبه كل ساعة والدهر يسعف بمطالوبه بجده ورشده ولا يرى الجوع شدة
ولا الشبع غنيمة لعلو همته فان يهلك فله ثناء حسن وان يعيش يعيش ممدحا
معززا . ٢٠ ، هو رجب او صفر وكل شهر من شهور الصيف ، كذا في القاموس
(٣) اناء ضخيم كالقصعة والجمع قعاب واقعب . (٤) المقلة بفتح الميم
ويقال مقلها اذا القاها في الاناء وسب عليها الماء .

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ خمرأ بماء إذا ناجودها برداً^(١)
 من ابن مامة كعب ثم عى به زو المنية إلا حرة وقدا
 أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراذ فإ وردا
 زو المنية قدرها . وعى به أى عيت الأحداث إلا أن تقتله عطشاً . وقال الأصمى :
 زو المنية ما يحدث من هلاك المنية . ويقال الزو القدر . ويقال قضى علينا وقدر وحـم
 وزى . وهذا أكثر من كل ما أثنى لفيره . وله يقول حبيب :

يجود بالنفس إذ ضنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
 وله ولحاتم الطائي يقول القائل :

كعب وحاتم اللذان تقسما خِطَطَ العلى من طارفٍ وتليد^(٢)
 هذا الذى خلف السحاب ومات ذا فى الجهد ميتة خضرم صنديد^(٣)
 إن لا يكن فيها الشهيد فقومه لا يسمحون به بألف شهيد
 ومنهم :

أوس بن هارثة بن لاسم الطائي

كان أوس هذا ممن يضرب به المثل فى الكرم والجود يقال له ابن سمعى .
 قال جرير :

وما كعب بن مامة وابن سمعى بأجود منك يا عمر الجواد^(٤)

(١) الناجود أول ما يخرج من الخمر إذا بزل عنها السدن ، قاله الأصمعى واحتج يقول الأختل :

كانما المسك نهى بين أرجلنا مما تضوع من ناجودها الجارى
 وقيل الخمر الجيد وهو مذكر والناجود أيضاً أناؤها وعن الليث الناجود
 هو الراووق نفسه . وفى حديث الشعبي : وبين أيديهم ناجود خمر أى
 راووق واحتج على الأصمعى بقول عاقمة :

ظلت ترقرق فى الناجود يصفقها وليد اعجم بالكتان ملشوم
 يصفقها يحولها من أناء الى أناء لتصفو . (٢) الطارف : المال المستحدث
 وهو خلاف التليد . (٣) الخضرم : الكثير من كل شىء والواسع والجواد
 المعطاء والسيد الحمول ، والصنديد : السيد الشجاع أو الحليم أو الجواد أو
 الشريف . (٤) هذا البيت من قصيدته له مدح فيها عمر ابن عبدالعزيز وأولها :
 أبت غيناك بالحسن الرقادا وأنكرت الأصادق والبلاد
 الحسن نقا فى بلاد بنى ضبة سمي بالحسن لحسن شجره .

وكان بشر بن أبي خازم الأسدي أولا يهجو أوساً وكان أوس نذر لئن ظفر به ليخرفنّه فلما تمكن أطلقه وأحسن إليه فمدحه بعدة قصائد ، وسبب هجاء بشر لأوس ، هو ما حكاه أبو العباس المبرد في الكامل قال : أوس بن حارثة ابن لام الطائي ، كان سيداً مقدماً وفدهو وحاتم بن عبد الله الطائي على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوساً فقال : له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيّ اللعن^(١) لو ملكني حاتم وولدي ولحمي لوهبنا في غداة واحدة ثم دعا حاتماً أنت أفضل أم أوس فقال : أبيّ اللعن إنما ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل مني . وكان النعمان بن المنذر دعا بحلّة وعنده وفود العرب من كل حيّ فقال : احضروا في غدٍ فإني ملّيس هذه الحلّة أكرمكم فحضر القوم جميعاً إلا أوساً فقيل له : لم تتخلف ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجل الأشياء أن لا أكون حاضراً وإن كنت المراد فسأطلب ويعرف مكاني ، فلما جلس النعمان لم ير أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضر آمناً مما خفت فحضر فألبسه الحلّة ففسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة : اهجهُ ولك ثلاثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهجورجلا لا أرى في بيتي أنا ولا مالا إلا من عنده ، ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم ابن أبي خازم أحد بني أسد بن خزيمه أنا أهجوه لكم فأخذ الإبل وفعل فأغار أوس عليها فاكسحها فحمل لا يستجير حياً إلا قال قد أجرتك إلا من أوس . وكان في هجائه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال : قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي . قالت : أو تطيعني ؟ قال نعم . قالت : أرى أن ترد عليه

اعمر لك ان نفع سعاد عني لمصروف ونفعي عن سعادا

وهي طويلة لا يسعنا إيرادها في هذا المقام .

وهذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على جواز نصب المنادى الموصوف بغير ابن عند الكوفيين وأوله المانعون بالقطع أي انه مفعول لفعل محذوف . (١) كان العرب في الجاهلية يخصون ملوكهم عند التحية بقولهم أبيّ اللعن أي أبيّ ان تأتي من الاخلاق المذمومة ما تلعن عليه وكانت هذه تحية ملوك لخم وجدام .

ماله وتمغفو عنه وتحبوه وافعل مثل ذلك فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه فخرج فقال :
إن أُمى سمدي التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله
ألا مدحتُ حتى أموتَ أحداً غيرك ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لام ليقتضي حاجتي فيمن قضاها
فما وطىء الثرى مثل ابن سمدي ولا لبس النمال ولا احتذاها

هذا ما أورده البرد ولم يذكر كيف تمكن منه أوس . وقد حكاه معمر بن
المنثري في شرحه قال : إن بشر بن أبي خازم غزا طيئاً ثم بنى نهبان فخرج فأتى
جراحه وهو يومئذ بحمي أحد أصحابه وإنما كان في بني والبة فأسرته بنو نهبان
فخبؤوه كراهية أن يبلغ أوساً فسمع أوس أنه عندهم فقال : والله لا يكون بيني
وبينهم خيراً أبداً أو يدفعوه ثم أعطاهم مائتي بعير وأخذهم منهم ، فجاء به وأوقد له
ناراً ليحرقه ، وقال لبعض بني أسد لم تكن نار ولكنه أدخله في جلد بعير حين
سلخه ويقال جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه المصفور . فبلغ
ذلك سمدي بنت حصين الطائية وهي سيدة فخرجت إليه فقالت : ما تريد أن تصنع ؟
فقال أحرق هذا الذي شتمنا فقالت : قبح الله قوما يسودونك أو يقتبسون من
رأيتك . والله لكأنما أخذت به أما تعلم منزلته في قومه ؟ خل سبيله وأكرمه فإنه
لا يغسل عنك ما صنع غيره فخبسه عنده وداوى جرحه وكتبه ما يريد أن يصنع
به . وقال ابعت إلى قومك يقدونك فإني قد اشتريتك بمائتي بعير فأرسل بشر إلى
قومه فتهيئوا له الفداء وبأدرهم أوس فأحسن كسوته وحمله على نجييه الذي كان
يركبه وسار معه حتى إذا بلغ أدنى أرض غطفان جعل بشر يمدح أوساً وأهل بيته
بمكان كل قصيدة هجاء بها قصيدة ، فهجاءهم بخمس ، ومدحهم بخمس ، ومنهم .

هرم بن سنان

وكان من أشهر أجياد زمانه وأرغبهم في الإحسان والمعروف وهو ممن يضرب
به المثل في ذلك . وهو صاحب زهير الذي يقول فيه :

متى تلاق على علّاته هَرَمًا تلق الساحة في خلق وفي خلق
وكان سنان أبو هَرَم سِيدَ غَطَفَان وماتت أمه وهي حامل به ، وقالت : إذا
أنا مُتُ فشقوا بطنى ، فإن سيد غَطَفَان فيه فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه
سنانا ، وفي بنى سنان يقول زهير :

قوم أبوم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جنّ إذا فزعوا إنس إذا آمنوا مرزؤن بهاليل إذا قصدوا^(١)
محسدون على ما كان من نعم لا يزرع الله منهم ماله حسدوا
وقال زهير في هرم بن سنان

وأبيض فيّاض يده غمامة على مُعْتَفِيهِ ما تُغِبّ فواضله^(٢)
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله^(٣)
أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المال نائله^(٤)
وقال زهير أيضاً في هرم بن سنان وأهل بيته :

إليك أعمالها فتلا مرافقها شهرين يجهض من أرحامها الملق^(٥)
حتى دفن إلى حلو شمائله كالفيث تثبت في آثاره الورق
من أهل بيت يرى ذوالعرش فضلهم يُبْنَى لهم في جنان الخلد مرتق^(٦)

(١) بهاليل جمع بهلول كسر سور الضحاك والسيد الجامع لكل خير .
(٢) قوله وأبيض يريد رجلاً نقياً ، والفياض : الكثير العطاء وأصله من
الفيض ، وقوله يده غمامة أى تمطر يده بالاعطاء كما تمطر الغمامة ،
والمعتفون : المطالبون ما عنده ، وقوله ما تُغِبّ فواضله أى هى دائمة لا تنقطع
ولا تأتى فى الغب ويقال غبه وأغبه إذا أتاه غبا ، وفواضله : عطاياه لأنها تفضل
كل عطاء . (٣) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر يقول هو مسرور بمن سأل
مستبشر به كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى ولم يرد أنه حريص على
الاخذ مستبشر به ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة النفس
الاخذ وكرامتها الاعطاء . (٤) قوله أخو ثقة أى يوثق بما عنده من الخير
لما علم من جوده وكرمه ، والنائل : العطاء ، يقول لا يتلف ماله بشرب الخمر
ولكن يتلفه بالعطاء . (٥) أعمالها أى الناقة يقال عملت الناقة إذا حثتها
وسقتها ، وانقتل بالتحريك اندماج فى مرفق الناقة ، والنعت مرفق أفتل بين
القتل وهى فتلاء وقوم قتل الأيدى ، وأجهضت الناقة ولدها أسقطته ناقص
الخلق ، والعلق جمع عاقلة الدم الجامد . (٦) المرتق : المتكا .

الطمعين إذا ما أَرَمَتْهُ أَرَمَتْ والطيبين ثياباً كلها عرقوا^(١)
 كأن آخرهم في الجود أولهم إن الشامل والأخلاق تتفق
 إن قامروا أقرروا أو فاخروا نفروا أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا^(٢)
 تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا كما تنفس عند الباعة الورق
 قال الميداني في مجمع أمثاله عند قولهم « أجود من هرم » : هو هرم بن سنان
 ابن أبي حارثة المرمي وقد سار بذكر جوده المثل ، قال زهير بن أبي سلمى فيه :
 إن البخيل مأومٌ حيث كان ولكن الجواد على علته هرم^(٣)
 هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم^(٤)
 ووفدت ابنة هرم على عمر ، فقال لها : ما الذي أعطى أبوك زهيراً حتى
 قابله من المديح بما قد سار فيه ؟ فقالت : أعطاه خيلاً تنضى^(٥) ، وإبلاً تنوى^(٦)
 وثياباً تبلى ، ومالا يفنى . فقال عمر : لكن ما أعطاكم زهير لا يلبس الدهر ،
 ولا يفنيه العصر ؟ ويروى أنها قالت : ما أعطى هرم زهيراً قد نسي . قال لكن
 ما أعطاكم زهيراً لا ينسى . ومنهم :

عبد القم بن حبيب الغنبري

وكان يضرب به المثل في الجود . فيقولون أقرى من آكل الخبز وهو أحد

(١) أزم الزمان : اشتد بالخط ، والأزمة اسم منه (٢) ناضلت عنه :
 حاميت ، وناضلت راميته فنضلت نضلاً غلبته في الرمي (٣) قوله على علته
 أي على ما ينوبه من قلة ذات يد وعموز (٤) الجواد : الكريم المكث في العطاء ،
 والنائل العطية ، وعفوا أي من غير طلب يتقدمه أو سهلاً بلا مطل ولا تعب
 وهذا البيت من شواهد الصرف يستشهد به على أن أصل يظلم يظلم قلبت
 التاء طاء لجاورتها الطاء فاذا ادغم فمنهم من يقلب الطاء ظاء ثم يدغم ومنهم
 من يدغم الطاء في الطاء على القياس فيصير يظلم وقد روى البيت بالوجهين
 وروى بالآظهار أيضاً قال ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) : قد سبق زهير
 إلى هذا المعنى ، لا ينازعه فيه أحد غير كثير فإنه قال يمدح عبد العزيز بن
 مروان :

رايت ابن مالى يعترى صلب ماله مسائل شتى من غنى ومصرم
 مسائل أن توجد لديه تجد بها يداه وان يظلم بها يتظلم
 والمصرم القليل المال (٥) أي تبلى (٦) تهلك

بنى سمرة سمي آكل الخبز . لأنه كان لا يأكل التمر ولا يرغب في اللبن . وكان سيد بني العنبر في زمانه وهم إذا اقتضروا قالوا منا آكل الخبز ، ومنا مجير الطير . فأما مجير الطير ، فهو ثور بن شحمة العنبري . وأما السبب في تلقيبهم عبد الله ابن حبيب بآكل الخبز فلأن الخبز نفسه عندهم ممدوح ، وذكر أبو عبيدة أن هُوَذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الحنفي دخل على كِسْرَى ابْرَوَيْزَ ، فقال له : أي أولادك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ . قال : ما غذاؤك يبلدك ؟ قال : الخبز . فقال كسرى : هذا عقل الخبز لعقل اللبن والتمر . فصار الخبز عندهم ممدوحا كما صار ما يناسبه بعض المناسبة ممدوحا وهو الفالوذج لأنه أشرف طعام وقع إليهم ولم يطعم الناس هذا الطعام أحد من العرب إلا عبد الله ابن جُدعان فدحه أمية بن الصلت بذلك فقال :

إلى رُدْحٍ من الشيزى مِلَاءٌ لُبَابَ الْبُرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ^(١)

ولهم الثريد وهو في أشرفهم عام ، وغلب عليه هاشم حين هشم الخبز لقومه فدح به في قول الشاعر :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتُونَ عِجَافٌ^(٢)

قال حمزة : فهذا المثل مع ما يتلوه حكاة عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه الموسوم بكتاب (أطعمة العرب) . ومنهم :

عبد الله بن جرعاه التيمي

وقد كان من مشاهير الأجواد . ومن سارت بجوده الأمثال في الأقطار والبلاد ، وكان يسمى بحاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب ، وقالوا في المثل : « أقرى من حاسي الذهب » وكان من قريش . وفيه قال أبو الصلت الثقي :

له دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَلٌ^(٣) وَآخَرُ فَوْقَ دَارِهِ يَنَادِي

(١) يأتي شرحه في الأصل (٢) عمرو والعلاء اسم هاشم بن عبد مناف ، والمسنتون الذين أصابهم السنة المجذبة الشديدة ، والعجاف جمع أعجف وهو الذي ذهب سمته والبيت لابن الزبيري

إلى رُدُح من الشيزى ملاء لُبَاب البر يُنَبِّك بالشهاد
الردحة ستره تكون فى مؤخر البيت أو قطعة تزد فيه والرداح الحفيفة العظيمة .
وروى الجوهري البيت هكذا إلى رُدُح من الشيزى عليها ففيه عليها بدل ملاء
والشيز والشيزى خشب أسود يتخذ منه القِصاع ، وقوله لُبَاب البر : أى من
لباب البر . وأخبارُ عبد الله بن جدعان فى السخاء والكرم كثيرة ، وقد ذكر
طريقاً منها الزبير بن بكار فى كتابه الذى ألفه فى فضائل قريش . ومن خبره
أنه كان فى ابتداء أمره صملوكاً^(١) تَرَبَّ اليَدَيْنِ وكان مع ذلك شريراً فاتكا
لا يزال يجنى الجنائيات فيمقل^(٢) عنه أبوه وقومه حتى أبغضه عشيرته ونفاه أبوه
وحلف لا يُؤْوِيهِ أبداً فخرج فى شِعَابِ مَكَّةَ حائراً ثائراً يتمنى الموت أن ينزل به
فرأى شقاً فى جبل فظن أن به حية فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله
فيستريح فلم يرَ شيئاً فدخل فإذا به ثعبان عظيم له عينان تَقْدَانِ كالسراجين
فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب^(٣) عنه مستديراً بدارة عند بيت ثم خطا
خطوة أخرى فصفر به الثعبان فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه فوقف
ينظر إليه يفكر فى أمره فوقع فى نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه فإذا هو مصنوع
من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جث طوال
على سرُر لم يرَ مثلهم طولا وعظماً وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا هم
رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحارث بن مُضاض صاحب العذبة الطويلة
وإذا عليهم ثياب من وشى لا يَمَسُّ منها شيء إلا انتثر كالهباء^(٤) من طول الزمان
مكتوب فى اللوح عظام . قال ابن هشام كان اللوح من رخام^(٥) وكان فيه أنا
نفيلة بن عبد المदान بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان ابن نبي الله
هود عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام وقطعت غَوَرَ الأرض ظاهرها

(١) الصملوك بالضم الفقير ، والترب الذى لا مال له (٢) عقل عنه أدى
جنائته (٣) فانساب أى مشى مسرعاً (٤) الهباء بالمد دقاق التراب والشيء
المنبت الذى يرى فى ضوء الشمس وليس له مس ولا يرى فى الظل (٥) حجر
معروف الواحدة رخامة

وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجيني من الموت . وتحته مكتوب :

قد قطعتُ البلادَ في طلبِ الثروة والمجد قالصَ الأثواب^(١)
وسريت البلادَ قفراً لقفري بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادى بسهام من المنايا صيابر
فانقضت مدتي واقصر جهلي واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع ردقي الضرع ما قرى في الحلاب^(٢)

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والبرجد فأخذ منه مأخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز : ويطعم الناس ويفعل المعروف . وفي القاموس وربما كان يحضر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طعامه . وكانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب لعظمها ، بل كانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبي ففرق ومات . وفي غريب الحديث لابن قتيبة : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة حمى يعنى في الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء وهو أن عمياً رجل من عدوان ، وقيل : من إباد ، وكان قفيه العرب في الجاهلية فقدم في قومه معتمراً أو حاجاً فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في وسط الظهيرة من آتى مكة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عترتين فصكوا

(١) قوله قالص الأثواب أى قصير الثياب يقال قلص الثوب بعد الغسل أى انزوى (٢) قوله ريت أصله رأيت فخففت بحذف الهمزة ، والحلاب بالكسر اناء يحاب فيه ، ويروى في العلاب جمع علبة والعلبة محاب من جلد ، والضرع لدات الظلف كاللدى المرأة والجمع ضروع كفلس وفلوس ، وقرى : اجتمع

الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة وعمى تصغير أعمى على الترخيم فسميت
الظهيرة صكة عمى .

وعبد الله بن جُدعان تيمى يكنى أبا زهير ، وهو ابن عم عائشة رضى الله
تعالى عنها ، ولذلك قالت : يارسول الله . إن ابن جُدعان كان يطعم الطعام ويقرى
الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم :
لا . إنه لم يقل يوماً رب اغفرلى خطيئتي يوم الدين كذا قاله السهيلي فى الروض
الأنف^(١) . وفى كتاب رى العاطش وأنس الواحش لأحمد بن عمار : إن ابن جُدعان
ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان بها مغرى . وذلك أنه سكر ليلة
فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك
حين صحا فخلف أن لا يشربها أبداً . فلما كبر وهم أراد بنوتيم أن يمنعه من
تبذير ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمه خفيفة
ثم يقول له قم فأنشد لطمتك واطلب ديتيها فإذا فعل ذلك أعطته بنوتيم من مال
ابن جُدعان . ومنهم :

قيس بن سعد

وهو من أسخياء العرب وأجوادهم المذكورين . قيل له يوماً هل رأيت قط
أسخى منك ؟ قال : نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضرها زوجها فقالت أنه نزلت بك
ضيفان فجاء بناقاة فنحرتها ، وقال شأنكم فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرتها ، وقال
شأنكم فقلت ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير ، فقال : إني لا أطعم

(١) هذا الكتاب شرح على السيرة الهاشمية وقد طبع بمصر سنة ١٣٣٢ ،
وروضة أنف كعشق لم ترع ، قال الشاعر :

أو روضة أنف تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
وكذلك كأس أنف لم تشرب

أضياف الغاب^(١) فأقنا عنده أياماً والسماء تُمطر وهو يفعل كذلك . فلما أردنا الرحيل وضعنا في بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة : اعتذري لنا منه ومضيئنا فلما مَتَّعَ النهار^(٢) ، إذا رجل يصبح خلقنا قفوا أيها الركب اللثام أعطيتمونا ثمن القرى^(٣) . ثم إنه لحقنا وقال لتأخذنها وإلا طعنكم برمحى فأخذناها وانصرف . ومنهم :

عبدة الكلية

وهي امرأة من العرب كانت مذكورة بالسخاء . فقد روى أبو بكر بن دريد بسنده إلى أبي عبيدة . قال مرّ رجل من أهل الشام بامرأة من كلب . فقال هل من لبن يباع فقالت : إنك للثيم أو قريب عهد بقوم لثام ، هل يبيع الرسل^(٤) كريم ، أو يمنعه إلا لثيم . إنا لنَدْعُ الكوم^(٥) لأضيافنا تكوس^(٦) . إذا عكف الدهر الضروس . ونغلى اللحم غريضا^(٧) . ونهينه نضيجا^(٨) . ومنهم :

قتادة بن مسلمة الحنفي

كان هذا أيضاً من أسخياء العرب ومشاهيرهم في الكرم وبه يضرب المثل في الجود ، وكان يسمى غيث الضريك . وقالوا : هو « أقرى من غيث الضريك » وهو الفقير . ومنهم :

مطاعيم السرج

زعم ابن الأعرابي أنهم أربعة أحدهم عم أبي مخجن الثقفي ولم يسم الباقي .

(١) يقال غب الطعام والتمر يغب غبا وغبا وغبوا وغبوبة فهو غاب : بات ليلة فسد أو لم يفسد وخص بعضهم اللحم ، وقيل غب الطعام تغيرت رائحته ، قال جرير يهجو الأخطل :

والتغلبية حين غب غيبها تهوى مشافرها بشر مشافر
أراد بقوله غب غيبها ما انتن من لحوم ميتتها وخنازيرها (٢) أي ارتفع
(٣) الضيافة (٤) اللبن (٥) القطعة من الإبل (٦) يقال كاس البعر إذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب (٧) أي طريا (٨) يقال : نضج اللحم كسمع نضجا ونضجا ادري ، فهو نضيح وناضج

قال أبو الندى هم كِنَانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلِ الثَّقَفِيِّ عَمِ أَبِي مِخْجَنٍ . وَلَبِيدُ بْنُ رِيعَةَ
وَبَوَاهُ كَانُوا إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا أَطْعَمُوا النَّاسَ وَخَصَّوْا الصَّبَا لِأَنَّهُ لَا تَهْبُ إِلَّا
فِي جَدْبٍ . قَالَتْ بِنْتُ لَبِيدِ بْنِ رِيعَةَ الْعَامِرِيُّ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ أَبِي عَقِيلٍ ذَكَرْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا
أَشْمَ الْأَنْفِ أَيْضَ عِبْشَمِيًّا أَعَانَ عَلَى مَرَوْتِهِ لَبِيدَا^(١)

وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِمُ الْأَمْثَالَ ، لَمَّا جُئِلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَخَاءِ الطَّبِيعِ وَكَرِيمِ
الْخِصَالِ . وَخَلَدُوا لَهُمُ الذِّكْرَ الْجَلِيلَ . وَالشَّعَاءَ الْجَزِيلَ . وَهُوَ أَحْسَنُ مَا يُدْخِرُ .
وَأَجَلَ مَا يُقْتَنَى وَيُؤْتَرُ . وَمِنْهُمْ :

أَزْوَادُ الرِّكْبِ

قَالَ ابْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ : كَانَ أَزْوَادُ الرِّكْبِ مِنْ قُرَيْشٍ ثَلَاثَةً ، مُسَافِرُ
ابْنِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ . الثَّانِي زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ
أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ . الثَّلَاثُ أَبُو أُمَيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ .
وَبِمَا قِيلَ لَهُمْ أَزْوَادُ الرِّكْبِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَافَرُوا لَمْ يَتَزَوَّدْ مَعَهُمْ أَحَدٌ وَلَمْ يَسْمَعْ
بِذَلِكَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ . وَكَانَ عِنْدَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ أَرْبَعُ عَوَاتِكَ عَاتِكَةُ
بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَهِيَ أُمُّ زَهِيرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ جَذَلٍ
الطَّلَعَانِ^(٢) ، وَهِيَ أُمُّ سَلْمَةَ وَالْمُهَاجِرِ . وَعَاتِكَةُ بِنْتُ عَتَبَةَ بْنِ رِيعَةَ . وَعَاتِكَةُ
بِنْتُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ بِنِ دَارِمِ التَّمِيمِيِّ انْتَهَى . وَبِهِمْ كَانَتْ قُرَيْشُ تَضْرِبُ
الْمَثَلَ . قَالَ الْيَدَائِيُّ عِنْدَ قَوْلِهِمْ أَقْرَى مِنْ زَادِ الرِّكْبِ : زَعَمَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ أَنَّ
هَذَا الْمَثَلَ مِنْ أَمْثَالِ قُرَيْشٍ ضَرْبُهُ لثَلَاثَةٍ مِنْ أَجْوَادِهِمْ وَعَبَدُ أَسْمَاءَ عَلَى الْوَجْهِ

(١) الشَّمَمُ ارْتِفَاعٌ فِي قِصْبَةِ الْأَنْفِ مَعَ اسْتَوَاءِ اعْلَاهُ ، وَقَوْلُهُ عِبْشَمِيًّا أَيْ
مَنْسُوبًا إِلَى عَبْدِ شَمْسٍ (٢) هُوَ عَلَقْمَةُ بْنُ فَرَّاسٍ مِنْ مُشَاهِيرِ الْعَرَبِ لَقِبَ
بِذَلِكَ لِجُودِهِ يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْعَالِمِ بِالْأَمْرِ الْقَائِمِ بِهِ الْمَثَابِيرُ عَلَيْهِ هُوَ جَدُّهُ

السابق . وأخبار هؤلاء كثيرة . وما ورد فيهم من شعر المديح أكثر والمقام لا يسع ذلك ، وكان أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج اخته طائفة بنت عبد المطلب فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سرور سحيم ، فقال أبو طالب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الأبيات يرثيه بها وهي :

ألا إن زادَ الركبَ غيرَ مدافعٍ يسرو سحيم غيبته المقابرُ
يسرو سحيم عارف ومناكرُ وفارس غارات خطيب ويسر^(١)
تنادوا بأن لاسيد الحى فيهم وقد فجح الحيان كعب وطامر
فكان إذا يأتى من الشام قافلاً بمقدمه تسمى إلينا البشائر^(٢)
فيصبح أهل الله بيضاً كأنما كستهم حبيراً ريدة ومعاقر^(٣)
ترى داره لا يبرح الدهر عندها مجمعة كؤم سمان وباقر^(٤)
إذا أكلت يوماً أتى الدهر مثلها زواحق زهم أو غاض بهازر^(٥)
ضروبٌ بتصل السيف سوق سمانها إذا عدمو زاداً فإنك عاقر^(٦)
والأى يكن لحم غريض فإنه تسكب على أفواههن الغرائر^(٧)

(١) سحيم بضم السين موضع في طريق الشام من مكة ، وسروه اعلاه وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة : مناكر اسم فاعل من ناكره أى قاتله ، ويسر اللاعب بقдах الميسر ، والميسر قمار العرب بالأزلام وهو مما يفتخر به عندهم كانوا يقامرون بها في أيام الغلاء والقحط ويفرق الغالب لحم الجوزر على الفقراء (٢) القافل : الراجع من السفر ، والبشائر جمع بشارة (٣) أراد بأهل الله قريشاً سموا بذلك لأنهم أرباب مكة ، والحبير بفتح الحاء المهملة ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن ، وريدة بفتح الراء وسكون المثناة التحتية بالدة من بلاد اليمن ، ومعاقر بفتح الميم وكسر الفاء هى من همدان إلى اليمن (٤) قوله مجمعة اسم فاعل من جمعمت الابل إذا صوتت ، والباقر اسم لجماعة البقر كالجمال اجماعة الابل (٥) زواحق جمع زاهقة وهى السمينة ، والزهم : الكثيرات الشحم جمع زهمة بفتح فكسر وكلاهما بالزاي المعجمة ، والمخاض : الحوامل من الابل واحدها خلفه من غير لفظها ، والبهازر جمع بهزرة وهى الناقة الجسيمة (٦) قوله ضروب أى هو ضروب ، وتصل السيف شفرته فذلك اضافة الى السيف وقد يسمى السيف كله نصلاً ، مدحه بأنه كان يعرقب الابل للضيغان عند عدم الأزواد وكانوا إذا ارادوا نحر الناقة ضربوا ساقها بالسيف فخرت ثم نحروها ، وقوله فاذا عدمو النخ الجملة الشرطية التفتت إلى الخطاب من الغيبة ، والسوق جمع سباق (٧) الغريض : الطرى من اللحم ، والغرائر جمع غرارة وهى العدل يكون فيها الدقيق والحنطة وغيرهما .

فيالك من ناعٍ حببت باللة شرعية تصفر منها الأظافر^(١)
ومن كان يضرب به المثل من أجواد عرب الجاهلية لا يمكننا أن نستوعبهم ،
ومن وقف على أخبارهم تبين لديه أن كل واحد منهم كان يستحق أن يضرب
به المثل .

وأما بعد ظهور الإسلام فقد تأكد ذلك لديهم واستوجبتهم عليهم نصوص
الشريعة فانضم هذا الداعي إلى الداعي الطبيعي فكان فيهم من أهل القرون
الثلاثة من أنسى ذكر كعب بن مامة وابن سُمدي . قال ابن عبد ربه في المقد
الفريد : أجواد الخنجاز ثلاثة في عصر واحد عبيد الله بن العباس وعبد الله بن
جعفر وسميد بن الماص . فمن جود عبيد الله بن العباس أنه أول من فطر جيرانه ،
وأول من وضع الموائد على الطُرق ، وأول من حَيَّ على طعامه ، وأول من أنهبه ،
وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء أطعمت حامضاً وحلواً ولحماً تامكاً ومزجاً^(٢)
وأنت ربيعٌ لليتامى وعصمة إذا المحل من جو السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمةً وغيثاً ونوراً للخلائق أجمعا
« ومن جوده » أنه آناه رجل وهو بفناء داره فقال : يا ابن عباس إن لي
عندك يداً وقد احتجت إليها فصعد بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال : ما يدك
عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بززم وغلماك يمتح لك^(٣) من مائها والشمس قد
صهرت^(٤) فظلمت بك بطرف كسائي حتى شربت . قال : إني لأذكرُ ذلك وأنه
يتردد بين خاطري وفكري . ثم قال لقيمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة
آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أراها تقي بحق يده عندنا قال له الرجل :

(١) حببت : خصصت من الجباء وهي العطية ، والآلة بفتح الهمزة واللام
المشددة الحربة ، وشرعية بالكسر الطويلة ، وقوله تصفر منها الخ أي تموت
منها لأن الميت يصفر ظفره دعاء على من أخبر بموت أبي أمية بالقتل (٢) السنة
الشهباء التي لا خضرة فيها أو لامطر ، وتامكا أي سميناً ، ومزج اللحم
تمزيحاً فتمزج أي فرقه ففترق (٣) المتح الاستقاء (٤) أي أملت دماغك

والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الأولين
والآخرين محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شفعه بك وبأبيك .

« ومن جوده أيضاً » أن معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما
صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله فإنه قدم بنحو
من ألف ألف درهم فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟ فهو والله لهو
أجود من الريح إذا عصفت ^(١) وأسخى من البحر إذا زخر ^(٢) ، ثم وجه إليه مع
رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف
درهم ، فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرق الناس قلباً ، وألينهم عطفاً ،
أنهملت ^(٣) عيناه . ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجتريحت ^(٤) يدك من الإثم حين
أصبحت لين المهاد ، رفيع العباد ، والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال ،
ثم قال لقهرمانه ^(٥) : احمل إلى الحسين نصف ما أملاكه من فضة وذهب وثوب
ودابة ، وأخبره أني شاطرته مالى ، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر
الآخر . فقال له القميم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا
ذلك دللتك على أمر تقيم به حالك . فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال : إنا لله
حملت والله على ابن عمي ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو
أول من فعل ذلك في الإسلام .

« ومن جوده » أن معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا
النيروز خُلا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجيه فلما
وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل في نفسك منها
شيء ؟ فقال : نعم والله إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف

(١) يقال عصفت الريح تعصف عصفاً وعصوفاً اشتدت فهي عاصفة وعاصف
وعصوف وعاصفت فهي معصف ومعصفة (٢) أى طمى وتغلا (٣) أى فاضت
(٤) أى اكتسبت (٥) هو المسيطر الحفيظ على ماتحت يديه قال ابن برى :
القهرمان من أمناء الملك وخاصته فارسي معرب وقال أبو زيد يقال قهرمان
وقهرمان مقلوب بلغة الفرس القائم بأمر الرجل قاله ابن الأثير

عليهما السلام فضحك عبيد الله قال فشأنك بها فهي لك . قال جمعت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد على . قال : فاختمها بختاتمك وادفعها إلى الخازن فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلاً ، فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ، ولوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله أنها مكيدة منه ، قال دع عنك هذا الكلام فإننا قوم نقي بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا « ومن جوده » أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدق فإني نبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه ؟ فقال له وأين أنا من عبيد الله ، فقال أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال ؟ قال فيهما . قال أما الحسب في الرجل فروءته وفعله ، وإذا شئت فعلت وإذا فعلت كنت حسيباً فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق الحال فقال له السائل إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وإن كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس فأعطاه ألفاً أخرى فقال السائل هذه هزة كريم حسيب والله لقد نقرت حبة قلبي فأفرغتها في قلبك فما أخطأت إلا باعتراض الشك من جوانحي .

« ومن جوده أيضاً » أنه جاءه رجل من الأنصار فقال يا ابن عم رسول الله إنه ولد لي في هذه الليلة مولود وإني سميت به باسمك تبركا مني به وأن أمه ماتت ، فقال عبيد الله بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله وقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ثم قال للأنصاري عُدْ إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفي العيش يابس وفي المال قلة ، قال الأنصاري لو سبقت حاتماً بيوم واحد ما ذكرته العرب أبداً ، ولكنه سبقك فصرت له تالياً ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطلّ كرمك أكثر من وابله انتهى ما في العقد من حديث عبيد الله . وروى أبو فرج الأصبهاني في الأغاني بسنده ، قال : مرَّ عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب بمعن بن أوس المزني وقد كف بصره فقال له يامعن : كيف حالك ؟ فقال :

صَنُفَ بَصْرَى وَكَثُرَ عِيَالِي وَغَلِبَنِي الدَّيْنُ . قَالَ : وَكَمْ دِينِكَ ؟ قَالَ : عَشْرَةُ آلَافٍ
دَرَاهِمٍ فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنَ الْفَقْدِ فَقَالَ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مَعْنَى ؟ قَالَ :
أَخَذْتُ بِعَيْنِ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتُهُ وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أَدَانُ^(١)
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى وَرَدَّ فُلَانٌ خَاجَتِي وَفُلَانٌ
فَقَالَ لَهُ عَبِيدُ اللَّهِ . اللَّهُ الْمُسْتَعْمَانُ إِنَّا بَعَثْنَا إِلَيْكَ لَقْمَةً فَأُلْكْتَهَا حَتَّى انْتَزَعْتَ مِنْ
يَدِيكَ فَأَتَى شَيْءٌ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دَرَاهِمٍ أُخْرَى
فَقَالَ مَعْنَى بِمَدْحِهِ :

إِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ قَرِيشٍ وَإِنَّمَا يَمِجُّ النَّدَى مِنْهَا الْبَحُورُ الْفَوَارِعُ^(٢)
ثَوَّاهُ قَادَةُ لِلنَّاسِ بِطَحَاءِ مَكَّةَ لَهُمْ فِي سَقَايَاتِ الْحَجَّاجِ الدَّوَابِعُ^(٣)
فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكْ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعِيُونُ الدَّوَامِعُ

ثُمَّ إِنَّ ابْنَ عَبْدِ رَبِّهِ ذَكَرَ نَبْذَةً مِنْ أَخْبَارِ جُودِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَجُودِ
سَمْعَانَ بْنِ الْعَاصِ ، وَجُودِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ . وَجُودِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْقُرَشِيِّ
الْتِمِيمِيِّ ، وَذَكَرَ جُودَ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْأَجْوَادِ وَأَتَى مِنْ
ذَلِكَ بِمَا يَسْتَعْرِبُ وَيُوجِبُ الْعَجَبَ وَلَا يَدْعُ فُلَانٌ لَهُمْ أُسْوَةً بِسَيِّدِهِمْ بَلْ سَيِّدُ وَلَدِ
عَدْنَانَ وَقُطَانَ وَنُورٍ حَقْدَةً عَالِمِ الْإِمْكَانِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ قَدْ مَنَحَ
مِنَ السَّخَاءِ وَالْجُودِ ، مَا فَاقَ بِهِ حَتَّى جَادَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ ، وَآثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ
وَمَحْبُوبٍ . وَمَاتَ وَدَرَعَهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودَى عَلَى آصُعٍ^(٤) مِنْ شَعِيرٍ لَطْعَامِ أَهْلِهِ ،
وَقَدْ مَلَكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ فِيهَا مَلُوكٌ وَأَقْيَالٌ^(٥) لَهُمْ خَزَائِنٌ وَأَمْوَالٌ ،
يَقْتَنِدُونَهَا ذَخْرًا ، وَيَتَبَاهَوْنَ بِهَا غُرًّا ، وَيَسْتَمْتَعُونَ بِهَا أَشْرَآ وَبَطْرَآ ، وَقَدْ حَازَ مَلِكٌ

(١) نَهَكَتْهُ أَيْ صَرَفَتْهُ حَتَّى فَنَى (٢) هُوَ مَخْرُومٌ وَيُرْوَى وَأَنَّكَ بِالْوَاوِ فَلَا
خَرَمَ وَالْفَرَعُ مُسْتَعَارٌ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرَةِ وَهِيَ أَغْصَانُهَا وَالْفَوَارِعُ جَمْعُ فَارَعٍ
وَهُوَ الْعَالِي (٣) السَّقَايَةُ بِالْكَسْرِ الْمَوْضِعُ الَّتِي تَسْقَى النَّاسَ ، وَالْحَجَّاجِ جَمْعُ
حَاجٍ (٤) آصُعٌ جَمْعُ صَاعٍ وَهُوَ يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ مَكْيَالٌ (٥) أَقْيَالٌ جَمْعُ قِيلٍ وَهُوَ
الْمَلِكُ أَوْ مِنْ مَلُوكٍ حَمِيرٌ يَقُولُ مَا شَاءَ فَيَنْفِذُ أَوْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى

جميعهم ، فما اقتنى ديناراً ولا درهما ، لا يأكل إلا الجشْب^(١) ، ولا يلبس إلا الخشن ، ويمطى الجزل الخطير ، ويَصِلُ الجَم الفقير ، ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سَقَب^(٢) الاختلال ، وقد جاز غنائم هوازن ، وهى من السَّبى ستة آلاف رأس ، ومن الإبل أربعة وعشرون ألف بعير ومن النعم أربعون ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، فجاء بجميع حقه وعاد خلوّاً .

روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت . ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً ولا أوصى بشيء . وروى عمرو بن مرة عن سويد بن الحارث عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ما يسرنى أن لى أحدا ذهباً أنفقته فى سبيل الله أموت يوم أموت وعندى منه دينار إلا أن أعدّه لغريم . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا سئل وهو مُعْدِم وَعَدَ ولم يَرِدْ وانتظر ما يفتح الله . روى حماد بن زيد عن المولى بن زياد عن الحسن أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فقال : اجلس سيرزقك الله . ثم جاء آخر ثم آخر فقال لهم : اجلسوا فجاء رجل بأربع أواق فأعطاه إياها وقال يا رسول الله هذه صدقة فدا الأول فأعطاه أوقيةً ، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقيةً ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقيةً ، وبقيت معه أوقيةً واحدة فمرض بها للقوم فما قام أحد فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عبأوه فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى فقالت له عائشة يا رسول الله حل بك شيء ؟ قال لا قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال لا قالت إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله فأخرجها وقال : هذه التى فعلت بى ما ترين لى خشيت أن يحدث أمر من الله ولم أمضها ، وروى الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً فعليّ ومن ترك مالا فلورثته . فهل مثل هذا الكرم والجود كرمًا وجوداً ، أم لمثل هذا الإعراض والزهادة

(١) أى الغليظ من الطعام (٢) جوع

إعراضاً وزهداً ، هيئات هيئات هل يُدرك شأؤ^(١) من هذه شذوئ من فضائله ،
ويسير من محاسنه ، وهى التى لا يحصى لها عدد ، ولا يُدرك لها أمد ، وحقيق لمن
بلغ من الفضائل غايتها ، واستكمل لغايات الأمور آلتها ، أن يكون لزامة العالم
مؤهلاً ، وللقيام بمصالح الخلق موكلًا .

وأما كونه العرب أقرب للحلم من غيرهم

فَلِأَنَّ الحِلْمَ إمساكُ النفس عن هيجان الغضب كما أن التحلُّم إمساكُها عن
قضاء الوطر^(٢) والحلم من آثار العقل وغير مُنفك عنه ، ولهذا يعبّر به عن كل عقل
ظهر فعلاً كقوله تعالى في ذم من لم يذعن للحق على سبيل التعجب منهم : أم
تأمرهم أحلامهم بهذا ؟ ومتى استعمل الحلم في البارى تعالى فإنما يراد العمل بمقتضاه
وهو العفو دون انفعال يمرض له . ثم إن العقل كلما كان أوفر كان تأثيره أتم
وأثره أقوى وأحكم ، وقد سبق ما كان عليه العرب من غزارة العقل وكثاله ،
فلا شك أن مؤثراته كذلك . وقد اشتهر العرب لا زالت آثارهم تتلى على مدى
الدهور . وبمر الأزمنة والمصور ، بكل ما يتم الحلم به فإن حلم الإنسان لا يتم
إلا بإمساك الجوارح كلها ، اليد عن البطش ، واللسان عن الفحش ، والعين عن
فضولات النظر . ومن دقق النظر في شعرهم وخطبهم ، ووقف على لغتهم ،
تبين لديه كل ما ذكرناه ، فقد كانوا يحرمون الظلم ويتحالفون على الكف عنه
كما سيمر بك حلف الفضول ونحوه ، ويتناهون عن الفحشاء والمنكر ، ولغتهم
تكنى عن كل ما يستقبح التصريح به تحريزاً من التلفظ بكلمة تأباه مروءتهم . وقد
أفرد الثعالبي كتاباً كبيراً في كذاياتهم عما تنتزه ألسنتهم عن التعبير به . وما
زالوا يتمدحون بالحلم في شعرهم . ولو لم يكونوا بالغين فيه مبلغاً ما لهجوا به . قال
خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة يذكر قوماً من العرب ويمدحهم بالحلم ومكارم
الأخلاق وكرم السجية :

(١) السابق (٢) أى الحاجة ، يقال قضيت وطرى إذا نلت بغيتك وحاجتك

عدتُ إلى نحر العشيرة والهموى إليهم وفي تعداد مجدهم شغلُ
إلى هضبة من آل شيبان أشرفت لها الذروة العليا والكاهل العبلُ^(١)
إلى النفر البيض الألاء كأنهم صفائح يوم الرّوع أخلصها الصقلُ^(٢)
إلى معدن العزّ المؤبد والندى هناك هناك الفضلُ وأخلق الجزلُ
أحب بقاء القوم للناس أنهم متى يظمنوا من مصرع ساعة يخلو
عذابٌ على الإفواه ما لم يذقهم عدوٌ وبالإفواه أسماؤهم تحلو^(٣)
عليهم وقارُ الحلم حتى كأنما وليدُهم من أجل هيئته كهلُ^(٤)
إن استجهلوا لم يعزب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهلُ^(٥)
هم الجبل الأعلى إذا ما تناكرت ملوك الرجال أو تخاطرت البرلُ^(٦)
ألم تر أن القتلَ غالٍ إذا رضوا وإن غضبوا في موطنٍ رخص القتلُ
لنا فيهم حصنٌ حصينٌ ومقلٌ إذا حرك الناس المخاوف والأزلُ^(٧)
لعمري لنعم الحى يدعو صريحهم إذا الجار والمأكول أرهقه الأكلُ^(٨)
سعاة على إفناء بكر بن وائلٍ وتبّل أقالى قورمهم لهم تبّلُ^(٩)
إذا طلبوا ذخلاً فلا الذحل فائت وإن ظلموا أكفاءهم بطل الذحلُ^(١٠)
مواعيدهم فعلٌ إذا ما تكلموا بتلك التى إن سميت وجب الفعلُ^(١١)

(١) الهضبة : الجبل من صخرة واحدة ، والذروة : أعلى شيء ، والكاهل : ما بين الكتفين ، والعبل : الضخم المتلوى يعنى بذلك بنى شيبان وكنى عنهم بالهضبة لأنهم ملجأ وحصن (٢) النفر : البيض الانقياء الأعراض ، والألاء بمعنى الذين وما بعده صلة ، والصفائح : السيوف ، والروع : الفزع (٣) عذاب على الإفواه يريد أن طعمهم خلو في الإفواه ، وقوله ما لم يذقهم عدو معناه الأعلى أفواه الأعداء فإن مذاقهم مر فيها وهذا كناية عن اللين والشدة وخشونة الجانب (٤) الكهل : من الرجال من جاوز الثلاثين (٥) لم يعزب : أى لم يبعد ، وآثروا اختاروا وفضلوا (٦) قوله تخاطرت البرل قال في التاج : يجوز أن يكون من الخطر الذى هو الوعيد ويجوز أن يكون من خطر البعير بذنبه إذا ضرب به انتهى ، والبرل جمع بازل وهو البعير الذى بلغ السنة التاسعة من عمره (٧) المعقل : الملجأ ، والأزل : الضيق والشدة (٨) أرهقه : ضيق عليه وغشيه (٩) التبّل : الذحل والثار ، والأقالى الأبعاد (١٠) الذحل : الثار (١١) بتلك أى بلفظ نعم يصفهم بالوفاء فيقول إذا قالوا نعم وجب الفعل فلم يتأخر

بحورٌ تلاقيا بحورٌ غزيرة إذا زخرت قيس وإخوتها ذهلٌ
وكانت عندهم كلمة تقال في مواطن الغضب والتشاجر فإذا سمعها أحدهم كف عما
كان يصده من التشنى وأخذ الانتقام . وهى « إذا ملكت فأسجج » يقصدُ بها
طلب العفو والحلم عند ثوران القوة الغضبية ولو لم يكونوا أملكَ لنفوسهم ، وأقدرَ
على مجارة عقولهم ، لما تمككوا على الارتداع ، إذا قارنت تلك الكلمة
منهم السماع ، فهم أحلم في النفار من كل حليم ، وأسلم في الخصام من كل سليم ،
وإذا منوا بجفوة أحد لم يوجد منهم نادرة ، ولم يخفر عليهم ببادرة^(١) . ولا حليم
غيرهم إلا ذو عثرة ، ولا وقور سواهم إلا ذو هفوة . يصبرون على الأذى
والإقلال ، ويتحملون نقص العيش وضيق الحال ، وما كانت بينهم من الحروب
والمشاجرات ، والتخاصم والمنازعات ، فهى محامة لشرفهم ، وصيانة لعزهم
ومنزلتهم ، ومحافظة على مجدهم أن يستذل ، وملاحظة على علوِّ حسيهم أن
يُسترذل ، والحلم في غير موطنه ذلة ، والصبر على ما لا يُحمدُ زلة . هؤلاء رسل
الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم أكلُ الخلق في كل صفة محمودة ، وأعذب
الناهل المورودة ، قد انتصبوا لجهاد الأعداء ، وقاتلوا من زاغ عن المحجة^(٢)
البيضاء ، حتى زاد بهم من قل ، وعز بهم من ذل ، وصادوا بإثخانهم في الأعداء
منصورين ، وبالرعب منهم محذورين ، وهذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قد ضرب رِقَابَ بنى قُرَيْظَةَ صبرا في يوم أحد ، وهم نحو سبعمائة^(٣) وانتقم منهم
انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ، ولا داخلته لهم رِقَّة ، وإنما فعل ذلك في حقوق
الله تعالى . وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من
جرت عليه المؤسَى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم : هذا حكم الله من فوق سبعة أرقمة . فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله

(١) هى ما يبدر من حديثك من قول أو فعل . (٢) جادة الطريق .

لا فى غزوة أحد كما توهم المؤلف .

(٣) هذه المذبحة حدثت بعد انصراف النبى عن الخندق فى غزوة الاحزاب .

تعالى عليهم ، وإنما يختص عفوه بحق نفسه . روى أن قيس بن عاصم المنقري وهو أحد من يضرب به المثل في الحلم من العرب كان يحدث أصحابه يوماً وهو محتب إذ جاؤا بابن له قتيل ، وابن عم له كتيف . فقالوا : إن هذا قتل ابنك هذا ، فلم يقطع حديثه ولا نقض جبهته حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال أين ابني فلان ، فجاءه فقال يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه وإلى أخيك فادفنه وإلى أم القاتيل فأعطها مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه . ثم اتكأ على شقه الأيسر فأنشأ يقول :

إني امرؤ لا يعتري خلقي دَسٌّ يُفَنِّدُهُ ولا أَفَنُّ
من منقر في بيت مَكْرَمَةٍ والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيضُ الوجوه مصابيحُ لُسُنُ
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فُطُنُ

وكان الأحنف حليماً موصوفاً بذلك ، فن حمله أنه أشرف عليه رجل وهو يعالج قدرأ له يطبخها ، فقال الرجل قدر ككف القرد لا مستعيرها يُعار ، ولا من يأتيها يتدسم ، فقيل ذلك للأحنف فقال : لو شاء لقال أحسن من هذا . وقال ما أحب أن لي بنصيب من الذل حر النعم ، فقيل له أنت أعز العرب . فقال : إن الناس يرون الحلم ذلاً وكان يقول رب غيظ قد جرعتة مخافة ما هو أشد منه . وكان يقول كثرة المزاح^(١) تذهب بالهيبة . ومن أكثر من شيء عُرف به . والسودد كرم الأخلاق وحسن الفعل . وقال له رجل : يا أبا بحر دلني على مَحْمَدٍ بغير مَزْرِيَةٍ^(٢) . قال الخلق السجيج^(٣) . والكف عن القبيح . واعلم أن أدواء الداء اللسان البذيء ، والخلق الرديء . وأبلغ رجل مصعباً عن رجل شيئاً فأتاه الرجل يعتذر ، فقال مصعب : الذي بلغني ثقة . فقال الأحنف : حلايها الأمير فإن الثقة لا يبلغ . وكان الأحنف من أفصح خطباء العرب . ومن خطبه ما رواه

(١) المداعبة . (٢) المحمدة بفتح الميم نقيض المذمة ونص ابن السراج وجماعة على الكسر ، ومزورية مصدر زرى عليه أى عابه . (٣) لين سهل .

ابن دريد بسنده إلى رجل من بني تميم قال حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الكرم ، منع الجرم ، ما أقرب النعمة . من أهل البني ، لا خير في لذة تعقب ندما ، لن يهلك من قصد ، ولن يفتقر من زهد ، رب هزل عاد جدًا . من آمن الزمان خانه ، ومن يعظم عليه أهانه . دعوا المزاح فإنه يرث الضغائن^(١) . وخير القول ما صدقه الفعل . احتملوا لمن أذل عليكم . واقبلوا عذر من اعتذر إليكم . أطع أخاك وإن عصاك . وصِلهُ وإن جفاك . أنصف من نفسك . قبل أن ينتصف منك . وإياكم ومشاورة النساء . واعلموا أن كفر النعمة لؤم . وصحبة الجاهل شؤم . ومن الهكرم الوفاء بالذمم . ما أقبح القطيعة بعد الصلة . والجفاء بعد اللطف . والعداوة بعد الود . ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان . ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل . واعلم أن لك من دنياك . ما أصلحت به مثواك . فأنتق في حق ولا تكونن خازنًا لغيرك . وإذا كان الغدر في الناس موجوداً . فالثقة بكل أحد عجز . اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل ، تعدل منة العاقل . قال : فما رأيت كلاماً أبلغ منه . فقامت وقد حفظته . وأخبار حلماء العرب والنوادر المروية عنهم بطرق صحيحة كثيرة وهي في كتب التواريخ والأدب .

وأما كونه العرب أشجع من غيرهم

فلأن الشجاعة من الصفات الفريزية ، والسجاياء الطبيعية ، وقوة للنفس معنوية ، لا تدرك إلا بآثارها وغاياتها ، ولا تعلم إلا بمقتضياتها وعلاماتها ، وهي الإقدام في مواضع الإحجام . وعدم المبالاة . بالحياة ولا بالمات ، وكلما كانت هذه الآثار أعظم . كان مبدؤها أقوى وأتم . والعرب لم تزل رماحهم متشابكة ، وأعمارهم في الحروب متهالكة ، وسيوفهم متقارعة ، وأبطالهم في ميادين الفوغاء

متنازعة . قد رغبوا عن الحياة . وطيب اللذات ، وزهدوا لتأييد عزمهم عن القيل
في أفياء الشهوات ، وهم كما قال القائل فيهم :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوه ربَّ صواهِلٍ وبيان^(١)
وإذا دعوتهمُ ليومِ كَرِيهَةٍ سَدُّوا شِماعَ الشمسِ بالفرسان
لا ينكثون الأرض عند سؤالهم لتطلبُ العِلَّاتُ بالميدان^(٢)
بل يسفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان
كانوا يتهادحون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على الفراش ويقولون فيه
مات فلان حتف أنفه . وعن بعضهم وقد بلغه موت أخيه : إن يُقْتَلَ فقد قُتِلَ أبوه
وأخوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قطعاً بأطراف الرماح ، وموتاً تحت
ظلال السيوف .

وقال السموءل

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طُلَّ منا حيثُ كان قتيل^(٣)
تسيل على حد الطُّبَاةِ نفوسنا وليست على غير الطُّبَاةِ تسيل^(٤)

وقال آخر

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا وترك أخرى مرَّها فنذوقها

وقال الشنفرى

فلا تدفنونى إن دفنى محرم عليكم ولكن خامرى أمَّ عامر^(٥)

- (١) القيان جمع قينة وهى الامة المغنية او اعم
(٢) النكت ان تضرب فى الأرض بقضيب فيوش بطرفه فيها ، وفى الحديث
جعل ينكت بقضيب . وفى المحكم النكت قرعك الأرض بعود او باصبع .
(٣) يقال مات فلان حتف أنفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، وقوله
ولا طل منا الخ . أى لم يطل دم قتيل منا يقال طل دمه اذا بطل ولم يطلب
به وهو مطلول وقد طله فلان ابطاله يقول انا لا نموت ولكن نقتل ودم القتيل
منا لا ييطل . (٤) الطُّبَاة جمع طبة وهى حد السيف .
(٥) قوله خامرى أى استترى وتوارى ، وأم عامر كنية الضبع ، قال فى
فرائد الآل : أم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبع يشبه بها الاحمق لانهم اذا
أرادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه
فتصاد عند ذلك ويقول الصائد لها خامرى أم عامر أى الجنى الى اقصى
مفارك واستترى فتنبض فيقول لها أم عامر ليست فى وجارها ثم يقول
ابشرى بجراد غطال وكمر رجال فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقبيها

إذا حملت رأسى وفي الرأى أكثرى وغودرَ عند الملتقى ثم سائرى^(١)
هنالك لا أبغى حياة تسرنى سجيس الليالى مُبَسَّلا بالجرائر^(٢)
وقال حسان بن ثابت

ولسنا على الأعقاب تدي كلومنا وليكن على أعقابنا قطرُ الدِّما^(٣)
وقال العلوى

محرمة أكفال خيل على القنا ودامية لَبَّاتِها ونُحُورِها^(٤)
حرام على أرامحنا طعن مدبر وتندق منها فى الصدور صدورها
وقال آخر

وسائلة بالغيب عنى ولودرت مقارعتى الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس يجود بنفس أثقلتها ذنوبها
وقال الحصين بن الحمام المرى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وقال عمرو بن الاطنابة الانصارى

أبت لى شيمتى وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثنى الريح

فلا تتحرك ثم يجرها ويخرجها من قعر الوجار ، يضرب هذا المثل للذى يرتاع
من كل شىء جبنا وقيل غير ذلك

(١) ثم ظرف (٢) سجيس الليالى امتداده وسلاسته فى الاتصال وهو اسم
فاعل سجس والمبسل المسلم والجرائر : الجرائم (٣) الأعقاب جمع عقب وهو
مؤخر القدم ، والكلم الجراح ، يقول لانولى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دملونا
على أعقابنا ولكن نستقبل السيوف فإن أصابنا جراح قطرت على أقدامنا ،
والبيت من أبيات ثلاث ذكرت فى الحماسة للحصين بن الحمام بن ربيعة المرى
أحد شعراء الجاهلية وفرسانها المذكورين وأوفياؤها المعدودين وليس لحسان
ابن ثابت وهى :

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد لتقى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب الخ

تعلق هامان من رجال اعزة علينا وهى كانوا أعق واظلمنا
وكان من خير هذه الأبيات أن بنى سهم رهط الحصين بن الحمام
وعقيل بن علفة كان لهم جار يهودى فقتلته بنو حوشن من غطفان وكانوا
متقاربى المنازل وكان عقيل بن علفة غائبا بالشام فلما بلغه الخبر كتب بأبيات
الى بنى سهم يحرضهم على القتال فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب
الحصين بن الحمام وقال الى كتب وبنى نوه ، خاطب امائل سهم وأنا من امائلهم
فأبلى فى تلك الحرب بلاء شديدا فقال هذه الأبيات من قصيدة طويلة
وسياتى طرف منها فى الصفحات التالية

(٤) الأكفال جمع كفل محركة العجز أو ردفه واللبات والنحور بمعنى

وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ (١)
 وَقَوْلِي كَلِمَاتٍ جَشَّاتُ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي (٢)
 لِأَدْفَعُ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ وَأَحْيَا بَعْدُ عَنْ عَرَضٍ صَحِيحٍ
 ونظير هذا قول قَطَرِيَّ بْنِ الْفُجَاءَةِ

وَقَوْلِي كَلِمَاتٍ جَشَّاتُ لِنَفْسِي مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تَرَاغِي (٣)
 فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ سِوَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي (٤)
 وقال عنترة وهو مما يشجع الجبان
 بَكَرْتُ تَخَوَّفِي الْخُتُوفَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْخُتُوفِ بِمَعَزِلِ (٥)

(١) قوله البطل المشيح أى المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره (٢) هذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على أن العرب جزمت بعد الظرف، يعنى الواقع اسم فعل وهذا معنى قول ابن مالك فى الفهته

والأمر أن كان بغير افعول فلا تنصب جوابه وجزمه اقبالا قال فى التصريح فجزم تحمدى فى جواب اسم الفعل وهو مكانك فإنه فى معنى اثبتى وقولى مصدر مبتدا خبره مكانك تحمدى على حد قولى لا اله الا الله . وجشأت بالجيم والشين المعجمة والهزة ارتفعت . وجاشت بالجيم والشين المعجمة غثت من الغثيان ، وقوله مبتدا الا ظهر أنه عطف على وضربى الخ ، ويقال أن معاوية (رض) يوم صفين هم بالفرار فما منعه الا هذه الأبيات (٣) يروى بدل الشطر الأول من هذا البيت : (أقول لها وقد طارت شعاعا) أى أقول للنفس وقد طارت شعاعا أى متفرقة من الأبطال ويحك لا تراعى من الروع وهو الفزع ولكن تشجعى واصبرى (٤) بقاء يوم أى زيادة يوم والمعنى أن النفس اذا طلبت أن يفسح لها فى أجلها زيادة عن الأجل المسمى لها لا يجاب طلبها ، وبعد هذين البيتين :

فصبرا فى مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
 ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوى عن أخى الخنع اليراع
 أخو الخنع الذليل ، واليراع هنا الرجل الجبان الذى لا قلب له كأنه لاجوف
 له فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه
 سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داعى
 ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع
 الاغتباط أن يموت من غير علة

وما للمرء خير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع
 (٥) كانت العرب من عادتها تشرب ليلا فتسكر فتعطى وتهب حالة سكرها فاذا أصبحوا الامهم البخلاء فهذا معنى بكرت الخ كما قال التبريزى والاحتوف مصدر بمعنى الحتف وهو الموت ، وهو أيضا جمع حتف

فأجبتها إن النية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل^(١)
فاقتنى حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ ساموت إن لم أقتل^(٢)

وقد خص العرب من الشجاعة في حروبهم ، والنجدة في مصابرة عدوهم ، ما شهدت به تواريخ الأمم ، واعترفت به ألسن العرب والمعجم . ومن راجع الكتب المؤلفة في أيامهم ، وسيرهم في سالف أعوامهم ، تبين لديه أنهم لم يشهدوا حرباً في فزاع ، إلا صابروا حتى انجلت عن ظفر أو دفاع ، وهم في موقفهم لم يزولوا عنه هرباً ، ولا حازوا فيه رغباً ، بل ثبتوا بقلب آمن ، وجأش ساكن ، وقيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق ؟^(٣) قال : كنا مائة كالذهب لم نكثر فنسكل^(٤) ولم نقل فنذل . وحيث كان العرب لا تقدم شيئاً على العز وصيانة العرض وحمالة الحرم ، هانت عليهم نفوسهم دون ذلك . وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادي على الحضر لما كان فقد المز فيه . والجن إنما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة وعدم المبالاة بما يزرى بملو الحسب وأين ذلك منهم ؟ وبهذا تعلم ما كانوا عليه من الشجاعة والإقدام على المهالك ، ولقد كابد منهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تأليفهم واتحاد كلمتهم ما جاوز منه الحزام الطبيين^(٥) وسال منه عرق القربة^(٦) . وهذا شعرهم ينطق بما كانوا عليه من رسوخ القدم في هذا الميدان وعلو الهمة في هذا الباب ، ولا بأس بإيراد شيء منه ، فمن ذلك قول حيان بن ربيعة الطائي وهو أحد الشجعان المشهورين يفخر بقومه :

(١) المنهل بفتح الميم والهاء : المورد وهو عين ماء ترده-الابل (٢) قنى الحياء : لزمه وحفظه كاقنى واقتنى وقنى بالتشديد (٣) هو يوم من أيام العرب الشهيرة (٤) الجبن والتأخر (٥) أى اشتد الأمر وتفاقم قال المبرد : فإن السباع والخيول يقال لمواضع الاختلاف منها أطباء يافتى واحدها طيبى كما يقال فى الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه (٦) كناية عن الشدة والمجهود والمشقة لأن القربة إذا عرقت خبث ريحها أو لأن القربة مالها عرق فكانه تجشم محالاً أو عرق القربة منقعتها كأنه مجسم حتى احتاج الى عرق القربة وهو ماؤها يعنى السفى إليها أو عرق القربة سفينة يجعلها حامل القربة على صدره أو معناه تكلف مشقة كمشقة حامل قربة يعرق تحتها من ثقلها ، كما فى القاموس

لقد عَلِمَ القبائل أن قومي ذوو جِدٍ إذا لُئِسَ الحديد^(١)
وإنما نِعَمَ أحلاسُ القوافي إذا استعر التنافرُ والنشيد^(٢)
وإنما نضربُ الملحاء حتى تولى والسيوف لنا شهود^(٣)

وقال يحيى بن منصور الحنفي

وجدنا أبانا كانَ حلَّ ببلدَةٍ سيوى بين قيسٍ قيسَ عَيْلانَ والفِزْرِ^(٤)
فلما نأتُ عَنَّا العشيرةَ كُلُّها أنخنا فخالَفنا السيوفَ على الدهر
فما أسلمتنا عندَ يومِ كَرِهَةٍ ولا نحنَ أغضينا الجفونَ على وثرٍ^(٥)
وقال رجل من حمير في وقعة كانت لبني عبد مناة وكتب على حمير
مَنْ رَأَى يَوْمَنَا وَيَوْمَ بَنِي التَّيْمِ إِذِ التَّفَّ صَبِقَهُ بِدَمِهِ^(٦)
لَا رَأَوْا أَنْ يَوْمَهُمْ أَشْبَ شَدُّوا حَيَازِيَهُمْ أَلَّهُ^(٧)
كَأَنَّمَا الْأَسَدُ فِي عَرِيَّتِهِمْ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي فَتْمِهِ^(٨)
لَا يُسْلِمُونَ الْفِدَاةَ جَارَهُمْ حَتَّى يَزِلَّ الشِّرَاكُ عَنْ قَدَمِهِ^(٩)
وَلَا يُخَيِّمُ الْلِقَاءَ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفُ مِنْ كَرَمِهِ^(١٠)
مَآرِحَ التَّيْمِ يَعْتَزُّونَ وَزُرُّ قُ الْخَطِّ تُشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهِ^(١١)

(١) المراد بالحديد الدروع (٢) يقال فلان جلس كذا أى ملازم له أى ويشهدون أيضا أنا نعم أصحاب القوافي عند التفاخر والتناشد (٣) الملحاء : الكتيبة العظيمة (٤) سوى بمعنى متوسطة في موضع جر صفة لبلدة والفزير لقب سعد بن زيد مناة (٥) الكريهة : الحرب ، أى فما خذلنا في يوم حرب ولا نحن أغضينا جفوننا على وثر وحقد يعنى أنهم أدركوا كل ثار (٦) من رأى على معنى يامن رأى وهو تمام الوزن لأن البيت من المنسرح واليوم المراد به الوقعة والاستفهام الغرض منه التعجب ، والصيق : الغبار والتفافه كان برشاش الدم القاطر من الجسراح (٧) أشب أى كثير الجلبة والأصوات ، والحيازيم : الصدور والمراد القلوب وهذا مثل لصبرهم على ما لحقهم (٨) كأنما الأسد أى كأنما هم الأسد فالأسد خير بيتدا محذوف ، والعرين : مأوى الأسد ، والقتم : يطلق على الظلمة والغبار والمراد الظلمة (٩) حتى يزل الشراك فيه قلب والأصل زلت القدم عن الشراك وهذا مثل لموته لأنه لا يلبسها بعده (١٠) ولا يخيم اللقاء أى لا يجبن عن اللقاء فحذف الجار تخفيفا ووصل الفعل فعمل (١١) يعتزون أى ينتسبون ويدعون بالفلان ، وزرر الخط أى الرماح تشفى المتكبر من كبره وإنما جعل الفعل للرماح على المجاز والسعة

حتى تولت جوعُ حميرَ والسفلُ سريماً تهوى إلى أمة^(١)
وكم تركنا هناك من بطلٍ تسقى عليه الرياح في لمة^(٢)
وقال حسان بن نشبة العدوي في ذلك^(٣)

نحن أجربنا الحى وقد أنت لها حميرٌ تزجى الوشيع المقوما^(٤)
تركنا لهم شق الشمال فأصبحوا جيماً يزجون المطى الخزما^(٥)
فلما دتوا صلنا ففرق جمعهم سحابتنا تندى أسرهما دما^(٦)
فنادرن قبيلاً من مقل حمير كن بخديته من الدم عندما^(٧)
أمر على أفواه من ذاق طعمها مطاعنا يمججن صاباً وعلماً^(٨)
وقال في ذلك أيضاً

إنى وإن لم أفد حياً سواهم فداء لقيم يوم كلب وحميرا^(٩)
أبوا أن يبيحوا جارههم لعدوهم وقد ثار قع الموت حتى تكوثرأ^(١٠)
سموا نحو قيل القوم يبيدونه بأسيا فيهم حتى هوى فتقطرا^(١١)
وكانوا كأنف الليث لاشم مرغماً ولا نال قط الصيد حتى تعفرا^(١٢)

(١) الفل مصدر وضع موضع المفعول ، والامم : القرب . (٢) موضع كم نصب على المفعولية من تركنا ويقال سفت الريح التراب حملته وذرتة ، واللمم جمع لمة والمراد بها ما تشعت من شعر الرأس . (٣) هو أخو بنى عدى ابن عبيد مناة ، قال أبو محمد الاعرابى هذا الاسم تصحيف والصواب جساس بن نشبة التيمي والله اعلم . (٤) أجربنا الحى أى أدخلنا فى جوارنا هذه القبيلة وكلبنا من الحى قبله ، وتزجى الوشيع المقوما أى تسوق الرماح الثقفة (٥) شق الشمال أى جانب الشمال والعرب تجعل الشمال كناية عن الشؤم ، والخزم الشد والقطع يقال شرك مخزوم أى مقطوع . (٦) يقال صال فلان على قرنه إذا أوقع به واستطال عليه حتى يذل له ، وسحابتنا أى جيشنا الذى كانه سحابة ، وتندى أى ترشح ، والأسرة : الاوساط والطرائق وتستعمل فى بطون الاودية ايضا . (٧) قبيلا من مقلو حمير أى ملكا من ملوكهم ، والعندم : دم الاخوين وقيل البقم أى ابتدروه بالسيوف حتى تركوه ساقطا مضرجا بدمه . (٨) الصاب : عصارة شجر مر ، والعاقم شجر مر ايضا وقيل الحنظل . (٩) يقال فداء يفديه فداء وفدى اعطى شيئا فانقذه . (١٠) الاباحة : التخلية بينك وبين الشيء ، والنقع : الغبار ، وتكوثرأ : أى تراكم . (١١) القيل : الملك ومر تفسيره قريبا ويقال بادره وابتدريه عاجله ، والتقطر : السقوط على احد القطرين أى علوا نحو الملك يعاجلونه حتى هوى أى سقط على احد جانبيه وفى الكلام اختصار كانه قال ابتدروه بالاسياف وضربوه حتى سقط . (١٢) كأنف الليث ضرب ذلك مثلاً للعزة والاباء لان الانسد احمى الحيوان انفا والشم مجاز عن النوال والمرغم : الدل ، وتعفر من العفر محركا وهو التراب .

وقال في ذلك هلال بن رزين أحد بني ثور بن عبد مناة بن أد

وبالبيداء لما أن تلاقى بها كلبٌ وحلَّ بها الندور^(١)
فحانت حميرٌ لما التقينا وكان لهم بها يومٌ عسير^(٢)
وأيقنت القبائلُ من جنابٍ وعامرٌ أن سيمنعها نصير^(٣)
أجادت وبل مدجنة فدرت عليهم صوب سارية درور^(٤)
فولوا تحت قططها سراعا تسكهم المهندة الذكور^(٥)

وقال حصين بن حُمام الرّبي

قلت لهم يا آل ذبيان مالكم تفاقدتم لا تقدّمون مقدّما^(٦)
مواليكم مولى الولادة منهم ومولى اليمين حابسٌ قد تقسا^(٧)
وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهى الاكف صارخا غير أعجا^(٨)
من الصبح حتى تغرب الشمس لا ترى من الخيل إلا خارجيا مسوما^(٩)

(١) البيداء هنا موضع بعينه معروف وان زائدة يقول لما تلاقى قبيلة كلب وحمير بهذا المكان وحل به الندور أى سقطت الاقسام عن الحالفين لادراكهم الأوتار ونقض ما كان بين القبيلتين من العهود وجواب لما فى البيت بعده . (٢) فحانت حمير أى هلكت لأن الدائرة أى الهزيمة كانت عليهم . (٣) جناب وعامر بطون من بنى كلاب وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والمراد بالنصير آخر البيت بنو التميم وانما تكره ليكون ابلغ فى تعظيم النصرة كأنه أراد نصيرا من النصارى أى كامل فى معناه . (٤) أجادت : أرسلت ، والوبل : المطر الشديد العظيم القطر ، والمدجنة : المظلمة ، والصوب : نزول المطر ، والسارية : السحابة التى تأتى ليلا ، والدور : الكثيرة الدر وهو فاعل درت . (٥) القطط : صغار البرد شبه النبل النافذ اليهم بالقطط من السحاب . وتكهم : تصرعهم ، والمهنة : السيوف ، والذكور جمع ذكر وهو الصلب المتين . (٦) جملة تفاقدتم معترضة بين مائكم وبين لا تقدمون وهى دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا والمقدم مصدر قدم بمعنى تقدم وضع موضع الاقدام أى التقدم والفعلان اذا اتفقا فى المعنى جاز وضع مصدر أحدهما موضع مصدر الآخر . (٧) المولى يطلق على معان كثيرة والشاعر فى هذا البيت قسم الموالى الى بنى عم وهم الذين سماهم مولى الولادة والى حليف وهو من انضم اليك معز يعزك وهو الذى سماه مولى اليمين لأنه يقسم له عند الانضمام . (٨) ضارج : ماء لبنى عيس ، ونهى الاكف : موضع والصارخ : المستغيث ، والاعجم : الذى لا يفصح . (٩) معنى البيت انه لا ترى من الصبح الى وقت المساء الا خيلا مسومة والمسوم الذى عليه سمة أى علامة يعرف بها يريد بذلك كثرة الخيل والرجال حتى يضيق بهم الفضاء .

عليهنّ فتيانٌ كسأهمُ محرقٌ وكان إذا يكسو أجاداً وأكرما (١)
صفائحٌ بصرى أخلصتها قيونها ومطرداً من نسج داود مهبما (٢)
ولما رأينا الصبر قد حيلَ دونه وإن كان يوماً ذا كواكبٍ مُظلمها (٣)
صبرنا وكان الصبرُ مناسجيةً بأسيفنا يقطعن كفاً ومعضما (٤)
نفلقُ هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلمها (٥)
ولما رأيتُ الودَّ ليس بنافي عمدتُ إلى الأمر الذي كان أحزماً (٦)
فلست بمبتاع الحياة بذلةٍ ولا مُرتقي من خشية الموت سلماً (٧)
وقال بشامة بن حزن (٨)

ولقد غصبتُ لخندي ولقيسها لما وني عن نصرها خذالها (٩)
دافعتُ عن أعراضها فنعمتها ولدي في أمثالها أمثالها (١٠)
إني امرؤ أسيمُ القصائد للمدى إن القصائد شرُّها إغفالها (١١)

(١) محرق : هو أحد ملوك لخم حرق قوماً فسمى محرقاً ولذلك خبر طويل لا يسعنا إيراده لضيق المقام ولكل مقام مقال . (٢) الصفائح : السيوف وهو مفعول كسأهم في البيت قبله ، وبصرى : موضع بالشام تباع فيه السيوف ، والقيون جمع قين وهو الحداد ، والمطرد : المتتابع النسج ولم تجر العادة بقولهم كسأه سيفاً وإنما جاز ذلك وحسن لأن السيوف وقعت في صحبة الدروع والدروع تلبس كما تلبس الكسوة من الثياب ، تدبر . (٣) وإن كان يوماً اسم كان يعود إلى اليوم أي وإن كان ذلك اليوم يوماً ذا كواكب مأخوذ من قولهم أراه الكواكب نهارة وهو شيء نطقوا به في الدهر الأول يريدون بذلك شدة الأمر وعظم الخطب . (٤) السجية : الطبيعة ، والمعصم : السوار من الساعد . (٥) نفلق أي نشق ، والهام جمع هامة وهي الرأس والكتاب كثيراً ما يفلطون في هذا من ذلك قول بعضهم : « كل هامة الشيب » أي رأسه ولا يخفى ما فيه من الخطأ والعدول عن الصواب ، فتنبه ، والعقوق ضد البر وأغلب ما يستعمل في الولد مع والده . (٦) كان آخر ما جعل الحزم للأمر كما جعل له العزم في قوله تعالى : « فإذا عزم الأمر » . (٧) بمبتاع الحياة أي بمشتريها . (٨) هو أحد بني نهشل بن دارم والظاهر أنه إسلامي ، قال البغدادي ولم أر له ترجمة في كتب الأنساب . (٩) خندف لقب ليلي امرأة الياس بن مضر بن نزار وقيس هو قيس عيلان بن مضر ، ووني : فتر .

(١٠) يقول دافعت عن عزهم ومجدهم ومنعت أعراضهم أن تبتذل ولدي في أمثال هذه القبائل أمثال هذه النصرة . (١١) الإغفال جمع غفل بضم الفين المعجمة وهو الخالي من العلامة يريد أن شر الشعر ما لا يعرف ويشتهر .

قوى بنو الحرب العوان بجمعهم والمشرقية والقنا إشعالها^(١)
مازال معروفاً لمرة في الوغى علّ القنا وعليهم إنهاؤها^(٢)
من عهد عادٍ كان معروفاً لنا أسرُ العداة وقتلها وقتالها^(٣)
وقال شريح بن قرواش العبسي وكان من أشهر الفرسان
لما رأيت النفس جاشت عكرتها على مسجلٍ وأى ساعة معكر^(٤)
عشية نازلتُ الفوارس عنده وزلّ سناني عن شريح بن مسهر
وأقسمُ لولا درعُهُ لتركته عليه عوافٍ من ضباع وأنسر^(٥)
وما غمرات الموت إلا نزالك الكميّ على لحم الكميّ المقطر^(٦)

وقال عباس بن مرداس السلمي وهي من المنصفات

فلم أرَ مثل الحى حياً مُصَبَّحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا^(٧)
أكرُّ وأحمى للحقيقة منهم وأضربُ منا بالسيوف القوانسا^(٨)
إذا ما شددنا شدةً نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعسا^(٩)
إذا لخليل جالت عن صريحٍ نكرُها عليهم فبا يرجعن إلا عوابسا^(١٠)

(١) الحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، والمشرقية : السيوف ،
والقنا : الرماح ، والاشعال : الأضرار وهو على حذف مضاف أي والمشرقية
والقنا ذوات اشعالها . (٢) العل من عل إذا سقاه ثانياً والانهال من انهاله إذا
سقاه أولاً وانما قال وعليهم انهاؤها كأنه يجعل ذلك واجبا عليهم والمراد بهذا
الافخاخ في العدو والفتك به . (٣) من هنا بمعنى مذ وانما وضعت موضع
مذ لقوتها وكثرة تصرفها وتمكنها في باب الجر ، يقول ان ما اختص بنا من
أسر الملوكة وقتلهم ومحاربتهم أمر معروف قديم من عهد عاد . (٤) يقال عكر
على الشيء كز وانصرف ، ومسجل اسم رجل ، وأى ساعة معكر برفع أي
على انه مبتدأ والخبر محذوف والتقدير وأى ساعة معكر تلك الساعة والمراد
بهذا التهويل ، وعشية ظرف لعكرتها وانما زل سناني رمحه عن شريح وسام
منه لان شريحا كان لابسا درعا تحت ثيابه . (٥) العوافي جمع عاف وهو
طالب المعروف وهو هنا مجاز عن تعريقها أي الطيور له ووقوعها عليه .
(٦) الغمرات الشدائد والكمي . الشجاع ، والمقطر : الساقط على احد
قطريه الى جانبيه وقد مر تفسيره قريبا . (٧) قوله مثل الحى يريد به
قوما معهودين وحيا مصبحا تميز له والمصبح الذي يغار عليه وقت الصباح
(٨) النصف الاول من هذا البيت يرجع الى اعدائه وهم بنو أسد ، الثاني
يرجع الى عشيرته ، والقونس اعلى بيضة الحديد . (٩) المذاكي جمع مذك
وهي الخيل التامة السن الكاملة القوة والمداعس من الدعس وهو في الاصل
الدفع ويستعمل في الطعن . (١٠) جالت عن صريح أي دارت عنه .

وقال أبو الأبيض العبسي من أبيات

وذى أمل يرجو تُرائي وإنَّ ما يصيرُ له منى غداً لقليل^(١)
ومالي مالٌ غيرُ درعٍ ومِنْفَرٍ وأبيضُ من ماء الحديد سقيم^(٢)
وأُسْمُرُ خَطَى القناة مُتَقَفٌّ وأجردُ عُريَانُ السَّراةِ طويل^(٣)
أقيه بنفسي في الحروب وأتقى بهاديه إني للخليل ومُصُول^(٤)

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذَ الإله أن تنوحَ نساؤنا على هالكٍ أو أن نَصْجَ من القتل^(٥)
قِرَاعُ السيوفِ بالسيوفِ أحلَّنا بأرضٍ براحِ ذى أراك وذى أثل^(٦)
فما أبقتِ الأيامُ مِلْمالٍ عندنا سوى جذمٍ إذ وادٍ مُحْدَفَةِ النسل^(٧)
ثلاثة أثلاثٍ فَأَمَّا نُسُ خيلنا وأقواتنا وما نَسُوقُ إلى القتل^(٨)

وقال بعض بني قيس بن ثعلبة

دعوتُ بني قيس إلى فشمَرت خناذيدُ من سَعْدٍ طوالِ السواعدِ^(٩)
إذا ما قلوبُ القوم طارت مخافةً من الموتِ أرسوا بالنفوسِ المواجدِ^(١٠)

(١) وذى أمل أى ورب ذى أمل ، والتراث : الميراث ، وما موصول بمعنى الذى فلذلك كتب مفصلاً من أن ، تنبه . (٢) المغفر زرد ينسج على قدر الرأس ، والأبيض : السيف . (٣) الأسمر : الرمح ، والأجرد من الخيل القصير الشعر ، والسراة : الظهر . (٤) هادى الفرس صدره وعنقه .

(٥) قوله معاذ الإله أى اعوذ بالله معاذاً يصف شدة صبرهم في المصائب . (٦) قراع السيوف على حذف مضاف أى قراع أصحاب السيوف والمقارعة مضاربة القوم في الحرب والأصل في البراح الأرض التى لا بناء فيها ولا عمران ، والاراك والأثل : نوعان من الشجر ينبتان في السهل أكثر ، ومعناه انهم نزأوا بأرض لا هضاب فيها ولا جبال يتعمنون بها . (٧) ملمال أى من المال ، والجذم : الأصل والأذواد جمع ذود يقع على ما دون العشرة من الإبل ، والمحدفة : المقطوعة . (٨) ثلاثة أثلاث خبر لمبتدأ محذوف وما بعده تفسير له وتفصيل كأنه قال اموالنا ثلاثة أثلاث ثلث نشترى به الخيل وثلث نشترى به اقواتنا وثلث نعطينه في الديات . (٩) الخنازيد : فحول الخيل ويستعمل في الشجعان كما هنا . (١٠) ارسوا : اثبتوا ومفعوله محذوف كأنه قال اثبتوا قلوبهم بالنفوس الكريمة ، والمواجد جمع ماجدة .

وقال حجر بن خالد

وجدنا أبانا حلَّ في المجد بينتهُ وأعياء رجالاً آخرين مطالعةُ (١)
 فن يَسْعُ منا لَمْ يَنْلِ مثل سَعْيِهِ ولكن متى ماير تحلُّ فهو تابعةُ
 يسود ثنانا من سوانا وبدونا يسود معداً كلها لاتدافعةُ (٢)
 ونحن الذين لا يروغ جارنا وبعضهم للقدر صم مسامعةُ
 ندهق بضع اللحم للباع والتدى وبعضهم تغلى بدم مناقعةُ (٣)
 ويحلب ضرس الضيف فينا إذا شتا سديف السنام تستريه أصابعةُ (٤)
 تمننا حمانا واستباحنا رماحنا حي كل قوم مستجير مراتعةُ (٥)

وقال الرقاق بن المنذر بن ضرار الضبي

إذا الهرة الشقراء أدرك ظهرها فشب الإله الحرب بين القبائل (٦)
 وأوقد ناراً بينهم بضرامها لها وهج للمعطلي غير طائل (٧)
 إذا هملتي والسلاح مشيخة إلى الروع لم أصبح على سلم وائل (٨)
 فدى لفتى ألقى إلى برأسها تلادي وأهلى من صديق وجامل (٩)

وقال أبو الفول الطهوي في قوم من العرب

قدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني

(١) البيت لا يحل في المجد وإنما المجد يحل فيه ولكنه رمى بالكلام على السعة والمجاز ، وأعياء أعجز ، والمطالع : المذاهب والمسالك . (٢) الثنى من يكون دون الرئيس لكنه يليه في الرتبة مثل ولي العهد في الاسلام والبدء السيد المتقدم في السيادة الغير المدفوع عنها . (٣) الدهقة : صوت القدر عند غليانها ، والبضع جمع بضعة وهي القطعة من اللحم ، والباع مثل للشرف والعز ، والمنافع : قدور صفار من حجر . (٤) قوله إذا شتا أي إذا دخل في الشتاء وهو الجذب ، والسديف : شحم السنام ، تستريه أي تختاره . (٥) الحمى ما يحميه الإنسان ويدافع عنه ، والاستباحة هنا جعل الشيء مباحاً غير ممنوع والهاء في مراتعه ترجع إلى الحمى . (٦) الهرة : ولد الفرس ، والشقراء : الحمراء ، وأدرك ظهرها من أدرك الثمر إذا أمكن الانتفاع به ، فشب الإله الحرب أي أوقدها وهذا دعاء (٧) الضرام : دقاق الحطب ، والهوج : الاشتعال ، والطائل : النافع . (٨) المشيخة : الفرس القوى الحذر ، والروغ : الحرب . (٩) ألقى إلى برأسها أي وهبها لي ، والتلاد : المال القديم والصديق تفسير للأهل ، والجامل أي الجمال وهي الأبل تفسير للمال القديم .

فوارسَ لا يَمْلُونَ المنايا إذا دارت رَحَى الحربِ الزَبُونِ^(١)
ولا يَجْزُونَ من حَسَنِ بَسِيءٍ ولا يَجْزُونَ من غِلْظِ بَلِينِ
ولا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وإن هُمُ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينِ^(٢)
هُمُ مَنَمُوا حِمَى الْوَقْبَى بِضَرْبِ يُؤْلَفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْبُنُونِ^(٣)
فَنَكَبَ عَنْهُمْ دَرَّةُ الْأَعَادَى وداووا بالجنون من الجنون^(٤)
ولا يَرَعُونَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنَى إذا حَلُّوْا وَلَا أَرْضَ الْهُدُونِ^(٥)

وقال ربيعة بن مَرُوم الضبي

ولقد شهدت الخيلَ يومَ طِرَادِهَا بِسَلِيمِ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٦)
فَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ^(٧)
وَاللَّهُ ذِي حَقِّ عَلَى كَأَنَّمَا تَغْلَى عِدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ^(٨)
أَرْجِيئُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عِلِ^(٩)

وقال بعض بني قيس بن ثعلبة^(١٠)

(١) رحى الحرب : حومتها ومعظمها وهذا على المجاز لأن الحرب تحطم الرجال وتكسرهم كما تفعل الرحى . والزبون بفتح الزاى فى الأصل الناقة التى تزين حالها وتدفعه شبهت الحرب بها لأنها تدفع الرجال لشدة هولها (٢) البسالة الشجاعة (٣) الوقبى كجمزى اسم ماء لبنى مازن ، والاشتات جمع شت وهو المتفرق ، والمنون : الموت (٤) قوله فنكب معناه نحى وحول ، والدرة أصله الدفع ثم استعمل فى الخلاف لأن المختلفين يدافعان يعنى أن الضرب نحى وحول عن هؤلاء القوم اعوجاج الاعادى وخلافهم ، وقوله وداووا بالجنون من الجنون أى داووا الشر بالشر كما قالوا أن الحديد بالحديد يفلح فالجنون كناية عن الشر (٥) الاكناف : النواحي ، والهوينى : الدعة والخفض تصغير الهونى مؤنث الأهون ، والهدف السكون والصلح (٦) الاوظفة جمع وظيف ، وهو مستندق الدراع والساق من الخيل وغيرها ، والقوائم : الأرجل والهيكل العظيم وصف به الفرس (٧) نزال اسم فعل بمعنى انزل والمعنى أنهم تنادوا عند الحرب وقالوا نزال فكنت أول النازلين ولاى شيء أركب فرسى اذا لم انزل عند دعائى للنزال (٨) اللد الشديد الخصومة والجمع لد بضم اللام ، والحنق : الغيظ ، والمرجل : القدر بكسر القاف تكون من نحاس (٩) أرجيته : آخرته وصرفته ، قال أبو الفتح أكثر من يرى يروى هذا البيت أرجيته بالراء فاذا تعالى شيئاً رواه أرجاته بالهمز وكلاهما تصحيف وانما هو أوجبته بالواو أى أذلت وقهرته ، فوق النواظر أى بين الجبين والنواظر (١٠) هو بشامة بن حزن النهشلى وليس له ترجمة فى كتب الانساب التى بأيدينا والظاهر انه اسلامى .

إِنَّا مُحْيِيُونَكَ يَا سَلَمَى فَحَيِّينَا
وإن دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرَمَةٍ
إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ
أَنْ تُبْتَدَّرَ غَايَةُ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا
بِغَضٍّ مَفَارِقُنَا تَغْلَى مَرَاجِلُنَا
إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ قَدَعُوا
إِذَا الْكِبَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ
وَلَا تَرَامُ وَإِنْ جَلَّتْ مَصِيبُهُمْ
وَزَكَبُ الْكُرَةِ أَحْيَانًا فَيَفْرِجُهُ

وإن سَقَيْتَ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا^(١)
يَوْمًا سَرَاةً كِرَامَ النَّاسِ فَادْعِينَا^(٢)
عنه وَلَا هُوَ بِالْأَبْنَاءِ يَشْرِينَا^(٣)
تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمَصْلَى^(٤)
إِلَّا افْتَلَيْنَا غَلَامًا سَيِّدًا فِينَا^(٥)
وَلَوْ نُسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أُغْلِينَا^(٦)
نَاسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا^(٧)
قِيلُ الْكِبَاةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا^(٨)
مَنْ فَارَسَ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَمْنُونَا^(٩)
حَدَّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا^(١٠)
مَعَ الْبُكَاءِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونَا^(١١)
عَنَّا الْحِفَافُ وَأَسْيَافُ تَوَاتِينَا^(١٢)

وَقَالَ وَذَاكَ بْنُ ثَمِيلٍ الْمَازِنِ

رُوِيَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تَلَقَّوْا غَدًا خَبْلِي عَلَى سَفَوَانٍ^(١٣)

(١) فحيينا من التحية بمعنى السلام (٢) الجلى تانيث الاجل ، والسراة : كرام الناس (٣) بنى نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعه لقال انا بنو نهشل ، ومعنى لا ندعى لاب لاننسب لاب غير ابينا ، وقوله ولا هو الخ معناه انه راض بنا كما نحن راضون به ، وقوله بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) يقال ابتدرنا الغاية والى الغاية اى استبقينا اليها ، وقوله المكربة اى لاكتساب مكربة ، والمصلى من اسماء خيل الحلبة التى تخرج للسباق وهى عشرة على قول وقد ذكر ذلك المصنف فى الجزء الثانى مفصلاً (٥) الافتلاء : الانتظام والاخذ عن الام (٦) الروع : الحرب ، والالف فى اغلينا للاشباع (٧) بياض المفارق كناية عن نقاء العرض وانشاء الدم والعيب ، وتغلى مراجلنا اى حروبنا ، وقوله ناسوا اى نداوى (٨) الكماة جمع كام كما يقال غاز وغزاه وذلك من قولهم كمن نفسه فى السلاح اذا توارى فيه (٩) خالهم اى ظنهم معناه انهم لشدة باسهم وقوة حماستهم لايعترفون بشجاعة غيرهم (١٠) الظبابة جمع ظبة وهى حد السيف ، وقوله وصلناها بايدينا هذا الكلام كناية عن علو همتهم فى الحرب وطول باعهم فيها (١١) البكاة جمع بك (١٢) الكرة : المكروه وركوبه كناية عن وقوعهم فيه وقصدتهم اليه ، والحفاظ : المحافظة والذب عن المحارم : وقوله واسياف تواتينا اى توافقتا (١٣) رويد تصغير الرود بالضم اى التمهل والرفق ويكون لوجه

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوعى اذا غدت في المازق التدانى^(١)
 عليها السكة الغر من آل مازن ليوث طمان عند كل طمان^(٢)
 تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يدُ الحداث^(٣)
 مقاديرهم وصلون في الرّوع خطوهم بكل دقيق الشفرتين يمان^(٤)
 اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لآية حرب أم باي مكان^(٥)
 وقال بعض بني تميم الله بن ثعلبة

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطمت تحت كنانة التمتطر^(٦)
 ونطعن الأبطال عن أبنائنا وعلى بصائرنا وإن لم تبصر
 ولقد رأيت الخيل شلن عليكم شول المخاض أبت على التغبّر^(٧)
 وقال عامر بن الطفيل

طلّقت إن لم تسألني أي فارس حليلك إذ لاقى صداء وخعماً^(٨)
 أكره عليهم دعلجاً ولبانه إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحمّا^(٩)

لوجه أربعة اسم فعل نحو رويد زيدا أي أمهله ، وصفة نحو ساروا سيرا رويدا : وحالا نحو سار القوم رويدا ، ومصدرا كما هنا نحو رويد بني شيبان : وقوله بعض وعيدكم انتصب بفعل مضمّر دل عليه رويد واستعمال الرفق فيه كف عن بعض الوعيد ، وسفوان : اسم ماء على أميال من البصرة .
 (١) تلاقوا بدل من تلاقوا في البيت قبله ، والجياد : الخيل ، والوعى : الحرب ، والمازق : المضيق . (٢) الغر : بيض الوجوه ، والليوث : الاسود . (٣) الحداث : الحوادث . (٤) المقادير جمع مقدم وهو الكثير الاقدام في الحرب ، والروع هنا الحرب ومعنى رقيق الشفرتين ماضي الحدين ، واليمان : السيف المطبوع من حديد اليمن . (٥) الاستنجاد : الاستنصار .
 (٦) أراد بالخيل من عليها من الرجال ، والكنانة التي يجعل فيها السهام وإعله يريد ما تحتها حين حملها بشير بكلك الى مقتله . (٧) شلن عليكم من شال الفرس بذنبه يشول شولا أي رفعه عند الجري ، والمخاض : النوق الحوامل ، والغبر بالتشديد البقية من اللبن في الضرع . (٨) طلّقت بضم طل ان يكون دعاء أو اخبارا ، وحليل امرأة زوجها ، وصداء خضم قبيلتان تانا مع من أراد قتال بني عامر في ذلك اليوم . (٩) دعلج اسم فرسه ، واللبان اسم لما جرى عليه اللب من المصدر ، والتحمحم : التصويت دون الصهيل وهذا البيت معيب من جهة نصب اللبان ورفعها أما عيبه من جهة النصب فهو ذكر اللبان بعد قوله أكره عليهم دعلجا لانه اذا كره فقد كر جميع ح سده وأما عيب الرفع فهو جعل التحمحم للبان وانما هو للفرس والصواب بدل هذا البيت :

أقدم فيهم دعلجا وأكره اذا كرهوا فيه الرماح تحمحمّا

وقال حريث بن عئاب النبهاني

تَمَلُّوا أَفَاخِرَكُمْ أَغْيَا وَفَقَعَسُ^(١) إِلَى الْمَجْدِ أَذْنَى أُمِ عَشِيرَةٍ حَاتِمِ^(٢)
إِلَى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَيَصِلُ^(٣) وَآخِرَ مَنْ حَيَّ رِبِيعَةَ عَالِمِ^(٤)
ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلَكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِيضِ صَوَارِمِ^(٥)
فَحَلُّوا بِأَكْنَانِي وَأَكْنَانِي مَعْشَرِي أَكُنْ حِرْزَكُمْ فِي الْمَاقِطِ الْمُتَلَاخِمِ^(٦)
فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أَضِيفَكُمْ إِلَى وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمِ^(٧)

وأمثال هذا الشعر مما يدل على شجاعتهم وبسالتهم قد امتلأت منه بطون الكتب الأدبية وغرضنا نقل شيء منه يؤيد ما ادعينا به فيهم وهو كاف في المقصود وافٍ بالمرام .

بعض من ضرب بشجاعة المثل من عرب الجاهلية

إن العرب كانوا في الشجاعة على ما ذكرناه من النزلة التي لا تطاول وقد قامت الدلائل الواضحة والبراهين الجلية على ذلك فاستحق كل منهم أن يضرب به المثل ، ويُنَوِّه بشأنه في القول والعمل ، غير أن كتب الأمثال والوقائع اقتصر فيها على ذكر من شاع أمره على ألسنة الشعراء واشتهر بين القبائل . ونحن نذكر بعض ذلك ، حرصاً على تنشيط المطالعين . وتطرية لمسامع السامعين . منهم :

خالد بن جعفر بن كلاب العامري

ومن حديثه أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة الأاربا وهوازن يومئذ لا خير فيها ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم « أذلُّ من يدٍ في رَحِمِ^(١) »

(١) بنو أعياء بن طريف بن عمرو أحد بني أسد ، وفقعس حى من بني أسد واسد وطىء حليفتان يقول هلم أماجذك أعياء وفقعس اقرب إلى المجد أم عشيرة حاتم . (٢) أراد بالحكم من قيس عيلان هزم بن قطبة وبالحكم من حى ربيعة دغفلا النسابة وحيا ربيعة ذهل بن شيان وذهل بن ثعلبة . (٣) قام ميلكم بمعنى تقوم فتركتم الخلاف ، والبيض الصوارم : السيوف القواطع . (٤) الماقط : المضيق في الحرب . (٥) اضيفكم : اضمكم . (٦) يراد الضعف والهوان وقيل يد الجنين وقيل المعنى أن صاحبها يتوقى أن يصيب شيئا .

إنما هم رعاء الشاء في الجبال وكان زهير يَعْشِرُهُمْ^(١) فكان إذا كان سوق عكاظ أتاهم زهير فتأتى هوازن بالإتاوة^(٢) التي في أغنامهم فيأتونه بالسَّمْن والأفط^(٣) والغنم فجاءت عجوز من هوازن يَسْمُن في نَحْيٍ^(٤) واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدفعها بقوس كانت في يده فسقطت فبدت عورتها فغَضِبَتْ من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من النيط وكانت قد كثرت عامر . فآلى خالد بن جعفر فقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو أُقتل ، وفي ذلك قال :

أريغوني إراغتكم فإني وحَذَفَةٌ كالشجا تحت الوريد^(٥)
مُقرَّبَةٌ أواسيها بنفسى وألحقها رِدَائِي في الجليد
لعل الله يقدرني عليها جهاراً من زهير أو أسيد

واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر . وكانت تماضر بنت عمرو ابن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فر به أخوها الحرث بن عمرو فقال زهير لبنيه : إن هذا الحمار طليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيتها : أيزوركم خالكم فتوثقونه ، ثم حلبوا له وطبا^(٦) من لبن وأخذوا منه يمينا أن لا يخبر عنهم فخرج حتى أتى بني عامر فأخبرهم فركب خالد بن جعفر ، وحُذِّج بن البكاء ، ومعاوية بن عباد ، وثلاثة من فوارس بني عامر ، واقتصوا فرأوا إبل بني جذيمة

(١) يعشروهم من باب ضرب أخذ عشر أموالهم . (٢) بالكسر الخراج .
(٣) يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها مثل تخفيف كبد . (٤) نحى بكسر النون وسكون الحاء سقاء السمن .
(٥) أريغوني إراغتكم أي اطلبوني طلبتكم وفي رواية اللسان فمن يك سائلا عنى فإني . وحَذَفَةٌ كالشجا الخ وحَذَفَةٌ فرس خالد بن جعفر بن كلاب من نسل مذهب أصابها من جده رياخ ابن الأشل الغنوي وكانت أمة خبيثة بنت رياخ ، قال أبو عبيد وهو الشقراء التي يقال في المثل شيئا ما يريد السوط إلى الشقراء ، والوريد أو جبل الوريد عرق تزعم العرب أنه من الوتين وهما وريدان مكتنفان صفحتي العنق مما يلي مقدمه غليظان ، والجليد الضريب والسقيط وهو ندى يسقط من السماء فيجمد على الأرض تقول منه جلدت الأرض فهي مجلودة ، والشجا ما ينشب في الحلق .
(٦) الوطب : سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه .

فنزولوا عن الخيل . فقالت النساء إنا لنرى غابة رماح بمكان ما كنا نرى به شيئاً
ثم جاءت الرعاء فخبرت بهم وأتى أسيد أخاه زهيراً فأخبره بالخبر وقال قد رأيت
راعتي خيل بني عامر ورماحها فقال زهير « كل أزب نفور »^(١) فذهبت مثلاً .
وكان أسيد كثير الشعر قال فتحمل عامة بني رواحة وحلف زهير لا يبرح مكانه
حتى يصبح وتحمل من كان معه غير ابنه ورقاء والحارث فلم يشعر إلا والخيل
أحاطت به قال زهير وظنهم أهل اليمن يا أسيد ما هؤلاء ؟ قال : هم القوم الذين
تنصب في شأنهم منذ الليلة ، قال : وركب أسيد فرسه ونجا ووئب زهير على
فرسه القمساء ، وكانت متمردة فلحقه خالد راكباً فرسه حذقة . وهو يقول
لانجوت إن نجا زهير ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرّاً عن فرسيهما ووقع خالد فوق
زهير واستغاث بينيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم
ينغ شيئاً ، وكان على حندج درعان . ثم ضرب حنّدج رأس زهير فقتله . وفي ذلك
يقول ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلّكل خالد فأقبلتُ أسمى كالعجول أبادر^(٢)
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريدان نصل السيف والسيف دائر^(٣)
فشلتُ يميني يوم أضرب خالداً ويسـتره مني الحديد المظاهر
فياليت أتي قبل ضربة خالدٍ ويوم زهير لم تلدني تماضر^(٤)
ومنهم مجمع بن هلال بن خالد بن مالك^(٥)

(١) وذلك ان البعير الازب وهو الذي يكثر شعر حاجبه يكون نفورا لان
الريح تضربه فينفره ، يضرب في عيب الجبان ، قال الميداني قاله زهير بن
جذيمة لاخته أسيد وكان أزب جباناً وكان خالد يطلبه بدخل أي ثار وكان
زهير يوماً في ابله يهنؤها ومعه أخوه أسيد فرأى أسيد خالد بن جعفر
قد أقبل في أصحابه فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له المثل ، وكان أسيد أشعر .
قال النابغة :

اثرت الغي ثم نزعته عنه كما حاد الازب عن الطعان

(٢) الكلكل والكلكال : الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزور .

(٣) يقال دثر السيف صدى فهو دائر . (٤) هو أحد بني تيم الله بن ثعلبة
وهو شاعر جاهلي ذكره ابو حاتم في المعمرين وقال عاش تسع عشرة ومائة
سنة ١١٩

وكان هذا الرجل من يضرب يشبعاعته المثل بين العرب ومن حديثه أنه غزا مرة يزيد بن سعد بن زيد بن مناة فلم يصب شيئاً فرجع من غزاته فرمى بماء لبنى تيم وعليه ناس من بنى مجاشع قتل فيهم وأسر فقال في ذلك :

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عمرت ولكن لأرى العمر ينفع^(١)
مضت مائة من مولدى فنضيتها وخمس تباع بعد ذاك وأربع^(٢)
وخيل كأسراب القطا قد وزعتها لها سبل فيه النية تلمع^(٣)
شهدت وغنم قد حويت ولنة أتيت وماذا العيش إلا التمتع^(٤)
وعائرة يوم الهيمى رأيتها وقد ضمها من داخل الخلب مجزع^(٥)
لها غلل فالصدر ليس يبارح شجى نشب والعين بالماء تدمع^(٦)
تقول وقد أفردتها من حليها تمست كما أتمستنى يا مجمع^(٧)
فقلت لها بل تمس أخت مجاشع وقومك حتى خدك اليوم أضرع^(٨)
عبأت له ربحاً طويلاً وألة كأن قبس يعل بها حين تشرع^(٩)
وكان تركت من كريمة معشر عليها الخروش ذات حزن تفجع^(١٠)

ومنهم عتيبة بن حارث ومنهم ربيعة بن مكدّم وعنترة العبسى الشاعر الشهير وملاعب الأسنة وزيد الخليل وعامر بن الطفيل وعمرو بن معدى كرب وزيد

(١) ما زائدة ، وقوله لا أرى العمر أى اتصال العمر وطوله فحذف المضاف إليه . (٢) فنضوتها من قولهم نضاً ثيابه إذا نزعها واستعاره لبقائه هذه المدة ومضيها عليه أى تجردت منها تجردى عن ثوبى ، وخمس تباع بكسر التاء أى تابعة للمائة فهو مصدر وصف به . (٣) الأسراب : الجماعات مفردة سرب ، والقطا : نوع من الطير لا يحب الانفراد ، قد وزعتها أى كففتها لتجتمع ، والسبل : المطر والمراد به هنا تتابع الخيل فى الغارة كتتابع المطر وجواب رب أول البيت بعده وهو شهدت . (٤) الهيمى ، موضع كانت فيه هذه الواقعة ، والمجزع : الرعب . (٥) غلل أصل الغلل الماء الجارى بين الأشجار وجمله كناية عن الشجى وهو ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره ، والبارح : الزائل وشجى بدل من غلل ، ونشب من نشب بالشئ إذا علق به . (٦) انتصب تمس على المصدر ، وخذك أضرع من الضراعة وهى اللل والانقياد (٧) عبات له أى هيات له ، والآله : الحربة العريضة النصل ، والقبس : الناب (٨) وكان تركت أى وكأى تركت ، والخمش فى البدن والوجه مثل الخدش ، وتفجع أى تتفجع .

الفوارس وأمّية بن حرثان وعمر بن كلثوم وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر .
وسياتى إن شاء الله تعالى ذكر شيء من أخبار هؤلاء في أواخر هذا الجزء .

وأما كون العرب أوفى من غيرهم من الأمم

فاعلم أن الوفاء أخو الصدق والعدل ، والفدرّ أخو الكذب والجور ، وذلك أن
الوفاء صدق باللسان والفعل معاً ، والفدرّ كذب بهما وفيه مع الكذب نقض العهد ،
وقد جمل الله العهد من الإيمان وصيره قواماً لأُمور الناس ، فالناس مضطرون إلى
التعاون ، ولا سيما العرب ، ولا يتم تعاونهم وتظاهروهم إلاّ بمراعاة العهد والوفاء
ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفعت المعاشي ولذلك عظم الله أمره فقال تعالى :
(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) . وقال تعالى : (وأوفوا بعهدي الله إذا
عاهدتم) وقال (والوفون بعهدهم إذا عاهدوا) وقال (والذين هم لأماناتهم وعهدهم
راعون) وعظم حال السموءل الشاعر الشهير فيما ألزمه به من الوفاء بدروع
امرى القيس على ما سنذكره إن شاء الله تعالى قريباً . ومن المعلوم حال العرب في
الصدق واعتنائهم بشأنه ونفرتهم من الكذب وتقييده حتى قال الرضى عند الكلام
على قولهم هو رجل صدق . المراد بالصدق في مثل هذا المقام مطلق الجودة لا الصدق
في الحديث وذلك لأن الصدق في الحديث مستحسن جيد عندهم حتى صاروا يستعملونه
في مطلق الجودة فيقال ثوب صدق وخل صادق الحموضة كما أن الكذب مستهجن
عندهم بحيث إذا قصدوا الإغراء بشيء قالوا كذب عليك . قال عمر بن معدى كرب
لن شكى إليه المنص : كذب عليك العسل أى المسلان بمعنى عليك به والزمه ويجوز
أن يريد به العسل المعروف . وقال الشاعر :

وذبيانية أوَصَتْ بينها بأن كَذَبَ القَراطِفُ والقُروَفُ^(١)

(١) البيت من قصيدة المعقر البارقي مدح بها بنى نعيم وذكر ما فعلوا
ببنى ذبيان بشعب جبلة وهو يوم كانت وقعت بين بنى ذبيان وبنى عامر
فظهرت بنو عامر على بنى ذبيان . في ذلك اليوم ، ونعيم أبو قبيلة من قيس
وهو نعيم بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان معقر حليفاً
لهم وذكر ما فعلوا ببنى ذبيان ، والقراطيف جمع قرطف كجعفر وهو القطيفة أى

أى عليكم بهما ، والأمر كما ذكر الرضى فهم أحفظ للعهد ، وأوفى بالوعد ،
لأنهم ما تقضوا لمحافظة عهداً ، ولا أخلفوا لمراقب وعدا ، يرون القدر من كبار
الذنوب ، والإخلاف من مساوىء الشيم وأقبح العيوب . انظر إلى قصة حاجب
ابن زرارة إذ رهن قوسه عند كسرى ، فإنها تدل على ما كانوا عليه من الصدق
والوفاء ومراعاة العهد ، وذلك كما قال الإمام المروزقى أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كان دعا على مُضَرَّ وقال : اللهم اشدد وطأتك على مُضَرَّ ، وابعث عليهم
سنيئاً كسنى يوسف فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد
على قومه جمع بنى فزارة ، وقال : إني أزمعت^(١) على أنى آتى الملك يعنى كسرى
فأطلب أن يأذن لقومنا ، فيكونوا تحت هذا البحر حتى يُحيوا . فقالوا : رشدت
فافعل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل فقال . ما منهم : وجه إلا ولى عنده يد إلا
ابن الطويلة التيمى وسأداويه ، ثم ارتحل فلم يزل ينتقل فى الاتحاف والبر من
الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلاً فلما أضاء الفجر ،
دعا بنطع^(٢) ثم أمر فصب عليه التمر ثم نادى حى على الغداء ، فنظر ابن الطويلة
فإذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيئوه وأهدى إليه جُزْراً ، ثم ارتحل .
فلما بلغ كسرى شكاً إليه الجهد فى أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا
فى حد بلاده . فقال : أنتم معشر العرب غدُرُ فإذا أذنتُ لهم عاثوا فى الرعية وأغاروا .
قال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تقى أنت ؟ قال :

كساء مخمل ، والقروف جمع قرف بفتح فسكون وهو وعاء من جلد يدبغ
بالقرفة بالكسر وهى قشور الرمان ويجعل فيه الخلع يطبخ بتوابل فيفرغ
فيه والخلع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل فى
القرف ويتزود به فى الاسفار والواو واو رب يقول رب امرأة ذبيانية أمرت
بنبيها ان يستكثروا من نهب هذين الشيئين ان ظفروا بعدوهم وغنموا وذلك
لحاجتهم وقلة حالهم .

(١) يقال ازمعت الأمر وعليه اجمعت أو ثبت عليه كزمعت .

(٢) النطع بالكسر وبالفصحى وبالتحريك وكعنب بساط من اديم والجمع
انطاع ونطوع .

أرهنك قوسي ، فلما جاء بها ضحكك من حوله ، فقال الملك : ما كان ليسلمها اتبضوها منه . ثم جاءت مُضَرُّ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موت حاجب ، فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطار بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فقال : ما أنت بالذي وضعتها . قال : أَجَلُ أنه هلك ، وأنا ابنه وفي للملك . قال : ردوا عليه وكساه حُلَّةً . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته . وفي ذلك يقول أبو تمام من جملة أبيات :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها نجاراً على ما وطدت من مناقب^(١)
فأنتم بنى قارٍ أملت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^(٢)
وقد لمح بعضهم^(٣) إلى قوس حاجب بقوله في مليح قلندري قد خلق
حاجبه فقال :

حبيبي بحق الله قل لي ما الذي دعاك إلى هذا فقال مجاوبى :
وعدت بوصل العاشقين تعظفاً فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي
والحكايات في صدقهم ووفائهم واعتنائهم بأمر المهد وزجرهم عن الفدر قد
شحن منها كتب التواريخ والأدب وما أحسن قول من يقول منهم :
وإذا الأمانة قسمت في معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها
فهم السعاة إذا العشرة أفضمت وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع المجاور فيهم والمرمات إذا تطاول عامها^(٤)

(١) وطدت أى ثبتت . (٢) يوم ذى قار يوم لبني شيبان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم ، يقول إذا افتخرت تميم بذلك فأنتم قتلتم السدين كسيوهم هذا المجد مما أرتهنوه وهدمتهم عزهم ، قال أبو نؤاس يهجو تميمًا :
وأنها لا مجد لها ولا عز الا قوس حاجب الذي لا يساوى شسع نعل :
أول مجد لها وآخره ان ذكر الفخر قوس حاجبها
(٣) العلامة الصفدى وقبل البيتين :
بدا لى فى خلق الحواجب فتنة فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب
(٤) المرمال الذى انقطع زاده .

من اشتهر من العرب بالوفاء وضرب به المثل في ذلك ، منهم :

عوف بن محلم

كان من وفائه أن مروان القَرْظُ^(١) بن زُبَيْع غزا بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمّه فلما دخل عليها قالت له أمه : إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القَرْظ . فقال لها مروان : وما ترتجين من مروان ؟ قالت : عظم فدائه . قال : وكم ترتجين من فدائه . قالت : مائة بعير . قال مروان : ذلك لكِ على أن تؤدّيني إلى جماعة بنت عوف بن محلم . والسبب في ذلك أن ليث بن مالك المسمى بالمنزوف ضَرِطاً^(٢) لمّا مات أخذت بنو عبس سلبه وفرسه ، ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله وسلبوا امرأته جماعة بنت عوف بن محلم ، وكان الذي أصابها عمرو بن قارب وذؤاب بن أسماء فسألها مروان القَرْظ من أنت ؟ قالت : أنا جماعة بنت عوف بن محلم . فأنزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها : غطّي وجهك والله لا ينظر إليه عربي

(١) يضرب به المثل في العز فيقال أعز من مروان القَرْظ ، قال الميداني : كان يحمي القَرْظ وقيل بل سمي بذلك لأنه كان يغزو اليمن وبها منابت القَرْظ ، وصف مروان هذا للمندر بن ماء السماء فاستوفده عليه فقال له أنت مع ما حييت به من العز في قومك كيف علمك بهم ؟ فقال ابيت اللعن اني ان لم اعلمهم لم اعلم غيرهم ، قال : ما تقول في عبس ؟ قال : رمح حديد ان لم تطعن به يطعنك ، قال : ما تقول في فزارة ؟ قال : واد يحمي ويمنع ، قال : فما تقول في مرة ؟ قال : لا حر بوادي عوف ، قال : فما تقول في أشجع ؟ قال : ليسوا بداعيك ولا بمجيبك ، قال : فما تقول في عبد الله بن غطفان ؟ قال : صقور لا تصيد ، قال : فما تقول في ثعلبة بن سعد ؟ قال : اصوات ولا انيس .

(٢) قال المجد في مادة ضَرِط وفي المثل أجبن من المنزوف ضَرِطاً وذلك أن نسوة لم يكن لهن رجل فزوجن احداهن رجلاً كان ينام الصبحة فاذا اتينيه بصبوح قلن قم فاصطحب فيقول لو نهتني لعادية فلما رآين ذلك قال بعضهن ان صاحبنا لشجاع فتعاليين حتى نمر به فاتينيه كما كن يأتينيه فقال او لعادية نهتني فقلان هذه نواصي الخيل فجعل يقول : الخيل الخيل ويضرب حتى مات ، او رجلاً منهم خرجا في فلاة فلاحتهما شجرة فقال أحدهما اري ان قوما قد رصدونا فقال رفيقه انما هي عشرة بضم العين فظنه يقول عشرة فجعل يقول وما غناء اثنين عن عشرة وضرب حتى نزع روحه فسمى المنزوف ضَرِطاً ، او هو دابة بين الكلب والسنور اذا صيح بها وقع عليها الضراط من العجين ، وفي المثل أودى العير الا ضراطاً ، يضرب للدليل وللشيخ ولفساد الشيء حتى لا يبقى منه الا مالا ينتفع به اي لم يبق من قوته الا الضراط

حتى أُرَدِّكَ إلى أبيك . ووقع بينه وبين بني عبس شر بسببها . ويقال أن مروان قال لعمرو وذؤاب حكمانى فى جماعة . قالا قد حكمتاك يا أبا صهبان . قال : فإنى اشتريتها منك بمائة من الإبل وضمتها إلى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها وحملها إلى عكاظ . فلما انتهى بها إلى منازل بني شيبان ، قال لها : هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك ؟ قالت هذه منازل قومي وهذه قبة أبى . قال فانطلقى إلى أبيك فانطلقت فخرت بصنيع مروان ، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه فى أمر جماعة وردها إلى أبيها :

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ نَخَاعَةً بَعْدَمَا	خَلَاهَا ذُؤَابٌ غَيْرَ خَلْوَةٍ خَاطِبٍ
وَلَوْ غَيْرَهَا كَانَتْ سَيِّئَةً رُحِمَ	لَجَاءَ بِهَا مَقْرُونَةٌ بِالذُّوَابِ
وَلَكِنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ	رَجَاءَ الثَّوَابِ أَوْ حَذَارِ الْعَوَاقِبِ
فَدَافَعْتُ عَنْهَا نَاشِبًا وَقَبِيلَةً	وَفَارِسَ يَعْمُوبٍ وَعَمْرُو بْنَ قَارِبِ
فَفَادَيْتَهَا لِمَا تَبَيَّنَ نَصْفُهَا	بِكُومِ الْمَتَالِ وَالْعِشَارِ الضَّوَارِبِ
صَهَابِيَّةٍ حَمَرِ الْعَوَانِينَ وَالذُّرَى	مَهَارِشِ أَمْثَالِ الصَّخُورِ مَضَاعِبِ

فى أبيات مع هذه . قوله تبين نصفها : أى أنصافها والكوم القطعة من الإبل . والمتالى : الذى يرسل المغنى بصوت رفيع . والأصهب من الإبل الذى يخالط بياضه حمرة . وهو أن يحمر أعلى الور ويبيض أجوافه . وجل صهبانى أى أصهب اللون . والعوان النصف فى سنّها من كل شىء وذرى الشىء بالضم أعاليه الواحدة ذروة . فكانت هذه يداً لمروان عند جماعة فلهمذا قال ذاك لك على أن تؤدبني إلى جماعة بنت عوف بن محكم . قالت المرأة : ومن لى بمائة من الإبل فأخذ عوداً من الأرض فقال هذا لك بها . فمضت به إلى عوف بن محكم فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به . وكان عمرو وجد على مروان فى أمر فألى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده فى يده . فقال عوف حين جاءه الرسول قد أجارته ابنتى وليس إليه سبيل . فقال عمرو بن هند قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده فى يدي قال عوف يضع

يده في يدك على أن تكون يدي بينهما . فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك . فجاء عوف مروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فمعا عنه . فقال عمرو « لا حرّ بوادي عوف » فأرسلها مثلاً أي لا سيّد به يناويه . وإنما سمي مروان القَرظ لأنه كان يغزو اليمن وهي منابت القَرظ . ومنهم :

منظومة بن عفرأ

قال القالي في ذيل أماليه : حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال قال لي عمي سمعت يونس بن حبيب يقول كان المنذر بن ماء السماء جد النعمان بن المنذر ينادمه رجلان من العرب خالد بن المصّل . وعمرو بن مسعود الأسديان وهما اللذان عنهما الشاعر بقوله :

ألا بكر النباي بخيرى بنى أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد
فشرب ليلة معهما فراجعهما الكلام فأغضباه فأمر بهما ققتلا وجُعلا في تابوتين
ودفنا بظاهر الكوفة . فلما أصبح وصحا سألا عنهما فأخبر بذلك فندم وركب
حتى وقف عليهما وأمر ببناء الغريين^(١) وجعل لنفسه في كل سنة يومين
يوم بؤس ويوم نعيم في كل عام فكان يضع سريره بينهما فإذا كان في يوم
نعيمه فأول من يطلع عليه وهو على سريره يعطيه مائة من إبل الملوكة ، وأول
من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان^(٢) ويأمر به فيذبح

(١) : ينان مشهوران بالكوفة عند الثوبة حيث قبر على (رض) لا زعموا
أنهما بناهما بعض ملوك الحيرة قاله ونصر ، وفيهما يقول الشاعر :
لو كان شيء له أن يسيد على طول الزمان لما باد الغريان
وقال الجوهري : هما ينان طويلان يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي
جديمة الإبرش وسيما غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله
إذا خرج في يوم بؤسه ، قال الزبيدي : بعد ثقل ما تقدم : فسياق
الجوهري يقتضى أنهما سميا بالثغرية وهو الإصاق وسياق المصنف أنه
من الحسن (٢) دوبة فوق جرد الكلب كرية النتن وأنتن خلق الله فسوا
يضرب بنفسه المثل في النتن وقد عرف ذلك من نفسه فجعله سلاحه كما
عرفت الحباري ما في برازها من السلاح على الصقر كذلك الظربان يدخل على
الضب جحره وفيه بيضه وحسوله فيأتى اضيق موضع في الحجر فيسده
بيده ويحول دبره إليه فما يفسو ثلاث فسوات حتى يصرع الضب فيخسر
مغشياً عليه فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتى على آخر حسوله ، =

وَيُفَرِّغِي^(١) بِدَمِهِ الْغَرِيَّانَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ
بُؤْسِهِ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَلَا كَانَ الذَّبْحُ غَيْرِكَ يَا عَبِيدُ ؟
فَقَالَ عَبِيدُ « أَتُنْكَ بِحَائِنِ رَجُلَاهُ » فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : « أَوْ أَجَلٌ قَدْ بَلَغَ لَنَا » ثُمَّ قَالَ
يَا عَبِيدُ أَنْشِدْنِي قَدِّدَ كَانَ يُعْجِبُنِي شَعْرُكَ ، فَقَالَ « حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ^(٢) »
وَبَلَغَ الْحَزَامُ الطَّبِيبِينَ « فَقَالَ أَنْشِدْنِي :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَنُوبُ^(٣)

فَقَالَ :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ
عَنْتَ لَهُ مَعْنَةٌ نَكُودُ وَحَانَ لَهُ مِنْهَا وَرُودُ
فَقَالَ : أَنْشِدْ هَيْلَتَكَ أُمَّكَ^(٤) . فَقَالَ : « النَّايَا ، عَلَى الْحَوَايَا » فَقَالَ بَعْضُ
الْقَوْمِ أَنْشِدِ الْمَلِكُ هَيْلَتَكَ أُمَّكَ فَقَالَ « لَا يَرْحَلُ رَحْلُكَ ، مِنْ لَيْسَ مَعَكَ » فَقَالَ
لَهُ آخِرُ مَا أَشَدَّ جَزَعَكَ مِنَ الْمَوْتِ فَقَالَ :

وَتَقُولُ الْأَعْرَابُ رُبَّمَا أَنَّهُ دَخَلَ فِي خِلَالِ الْهَجْمَةِ فَيَفْسُو فَلَا يَتِمُّ لَهُ ثَلَاثُ
فَسَوَاتٍ حَتَّى تَتَفَرَّقَ الْأَبِلُ وَتَتَفَرَّقَ كَمَا تَتَفَرَّقُ عَنْ مَبْرَكٍ فِيهِ قَرْدَانٌ فَلَا يَرُدُّهُمَا
الرَّاعِي إِلَّا بِالْجَهْدِ الشَّدِيدِ فَمَنْ أَجَلُ هَذَا سَمَتِ الْعَرَبُ الظَّرْبَانَ مَفْرَقَ النِّعَمِ
وَيُقَالُ لِلرَّجُلَيْنِ يَتَشَاتَمَانِ وَيَتَفَاحِشَانِ أَنَّهُمَا لِيَتَجَاذِبَانِ جِلْدَ الظَّرْبَانَ وَانْهَمَا
لِيَتَسَاسَنَ ظَرْبًا وَقَالُوا لِلْقَوْمِ إِذَا وَقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرُّ فَتَفَارَقُوا فَسَا بَيْنَهُمُ الظَّرْبَانِ
فَلَا يَلْتَقَى مِنْهُمُ إِنْسَانٌ ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَبِي الْعَقِيقِ يَهْجُو قَوْمًا :

وَأَنْتُمْ ظَرْبَايْنِ إِذَا تَجَلَّوْا نَ وَمَا أَنْ لَنَا فَيْكُمُ مِنْ نَزِيدِ
وَأَنْتُمْ نَفُوسٌ وَقَدْ تَعْرِفُوا نَ بِرِيحِ التِّيُوسِ وَتَنْتِ الْجُلُودِ
وَنَظَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَوَاصُ إِلَى قَوْمٍ جِيْدَى الْأَكْلِ خَبِيثَى الرِّيحِ فَقَالَ :
أَنَاسُ أَكْلَهُمْ يَرْبُو عَلَى أَكْلِ الثَّعَالِيَيْنِ
وَتَنْتِ رِيَا حَهُمْ يَرْبُو عَلَى تَنْتِ الظَّرْبَايْنِ

هَذَا مَا ذَكَرَهُ الثَّعَالِيُّ فِي الْمُضَافِ وَالْمَنْسُوبِ (١) أَيْ يَطْلَى (٢) يَضْرِبُ
لَا مِرْيَاقَ دُونَهُ عَائِقُ قَالَهُ حَوْشُ الْكَلَابِيِّ حِينَ مَنَعَهُ أَبُوهُ مِنَ الشَّعْرِ فَمَرَضَ حَزَنًا
فَبَرَّقَ لَهُ وَقَدْ أَشْرَفَ فَقَالَ انْطَلِقْ بِمَا أَحْبَبْتَ وَالْجَرَضُ مُحَرَّكَ الرِّيقِ جَرَضُ
بَرِيْقِهِ كَفَرَحَ ابْتِلَاعِهِ بِالْجَهْدِ عَلَى هَمٍّ ، وَقَوْلُهُ بَلَغَ الْحَزَامُ الطَّبِيبِينَ مَضَى تَفْسِيرُهُ .
(٣) هَذَا الْبَيْتُ مَطْلَعُ قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي عَدَّهَا بَعْضُهُمْ مِنَ الْمَعْلُقاتِ ،
وَمَعْنَى أَقْفَرُ : خَلَا ، وَمَلْحُوبٌ بِالْفَتْحِ ثُمَّ السُّكُونِ وَجَاءَ مَهْمَلَةً وَوَاوٌ سَاكِنَةٌ
مَاءٌ لَبْنِي أَسَدُ بْنُ خَزِيمَةَ وَقِيلَ قَرْيَةٌ بِالْإِمَامَةِ لَبْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدُّنْثَلِ بْنِ حَنْفِيَّةٍ ،
وَالْقَطِيبَاتُ بِالضَّمِّ ثُمَّ التَّشْدِيدِ وَبَعْدَ الطَّاءِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَيَاءٌ مُشَدَّدَةٌ اسْمُ
جَبَلٍ ، وَالذَّنُوبُ : اسْمُ مَوْضِعٍ بَعَيْنُهُ . (٤) هَيْلَتُهُ أُمُّهُ كَفَرَحَ ثَكَلَتُهُ ، وَالثَّكَلُ
بِالضَّمِّ الْمَوْتُ وَالْهَلَاكُ وَفَقَدَ الْحَبِيبِ أَوْ الْوَلَدِ وَيَحْرُكُ .

لَا غَرَوَ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ وَهَلْ غَيْرُ مَا مِيتَةٍ وَاحِدَةٍ^(١)
فَأَبْلَغُ بَنَى وَأَعْمَاهُمْ بَأَنَّ النَّبَايَا هِيَ الرَّاصِدَةُ
لَهَا مَدَّةٌ فَنَفُوسُ الْعِبَادِ إِلَيْهَا وَإِنْ كَرِهَتْ قَاصِدَهُ
فَلَا تَجْزَعُوا لِحَامِ دَنَا فَلَمُوتٍ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ^(٢)

فَقَالَ لَهُ الْمُنْذِرُ لَا بَدَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَوْ عَرَضَ لِي أَبِي فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَجِدْ بَدَأَ مِنْ
ذُبْحِهِ فَأَمَّا إِذَا كُنْتُ لَهَا وَكَانَتْ لَكَ فَاخْتَرِ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ إِنْ شِئْتَ مِنَ الْأَكْلِ^(٣)
وَإِنْ شِئْتَ مِنَ الْأَبْجَلِ^(٤) وَإِنْ شِئْتَ مِنَ الْوَرِيدِ^(٥) فَقَالَ « ثَلَاثُ خِصَالٍ مَقَادُهَا شَرٌّ
مَقَادٍ ، وَحَادِثُهَا شَرٌّ حَادٍ وَلَا خَيْرَ فِيهَا لِمُرْتَادٍ فَإِنْ كُنْتُ لَا بَدَ قَاتِلِي فَاسْقِنِي الْخَمْرَ حَتَّى
إِذَا ذَهَبَتْ ذَوَاهِلِي وَمَاتَتْ لَهَا مَفَاصِلِي فَشَأْنُكَ وَمَا تَرِيدُ » فَأَمَرَ الْمُنْذِرُ لَهُ بِحَاجَتِهِ مِنَ الْخَمْرِ
فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنْهُ وَقَرَّبَ لِيَذْبَحَ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَحَيْرَنِي ذُو الْبُؤْسِ فِي يَوْمِ بُؤْسِهِ خِلَالًا أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَّقَ
كَمَا خَيْرْتُ عَادَ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَابٌ مَا فِيهَا لَذَى خَيْرَةٍ أُنْقُ
سَحَابٌ رِيحٌ لَمْ تُؤْكَلْ بِلِلَّةٍ فَتَتَرَكُهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ

وَأَمْرُهُ بِفَقْصِدٍ فَلَمَّا مَاتَ طُلِيَ بِدَمِهِ الْغَرِيَّانُ ، وَكَذَا رَوَى هَذِهِ الْحِكَايَةَ
إِسْمَاعِيلُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ الْمُوصِلِيُّ فِي كِتَابِ الْأَوَائِلِ عَنِ الشَّرْقِيِّ بْنِ الْقَطَامِيِّ وَقَدْ
رَجَعَ الْمُنْذِرُ عَنْ هَذِهِ السَّنَةِ السَّيِّئَةِ ، رَوَى الْمُوصِلِيُّ فِي أَوَائِلِهِ : إِنْ الْمُنْذِرُ اسْتَمَرَّ
عَلَى ذَلِكَ زَمَانًا حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيْيٍّ يُقَالُ لَهُ حَنْظَلَةُ بْنُ عَفْرَاءَ فَقَالَ لَهُ أَيْبَتِ
الْلعنَ أَيْتُكَ زَائِرًا . وَلَأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ مَائِرًا فَلَا تَكُنْ مِثْرَهُمْ فَتَقْتُلِي ، فَقَالَ :
لَا بَدَ مِنْ ذَلِكَ . وَسَلِّنِي حَاجَةً قَبْلَهُ أَقْضِيهَا لَكَ . قَالَ : تَوْجِّلْنِي سَنَةً أَرْجِعْ
فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكَمْ أَمْرَهُمْ ، ثُمَّ أَرْجِعْ إِلَيْكَ فِي حَكْمِكَ . قَالَ : وَمَنْ يَتَكَفَّلُ بِكَ

(١) لَا غَرَوُ أَيُّ لَا عَجَبٌ وَيُقَالُ لَا غَرَوِي وَمَا زَائِدَةٌ . (٢) الْحَمَامُ : قَضَاءُ
الْمَوْتِ وَقَدْرُهُ . (٣) عَرَقٌ فِي الْيَدِ أَوْ هُوَ عَرَقُ الْحَيَاةِ وَلَا تَقُلْ عَرَقُ الْإِكْحَلِ .
(٤) هُوَ عَرَقٌ غَلِيظٌ فِي الرَّجْلِ أَوْ فِي الْيَدِ بَازَاءُ الْإِكْحَلِ . (٥) عَرَقٌ تَزْعُمُ
الْعَرَبُ أَنَّهُ مِنَ الْوَتِينِ وَهُمَا وَرِيدَانِ مَكْتَنَفَا صَفْحَتِي الْعُنُقِ مِمَّا يَلِي مُقَدِّمَهُ غَلِيظَانِ
(٩ - أَوَّلُ)

حتى تمود؟ فنظر في وجوه جلسائه فمرف منهم شريك بن عمرو وأبالخوفزان .
فأنشأ يقول :

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب يا أخا من لا أخاله
يا أخا شيبان فك اليوم رهناً قد أناله
إن شيبان قيل أكرم الله رجاله
وأبوك الخير عمرو وشراحيل الحاله
وفتاك اليوم في المجد وفي حسن المقاله

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن يده يدي ودمه دمي إن لم يمد إلى أجله فأطلقه المنذر . فلما كان القابل جلس في مجلسه ، وإذا ركب قد طلع عليهم فتأملوه فإذا هو حنظلة قد أقبل متكففاً متحنطاً^(١) معه نادبته وقد قامت نادبة شريك تندبه . فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنة . وقد ذكر في إبطال المنذر هذه السنة غير هذا . وقد أورده الموصلي ، والميداني في مثل . وهو : « إن غداً لناظره قريب » وهو قطعة من بيت :

فإن يك صدر هذا اليوم ولي فإن غداً لناظره قريب

قال : إن أول من قال ذلك قراد بن أجدع ، وذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليجموم فأجراه على أثر غير فذهب به الفرس في الأرض ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأً يلجأ إليه فدفع إلى بناء فإذا فيه رجل من طيبي يقال له حنظلة ومعه امرأة له ، فقال لها هل من مأوى ؟ قال حنظلة : نعم فخرج إليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاة وهو لا يعرف النعمان ، فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة وما أخاقه أن يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة ؟

(١) أي متطيباً والحنوط كصبور وكتاب كل طيب يخلط للميت وقد حنطه يحنطه واحنطه فتحنط .

قالت : عندي شيء من طحين كنت أدخرته فاذبح الشاة لا تأخذ من الطحين ملة^(١) قال فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملة وقام الطائي إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرقة مضيرة^(٢) وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شراباً فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته . فلما أصبح النعمان ليس ثيابه وركب فرسه ، ثم قال يا أخا طيء اطلب ثوابك أنا النعمان . قال أفعل إن شاء الله ثم لحقته الخيل فضى نحو الحيرة . ومكث الطائي بعد ذلك زمناً حتى أصابته نكبة وجهه وساءت حاله ، فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن إليك فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة ، فوافق يوم يؤس النعمان فإذا هو واقف في خيله في السلاح ، فلما نظر إليه النعمان عرفه وساء مكانه . فقال الطائي المنزول به ؟ قال : نعم . قال أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال : أبيت اللعن وما كان على بهذا اليوم قال : والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس ابني لم أجد بداً من قتله . فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدالك فإنك مقتول . قال : أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي . قال النعمان : إنه لا سبيل إليها . قال فإن كان لا بُدَّ فأجّلتني حتى أليهم بأهلي فأوصي إليهم وأهيء حاليهم ثم أنصرف إليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلاً بموافاتك . فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان ، وكان يكنى أبا الحوافزان ، وكان صاحب الردافة^(٣) وهو واقف مجنب النعمان . فقال له :

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فكّ اليوم ضيقاً قد أتى له

(١) الملة بالفتح قيل الحفرة التي تحفر الخبز وقيل التراب الحار والرماد ومالت الخبز واللحم في النار من باب قتل فهو مليل ومملول وأطعمته خبز ملة بالإضافة وخبزة مليلة على الوصف مع الهاء (٢) مريقة تطبخ باللبن المضير أي الحامض وربما خلط بالحليب
(٣) الردافة بهاء فعل ردف الملك

طلال عالج كرب السموت لا ينعم باله

فأبى شريك أن يتكفل به فوثب إليه رجل من كلب يقال له قُرَاد بن أَجْدَع .
فقال للنعمان : أبيت اللعن هو على . قال النعمان : أفعلت قال نعم فضمنه إياه .
ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة فشوي الطائي إلى أهله وجعل الأجل حولاً من يومه
ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل . فلما حال عليه الحول وبقي من الأجل يوم :
قال النعمان لقُرَاد ما أراك إلا هالكا غداً . فقال قُرَاد :

فإن يك صدر هذا اليوم وليّ فإنّ غداً لناظره قريب
فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورجله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى
الغريتين فوقف بينهما وأخرج معه قُرَاداً وأمر بقتله . فقال له وزراؤه : ليس لك
قتله حتى يستوفي يومه فتركه . وكان النعمان يشتهي أن يقتل قُرَاداً ليقلت الطائي
من القتل . فلما كادت الشمس تجب^(١) وقُرَاد مجرد قائم في إزار على النطح
والسيّاف إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول :

أياعين بكّي لى قُرَاد بن أَجْدَع رهيناً لقتلٍ لا رهيناً مودّعاً
أنته المنايا بغتة دون قومه فأمسى أسيراً حاضر البيت أضرعاً
فبيناهم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان بقتل قُرَاد .
ف قيل له ليس لك أن تقتله حتى يأتيتك الشخص فتعلم من هو ، فكف حتى انتهى
إليهم الرجل فإذا هو الطائي ، فلما نظر إليه النعمان شقّ عليه بغيته . فقال له :
ما حملك على الرجوع بعد إفلاتك من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك إلى
الوفاء ؟ قال : ديني . قال النعمان : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النعمان :
فاعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصّر النعمان ، وأهل الحيرة أجمعون . وكان قبل
ذلك على دين العرب ، فترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة ، وأمر
بهدم الغريتين وعفا عن قُرَاد والطائي ، وقال : والله ما أدرى أيهما أوفى وأكرم .

(١) أي تغيب

أهذا الذى نجا من القتل فعاد : أم هذا الذى ضمنه ؟ والله لا أكون إلاّ ثلاثة ،
فأنشأ الطائي يقول :

ما كنتُ أخلفُ ظنَّه بعد الذى أسدى إلى من الفعّال الحالى
ولقد دَعَتْنِي للخلاف ضلّالتي فأبيتُ غيرَ تمجّدي وفعالى
إني امرؤٌ مِنّي الوفاء سجيّةٌ وجزاء كل مكارم بذالى
وقال أيضاً يمدحُ قراداً :

ألا إنّما يسمو إلى المجد والملى مخاريقُ أمثالِ القرادِ بنِ أجْدَعَا
مخاريقُ أمثالِ القرادِ وأهله فإنهمُ الأخيارُ من رهطِ بُبْمَا^(١)
انتهى والله أعلم بحقيقة الحال . ومنهم :

الحارث بن ظالم المري

كان من وفائه أن عياضَ بنَ ديهثَ مرَّ برعاء الحارث وهم يسقون فسق
فقصر رِشاؤه فاستعمار من أرشية الحارث فوصل رِشاؤه^(٢) فأروى إبله . فأغار
عليه بعضُ حشَمِ النعمان فاطردوا إبله فصاح ياحارِ يا جاره ! فقال له الحارث :
ومتى كنتُ جارك ؟ قال : وصلت رِشائى برِشائك فسقيت إبلى ، فأغير عليها
وذلك الماء فى بطونها ، قال : جوارُ وربِّ الكعبة . فأتى النعمان . فقال : أبيت اللعن
أغار حشَمُك على جارى عياض بن ديهث فأخذوا إبله وبأله فأردد عليه . فقال
له النعمان : أفلا تشد ما وهى من أديك . يريد أن الحارث قتل خالد بن جعفر بن
كلاب فى جوار أسود بن المنذر . فقال الحارث « هل تعدون الحلية إلى نفسى »

(١) المخراق السيد والسخي ، والرهط قوم الرجل وقبيلته (٢) قال شارح
رسالة ابن زيدون كان ربيع العرب فى رعاية الجوار ماهو أعجب العجب ذلك
ان الانسان اذا لمس طنب بيته طنب بيت آخر لزمه حرمة الجوار والذمة واذا
علق له دلو بدلو آخر فى بشر لزمه حرمة الجوار والذمة والى هاتين الفضيلتين
اشار أبو تمام يخاطب ابن الزيات :

لى حرمة بك لولا مارعيت وما أوجبت من حقها ماخلتها تجب
بلا لقد سلفت فى جاهليتهم الحق ليس كحقى نصره عجب
أن تعلق الدلو بالدلو الغريبة أو يلامس الطنب المستحصد الطنب

فأرسلها مثلاً . أى أنك لا تهلك إلا نفسك إن قتلتها . فتدبر النعمان كلمته فرد على عياض أهله وماله . وقال الفرزدق يضرب المثل لسليمان بن عبد الملك حين وفي يزيد بن المهلب :

لعمري لقد أوفى وزادَ وفاؤه على كل حالٍ جَارَ آلِ الْمُهَلَّبِ
كما كان أوفى إذ يُنادى ابن ديهث وصرمته كالنعمِ المنهَبِ^(١)
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان متى ما يسئل السيفَ يضرب
هَذَا ما ذكره الميداني في أمثاله . وروى الأصمعي في بسنده في الأغاني : أن الحارث بن ظالم المرئي لما كان نزيلاً عند النعمان بن المنذر أخذ مصدقاً للنعمان إبلاً لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث فأتت الحارث فعلقت دلوها بدلوه ومعها بنى لها . فقالت : يا أبا ليلى إني أتيتك مُضَامَةً . فقال : إذا أورد القوم النعم فناد بأعلى صوتك :

دعوت بالله ولم تراعى ذلك داعيك فنعم الداعي
وتلك ذؤود الحارث الكساعي يمشى لها بصارم قطع
يشقى به مجامع الصداع

وخرج الحارث بن ظالم في أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفي المألوب كم قد أجرتنا من حريب محروب^(٢)
وكم رددنا من سليب مسلوب وطعنة طعنها بالمضبوب
ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال : لا يُردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذته ففعلت ورأت لقوحاً لها يحملها حبشي . فقالت : يا أبا ليلى هذه لي ، قال الحبشي كذبت ، فقال الحارث

(١) الصرمة بالكسر القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين أو إلى الخمسين والأربعين أو ما بين العشرة إلى الأربعين أو ما بين عشرة إلى بضع عشرة (٢) قال في القاموس : المألوب سيف الحرث بن ظالم

« است الحالب أعلم »^(١) فصارت مثلاً . قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول الفرزدق :
 لعمري لقد أوفى وزاد وفاؤه على كل جارٍ جار آل المهلب
 كما كان أوفى إذ يُنادى ابن ديهث وصيرمته كالمفهم المتنب
 فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان إذا ما يسئل السيف يضرب
 وما كان جارٍ غير دلوٍ تعلقت بحبلين في مستحصد القد مكرب
 انتهى . والظاهر من الشعر أن رواية الأصماني أحق بالاعتبار . ومنهم :

أبو حنبل الطائي

ومن حديثه : أن امرأة القيس نزل به ومعه أهل وسلاحه وماله . ولأبي حنبل
 امرأتان جدلية ثعلبية^(٢) فقالت الجدلية رزق آتاك الله به لازمة له عليك ولا عقد
 ولا جوار ، فأرى لك أن تأكله وتطعمه قومك . وقالت الثعلبية : رجل تحرّم بك
 واستجارك واختارك فأرى لك أن تحفظه وتنفى له . فقام أبو حنبل إلى جذعة من
 الغنم فاحتلبها وشرب لبنها ثم مسح بطنه وحجل ثم قال :

لقد آليتُ أغدرُ في جذاع وإن مُتيت أُماتِ الرابع
 لأن الغدر في الأقوام عارٌ وإن الحر يجزى بالكراع
 فقالت الجدلية ورأت ساقيه حيشتين تالله مارأيت كالיום ساقى واق فقال

(١) ورواية مجمع الأمثال : است البائن أعلم قال : البائن الذي يكون عند
 حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذي يكون من الجانب الآخر المعلى
 والمستعلى وهو الذي يعلى العلبة إلى الضرع والبائن الذي يحلب وقيل بخلاف
 هذا وهما الحالبان في قولهم « خير حالبك تنطحين » يروى هذا المثل عن
 الحارث بن ظالم وذلك أن الجميح وهو منقذ بن الطماح خرج في طلب ابل
 له حتى وقع عليها في قبيلة مرة فاستجار بالحارث بن ظالم المبري فنادى
 الحارث من كان عنده شيء من هذه الابل فليردها فردت جميعاً غير ناقة يقال
 لها اللفاع فانطلق يطوف حتى وجدها عند رجلين يحلبانها فقال لهما خليا
 منها فليست لكما وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن فقال المعلى والله
 ماهى لك ، فقال الحارث : « است البائن أعلم » فأرسلها مثلاً ، يضرب لمن
 ولّى أمراً وصلى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به ، وقيل يضرب
 لكل ما ينكر وشاهده حاضر

(٢) في فرائد اللال الشيخ إبراهيم الأحمد : وتغلبية بالتاء

أبو حنبل . « هاساقا غادر شر » فذهبت مثلاً . قوله منيت أى ضعفت . والرابع جمع ربع كصرد وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النجاج . ومنهم :

الحارث بن عباد

يقال : إنه كان أسرَ عديّ بن ربيعة في يوم قُضّة ولم يعرفه فقال له دُلّنى على عدى ابن ربيعة . فقال له : إن أنا دلتك على عدى أتؤمننى قال نعم . قال : فليضمن ذلك عليك عوف بن محمّ . فأمره الحارث بن عباد فضمن له عوف أن يؤمنه الحارث إذا دله على عدى . فقال عدى : أنا عدى نخلّاه . وقال الحارث في ذلك :
لهفَ نفسى على عدىّ وقد أشعب للموت واحتوته اليدان^(١)
ومنهم :

السموأل بن جبار بن عادياء اليهودى القسائى

وكان من وفائه أن امرأ القيس لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموأل دروعاً وأحذية بن الجلاح أيضاً دروعاً ، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموأل فأخذ الملك ابناً له وكان خارجاً من الحصن . فصاح الملك بالسموأل فأشرف عليه فقال هذا ابنك في يدى . وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمى ومن عشيرتى وأنا أحق بميراثه فإن دفعت إلىّ الدروع وإلا ذبحت ابنك . قال أجّلنى فأجلّه فجمع أهل بيته ونساءه فشاورهم فكلّ أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه . فلما أصبح أشرف فقال ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع . فدبح الملك ابنه ، وهو مشرف ينظر إليه . ثم انصرف الملك بالخبية فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس . وقال في ذلك :

وفيتُ بأدْرُع الكِنْدِيّ إني إذا ماخانَ أقوامٌ وفيتُ

(١) أشعب للموت أى مات أو فارق فراقاً لا يرجع

وقالوا : إنه كنزٌ رَغِيبٌ ولا والله أغسدر مامشيت
بنى لى عاديا حصناً حصيناً وبهراً كلاً شئت استقيت
ويروى أنه ماسامنى ضياءً أبيت . وقال الأعشى فى ذلك :

شريحٌ لا تتركنى بعد ما علقت حبالك اليوم بعد القدّ أظفارى
كن كالمسؤول إذ طاف الهمام به فى جحفلٍ كسواد الليل جرّارٍ^(١)
خيرّه خِطَّتِي خَسَفِي فقال له مها يقله فإنى سامعٌ جارى
فشك غير طويل ثم قال له اذبح أسيرك إنى مانعٌ جارى
إن له خلفاً إن كنت قاتله وإن قتلت كريماً غير عوارٍ
والسموئل هذا هو الذى يقول فى قصيدته الشهيرة :

إذا الرء يدنس من اللؤم عرْضُهُ فكل رذاء يرتديه جيلٌ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل^(٢)
تعرنا أنا قليلٌ عديدٌنا قُلت لها : إن الكرام قليلٌ
وما قلّ مَنْ كانت بقاياها مثلنا شبابٌ تسامى فى العلى وكهول^(٣)
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلٌ^(٤)
لنا جبلٌ يحمله من نُجيرُهُ منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليل^(٥)
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرغ لا ينال طويل^(٥)

(١) جحفل كجعفر الجيش الكثير . (٢) أى أن لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل إلى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونّه تدللاً . (٣) قوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ومثل هذا كثير فى كلامهم ، قال فى الخلاصة :

وما بتأعين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر

والكهول جمع كهله وهو الذى جاوز الثلاثين وخطه الشيب وقيل من بلغ الأربعين . (٤) يجوز فى ما أن تكون نافية والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير والمعنى أى شيء ضرنا .

(٥) قيل أنه أراد بذكر الجبل العز والسمو وقيل أن هذا الجبل هو حصن السموال الذى يقال له الأبلق الفرد يعنى من دخل فى جوارنا امتنع على طلابه . (٦) يريد أنه اثبت جبل فى الأرض وأعلى طود عليها .

وانا لقوم ما زى القتل سبة (١) اذا مارأته عامر وسلول (١)
 يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
 وما مات منا سيد حثف انفه ولا طل منا حيث كان قتيل (٢)
 تسيل على حد الطباة نفوسنا وليست على غير الطباة تسيل (٣)
 صفونا فلم نكدر وأخلص سرتنا إناث أطابت حملنا وفحول (٤)
 علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول (٥)
 فنحن كماء المزن مافي نصابنا كهام ولا فينا يمد بخيل (٦)
 ونكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
 إذا سيدنا منا خلا قام سيد قتل لما قال الكرام فقول
 وما أخذت ناز لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل (٧)
 وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وحجول
 وأسافنا في كل غرب ومشرق بها من قراع الدارعين فلول (٨)
 معودة أن لا تسلك نصالها فتعمد حتى يستباح قبيل (٩)
 سيل إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول
 فإن بنى الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول (١٠)

(١) السبة : العار ، وعامر وسلول قبيلتان ، يقول اذا حسب هؤلاء القتل عارا عده عشيرتي فخرا . (٢) يقال مات فلان حثف انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ، ومعنى البيت انا لا نموت على الفراش ولكن نقتل ودم القتل مننا لا يذهب هدرا . (٣) الطبات جمع طبة وهي حد السيف وقيل اراد بالظبات السيوف كلها فاضاف الحد اليها . (٤) المراد بالسرا هنا الاصل الجيد ومعنى ذلك صفت انسانا فلم يشبها كدر . (٥) يشير به الى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم . (٦) قوله كماء المزن يريد بذات تشبيه صفاء انسانهم بصفاء ماء المطر ، والنصاب الاصل ومنه نصاب السكين ، والكهام الكليل الحد وهو مجاز عن الضعيف هنا . (٧) يشير بذلك الى انهم اكثر كرمهم يديمون ايفاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ايل وانهم يشئ عليهم كل نزيل (٨) القراع : المقاربة والمضاربة ، والدارعين : اصحاب الدروع ، والفلول جمع فل وهو الثلم في حد السيف (٩) القبيل : الجماعة من آباء شتى وجمعه قبل والقبيلة الجماعة من اب واحد وجمعه قبائل . (١٠) القطب الحديد الذى فى الطبقة الاسفل من الرحى يدور عليه الطبقة الاعلى منها ، والمعنى ان امر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم الا بهم مثل الرحى لا يتم امرها

ومنهم فُكَيْهَةٌ بنت قتادة بن مَشْنُو

كانت فُكَيْهَةٌ هذه خالة طَرْفَةَ لِأَنَّ أُمَ طَرْفَةَ وردة بنت قتادة وكان من وفائها أَنَّ السُّلَيْكَ بن سُلَيْكَةَ غزا بكر بن وائل فأبطأ ولم يجد غفلة يلتمسها . فرأى القوم أثر قدم على الماء لم يعرفوها فكمنوا له وأمهله حتى ورد وشرب فامتلاً فهاجوا به فمدا فأثقله بطنه فولج قَبَّةً فُكَيْهَةٌ فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فجاؤا في أثره فوجدوه تحت ثوبها فانزعوا خمارها ، فنادت إخوتها وولدها فجاءوا عشرة فمتمهم عنه . وكان سُلَيْكٌ يقول بعد ذلك كَأَنِّي أَجد خشونة استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها . وفيه قال سُلَيْكُ :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمَى لَنِعْمَ الْجَارُ أُخْتُ بَنِي عَوَارَا
عَنَيْتُ بِهَا فُكَيْهَةٌ حِينَ قَامَتْ لِنَصْلِ السِّيفِ وَانْزَعُوا الْخِمَارَا
مِنَ الْخَفِيرَاتِ لَمْ تَقْضَحْ أَخَاهَا وَام تَرَفَّعْ لَوَالِدِهَا شَنْنَارُ^(١)

ومنهم :

أُمُ جَمِيلٍ

وهي من رَهْطِ أَبِي هُرَيْرَةَ من دُوسٍ وهم من أهل السراة وكان من وفائها أَنَّ هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا زهير الزهراني من أزد شنوءة وكان صهر أبي سفيان بن حرب . فلما بلغ ذلك قومه بالسراة وثبوا على ضرار ابن الخطاب ليقتلوه فسمى حتى دخل بيت أُم جَمِيلٍ وعاذ بها فضربه رجل منهم فوقع ذُباب السيف على الباب . وقامت في وجوههم فذبتهم ونادت قومها فنعوه لها فلما قام عُمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة وقد عرف القصة ، فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غازٍ وقد عَرَفْنَا مِنْتَكَ عَلَيْهِ فَأَعْطَاهَا عَلَى أَنَّهَا ابْنَةُ سَبِيلٍ .

الا بالقطب ، والديان هو يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث الأصغر (١) يقال خفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه ، والشنار أقبح العيب والعار والأمر المشهور بالشنعة

وأما كونُ العربِ أُغْيَرَ من غيرهم

فَلأنَّهم كانوا أشدَّ الناس حاجةً إلى حفظِ الأنساب ، ولذلك اعتنوا بضبطها غايةَ الاعتناء ، لما امتنعوا عن سلطانِ يَهْرَهُم . ويكفُّ الأذى عنهم ليكونوا به متظافرين على من ناوَاهم متناصرين على من شاقهم وعاداهم حتى بلغوا بألفةِ الأنساب تناصرهم على القوى . وتحكموا به حكمُ التسلطِ المتشطط . فإنَّ الرِّجَمَ إذا تَمَاسَّتْ تماطفتُ والغيرةُ أساسُ ذلك ومنها ينشأ ضبطُ الأنساب وحفظها كما لا يخفى فإنها ثورانُ الغضبِ حمايةً على إكرامِ الحرم . وجعل الله سبحانه هذه القوةَ في الإنسان سبباً لصيانةِ الماءِ وحفظاً للأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرةَ في رجالها وضعت الصيانةَ في نساءها . وقد وصل العرب في الغيرة إلى أن جاوزوا الحد ، حتى كانوا يَتَدُونُ البناتِ مخافةَ لحوقِ المار بهم من أجهلنَّ أى يذفنونهن وهن أحياء . وسيجيء تفصيل مذهبهم فيها في الأعمال التي أبطلها الإسلام .

وأول قبيلة وأدت من العرب ربيعة . وذلك أنَّهم أُغْيِرَ عليهم . فنهبت بنت لأمير لهم فاستردَّها بعد الصلح فغيَّرت رضى منها بين أبيها ومنَّهى عنده فاختارت منَّهى عنده وآثرته على أبيها فمَضِبَّ وسَنَّ لقومه الوأدَ ففعلوه غيرةً منهم ، ومخافةً أن يَقَعَ لهم بعد ذلك مثلُ ما وقع وشاع في العرب غيرهم . ومن نحوه العرب وغيرتهم أنَّهم يَكُونُونَ عن حرائر النساء بالببيض ، وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) وقال امرؤ القيس :

وبَيْضَةِ خِدْرِ لا يُرَامُ خِباؤها تَمَتَّعْتُ عَنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرِ مَعْجَلٍ^(١)

ويكنون عنهن أيضاً بالنخلة ، وعلى ذلك قول بعض العرب :

ألا يا نَخْلَةً من ذاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلامُ^(٢)

(١) أى رب امرأة كبيضة الخدر في حسننها وصيانتها لا يرام سترها ، ومعجل اسم مفعول اعجله فهو معجل يعنى أنه لعزه لا يتعرض منه يغار عليها
(٢) هذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على أن النكرة الموصوفة تنصب فنخلة نكرة موصوفة بالجار والمجرور وفيه شاهد آخر وهو تقديم المعطوف بالواو على المعطوف عليه والأصل عليك السلام ورحمة الله

سألتُ الناسَ عنكَ نَجَّيُونِي هُنا من ذاك تَكْرَهُهُ الكرامُ
وليس بما أَحَلَّ اللهُ بَأْسُ إذا هو لم يُحَالِطْهُ الحرامُ
فإن هذا الشاعرَ كَفَى عن المرأةِ بالنخلةِ وبالهناءِ عن الرفثِ . فأما الهنأةُ فمن
عادةِ العربِ الكنايةُ بها عن مثل ذلك . وأما الكنايةُ بالنخلةِ عن المرأةِ فمن
طريفِ الكنايةِ وغريبها ، وأنشد ابن الأعرابيَ لرجلٍ من بني مُرَّةَ بن عوفٍ يَكْنَى
عن امرأتين :

أَيَا نَخَلْتِي أَوَّلَ إِذَا كَانَ فِيكَما جَنِي فَأَنْظَرَا مِنْ تَطْمَآنِ جَنَّا كَمَا
وَيَا نَخَلْتِي أَوَّلَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا وَأَمْسَيْتِ مَقْرُوراً ذَكَرْتَ ذَرَا كَمَا
وقال وضاح البيني

أَيَا نَخَلْتِي وَادِي بُؤَانَةٍ حَبْدَا إِذَا نَامَ خُرَّاسُ النَخِيلِ جَنَّا كَمَا
وبؤانة نضم الباءِ الموحدة من أسفل : موضع . ويكونون عنهن بالسرحة^(١)
قال حميد بن ثور :

أَبِي اللهُ إِلَّا أَنْ سُرْحَةً مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أُفْئَانِ الْعِضَاءِ تَرُوقُ^(٢)
فِي أَطْيَبِ رِيَاها وَيَا بَرْدَ ظِلِّها إِذَا حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ شُرُوقُ
فَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسُرْحَةٍ مِنَ السَّرْحِ مَسْدُودٍ عَلَى طَرِيقُ
حَتَّى ظَلَّها شَكْسُ الْخَلِيقَةِ طَائِفُ عَلَيْها عُرَامُ الطَّائِفِينَ شَفِيقُ^(٣)
فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضَّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلَا الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ الْعَشَى تَذُوقُ
وقال أيضاً في مثله

تَجْرِمُ أَهْلُها لَنْ كُنْتُ مَشْعِراً جَنُوناً بِها يَا طُولَ هَذَا التَّجْرِمِ
وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عِلْمَتُهُ سَوَى أَنْفِي قَدْ قُلْتُ يَا سُرْحَةَ اسْلَمِي^(٤)

(١) هي الشجرة العظيمة من العضاة (٢) العضاء وزان كتاب من شجر
الشوك كالطلح والعوسج واستثنى بعضهم القتاد والسدر فلم يجعله من العضاء ،
والهاء صلية ، والافئنان جمع فئ : الاغصان ، والسرحة : الشجرة العظيمة من
العضاء (٣) قوله عرام بالضم أي سيء الخلق (٤) السرحة مر تفسيرها .
والمعنى لا ذنب لي اعترف به غير انني قلت يا سرحة اسلمي وكان هذا الشاعر
لما قال يا سرحة اسلمي علم اهل المرأة انه يريد صاحبته فغضبوا لذلك

نعم فاسلمى ثم اسلمى ثمة اسلمى ثلاث تحيات وإن لم تكلمى^(١)
ويكنون عنهن بشجرة أو شاة ونعجة وجؤذر . وهو ولد البقرة الوحشية وريم
وما شاكل ذلك . قال المسيب بن علس :

دعا شجر الأرض داعيهم لينصره السدر وإلا ثأب^(٢)
فكنى بالشجر عن النساء . وهم يقولون جاء فلان بالشوك والشجر إذا جاء بجيش
عظيم . وقال عنتره :

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم
وإنما ذكر عبلة جارية أبيه فلذلك حرمها على نفسه . وكذلك قوله والشاة
ممكنة لمن هو مريم . والعرب تجعل المهابة شاة لأنها عندهم صائنة الأطباء ولذلك
يسمونها نعجة . وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله تعالى في إخباره
عن خصم داود عليه السلام « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة » كنى بالنعجة عن المرأة . وروى ابن قتيبة أن رجلاً^(٣) كتب إلى عمر رضى
الله تعالى عنه :

قلأئصنا هداك الله أنا شغلنا عنكم زمن الحصار^(٤)

فما قلص وجدن معقلات قفا سلع بمختلف النجار^(٥)

(١) نعم فاسلمى نعم يجاب به في الاستفهام المحض ويتوصل به الى بسط
الكلام وصلته كما هنا وثلاث تحيات انتصب على المصدر من فعل محذوف
تقديره احببى ، والمعنى حييتها ثلاثا بقولى اسلمى ولم ترد الجواب .
(٢) الاثاب ، شجر الواحدة اثابة قال الكهيت :

وغادرن المقاول فى مكر كخشب الاثاب المتغطر سينا

(٣) هو على ما فى التاج وغيره أبو المنهال بقليلة الأكبر وكان وجهه سيدنا
عمر (رض) الى احدى الغزوات بنواحي فارس وكان ترك عياله بالمدينة فبلغه
أن رجلاً من بنى سلم اسمه جعدة يختلف الى النساء الغائبات أزواجهن فكتب
الى سيدنا عمر (رض) يشكو منه (٤) قلأئصنا منصوب بالاضمار أى احفظ
قلأئصنا وهى فى الأصل جمع قلووس للناقة الشابة واراد بها النساء (٥) قوله
معقلات يعنى نساء معقلات لأزواجهن كما تعقل - أى تشد - النوق للضراب ،
وسلع جبل فى المدينة وجبل لهذيل وحصن بوادى موسى من عمل الشوبك
يقرب بيت المقدس ، ونجار ككتاب موضع عن العمرانى ، وكغراب موضع ببلاد
تميم وقيل من مباههم وماء بالقرب من صفينة حذاء جبل الستار فى ديار ساسيم
عن نصر

يعقلهن جمعة شيطمي وبئس معقل الذود الطوار^(١)

قال فإنما كنى بالقلص وهي النوق الشواب عن النساء ففهم عمر ما أراده وجلد جمعة ونفاه . ومن نحوه العرب وغيرهم أنه كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال . ثم المضاريط^(٢) والرعاء ثم النساء إذا صدرت كل فرقة عنه فكان يفسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمناً مما يزعمهن فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل . وإلى ذلك أشارت كبشة^(٣) أخت عمرو بن معدى كرب . بقولها من أبيات :

ولا تردوا إلا فضول نسائك إذا ارتملت أعقابهن من الدم
وقد تستعمل الغيرة في صيانة كل ما ينزم الإنسان صيانتة في السياسات
الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه . وسياسة أهله ومنزله . وسياسة مدينته

(١) الجمعة الكريم من الرجال ، والشطمي : الفتى الجسيم ، والظوار جمع ظئر بالكسر الناقة العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، والذود : ثلاثة أبعرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة أو العشرين وفوق ذلك وقيل غير ذلك ويروى بدل جمعة

شيطمي أو جمعة من نسليم معيدا يتغنى سقط العذارى
أراد أنه يتعرض لهن فكنى بالعقل عن الجماع أي ان أزواجهن يعقلونهن وهو يعقلهن أيضا كان البدء للأزواج والاعادة له (٢) جمع عضروط وهو الخادم على طعام بطنه والأجير (٣) كانت كبشة من النساء الشاعرات المتوسطات في الشعر وكانت متزوجة في بني الحرث بن كعب وكان عبد الله أخاها لأبيها وأمها دون عمرو وهذا البيت من أبيات لها وهي :

أرسل عبد الله إذ خان يومه إلى قومه لاتعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم أفالا وأبكرا وأترك في بيت يصعد مظلما
ودع عنك عمرا أن عمرامسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان انتم لم تشاروا واتديتم فمشوا بأذان النعمام المصلم
ولا تردوا الخ

والسبب في هذا الشعر ان عبد الله بن معد يكرب مر براع للمحزم بن سلمة من بني مالك بن مازن ابن زبيد فاستقاه لبنا فأبى واعتل عليه فشتمه فقتله عبد الله فشارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاءوا إلى عمرو فقالوا ان أخاك قتله رجل منا سفيه ونحن يدك وعضدك ففسألك الرحم الا اخذت الدية ما احببت وهم عمرو بذلك ففضبت كبشة وقالت هذه الأبيات وذكر علماء الأدب أيضا غير ذلك في سبب هذا الشعر وقولها اذا ارتملت يقال ترمل وارتمل اذا تلطخ بالدم وجعلت النساء متلطخات بدم الحيض تفضيها للامر وكان من عادتهم اذا وردوا المياه أن تتأخر النساء حتى تصدر كل فرقة عنه إلى آخر ما بين في الأصل ومعنى هذا الكلام انه لا شرف لكم بعد اخذكم الدية

وضيعته . ولذلك قيل ليست الغيرة ذبه عن كل ضعيف وتسمى كراهة النعمة عند من لا يستحقها غيره . والغيرة وإن كانت قوة إنسانية يجب وجودها في كل جيل قد كثرت في العرب حتى إن من دخل دار أحدهم والتجأ إلى فئانه عدوا فعله حرمة وجواراً وذماراً بل إن تعلق ذلك بالوحشيات والهوام . حتى إنهم كانوا يسمون بذلك مجير الجراد . ومجير الغزال ومجير الذئب ونحو ذلك . وفي الأمثال « أحمى من مجير الجراد » قالوا هو مدلج بن سويد الطائي . ومن حديثه فيم ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكلبي أنه خلا ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طيء ومهمهم أوعيتهم ، فقال : ما خطبكم ؟ قالوا جراد وقع بفنائك فحشنا لنأخذه فركب فرسه وأخذ رمحه وقال : والله لا يعرضنّ له أحد منكم إلا قتلتنه ، إنكم رأيتموه في جوارى ثم تريدون أخذه فلم يزل يحرسه حتى حيت عليه الشمس وطار فقال شأنكم الآن . وقد تحول عن جوارى ، ويقال : إن المجير كان حارثة ابن مر أبا حنبل ، وفيه يقول شاعر طيء :

ومنا ابن مر أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد

وزيدنا لنا ولنا حاتم غياث الورى في السنين الشداد

وفي الأمثال أيضاً أحمى من مجير الطمن وهو ربيعة بن مكدّم الكنانى ومن حديثه فيما ذكر أبو عبيدة أن نُبَيْشَةَ بن حبيب السلمى خرج غازياً فلقى ظعنًا من كنانة بالكديد فأراد أن يحتويها فأنه ربيعة بن مكدّم في فوارس . وكان غلاماً له ذوابة فشده عليه نبيشه فطعمه في عضده فأتى ربيعة أمه فقال :

شدّى على العصب أمّ سيارٍ فقد رزئت فارساً كالدينار

فقات له أمه

إنا بنى ربيعة بن مالك مرزءوا خيأنا كذلك

من بين مقتولٍ وبين هالك

ثم عصبتة فاستسقاها ماءً فقالت : اذهب فقاتل القوم فإن الماء لا يفوتك فرجع

وكرر على القوم فكشفهم ورجع إلى الظعن وقال إني هالك لما بي وسأحيكن ميتاً كماحيكن حياً بأن أقفَ بفرسى على العقبة وأتكي على رعي فإن فاضت نفسي كان الرمح عمادى فالنجاى النجاى فإنى أردّ بذلك وجوه القوم ساعة من النهار فقطعن العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكئاً على رمح ورفه الدم ففاض أى مات ، والقوم بإزائه يحجمون عن الإقدام عليه . فلما طال وقوفه فى مكانه ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه قمص وخرّ ربيعة لوجهه فطلبوا الظعن فلم يلحقوهن ، ثم إن حفص بن الأخيف الكنانى ^(١) مرّ بجيفة ربيعة فعرفها فأمال عليها أحجاراً من الحرة ، وقال ينكيه :

لا يبعدن ربيعة بن مكدّم وسقى الغواذى قبره بذنوب ^(٢)
نفرت قلوصى من حجارة حرّة بنيت على طلق اليدين وهوب ^(٣)
لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب ^(٤)
لولا السفار وبمذخر مهيمة لتركها تحبو على العرقوب ^(٥)

قال أبو عبيدة قال أبو عمرو بن العلاء : ما نعلم قتيلاً حى ظمأئى غير ربيعة بن مكدّم . وقصة مجير أم عامر شهيرة إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ويسمى الغضب المقتضى للغيرة الحفيظة فقالوا احفظنى فلان أى أغضبنى الغضب الذى أثار منى قوة الحفظ .

(١) قال محمد بن سلام : الصحيح ان هذه الأبيات لعمرو بن شقيق أحد بنى فهر بن مالك ومن الناس من يزويها لكرز بن حفص بن الأخيف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها وهذا الشعر قيل فى قتل ربيعة بن مكدّم الكنانى أحد فرسان مضر العدودين وشجعانهم المشهورين قتله نبيشة بن حبيب السلمي فى يوم الكديد (٢) الغواذى جمع غادية وهى سحابة الصباح ، والذنوب : الدلو العظيمة استعير هنا للغيث يتفجع على ربيعة ويدعو له بالرحمة والرضوان (٣) نفرت : فزعت ، والقلوص من النوق الشابة ، وقوله من حجارة حرّة المراد بها قبر ربيعة والحرة أرض ذات حجارة سود (٤) مسعر على وزن مفعّل آلة فى إيقاد الحرب (٥) السفار : السفر ، والخرق : الأرض الواسعة ، والمهمة : المغاظة البعيدة الأطراف ، والحبو : الشئ على اليدين والبطن ، وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، والمعنى لولا أنى محتاج إليها فى السفر لطوله لنحرتها عند قبره لتاكلها الناس كما كانت عادتهم إذا اجتازوا بقبر كريم

والحاصل أن العرب لما كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما ، وأطلقهم السنة وأوفرهم أفهاما ، استتبع ذلك لهم كل فضيلة ، وأورثهم كل منقبة جليلة فإن العقل المشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفتنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل والبداهة والكيس والخير وإصابة الظن والفراسة^(١) والذكاة^(٢) والكهانة^(٣) والعرافة^(٤) والإلهام ودقة النظر والرأى والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكرو وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة وسائر الأخلاق المحمودة والأعمال المدوحة ، ولكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ليس عندهم علم منزل من السماء ولا شريعة موروثة عن نبي ، ولا هم أيضاً يشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة ، كالطب والحساب ونحوهما إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم ، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء^(٥) والنجوم ، أو من الحروب وتحو ذلك مما ينبغي تفصيله عند الكلام على علومهم إن شاء الله تعالى . فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بالهدى الذى جعله علماً فى الأرض ولا يجعل أجلاً منه وأعظم قدراً وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم ومعالجتهم عن نقلهم عن تلك العادات الجاهلية . والظلمات الكفرية التى كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها . فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم زالت تلك الريون واستنارت بهدايته فأخذوا هذا الهدى العظيم . لتلك الفطرة الحميدة فاجتمع لهم السكال بالقوة المخلوقة فيهم ، والسكال الذى أنزله الله إليهم ، فهم بمنزلة أرض جيدة فى نفسها لكنها معطلة عن الحرث أو قد نبت فيها شجرة العضاء

(١) الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله والوانه واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله (٢) هى ان تركز شيئا بالظن فتصيب (٣) الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما قيل هى ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد الى سبب (٤) قسيمة للكهانة عند كثير من العلماء وقال بعضهم الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية والعرافة بالأمور الماضية (٥) جمع نوء وهو النجم اذا مال للغروب او سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق

والعوسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا طهرت عن المؤذى من الشجر والدواب وازدرع فيها أفضل الحبوب والثمار جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله تعالى بعد الأنبياء وصار أفضل الناس بعدهم من اتبعهم بإحسان من العرب والعجم بمقتضى الشريعة الغراء ، وورد فيها أيضاً أن قريشاً أفضل العرب ، وأن بنى هاشم أفضل من قريش وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بنى هاشم ، فهو أفضل الخلق نفساً وأعلامهم نسباً وليس فضل العرب ثم قريش بنى هاشم ، لمجرد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم ، وإن كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضل . وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور^(١) .

* * *

مناظرة جرت بين النعمان بن المنذر

وكسرى ملك الفرس في شأنه العرب

ذكر كثير من المؤرخين ، ومنهم ابن عبد ربّه في تاريخه ما رواه ابن القطامي عن الكلبي ، قال قدّم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم ما ذكروا . فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم . ولم يستثن فازس ولا غيرها . فقال كسرى وأخذته عزة الملك : يا نعمان لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حال من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهاً ويقم جاهلها .

(١) توقف الشيء على نفسه

ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسياتها ومهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وأن لها ملكاً يجمعها . والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيمهم وتدبر أمرهم . ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة . ومع أن مما يدل على مهانتها وذلتها وصغر همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يماها كثير من السباع لنقلها وسوء طعمها وخوف دائها . وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة . وإن أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها . فجري لها ذلك إلى يومنا هذا . وأن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً وأموراً تُشبه بعض أمور الناس يعني اليمن ، ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس ، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان

أصلح الله الملك حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلاها ويعظم خطها وتعلو درجتها إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فإن أمنى من غضبه نطق به ، قال كسرى : قل فأنت آمن . قال النعمان . أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبجَبْوَحَةِ عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلها . قال كسرى : بماذا ؟ قال

النمان : بعزها ومَنَمَتِها وحسن وجوها وبأسها وسخائِها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفَتِها ووفائِها « فأما عزها ومَمَنَتِها » فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوَّخوا البلاد ، ووطَّدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور « وأما حسن وجوها وألوانها » فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترك المشوهة ، والروم المقشرة . « وأما أنسابها وأحسابها » فليست أمة من الأمم إلا وقد جَهِلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها حتى إن أحدهم ليسأل عن وزاء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه . وليس أحدهم من العرب إلا يسمى آباءه أبا قاباً أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم . فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه « وأما سخاؤها » فإن أدنانهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والتاب عليها بلاغه في حموله وشيمه وريته فيطرقة الطارق الذي يكتفى بالفيلذة^(١) ويحتزى بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحداث وطيب الذكر . « وأما حكمة ألسنتهم » فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس . ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادِنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع^(٢) ، ومطاييم التي لا يبلغ على مثلها سفن ، ولا يقطع بمثلها بلد قفر . « وأما دينها وشريعتها » فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم وينذجون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . « وأما وفاؤها » فإن أحدهم

(١) القطة من الشيء والجمع فلد مثل سدره وسدر (٢) خرز فيه بياض وسواد الواحدة جزعة مثل تمر وتمريرة .

يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يُفْلَقُ^(٢) رهنه ولا تخفف ذمته^(٣) وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره ، وأنه لِيَلْجَأَ إليهم المحرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتسكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك : يثدّون أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيره من الأزواج . وأما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الأبل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوماً ، وأطيبها لحوماً ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلةً ، وأحلاها مضغّةً ، وإنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحما إلا استبان فضلها عليه « وأما تجاربهم » وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمته وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفقتهم من أداء الخراج والوظف^(٤) بالعسف وأما اليمن التي وصفها الملك فلما أتى جدُّ الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن إيوائه ، وصغر في عينه ما شيد من بنائه ولولا

(١) العهد بين القوم وقيل العهد المحكم ، وقيل الشيء اليسير من العهد وفي حديث ابن سيرين : أنه كان يكره شراء سبى (زابل) — بلد بالسند — وقال ابن عثمان ولت لهم ولتا أي أعطاهم شيئاً من العهد ، وقال الجوهري الولت العهد بين القوم يقع من غير قصد ويكون غير مؤكد يقال ولت له عقداً (٢) غلق الرهن غلقاً من باب تعب استحققه المرتهن فترك فكأكه وفي حديث « لا يفلق الرهن بما فيه » أي لا يستحققه المرتهن بالدين الذي هو مرهون به (٣) يقال خفرت بالرجل أخفر من باب ضرب غدرت به (٤) أي استحصال المال منهم بالجبر والظلم يقال سحابة وطفاء أي مسترخية الجوانب بكثرة مائها

ماوتر^(١) به من يليه من العرب لئلا إلى جبال ، ولو جد من يجيد الطعام ، ويفضض
للأحرار ، من غلبة العبيد الأشرار . قال فمجب كسرى لما أجابه النعمان به .
وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ولما هو أفضل ثم كساه
من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة . فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه
ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم . بعث إلى أكم
ابن صيفي ، وحاجب بن زرارة التميميين . وإلى الحارث بن ظالم ، وقيس بن
مسمود البكرين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علانة ، وعامر بن الطفيل
العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والحارث
ابن ظالم المري ، فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم
وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوف أن يكون لها
غوراً ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً^(٢) كيمنض
طباطمته^(٣) في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بلك الأمم الذين حوله ، فاقتص
عليهم مقالات كسرى وما رد عليه . فقالوا : أيها الملك وقك الله ما أحسن ما رددت
وأبلغ ما حججته به فرنا بأمرنا وادعنا إلى ما شئت . قال : إنما أنا رجل منكم وإنما
ملكتم وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إلي مما
سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم ، والرأي أن تسيروا
بجماعتكم أيها الرهط وتنتظروا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره
ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يفضيه
فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مترف معجب بنفسه ولا تنخلوا له أنخزال
الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم
وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكم بن صيفي لسن حاله ،
ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها فإنا دعاني إلى التقدمة إليكم على

(١) اخذ ثاره والتره كذلك (٢) أي عبيدا (٣) جمع طمطم بالكسر الذي في
لسانه عجمة لايفصح

بجميل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه فلا يكون ذلك منكم فيجاء في آدابكم مطعنا فإنه ملك قادر مسلط . ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حُلل الملوك كل رجل منهم حُلّة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجبية مهيبة وفرس نجبية وكتب معهم كتابا : « أما بعد فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتة بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجرت دونه بمملكته وحت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الأمور التي يتميز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغامض عن جفاء إن ظهر من منطقهم وليكرمني بكرامهم وتمجيل سراحهم . وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم » ، فخرج القوم في أهبتهم حتي وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان ققرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبهته^(١) ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم . ثم أذن لهم في الكلام . فقام أكرم بن صفي فقال :

إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر حاجة ، والحزم مركب صعب . والعجز مركب وطىء ،

(١) جمع مرزبان بضم الزاي وهو رئيس الفرس تكلّموا به قديما ، كذا في شفاء الغليل وفي لسان العرب : وأما المرازبة من الفرس فمعرب ، وقال ابن بري حكى عن الأصمعي أنه يقال للرئيس من العجم مرزبان ومرزبران بالراء والزاي وأنشد في المعجم لبعض الشعراء :

الملك ملكان ساسان وقحطان	المدار داران ايوان وغمدان
اسلام مكة والدينيا خراسان	والأرض فارس والاقليم بابل وال
	إلى أن قال :

قد رتب الناس جم في مراتبهم فمرزبان وبطريق وطاخان

آفة الرأى الهوى ، والمعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرى .
المرء يعجز لا محالة ، أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر حسنت سيرته . يكفيك من الزاد ما بلفك المحل ، حسبك من شر سماعه^(١) ، الصمت حكم ، وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف . فتمجّب كسرى من أكرم . ثم قال : ويحك يا أكرم ما أحكمك وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك فى غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينبي عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : ربّ قول ، أنفذ من صول^(٢) .

ثم قام حاجب بن زرارّة النيمى فقال : ورى زندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك . إنّ العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مِرّتها^(٣) ، ومنعت درتها ، وهى لك وامقة^(٤) ما تألفتها ، مسترسلة ما لا ينتها ، سامعة ما ساحتها ، وهى العلقم مرارة ، وهو الصاب^(٥) غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة . نحن وفودها إليك ، وألسنتها لديك ، ذمتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ، إنّ نُوب لك حامدين خيراً فلك بذلك عموم مَحْمَدتنا ، وإن نذم لم نخض بالذم دونها . قال كسرى : يا حاجب ما أشبه حجير التلال بألوان صخرها . قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها . قال كسرى : وذلك .

(١) أى اكتف من الشر بسماعه ولا تعينه ويجوز ان يريد يكفيك سماع الشر وان لم تقدم عليه ولم تنسب اليه مثل قالته فاطمة بنت الخرشب الانمارية أم الربيع بن زياد العبسى لما اراد قيس بن زهير اخذها براحتها ليرتئها بالدرع التى كان ابنها اخذها منه ، يضرب عند العار والمقالة السيئة ويخاف منها كما فى فرائد اللال (٢) ويروى رب قول اشد من صول ، الصول: الحملة والوثبة عند الخصومة والحرب — يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به وقد يضرب فى ما يتبقى منه ، واشد نعت قول كما فى الفرائد للاحدث .

(٣) المرة بالكسرة القوة والشدة ، واستحصدت : استحكمت

(٤) أى محبة (٥) شجر مر

ثم قام الحارث بن عمار البكري فقال : دامت لك الملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنائها ، من طال رشاؤه ^(١) كثر متعته ، ومن ذهب ماله قل منحه ^(٢) . تناقل الأقاويل يعرف اللب . وهذا مقام سيوجف ^(٣) بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ، ونحن جيرانك الأدنون ، وأعوانك الممينون ، خيولنا جمّة ، وجيوشنا نخمة . إن استنجدتنا فغير رُبض ^(٤) وإن استطرقتنا فغير جُهض ^(٥) ، وإن طلبتنا فغير مُغض لا ننثنى لذُعر ، ولا نتنكر لِدَهر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار ، قال كسرى : أنفُسُ عزيزة والله ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك وأنتى يكون لضعيف غزاة أو لصغير مرة . قال كسرى : لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك . قال الحارث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتبية مغرراً بنفسه على الموت فهي منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قدما وأحبسها ، وهي تصرف بها حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلت مُقادها رمحي ، وبرقها سيفي ، ورعدها زئيري ، ولم أقصر عن خوض ضحضاحها ^(٦) . حتى أنفَس في نَمَرات لججها ، وأكون فلكا لفرسانى إلى مجبوحة كبشها ^(٧) . فاستمطرها دما وأترك حمايتها جزر السباع وكل نَسْرٍ قشعم ^(٨) . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أكَذلك هو ؟ قالوا : فعاله انطلق من لسانه . قال كسرى : ما رأيت كالיום وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال : أيها الملك نعم بالاك ، ودام في السرور حالك ، إن عاقبة الكلام متدبرة . وإشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير ثقله ، وفي قليل بُلغة ^(٩) . وفي الملوك سورة العز ، وهذا منطق له ما بعده ، شرف فيه

(١) الرشاء : الحبل والجمع ارشية مثل كساء واكسيه ، والمتع : الاستقاء
(٢) المنح العطاء (٣) وجف يجف وجيفا : اضطرب (٤) رجل ربض عن الحاجات والاسفاز بوزن جنب لاينهض فيها (٥) أى فغير مانعين
(٦) الضحضاح من الماء الذى يظهر منه القمر (٧) مجبوحة المكان : وسطه
(٨) قشعم كجعفر المسن من الرجال والنسور (٩) مايتبلغ به من العيش

من شرف ، وخمل فيه من خمل ، لم نأت لضيمك ، ولم نقد لسخطك ، ولم نتمرض
لرفدك^(١) إن في أموالنا منتقداً ، وعلى عزنا معتمداً ، إن أؤربنا ناراً أثقبتنا ،
وإن أرود^(٢) دهر بنا اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولبن رامك كاخون
حتى يحمد الصدر ، ويستطاب الخبر . قال كسرى : ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ،
ولا مدحك بذك ، قال عمرو : كفى بقليل قصدي هادياً ، وبأيسر إفراطي مخبراً ،
ولم يلم من عزبت نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بما بلغ . قال كسرى : ما كل
ما يعرف المرء ينطق به ، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال : أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشده إرشاداً ،
إن لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غصة : وعي النطق أشد من عي
السكوت . وعثار القول أنكأ من عثار الوعث^(٣) وما فرصة النطق عندنا إلا
بما نهوى ، وغصة النطق بما لانهوى غير مستساغة ، وتركى ما أعلم من نفسى
ويعلم من سمعى أننى له مطيق أحب إلى من تكافى ما أتخوف ويتخوف منى .
وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونعم حامل
المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخمة^(٤) . ورقابنا بالنصيحة خاضعة ،
وأيدينا لك بالوفاء رهينة . . قال له كسرى : نطقك بعقل ، وسمرت بفضل .
وعلوت بنبل .

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال : نهجت لك سبل الرشاد ، وخضعت لك
رقاب العباد ، إن للأقاويل مناهج ، وللآراء موالج ، وللمويعص مخارج ، وخير القول
أصدق ، وأفضل الطلب أنجح ، إننا وإن كانت الحجة أحضرتنا . والوفادة قربتنا ،
فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك . بل لو قست كل رجل منهم وعلمت

(١) الرفد : العطاء (٢) أى رفق والا رواد الامهال وفى المثل : الدهر ارود
مستبد أى لين المعاملة غالب على أمره (٣) المكان السهل الدهسى تغيب فيه
الاقدام والطريق العسر ووعث الطريق كسمع وكرم تعسر سلوكه واوعث
وقع فى الوعث واسرف فى المال . (٤) يقال بخع نفسه بخعاً من باب نفع
قتلها من وجد أو غيظ وبخع لى بالحق بخوعاً انقاداً وبذله .

منهم ما علمنا ، لوجدت له في آبائه دنيا أنداداً وأكفاء كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحمي حماه ، ويروي نداماه ، ويدود أعداءه ، لا تخمد ناره ، ولا يحتز منه جازه ، أيها الملك من يبل العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فإنهم الجبال الرواسي عزا ، والبحور الزواجر طميا ، والنجوم الزواهر شرفا ، والحصى عدداً ، فإن تعرف لهم فضلهم يمزوك ، وإن تستصرخهم لا يخذلوك ، قال كسرى وَخِشَى أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُ كَلَامٌ يَحْمِلُهُ عَلَى السَّخَطِ عَلَيْهِ : حَسْبُكَ ، أبلغت وأحسننت .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المرشد ، وجنبك المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب^(١) ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يحنق صدرك ، ولا يزرع لنا حقداً في قلبك ، لم تقدم أيها الملك لسمامة ، ولم تنتسب لمعاداة ، ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم أنا في المنطق غير محجمين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جورينا فقير مسبوقين ، وإن سومينا فقير مغلوبين : قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم فقير وافرين ، وهو يمرض به في تركه الوفاء بضمانه السواد ، قال قيس : أيها الملك ما كنت في ذلك إلا كوافٍ غدر به أو تكافر أخفر بذمته . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان ولا لدليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيما أخفر من ذمتي أحق بإلزامي العار منك فيما قتل من رعيتك ، وانتك من حرمتك ، قال كسرى : ذلك من اثمن الخيانة ، واستنجد الأئمة . ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ، كيف رأيت حاجب بن زُرارة لم يحكم قواه فيبرم ويعهد فيوفي ويمد فينجز . قال : وما أحقه بذلك وما رأيت له إلا لي . قال كسرى : القوم بزل فأفضلها أشدها .

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال . كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من حنْدَس الظلماء ، وإنما الفخر في الفعل ، والعجز في النجدة ، والسؤدد مطاوعة

القدرة ، وما أعلمك بقدرنا ، وأبصرَكَ بفضلنا ، وبالحرى إن أدالت الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأحلام ؟ قال مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر ، على أمر يذكرك ، قال كسرى : وما الأمر الذى يذكرك ؟ قال : مالى علم بأكثر مما خبرنى به غنبر . قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن . قال كسرى : فإن أتاك آت من جهة عينك الموراء ما أنت صانع ؟ قال : ماهيتى فى قفاى بدون هيتى فى وجهى وما أذهب عيني فى عبث ولكن مطاوعة الميث .

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدى فقال : إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، (١) فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياح ، وعفو رأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة ، خير من اعتساف الحيرة ، فاجتنب (٢) طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرنا بحلمك (٣) وألن لنا كنفك (٤) يسلس لنا قيادنا (٥) ، فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضا ، ولكن معنا حمانا من كل من رام لنا هضما .

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : إن آفة المنطق الكذب ، ومن

(١) هما القلب واللسان لصغر حجمهما وقيل سميا بذلك لانهما اكبر ما فى الانسان معنى وفضلا من باب التصغير للتعظيم كأنه قيل المرء يقوم بمعانيه بهما او يكمل بهما ، قاله شقة بن ضمرة حين قال له التعمان بن المنذر : لان تسمع بالعيدي خير من ان تراه ، فقال ابنت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر تراد منها الاجسام وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان قال قال بلسان وان قاتل قاتل بجنان ، فلما رأى المنذر عقله وبيانه سماه باسم ابيه ضمرة فقليل ضمرة بن ضمرة . (٢) الجبد والاجتباذ : الجذب . (٣) يقال كظم غيظه يكظمه كظما : اجترعه كما فى الصحاح وقيل رده وجبسه واحتمل سببه وصبر عليه وهو مجاز مأخوذ من كظم البعير الجرة ومنه قوله تعالى : « والكاذمين الفيط والعافين عن الناس » والبادرة : ما يبدد من حدثك فى الغضب بلغت الغاية فى الاسراع من قول او فعل وبادرة الشر ما يدرك منه يقال اخشى عليك بادرته وبدرت منه بواذر غضب اى خطأ وسقطات عندما احتد وقال النابغة :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بواذر تحمى صفوه ان يكدرا

(٤) الكنف بفتح الجيم : الجانب . (٥) يقال فلان يسلس القياد وصعبه وهو على المثل اى يتابعك على هواك كما فى الاساس ، وفى حديث على (رض) : فمن اللهج باللذة السلس القياد .

لؤم الأخلاق الملقى ، ومن حطل رأى خفة الملك السلط ، فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن ائتلاف ، وإيفادنا لك عن تصاف ، ما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، وأحكام ولت العقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل . ما لم يأت من قبلك ميل أوزلل . قال كسرى : من أنت ؟ قال الحارث بن ظالم . قال : إن في أسماء آباءك لدليلاً على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالعدو ، وأقرب من الوزر . قال الحارث : إن في الحق مغضبة ، والسرو والتفاؤل ، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة ، فلتشبه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم : وتفن فيه متكلموكم ، ولولا إني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم^(١) ولم يحكم أمركم ، وإنه ليس لكم ملك يجمعكم فتتطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة . فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به ، وإني لأكره أن أجبه وفودي أو أحنق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مدبركم ، وتألف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت فيما كان في منطقكم من صواب ، وصفحتم عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته ، والزموا طاعته ، وادعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أدبهم ، فإن في ذلك صلاح العامة .

كلام راجع إلى المققع في فضل العرب

روى أبو العيناء الهاشمي عن الفخدي عن شبيب بن شبة قال : كنا وقوفا بالمزبد موضع بالبصرة وكان المريد مألّف الأشراف ، إذ أقبل ابن المققع فبشبننا^(٢) به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ، ثم قال : لو ملّتم إلى نيزوز

(١) يقال ثقفته بالتشديد أي اقامت المعوج منه ، والادود الاعوجاج .

(٢) قال يعقوب يقال لقيته فتششش بي وأصلها تششش بي فابدلوا من الشين الوسطى بباء كما قالوا تجفف .

وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذي تطلبونه لم تفلتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه ، فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان ، قال لنا أيُّ الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لعله أراد أصله من فارس فقلنا : فارس فقال ليسوا فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لعله أراد أصله من فارس فقلنا : فارس . فقال ليسوا بذلك إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقد الأمر ، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طرفة . قلنا : فالهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خاق الله . قلنا الترك . قال : كلاب مختلصة . قلنا : الخزر . قال : بقرسائة قلنا : فقل . قال : العرب . قال فضحكنا قال : أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاتني حظى من النسبة ، فلا يفوتني حظى من المعرفة . إنَّ العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، أدبتهم أنفسهم ورفعتهم همهم وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وحبائهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال سبحانه « إِنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ، فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خضم ، ودفع الحق باللسان ، أكبت للجنان .

مذهب السعوية في العرب والبطالة

السعوية فرقة من الناس ذهبوا إلى تصغير شأن العرب . وإنهم لا يرون لهم

فضلا على غيرهم من سُئِلوا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل . فقد قال جمع من المفسرين في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) : إن القبائل للعرب ، والشعوب للعجم ، ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب ، ومنهم أبو عبيدة وكان يرى رأى الخوارج وقد ألف كتابا في مثالب العرب وابن غرسية وله رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . قال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي : كتاب مثالب العرب أصله لزياد بن أبيه فإنه لما ادعى أبا سفيان أبا علم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمهم بنسبه فعمل كتاب المثالب . وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وإفك وبهت . ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدى وكان دعيا فأراد أن يعر أهل الشرف تشفيا منهم ثم جدد ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وزاد فيه لأن أصله كان يهوديا ، أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر فانتفى إلى ولاء تيم ، ثم نشأ غليلا للشعوبى الوراق وكان زنديقا تنويا لا يشك فيه فعمل لطاهر بن الحسين كتابا خارجا عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر من أكرمهم وأمهاتهم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب إليهم كل كذب وزور ووضع عليهم كل إفك وبهتان ووصله عليه طاهر بثلاثين ألفا . وأما كتاب المثالب والمناقب الذى بأيدي الناس اليوم فإنه هو للنضر ابن شمير الحميرى ، وخالد بن سلمة الخزومى ، وكانا أنسب أهل زمانهما أمرهما هشام بن عبد الملك أن يبينوا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لها ولن انضم إليهما : دعوا قريشاً بما لها وما عليها فليس لقرشى في ذلك الكتاب ذكر انتهى وكثير من الأعاجم يرى هذا الرأى ، روى عن بديع الزمان الهمداني أنه قال : كنت عند الصاحب كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شمراء العجم ، فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب ويذممهم وهي :

غنينا بالطبول عن الطلول وعن عس عذافرة ذمول^(١)
وأذهلني عقار عن عقار في است أم القضاة مع العدول
فلست بتارك إيوان كسرى لتوضح أو لحومل فالدخول^(٢)
وضب بالفلا ساع وذئب بها يعوى وليث وسط غيل^(٣)
يسلون السيوف لرأس ضب حراشا بالغداة وبالأصيل^(٤)
إذا ذبحوا فذلك يوم عيد وإن نحرروا في عرس جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا نجار صاحب القرم النبيل^(٥)
لكان لهم بذلك خير نفر وجيلهم بذلك خير جيل
فلما وصل إلى هذا الموضع من إنشاده قال له صاحب : فذاك . ثم اشرأب^(٦)
ينظر إلى الزوايا وأهل المجلس وكنت جالسا في زاوية من البهو^(٧) فلم يرني فقال :
ابن أبي الفضل . فقلت وقبّلت الأرض وقلت : أمرك . وقال : أجب عن ثلاثك
قلت : وما هي ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك . فقلت : لا فسحة للقول ولا راحة
للطبع إلا السرد كما تسمع . ثم أنشدت أقول :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار إلى دليل ؟
ألسنا الضارين جزى عليكم وإن الجزى أولى بالدليل
متى قرع المنابر فأرسي متى عرّف الأعرّ من الحجول

- (١) العدا فر كعلا بط الاسد والعظيم الشديد من الابل ، والذمول الناقة التي تدمل في سيرها والذميل السير اللين ما كان أو فوق العنق .
(٢) يشير بهذا الى ما قاله امرؤ القيس في معلقته وهو :
قفانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
وكل هذه اسماء مواضع . (٣) الفلا جمع فلاة وهي القفر ، والغيل : موضع الاسد . (٤) حرش الضب : صاده ، والاصيل : العشي .
(٥) النجار بالكسر الاصل ، والقرم : السيد . (٦) يقال اشرأب اليه مد عنقه لينظر أو ارتفع الاسم الشرايبة كالطمانينة . (٧) البهو البيت المقدم أمام البيوت .

متى عَرَفْتُ - وأنت بها زعيم - أكَفُّ الفُرس أعراف الخيول
نَحَرْتُ بَملءٍ ما ضَعَّيْتُكَ هُجْرًا على قَحْطَانَ والبيت الأصيل^(١)
وتفخر أنَّ ما كَوَلَّا وَلِبْسًا وذلك نَحْرُ رَبَّاتِ الحُجُولِ
ففاخرهم في خَدِّ أُسَيْلٍ وفرع في مفارقتها رَسِيلِ
وأجدُّ من أَيْبِكَ إذا تَزَيَّا عُرَاةَ كَاللْيُوثِ على الحُيُولِ

قال : فلما أتممت إنشادى التفت إليه صاحب وقال له : كيف رأيت ، قال
لو سمعت به ما صدقت . قال : فإذا جازتك جوازك إن رأيتك بعد هذا ضربت
عنقك . ثم قال : لا أدري أحداً يفضل العجم إلا وفيه عرق من الجوسية ينزع
إليه .^(٢) والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاقٍ إما في الاعتقاد
وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك ، ولهذا جاء
في الحديث « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » ، مع أن الكلام في هذه المسائل
لا يكاد يخلو عن هوى النفس من الطرفين ، وهذا في الشريعة محرم في جميع
المسائل ، فإن الله تعالى قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله ونهاهم عن التفرق
والاختلاف وأمرهم بإصلاح ذات البين : وفي الحديث : مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتماطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحلمى . وفي حديث آخر : لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى . وإني لا أعجب من
غير المسلمين إذا نازع في هذه المسألة ، وإنما العجب ممن يلتزم أمر الشريعة
ويخالف فيما سمعت من فضل العرب مع ما ورد من النصوص الصريحة في ذلك .
فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن العباس رضى الله تعالى عنه ، قال :
بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعض ما يقول الناس ، قال فعمد المنبر فقال :

(١) الماضغان اصول اللحيين عند منبت الأضراس ، والهجر بالضم التقييح
من الكلام . (٢) أى يميل إليه .

من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله . فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
 إنَّ الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ،
 وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا
 خيركم بيتاً وخيركم نفساً . . فأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه ما انقسم الخلق
 فريقين إلا كان هو في خير الفريقين . وقوله في الحديث خلق الخلق فجعلني
 في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة يحتمل شيئين . أحدهما : أن الخلق
 هم الثقلان أي الجن والإنس أو هم جميع ما خلق في الأرض وبنو آدم خيرهم .
 وإن قيل بعموم الخلق حتى تدخل فيه الملائكة ففيه تفضيل جنس بني آدم على
 جنس الملائكة وله وجه صحيح ، ثم جعل بني آدم فرقتين وهما العرب والعجم ،
 ثم جعل العرب قبائل ، فكانت قريش أفضل قبائل العرب ، ثم جعل قريشاً
 بيوتاً ، فكانت بنو هاشم أفضل البيوت . ويحتمل أنه أراد بالخلق بني آدم ،
 فكان في خيرهم — أي في ولد إبراهيم أو في العرب — ثم جعل بني إبراهيم
 فرقتين ، بني إسماعيل ، وبني إسحاق ، وجعل العرب عدنان وقحطان ، فجعلني
 في بني إسماعيل في بني عدنان ، ثم جعل بني إسماعيل وبني عدنان قبائل ، فجعلني
 في خيرهم قبيلة وهم قريش . وعلى كل تقدير فالحديث صريح بتفضيل العرب
 على غيرهم ، ولهذا وردت أخبار صحيحة في محبتهم والاعتناء بشأنهم منها : أن
 حب العرب إيمان وبغضهم كفر . من أحب العرب فقد أحبني ، ومن أبغض
 العرب فقد أبغضني . ومنها : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي .
 وذلك لأن الغش للنوع لا يكون مع محبتهم بل لا يكون إلا مع استخفاف أو
 بغض . ومنها : أحبوا العرب لثلاث لأنني عربي ، والقرآن عربي ، ولسان أهل
 الجنة عربي . وروى الترمذي عن سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه أنه قال :
 فضلتهمونا يامعشر العرب باثنتين لا تؤمكم ولا تشكح نساءكم . وهذا مما احتج
 به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى العجمي ، واحتج

به أحمد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقاً لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى إنه يفرق بينهما عند عدمها . واحتج أصحاب الشافعي بهذا على أن الشرف مما يوجب التقديم في الصلاة . وذكر أبو محمد حرب ابن إسماعيل الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها هذا مذهب أئمة المسلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المروفين بها المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن غلدة وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم . وكان من قولهم : إن الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ وساق كلاماً طويلاً إلى أن قال : ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : حبُّ العرب إيمانٌ وبغضهم نفاق ، ولا نقول بقول الشعوبية وأردال الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم ، فإن قولهم بدعة وضلال ، عند ذوى الفضل والكمال . انتهى . والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وللحفاظ العراق رسالة في ذلك سماها (القرب في محبة العرب) . وكذا لغيره من العلماء المتقدمين :

سب الشعوبية وإبطالها

قالت الشعوبية : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد ، واحتججنا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : المؤمنون إخوة تشكافاً دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم . وهم يد على من سواهم . وقوله في حجة الوداع وهي خطبته التي ودع فيها أمته وختم نبوته : أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية ونخرها بالآباء كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،

ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فأيتيم إلا فخرًا وقلتم لا تساويننا المعجم وإن تقدمتنا إلى الإسلام ثم صلت حتى تصير كالحنى وصامت حتى تصير كالأوتار . ونحن نساعدكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذي نهاكم عنه نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أيتيم إلا خلافه وإنما نجيبكم إلى ذلك لإتباع حديثه وما أمر به صلى الله تعالى عليه وسلم فنرد عليكم حججتكم في الفاخرة ونقول : أخبرونا إن قالت لكم المعجم هل تمدون الفخر كله أن يكون ملكا أو نبوة ؟ فإن زعمتم أنه ملك ، قالت لكم : وإن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة والتماردة والمالقة والأكاسرة وألقياصرة ، وهل ينبغي لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان عليه الصلاة والسلام الذي سخرت له الإنس والجن والطير والريح وإنما هو رجل منا ؟ أم هل كان لأحد مثل ملك الإسكندر الذي ملك الأرض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبني رَدْمًا^(١) من حديد ساوى به بين الصّدفَيْن^(٢) وسجن وراءه خلقًا من الناس تربو على خلق الأرض كلها كثرة ؟ يقول الله عز وجل : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)^(٣) ، فليس شيء على كثرة عددهم من هذا وليس لأحد من ولد آدم مثل آثاره في الأرض ولو لم يكن إلا منارة إسكندرية التي أسسها في قبر البحر وجعل في رأسها مرآة يظهر البحر كله في زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك ، والذي تحته بنت ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل ، والذي له نهران ينبتان المود والفوة والجوز والكافور الذي يوجد ريمه على اثني عشر ميلا ، إلى

(١) هو السد بين يأجوج ومأجوج . (٢) الصدفان ناحيتان وقوله عز وجل ساوى بين الصدفين أى ما بين الناحيتين من الجبل . (٣) الحدب بفتح الحاء ما ارتفع من الأرض، وينسلون أى يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشى الذئب إذا أسرع يقال مر الذئب ينسل ويهسل .

ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيئاً . أما بعد فإنى أردت أن تبعث إلى رجلا يعلمنى الإسلام ويوقفى على حدوده والسلام . . . وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنبوّة فإن منّا الأنبياء والمرسلين قاطبةً من لدنّ آدم ما خلا أربعةً هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمداً عليهم الصلاة والسلام . ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما المنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الأصل وأنتم الفرع ، وإنما أنتم غصن من أغصاننا فقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم فى كل شق من الأرض لها ملوك تجممها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتجها وبدائع تفتقها فى الأدوات والصناعات ، مثل صنعة الديباج وهى أبداع صنعة ، ولعب الشطرنج وهى أشرف لعبة ، ورمانة القبان التى يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ، ومثل فلسفة الروم فى ذات الخلق والقانون والإصطراب الذى يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودَوْرَانِ الأفلاك وعلم الكسوف وغير ذلك من الآثار المتقنة ، ولم يكن للعرب ملكٌ يجمع سوادها ويضم قواصبيها ، ويقمع ظالمها وينهى سفهها ، ولا كان لها قط نتيجة فى صناعة ولا أثر فى فلسفة إلا ما كان من الشعر . وقد شاركتها فيه المعجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجبية قائمة الوزن والمروض فما الذى تفتخر به العرب على المعجم فإنما هى كالدثاب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض . فرجلها موثقون فى حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مردقات على حقائب الإبل ، فإذا أدركهن الصريح استنقذن بالعشى^(١) ، وقد وطئن كما توطأ الطريق المهيّج^(٢) . فخر بذلك شاعر فقال : وأوثق عند المردقات عشية^(٣) فقيل له ويحك وأى فخر أن تلحق بالعشى وقد نكحن وامتهن^(٤) . وقال جرير يعيربنى دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وبرحرحان غداة كُيِّلَ معبد نكحت نساؤكم بغير مهور

(١) الواسع الواضح . (٢) تمامه : لحاقا إذا ما جرى السيف مانع .

وقال عنتره لامرأته

إن الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخصبي
وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوة أقرن إلى شد الركاب وأجنب
ويكون مركبك القمود ورحله وابن النعامة عند ذلك مركبي
أراد بـابن النعامة ، باطن القدم . وسبى ابن هبولة الغساني امرأة الحارث بن
عمرو الكندي فلحقه الحارث فقتله وارتمع المرأة ، وقد كان نال منها فقال لها :
هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله فما اشتملت النساء على مثله . فأوثقها بين فرسين ،
ثم استحفظها حتى قطماها ، وقال في ذلك :

كل أنثى وإن بدا لك منها آية الود حبها خيتعمور^(١)
إن من غره النساء بودٍ بعد هنيء لجاهل مغرور
وسبت بنو سليم ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :
أمن (ريحانة) الداعي السميع يؤرقي وأصحابي هجوع
وفيها يقول :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(٢)
وأغار الحوفزان على بني منقذ بن زيد مناة فاحتمل الزرقاء من بني ربيع بن
الحارث فأعجبته وأعجبها فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم فاستنقذها وردّها إلى
أهلها بعد أن وقع بها . . فهذا كان شأن العرب والعجم في جاهليتها ، فلما أتى الله
بالإسلام كان للعجم شطر الإسلام ، وذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث
إلى الأحمر والأسود من بني آدم ، وكان أول من تبعه حر وعبد ، واختلف الناس

(١) الخيتعمور : السيئة الخلق وكل ما لا يدوم على حالة .
(٢) قال الدماميني : يحكى أن شخصاً سأل الخليل أن يقرأ عليه علم
العروض فاقام مدة يختلف اليه للقراءة ولم يحصل شيئاً فأعيا الخليل امره
ولم ير أن يواجبه بالمتع حياء منه فقال له يوماً وقد حضر للقراءة قطع قول
الشاعر إذا لم تستطع البيت ففطن الرجل الى ما اراده الخليل فانصرف ولم
يعد ، وأنا أعجب ممن تفطن لمثل هذا كيف يصعب عليه فن العروض مع
سهولته والله مقدر الامور .

فيهما فقال قوم : أبو بكر ، وبلال . وقال قوم : عليٌّ وصُهيْب . ولما احتضر عُمرُ ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه قدم صهيْباً على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس وقال له : استخلف . فقال : ما إخالني ممن أَسْتَخلف ، فذكر له الستة من أهل جِراء فكلهم طعن عليه ، ثم قال لو أدركت سالماً مولى أبي حذيفة حيّاً لما شككت فيه ، فقال في ذلك شاعر العرب :

هذا صُهيْبٌ أمَّ كلَّ مُهاجِرٍ وعلا جميعَ قبائلِ الأنصارِ
لم يرض منهم واحداً لصلاتنا وهُمُ الهداةُ وقادةُ الأخيارِ
هذا ولو كان المِثمُ سالمٌ حَيًّا لنالِ خلافةَ الأمصارِ
ما زال هذى المعجمُ تحيّا دوننا إن العريبَ لقي عَمى وخسارِ
وقال بجير يعيّر العرب باختلافها في النسب واستلحاقها للأدعياء :

زعمتم بأن الهند أولادُ خِنْدِفٍ وبينكمُ قُربى وبين البرابرِ
وديلمُ من نَسَلِ ابنِ ضَبَّةٍ باسلٍ وبرجان من أولاد عمرو بن عامرِ
قد صار كلُّ الناس أولادَ واحدٍ وصاروا سواء في أصولِ المناصرِ
بنو الأصغرِ الأملاكُ أكرمُ منكم وأولى بقرباننا ملوكُ الأكاسِرِ
أُتِطع في صهرى دَعِيًّا مجاهراً ولم تر سترًا من دَعِيٍّ مُجاهِرِ
وتشتم لؤمًا رهطه وقبيله وتمدح جهلاً طاهراً وابنَ طاهرِ

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوية :

وجاورت قومًا ليس بيني وبينهم أوأصِرُ إلا دعوةً وبطونُ
إذا ما دعى باسمي العَرِيفُ أُجِبتُهُ إلى دعوةٍ مما على يهونُ
لارد عمان بن المهلبِ بزة إذا افتخر الأتوام ثم تلينُ
وبكر يرى أن النبوة أُنزلت على مسمع في البطن وهو جنينُ
وقالت تميم : لا تَرى أن واحداً كأحنفنا حتى الماة يكونُ

فلالت قيسا بعدها في قتيبة إذا افتخروا إن الحديث شجون^(١)
رد ابن قتيبة على الشعوية

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب : وأما أهل التسوية فإن منهم قوماً أخذوا
ظاهر بعض الكتاب والحديث فقصوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله
عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وقوله : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا
بين أخوتيكم) . وإلى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع :
(أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ليس لعربي على
عجمي نفرة إلا بالتقوى ، كلُّكم لآدم وآدم من تراب) . وقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم : (المؤمنون تنكفأ دماؤهم ويسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) .
وإنما المعنى في هذا أن الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الأحكام والمنزلة عند الله
تعالى والدار والآخرة ، لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل
إلا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ، ولا فاضل ولا مفضول ،
فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) . وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم : (أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم) . وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم في قيس ابن عاصم : (هذا سيد الوبر) . وكانت العرب تقول : (لا يزال
الناس بخير ما تباينوا فإذا تساؤوا هلكوا) . تقول . لا يزالون بخير ما كان فيهم
أشراف وأخيار فإذا جلوا كلهم جملة واحدة هلكوا . وإذا ذمت العرب قوماً قالوا :
« سواسية كأسنان الخمار » .^(٢) وكيف يستوى الناس في فضائلهم والرجل الواحد
لا يستوى في نفسه أعضاؤه ولا تنكفأ مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ،

(١) هذا مثل ولفظه : الحديث ذو شجون أى ذو طرق الواحد شجون
بسكون الجيم ، يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره ، وأول من قاله
ضبة بن اد بن طابخة بن اياس ابن مضر ، وقصته مذكورة في كتب الامثال
فلترجع . (٢) قال في الصحاح هما في هذا الامر سواء « وان شئت سوان
وهم سواء للجمع وهم اسواء وهم سواسية مثل يمانية على غير قياس ، وفي

والرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس وقالوا : القلب أمير الجسد ، ومن الأعضاء خادمة ومنها مخدومة ، ثم قال : ومن أعظم ما ادّعت الشعوبية نغرم على العرب بآدم عليه السلام ، ويقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « ولا تفضلوني عليه فإنما أنا حسنة من حسناته » . ثم نغرم بالأنبياء أجمعين وأنهم من المعجم غير أربعة هود وصالح وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، واحتجوا بقول الله عز وجل : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض والله سميع عليم) . ثم نغروا بإسحق بن إبراهيم وأنه لسارة : وأن إسماعيل لإمة تسمى هاجر . وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عُكْلُهَا طُنْباً ولا خِباءَ ولا عَكَ وَهْمُ أَنْ^(١)
ولا لجرْمٍ ولا نَهْدٍ بِهَا وَطَن ولكنها لبني الأحرار أوطان^(٢)
أرض تبني بها كسرى مساكنه فما بها من بني اللخناء إنسان^(٣)

فبنو الأحرار عندهم المعجم ، وبنو اللخناء عندهم العرب ، لأنهم من ولد هاجر وهي أمة . وقد غلطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء ،

التهذيب : قال الفراء هم سواسية يستونون في الشر ولا أقول في الخير ولا واحد له وحكى عن أبى القمقام سواسية أراد سوءاً ثم قال سية ، وروى عن أبى عمرو أنه قال ما أشد ما هجا القائل :

سواسية كاسنان الحمار

وذلك ان اسنانه مستوية انتهى ، وفي الفرائد : سواسية كاسنان الحمار ، ويقال سواسية كاسنان المشط ، قيل لا يعرف للسواسية مفرد وإنما هي كلمة موضوعة موضع سواء في الشر والمكروه وقيل جمع سوءاً على غير قياس ، والمراد في المثل في الشراويل من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) عكل على ما في نهاية الارب للنويرى بطن من طابخة من العدنانية وهم بنو عوف بن عبد مناة بن اد بن طابخة ، والطنب بضمين جبل طويل يشد به سرادق البيت او التود والجمع اطناب وطنبة ، وعك : بطن من الازد من القحطانية ، وهمدان : بطن من كهلان من القحطانية قال في العبر : وديار همدان لم تزل باليمن من شرقيه ولما جاء الاسلام تفرق من تفرق وبقي من بقي باليمن ، وكانت همدان شيعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رض) عند وقوع الفتن بين الصحابة (رض) . (٢) قال المجد : جزم بطن في طبعه وابن زبأن بطن في قضاة انتهى . والتفصيل في نهاية الارب للنويرى ، ونهد : بطن من قضاة من القحطانية .

وإنما اللحناء من الإماء الممتحنة في رعى الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنما أخذ من اللحن وهو نتن الريح يقال لحن السقاء إذا تغير ريحه . فأما مثل هاجر التي طهرها الله تعالى من كل دنس وارتضاها للخليل فراشاً وللطيبين إسماعيل ومحمد عليهما السلام أما ، وجعلهما سلالةً فهل يجوز للمحد فضلاً عن مسلم أن يسميها لحناء ؟ .

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس وتفاضلهم والسيد منهم والسود : إنا لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا السيد منهم والسود والشريف والمشروف ، ولكننا نزع أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأبائهم ولا بأحسابهم ولكنهم بأفماهم ، وأخلاقهم ، وشرف أنفسهم ، وبعد همهم ، ألا ترى أنه من كان دنى الهمة ، ساقط المروة ، لم يشرف وإن كان من بنى هاشم في ذؤابتها^(١) ومن أمية في أرومتها^(٢) ومن قيس في أشرف بطن منها . إن الكريم من كرمته حاله ، والشريف من شرفته همته . وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : (إذا أنا كم كريم قوم فأكرموه) . وقوله في قيس بن عاصم : (هذا سيد أهل الوبر) وإنما قال فيه لسودده في قومه بالذب عن حريمهم وبذل رفقه لهم ، ألا ترى أن عامر بن الطفيل كان في أشرف بطن في قيس يقول :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب^(٣)
فما سودتني عامر عن وراثته أبي الله أن أسمو بأمر ولا أب
ولكنني أحى حماها وأتقى أذاها وأرى من رماها بمنكب

(١) اللؤابة من العز والشرف وكل شيء أعلاه .

(٢) الأرومة بالفتح وتضم الأصل .

(٣) يستشهد النحويون بهذا البيت على تسكين واو اسمو مع الناصب لاجل الضرورة . . والمعنى انه وإن كان كريم الأصل شريف المحتد الا انه لم يرث السيادة عن آبائه وانما سيادته من نفسه لحملها على معالي الأمور ثم قال ابي الله ان اسمو بام ولا اب اي لا يكون ذلك ابداً — والموكب : الجماعة ركبانا أو مشاة أو ركاب الإبل للزينة .

وقال الآخر

إنّا وإن كرمت أوائلنا لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة « لأقضي بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي ولا يردها أحد بعدى ، أيما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه ، وأيما رجل ادعى كرمًا دونه لؤم فلا كرم له » . ومثله قول عائشة أم المؤمنين « كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به » . تعنى بقولها أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوليته . وإن لؤمت فلا ينفعه كرم أوليته . وقال الشاعر :

نفس عصام سودت^(١) عصاما وعلمته الكرم والإقدام^(٢)
وجعلته ملكاً هماماً^(٣)

وقال آخر

مالى عقلى وهمتى حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربى
إن اتنى منتهم إلى أحد فإننى منتهم إلى أدبى^(١)

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ما سمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك . قال : صدقت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : حسب الرجل ماله وكرمه دينه . وقال عمر بن الخطاب

(١) قيل عصام هو ابن شهير حاجب النعمان بن المنذر الذى قال له انشأ بعة حين حجبه عن عيادة النعمان من قصيدة له :

فانى لا الوملك فى دخولى ولكن ما وراءك يا عصام

يضرب فى نباهة الرجل من غير قديم . ويسمى الخارجى أى خرج بنفسه من غير أولية كانت له ، وفى المثل : كن عصامياً ولا تكن عظامياً ، الكرم العطف والرجوع ، واقدام على الامر اقداًماً شجع . (٢) الهمام بالضم الملك العظيم . الهمة والسيد الشجاع السخى خاص بالرجال . (٣) الانتماء الانتساب .

رضى الله تعالى عنه : إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك دين فلك كرم .
وقد تمجّب شهاب الدين الأندلسي في كتابه المقد حيث قال بعد ذكر ما سبق من
الكلام : وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب إنّه ذهب فيه
كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية . فنقص في آخره
كل ما بني في أوله ، فقال في آخر كلامه : وأعدل القول عندي أن الناس كلهم لأب
وأُمّ خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في مجرى البول ، وطراً عليهم
الأقذار ، فهذا نسبهم الأعلى الذي يردع به أهل القول عن التظيم والكبرياء ،
والفخر بالآباء ، ثم إلى الله مرجعهم فتنقطع الأنساب وتبطل الأحساب ، إلا من
كان حسبه التقوى ، أو كانت ما تنه طاعة الله .

قول الشعوبية في منالكح العرب

إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد
نكاح ولا استبراء من طمّث أى الحيض فكيف يدرى أحدم من أبوه ، وقد
فخر الفرزدق ببني ضبة حين يبتزون العيال في حروبهم في سبية سبوها من بني
عامر بن صعصعة :

فطلّت وظلّوا يركبُون هَبِيرَهَا وليسَ لهم إلا عواليها سترُ
والهبير : الطمّث من الأرض . وإنما أراد ههنا فرجها ، وهو القائل في بعض
ما يفخر به :

ومنا التميّ الذي قامَ أَيْرُهُ ثلاثينَ يوماً ثم زادهمُ عشرًا

الرد عليهم في ذلك

إن جميع ما ذكره الشعوبية في شأن منالكح العرب ، وما أوردوه في باب
الطمّن على أنسابهم بما كانوا يتعاطونه في الغارات من سبى النساء واسترقاقهم
ووطئهم من غير استبراء من طمّث ونحو ذلك لا أصل له ، وكتب التواريخ

صادحةٌ بتبرّتهم مما رماهم به خصومهم وأعداؤهم ، وقد نطق الشعر الجاهلي بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بأنسابهم وحفظ حريمهم والذب عن أحسابهم وعشائرهم ، ولم يكن من مذاهب العرب وعوائدها قديماً وحديثاً التمرض بسوء للنساء والأهل في الغارات والنازعات . بل كان ذلك من أكبر الكبائر لديهم . وما روته الشعوبية من الأبيات الشعرية إن صحت عن قائلها وأنه كان من صميم العرب فلا مطعن فيه فإن ما يصدر عن شخص من قوم لا يسوغ عند ذوى العقول والآراء الصائبة أن يؤاخذ به جميع أفراد نوعه (ولا تزِرْ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى) . ولم يدّع أحد أن كل فرد من أفراد العرب معصوم من كل خطيئة وعيب ، وأن كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم في جميع صفات الفضائل ، هيات ذلك فإن هذا بديهيّ البطلان . ألا ترى أن جميع أهل العقول السليمة قائلون بفضل جنس الرجال على جنس النساء مع أن بعض أفرادهن لا يعادلن في الكالات النفسية والفضائل الإنسانية ألوف مؤلفة من الرجال المارين عن ذلك . وما أحسن قول الشاعر :

ولو أنّ النساء كنّ فقدنا لفضلنا النساء على الرجال^(١)

فما كان من شخص أو شخصين من أمة العرب من المنكر لا يزرى بملو شأنهم ورفيع مجدهم لاسيما إذا كان ذلك المنكر ليس بمقطوع الصحة أو أنه مما له وجه ، فإن السبي عند غزو بعضهم بعضاً كان في حكم الرقيق بمقتضى ديانتهم

(١) البيت للمتنبي من قصيدة يرثي بها والده سيف الدولة وقد توفيت بمها فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وأولها:
نعد المشرفية والغوالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السنوابق مقربات وما ينجين من جنب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
وهي طويلة وكلها فرائد ودرر ، ومعنى البيت يقول لو أن نساء العالم كهذه المفقودة في الكمال والعفاف لفضلن على الرجال ، قال ابن وكيع ينظر إلى قول علي ابن الجهم .

إذا ما عد مثلكم رجالا فما فضل الرجال على النساء

وعوائدهم ، ووطء ملك اليمين من غير عقد ليس بزنى عند كافة أهل الأديان .
هذا مع أن الأمر كما ذكرناه سابقاً ، ثم نقول أى أمة من الأمم غير العرب كانت
معصومة من السبي والغارات ، وهكذا ديدن الخليفة من أولها إلى آخرها ،
ولو ذكرنا حال مناكح سائر الأمم غير العرب في الأيام الخالية لاسودَّ
وجه القرطاس . وما قالته الشعوبية من أن العرب كانوا يقربون النساء من غير
استبراء من طمث فهو بهتانٌ عظيم ، وشعر العرب وتواريخهم ناطقة بخلافه ،
وأنتهم كانوا يحتززون عن الجماع في الحيض ، وسيأتى بيان ذلك في الكلام على
عوائدهم وعباداتهم إن شاء الله تعالى .

بجمل القول في جميع ما قالته الشعوبية في العرب

اعلم أن جميع ما قالته الشعوبية في مقام الاستدلال في مدّعاهم واقع في غير
موقعه وقائم في غير محله ، فإن المدعى إنما هو فضيلة الجنس فيما هو مناط الفضيلة
بين أنواع بني آدم ، وهو أن سبب فضل جنس العرب ما اختصوا به في عقولهم
وآسلنتهم وأخلاقهم وأعمالهم وغير ذلك مما أسلفناه وأوضحناه بآتم وجه وأبسطة .
وليس المدعى أن الفضيلة بنبوّة حتى يقال إن أنبياء غير العرب أكثر من أنبيائهم ،
فإن جميع الأنبياء كما ذكر وهب بن منبه مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف
نبى ، الرسل منهم ثلاثمائة نبى وخمسة عشر نبياً ، ومنهم خمسة عبرانيون : آدم
وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم . وخمسة من العرب : هود وصالح وإسماعيل
وشعيب وعبد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين . وروى أبو صالح عن ابن
عباس^(١) قال : بعث الله إلى أهل الرسّ — والرس : البئر — نبياً منهم يقال له
حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فأوحى الله تعالى إلى نبى كان مع مختنصر
يقال له أرميا بن برخيا : مُرْ بِمُخْتَنَصِرٍ يَفْزُو الْعَرَبَ الَّذِينَ لَا أَغْلَاقَ لَبِيتِهِمْ

(١) أقول أن أبا صالح لم ير ابن عباس الأرض على ما ذكر رجال الجرح
والتعديل منهم الإمام الذهبى في الميزان .

فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم ، وخالد بن سنان كان أيضاً من أنبياء العرب كما ورد الحديث في شأنه ، وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : ذاك نبي أضاعه قومه ، وباقي الأنبياء من سائر الأمم المختلفة . فليس فضل العرب ثم قريش ثم بنى هاشم لمجرد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضل وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور ، مع أنه لو ادعى خصوم الشعوبية أن منشأ الفضيلة ذلك لأمكنهم أن يقولوا إن أنبياء العرب على قلتهم يساؤون غيرهم من الأنبياء والرسول في الفضل أو يرجحونهم ، وليس ذلك يبدع فإن التفاوت ما بين إنسان وإنسان ، ظاهر لدى العيان ، فإنك قد ترى واحداً كعشرة وعشرة ككائة بل واحداً ككائة وعشرة أخرى هَدَرَة ^(١) دون واحد . وقيل لامرأة : عشرة هدره أحب إليك أم واحد كعشرة ؟ فقالت يل واحد كعشرة . قال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً لدى المجد حتى عدَّ ألف بواحدٍ

بل نرى واحداً كعشرة آلاف ، ونرى عشرة آلاف دون واحد ، كما قال عليه الصلاة والسلام وهو أصدق قيلاً : الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة . والإبل في تعارفهم اسم لمائة بعير ، فائة إبل هي عشرة آلاف بعير ، بل لو قيل قد نرى واحداً كعالم وعالم كواحد لجاز ، كما قال عليه الصلاة والسلام : وزنت بأمتي فرجحتهم ، وعلى هذا قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدٍ

وليس المدعى أيضاً أن الفضيلة بملك وثروة وكثرة عددٍ وعدد ، فإنها ليست أيضاً مما تستوجب الفضيلة ، وتقتضى الصفات الجيلة .

(١) هدره محركة وكعنية وهمزة ساقطون ليسوا بشيء والفتح اقيس لانه جمع هادر مثل كافر وكفرة وكذا الواحد والانثى يقال رجل هدره مثل همزة ساقط قال الحصين بن بكر الريمى :

انى اذا حار الجبان الهدره ركبته من قصد السبيل شجره

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً^(١)
وفي معنى ذلك يقول السموءل من أبيات مر ذكرها :

وما ضررنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين دليل
مع أنه قد بلغت مدينة العرب في الأيام الحالية إلى ما لم يبلغها أحد إذ ذاك ،
وإن انقطع عنا أخبارهم ، هذه آثار مبانيهم العظيمة ، وبقايا مدنهم الجسيمة
تنتهدلنا بذلك ، ومدينة تدمر كانت إحدى مدن العرب ومبانيها كما في القاموس
وغيره ، وما يشاهد من بقاياها من أعاجيب الأكوام التي تعجز أهل العصور
المتأخرة عن مطاولتها في رصاتها . وتبابعة اليمن وإذواؤها بلغ تسلطهم على البلاد
واستيلاؤهم على الأقطار إلى ما يكل القلم عن وصفه . ومنهم الذي ساوى بين
الصدفين ، وطاف بلاد الأرض ما بين المشرقين والمغربين ، وهو الذي كان يلقب
بذئ القرنين على خلاف ما يزعمه الشعوبية وغيرهم ، وهم بعض أهل العلم من
أنه إسكندر الرومي ، فإن الشعر القديم شاهد لما قلناه بل هو أقوى دليل على ذلك ،
قال أعشى بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أمسى ثاوياً بالحِثْوَر في جدث هناك مقيم
والحنو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية المشرق . وقال الربيع بن ضبيع :
والصعب ذو القرنين عمر ملكه ألفين أمسى بعد ذاك رميا

(١) البيت لابن الراوندي الملحد الزنديق المشهور ، وقبله :
سبحان من وضع الأشياء موضعها وفرق العز والاذلال تفريقاً
وبعده :

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقاً
وعاقل الثاني صفة لعاقل الاول بمعنى كامل العقل متناه فيه كما يقال
مررت برجل رجل أي كامل في الرجولية ومعنى أعيت مذاهبه أعجزته وصعبت
عليه طرق معاشه ، والنحرير بكسر النون الحاذق الماهر العاقل المجرب
المتقن الفطن البصير بكل شيء لانه ينحر العلم نحراً والزنديق بكسر الزاي
من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو من
لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية .

وقال قيس بن ساعدة الأيادي :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً باللحْد بين ملاعب الأرياح
وقال تبع الحميري :

قد كان ذو القرنين قبلي مُسليماً مَلِكاً تدين له الملوك وتمشداً
من بعده بَلْقِيسُ كانت عمتي ملكهم حتى أتاها المَهْدُ
وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب قوماً
من مصر .

سَمُّوا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملاً
كالتبعين وذو القرنين يقبله أهل الحجى وأحق القول ما قبله
وقال النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي ابن الصحابي :

ومن ذا يمادينا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتمُ
ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب . ووقع ذكر ذي
القرنين أيضاً في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم ،
وفي كتاب نشر المحاسن اليمانية شيء كثير من مآثرهم بحيث يطول نقله ، وفي
وصف القحطانيين يقول الكلاعي :

ورتبنا مراتبَ كُلِّ ملك فكان لنا الخلائقُ مُقْتَفِينَا
سَنَنًا للبرية كُلِّ فعل جميلٍ من فعال الأكرمينَا
فهم يتشبهون بما فعلنا وفي آثارنا يتتبعونا
وليسوا مُدْرِكِينَ لنا لأنَّا جعلنا السابقين الأولينا

وقال في شرح هذه الأبيات أيضاً : إن أول من لبس التاج ورتب وظائف
الملك وعهد عهداً إلى عامل بلد وأمره بالعدل والإنصاف ودون الدواوين وبعث
الأمراء إلى الثغور حمير بن سبأ الأكبر ، وأول من علّق السلسلة على باب قصره
ليتملق بها المتظلمون عبد شمس بن وائل ، وأول من نظر في أمر الشاكي وعزل

عامل البلد بسبب أمر الشكاية سعد الكامل ، وأول من شفع وأفدى في الأسارى
تبع الأصغر ، ولذلك سمي ماء السماء . وأول من اتخذ الخط العربي على أبجد مُرَّة
ابن مرامر^(١) . وأول من قام بالضيافة عامر بن حازمة الأزدي من طيء . وأول
من حكم في الخنثى باتباع المبال عمرو بن سُحمة الدوسي^(٢) . وأول من طيب الميت بالحنوط
مقسم بن بهر القضاعي . وأول من قسم للذكر مثل حظ الأنثيين عامر بن جشم
الجهمي . وأول من صلى على الميت عطيرة بن صعب السكسكي . وأول من أعان مستوفداً
في حمل دية جماد بن عبد التيمي من همدان . فهذه أمور سبقت إليها بنو قحطان
في الجاهلية ، وجاء الإسلام بمثل ذلك ، وهذه غاية من ذكاء فطنهم . . ومن ذكائهم
أيضاً أنهم أول من ربط الخيل وراضها ووصفها بما يليق بها وعمل لها السروج والبجمل
وفي ذلك يقول مالك بن ملالة بن أرحب الهمداني :

أمرت بإيتاء اللجام فأبدعت وأنعلت خيلي في السير حديداً
وأرحبُ جدى أحدث السرج قبلنا ولو نَطَقَتْ كانت بذاك شهودا

وهم أول من أبدع جميع أنواع السلاح من سيف ورمح وقوس وسهم ودرع
وغير ذلك . ولأصناف الخيل وأنواع السلاح عندهم أسماء معروفة يطول ذكرها ،

(١) أقول هذا وهم صراح مخالف لما ورد في كتب الأنساب وغيرها والصحيح
مرامر بن مرة أو مروة وهو أول من وضع الخط العربي على ما يقال . . قال
شرقي بن القطامي : أن أول من وضع خطنا هذا رجال من طيء منهم مرامر
بن مرة . قال الشاعر :

تعلمت بأجساد وآل مرامر وسودت أثوابي ولست بكاتب
قال وإنما قال وآل مرامر لأنه قد سمي كل واحد من أولاده بكلمة من
(أبجد) وهي ثمانية قال ابن بري الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني
أنه مرامر بن مروة . قال المدائني أول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من
أهل الأنبار ويقال من أهل الحيرة قال وقال سمرة ابن جندب نظرت في كتاب
العربية فإذا هو قد مر بالأنبار قبل أن يمر بالحيرة ويقال أنه سئل المهاجرون :
من ابن تعلمتم الخط ؟ فقالوا : من الحيرة وسئل أهل الحيرة : من ابن تعلمتم
الخط فقالوا : من الأنبار . قال الزبيدي وذكر ابن خلكان في ترجمة (علي
بن هلال) ما يقرب من ذلك وذكر المجد في (ج د ر) أن أول من كتب بالعربية
عامر بن جدرة ولعل الجمع بينهما أما بالترجيح أو بالعموم والخصوص أو
غير ذلك مما يظهر بالتأمل كما حققه شيخنا .

(٢) تأتي ترجمته في باب الحكام .

ولم يكن لأحد بصير بالخليل ولا بالقسي والنبل والإصابة بالرمي مثل ما للقحطانية .
ومنهم رمة تبع أسعد المعروفون بالقارة كانوا يرمون فيصيرون ما يقصدون ، وبهم
يضرب المثل فيقال « قد أنصف القارة من رامها »^(١) . فهذا كله ونحوه مما يدل على
على ما كانوا عليه من التمدن والثروة ، وحب التآلف والترقي في الكمالات ، وليس
المدعى أيضاً أن الفضيلة بمعرفة الصنائع والحرف حتى يرجح غير العرب عليهم
في ذلك ، فإن العرب كانوا يأنفون من تعاطيها ويعدون أصحابها من الأسافل ،
حيث كان التفاخر والتفاضل بينهم يومئذ بالشجاعة والفروسية والفصاحة وغير
ذلك مما هو منشأ الفضيلة في نفس الأمر ، مع أن العرب أكثر استعداداً من
غيرهم لتعلم الصنائع وسائر الفنون العقلية . ألا ترى أنهم بعد ظهور الإسلام
قد بلغوا منها مبلغاً تقدموا به على غيرهم وسبقوا به من سواهم . ففي تاريخ دردي
وزير المعارف العمومية بفرنسا ما معناه : بينما أهل أوروبا تائهون في دجى الجهالة
لا يرون الضوء إلا من سم الخياط إذ سطع نور قوى من جانب الأمة الإسلامية
من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد
والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز
عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت في الأمم واغتم منها أهل أوروبا في القرون

(١) في كتب الامثال : القارة قبيلة وهم عضل والديش ابنا الهون بن
خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما اراد الشداخ ان يفرقهم في
بنى كنانة فقال شاعرهم :

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل اجفال الظليم
وهم رمة الحيق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن قيل ان رجلين التقيا
احدهما قازى فقال القارى ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان
شئت راميتك ، فقال الآخر قد اخترت المراماة قد انصفتني وانشد :
قد انصف القارة من رامها انا اذا ما فئة نلقاها

نرد اولاهما على اخراها

وقيل ان المثل قيل في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف
ابن كنانة وكانت القارة مع قريش وهم قوم رمة فلما التقى الفريقان رماهم
الآخرون فقبل قد انصفهم هؤلاء اذ ساووه في العمل الذي هو شأنهم
وصناعتهم يضرب مثلاً لمساواة الرجل صاحبه فيما يدعوه اليه .

المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا علمية يأتي بيانها . وفيه يقول : كانت الآداب قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤادة بلغتين الحيرية في اليمن والقرشية في الحجاز وبالأخيرة جاء القرآن ، ولا يخفى عليك أن الذي يقابل الحيرية هو المضرية وإن وقع الإجماع في القراءة على خصوص القرشية ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها إلى وقتنا هذا باستمرار كتب العلم والديانة ، إلى أن قال : ولم يكن للعرب في أول الأمر إلا تلك الآداب ، ثم لما اتسعت لهم دوائر الفتوحات واختلطوا بالأمم الذين سبقوهم في الحضارة اتسع لهم نطاق المعارف فأخذوا من اليونان تأليف أرسطوا وشرحوها بإمعان نظر لكنهم لم يأخذوا الفلسفة من كتب اليونان الأصلية وإنما تعلموها من الكتب المترجمة بلغة أهل الشام فهم ترجوا المترجمة ! فلذلك لما نقلها الفيلسوف العربي حفيد بن رشد إلى أوروبا في القرون المتوسطة وجد بها من التحريف أكثر مما وقع فيها أولاً .

وأما العلوم الرياضية فقد صادف فيها العرب المرمى والفضل في ذلك للعلماء الذين جلبهم الخليفة السامون من القسطنطينية ، وفي أوائل القرن التاسع المسيحي أمر الخليفة المشار إليه عالمين من فلكية بغداد أن يقيسا مسافة درجة واحدة من خط الطول بصحراء سنجار ويزانها ليثبت بذلك تكوين الأرض بالمشاهدة ، وقد تبين ذلك باختلاف ارتفاع القطب الشمالى عن طرفي الخط المقيس . وقد شرح العرب كتاب إقليدس ، وهذّبوا زيح بطليموس ، وحرروا حساب تعريج منطقة البروج كما حرروا الفرق بين أوقات الاعتدال ، والفرق بين السنين الشمسية والزمنية ، فوجدوا بينهما عدة دقائق ، واخترعوا للتحريرات آلات جديدة إلى غير ذلك مما يدل على ما للعرب من قابلية العلوم الرياضية . ومنهم حازت مدينة سمرقند قبل أوروبا بكثير محل رصد عجيب . قال : وأما ما ينسب من اختراع الجبر والمقابلة والأرقام الحسابية المسماة عندنا بالأرقام العربية فلم يثبت ، بل إنما تعلموا ذلك مع فلسفة أرسطوا بالتلقى من غيرهم وهى من العلوم التي وجدوها بالإسكندرية ، ويمكن أنهم

نقلوا إلينا على ذلك الوجه (البوصلة) أى بيت الإبرة والبارود الذى تعلموه من أهل الصين كما يعترف لهم أهل أوربا بمزية اختراع الكاغد من القماش ، وبذلك كثرت الكتب ودنت أسعارها وسهل الطبع وتوفرت نتائجها بعد وجوده .

وقد اشتهرت العرب أيضاً بمعرفة الطب الذى كان تلقوه من كتب اليونان ، ولابن رشد تعليقات عديدة على كتب جالينوس شاهدة بما ذكر . ومن فلاسفتهم عدة أشخاص صاورا فى وقت واحد حكاء وأطباء مشاهير مثل أبى على ابن سينا المتوفى سنة ست وعشرين وأربعمائة وابن رشد المذكور ، وقد بلغا من الشهرة إلى حيث صار أعداؤهم فى ذلك الوقت يرغبون فى معالجتهم إياهم ، كما يحكى أن بعض ملوك قسطنطينية كان اعتراه مرض الاستسقاء فاشتغى أن تكون معالجته على يد أطباء العرب ، وحصل من لطف الخليفة على الإذن فى أن يذهب ويدوايه المسلمون . ومن مآثر حكاء العرب كيفية تقطير المياه واستعمال الراوند وأدوية كثيرة .

ومن العلوم التى لهم الفضل فيها الجغرافيا ، وسبب تقدمهم فيها أن اتساع فتوحاتهم ورغبتهم فى الأسفار الخطيرة لاقتراض الحج عليهم أتتجت لهم المعرفة بكثير من البلدان الشاسعة التى لم يصل إليها أهل أوربا أو نسوها بعد ما كانت معروفة لهم . ومن مشاهيرهم فى هذا الفن أبو الفداء والمسعودى والإدريسى ، وهذا الأخير هو الذى استدعاه روجير ملك صقلية ، وألف عنده كتابه الغريب الذى سماه زهرة المشتاق . ثم قال بعد ذكر ما كان لهم من علم التاريخ . وأما صناعة هندسة البناء فى اصطناع الهيئات فلم يشغل العرب منها إلا بما يرجع إلى إتقان الأبنية حيث كانت شريعتهم تمنع التصوير ، على أن البناء نفسه لم تظهر لهم فيه اختراعات غريبة فالأصل عندهم فى الأقواس المرفوعة على الأسطوانات أن تكون أكبر من نصف دائرة ، وهذا الشكل أخذوه من أبنية البيزنطيين وهم أمة من اليونان ، واعتاض العرب عن الصور الذهبية والمجسدة الترين بالنقش

المسمى عندهم بنقش حديدية ، وكان في الأصل رسوما لها مدلولات . ثم صار مجرد خطوط متقاطعة شبيهة بالحروف العربية التي يمكن أن يصور منها أشكال جيدة ظريفة ، وكثيراً ما تتمجب من إتقان تلك الحروف حين نراها على الزرابي والأقمشة الشرقية .

ومن مآثر العرب اصطناع الجوابي والفوارات والتزويق بالذهب والأحجار الثمينة كالمرمر الذي يجلبونه من المشرق ومن مقاطع أسبانيا الجنوبية . ومن أشهر أبنيتهم الجامع العظيم الذي بناه عبد الرحمن الأول بقرطبة ، وكان به ألف وثلاث وتسعون أسطوانة وأربعة آلاف وسبعمائة قنديل . ثم قصر الزهراء الذي لا يتأخر عن الجامع المذكور في العظم ، وقد بناه عبد الرحمن الثالث على شاطئ الوادي الكبير ، وبه ينبوع عظيم يفور منه شبه باقة من الزبيب ثم ينعكس في قصعة من المرمر . ومن بدع أبنيتهم حمراء غر ناطة التي هي في آن واحد قصر وحصن وبها عدة أمور تصلح أن تكون مثالا للطافة البناء وحسنه خصوصاً وسطها المسمى ببطحاء الأسود . وأما التجارة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها في سائر الأوقات ، ثم لما امتدت سلطنتهم من البريني وهي جبال بين فرانسا وأسبانيا إلى جبال هملای التي بأقصى شمال الهند صاروا أكبر تجار الأرض يومئذ .

وأما الفلاحة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها إذ ليس لغيرهم ما لهم من الاقتدار على جلب المياه وتوزيعها بلطف في مزارعهم الواسعة تحت شمسهم المحرقة . انتهى ما نقل من مقدمة أقوم المسالك . وبجميع مذكرناه يتبين أن كلام الشعوبية ساقط عن أصله ، ولا يلتفت ذو إنصاف لثله ، ومع ذلك فإن الشريعة حاكمة بأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص فرب حبشي أفضل عند الله من ألف قرشي ، فإن المرء كثير بفضله لأبأهله ، ومنظور إليه بكرم أخلاقه لا بكرم أصله ، فإذا اجتمع له كان مقابلاً من طرفيه وكتلت له أبهة شرفيه ، ولا ينكر أن للأصول تأثيراً عظيماً في الفروع فلا تكاد ترى ذا أصل زكي إلا وتتوم فيه

خلقاً وسيماً ، وشأناً كريماً ، فإذا اجتمع الأصل وحسن الأفعال ، كان ذلك غاية السكال ، فلا ينبغي لعاقل أن يفخر بنسبه ، ويتكبر على الناس بحسبه ، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد ، فهى سبحانه على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن نوعى الاستطالة على الخلق وهى الفخر والبنى لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر ، وإن كان بغير حق فقد بنى فلا يحل لا هذا ولا هذا ، فإن الرجل من الطائفة الفاضلة مثل أن يذكر فضل بنى هاشم أو قريش أو العرب أو الفرس أو بعضهم ، فلا يكون حظه استشعار فضل نفسه ، والنظر إلى ذلك فإنه مخطئ فى هذا كما لا يخفى . ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل فضلاً عن أن يستعمل بهذا أو يستطيل ، وإن كان من الطائفة الأخرى فليعلم أن اتصافه بالصفات الحمودة يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة المارين عنها ، فليفتخر المرء بمجده واجتهاده ، وبمدته وعتاده وكسبه وإعداده ، لأبائه وأجداده ، وقد أتينا فى مقام المشاجرة مع الشعوبية بقدر ما يطاق .

الكلام على مساكن العرب فى الجاهلية

اعلم أن غالب مساكن العرب القديمة التى درجوا منها إلى سائر الأقطار كانت بجزيرة العرب الواقعة فى أوساط المعمور ، وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه حيث الكعبة العظيمة ، والمدينة المنورة ، وما حول ذلك من الأماكن . وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ، ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث اللقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث طيء وزبيد وماداناها . ومن جهة الجنوب بمرأه المند المتصل به بحر القلزم المتقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها . ومن جهة الشرق بحر فارس

الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق . ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بابل من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من برية الشام حيث وقع الابتداء . والحاصل أن السائر على حدود جزيرة العرب يسير من أطراف برية الشام من البلقاء جنوباً إلى أيلة ثم يسير على شاطئ بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب ، والبحر على يمينه إلى مدين إلى الينبع إلى البروة إلى جدة أول اليمن إلى زبيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب . ثم يعطف مشرقاً ويسير على ساحل اليمن وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ويحاذيها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشاليق اليمن إلى سواحل مهرة ، ثم يعطف شمالاً ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه ويتجاوز سواحل مهرة إلى عُمان من بلاد البحرين إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة إلى الكوفة . ثم يعطف إلى الغرب ويفارق بحر فارس ويسير والفرات على يمينه إلى سلمية إلى البلقاء حيث بدأ كذا في نهاية الأرب . وقال أبو عبيدة : جزيرة العرب في الطول ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن ، وفي العرض ما بين يبرين إلى السماوة . وقال الأصمعي : هي ما بين نجران والمذيب حكاه ابن قتيبة عن الرياشي عنه . قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق ، والعرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام . وأنت تعلم أن هذه الأقوال كلها متقاربة .

مساهمة دور جزيرة العرب

دور هذه الجزيرة على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تقويم البلدان سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأتقال . فمن البلقاء إلى الشراة نحو ثلاثة أيام ، ومن الشراة إلى أيلة نحو ثلاثة أيام ، ومن أيلة إلى الجار وهي فرضة

المدينة النبوية نحو عشرين يوماً ، ومن الجار إلى ساحل الجحفة نحو ثلاثة أيام ، ومن ساحل الجحفة إلى جدة وهي فرضة مكة المشرفة ثلاثة أيام ، ومن جدة إلى عدن نحو من شهر ، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو من شهر ، ومن مهرة إلى عُمان من البحرين نحو من شهر ، ومن عمان إلى حجر من البحرين نحو من شهر ، ومن حجر إلى عبادان من العراق نحو خمسة عشر يوماً ، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين ، ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثنتي عشرة مرحلة ، ومن الكوفة إلى بالس نحو عشرين يوماً ، ومن بالس إلى سامية نحو سبعة أيام ، ومن سامية إلى مشاريف غوطة دمشق^(١) نحو أربعة أيام ، ومن مشاريف غوطة دمشق إلى مشاريف حوران نحو ثلاثة أيام ، ومن مشاريف حوران إلى البلقاء نحو ستة أيام ، فهذا هو الدور المحيط بجزيرة العرب .

(١) غوطة دمشق إحدى نزه الدنيا وهي الأربع : غوطة دمشق ، ونهر الابلة ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند - يضرب بكل منها المثل في الطيب ، قال الثعالبي : وكان الخوارزمي يقول قد رأيتها كلها فكانت غوطة دمشق أطيبها واحسنها ولم أميز بين رياضها المزخرفة بالانوار والازاهر وبين غدرانها المعمورة بظيور الماء التي هي احسن من الدوارج والطاويس ولم اشبهها وصورتها منقوشة على وجه الارض .

واما نهر الابلة فهو بالبصرة وحواليه من ميادين النخل والاترج والنانج وسائر الاشجار وفيها من اصناف الزرع وانواع الخضروات ما لا ينظر احسن منه وعليه من القصور المتناظرة والابنية الرائقة ما تحار فيه العيون وتهش له النفوس وفيه يقول ابن عيينة :

ويا جبدا نهر الابلة منظرًا إذا مد في اثنائه الماء او جزر
واما شعب بوان من فارس فهو الذي يقول فيه القائل :

إذا اشرف المكروب من رأس تلة على شعب بوان افاق من الكرب
والهاه بطن كالحرير مسه ومطردي جرى من البارق العذب
فبالله يارب الجنوب تحمل وفيه يقول المتنبي :

مغان طبيبات في المغان كايام الربيع من الزمان

ولما نزل عضد الدولة متوجها الى العراق ومعه ابو الحسن السلمي قال له : قل في الشعب فقد سمعت ما قاله المتنبي فيه فعاد الى خيمته وكتب :

اشرف على الشعب وانزل روضه الانفا قد زاد في حسنه فازدد به شغفا
اذ اليس الهيف من اغصانه حللا ولقن العجم من اطياره تنفعا
وانظر اليه تر الاغضان مشمرة من قارع قرطا او لابس شغفا

وهي تسمية هذه الجزيرة بجزيرة العرب

اعلم أن الجزيرة في أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء أخذاً من الجزر الذي هو ضد المد ثم توسع فيه فأطلق على كل ما دار عليه الماء . ولما كان هذا القطر يحيط به بحر القلزم من جهة الغرب ، وبحر الهند من جهة الجنوب وبحر فارس من جهة الشرق ، والفرات من جهة الشمال . أطلق عليه جزيرة وإن كان له اتصال بالبر ، وذلك على سبيل التشبيه والمجاز المشحون منه كلام الفصحاء لا أن العرب لم يفرقوا بين الجزيرة وشبهها كما زعمه بعض المؤلفين الذين لم يقفوا على أسرار كلامهم ، وأضيفت إلى العرب لنزولهم بها ابتداء وسكنائهم فيها .

ما اشتمل عليه جزيرة العرب من الأقسام والنوامي

قال المدائني جزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام : تهامة ونجد والحجاز وعروض وعن . فتهامة هي الناحية الجنوبية عن الحجاز . ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والمراق . والحجاز هو ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة . والعروض هي اليمامة إلى البحرين وقال أبو عبيدة : الحجاز هو ما بين الجحفة وجبل طيء وإنما سمي حجازاً لأنه حجز ما بين نجد والغور ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي أنه قال : إذا خلفت عجلزاً صعداً فقد أنجدت ، فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق ، فإذا فعلت فقد أتهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك

والماء يشنى على اعطافها أزرا والريح تعقد في أطرافه شرفا
وهي قصيدة طويلة

وأما صفد سمرقند فان قتيبة بن مسلم لما اشرف من الجبل قال لأصحابه
شبهوه فلم يأتوا بشيء فقال قتيبة كأنه السماء في الخضرة وكان قصوره النجوم
وكان انهاره المجرة فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من اصابته .

الجرار^(١) وأنت مُنجد فتلك الحجاز ، وإذا تصوبت من ثنانيا (المرج) واستقبلك
المرخ والأراك^(٢) فقد آتهمت وسمى حجاز لما مر . وقال محمد بن عبد الملك
الأسدي : حد الحجاز ، الأول بطن نخلة وظهر حرة ليلي . والحد الثاني مما يلي
الشام شعب وبدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعُكاظ ،
والحد الرابع شابة وودان ثم ينحدر إلى الحد الأول ، وأما الشام واليمن فمن اليد
اليمنى واليد الشوى وهى الشمال لأن الذى يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه
والشمال الشام .

ما ظهر فى هذه الأقطار من البلاد والمباني المشهورة وغير ذلك

اعلم أن فى كل قطر من هذه الأقطار مدناً وبلاداً مشهورة ومياهاً
ومعادن مختلفة ونباتات متنوعة قد استقصاها المؤرخون فى كتبهم المؤلفة فى هذه
الجزيرة وأقسامها كتاريخ جزيرة العرب لعدة أناس من أفاضل المتقدمين ، وتاريخ
مكة للإمام الأزرقي ، وتاريخ المدينة للإمام السهمودي ، وتواريخ اليمن ونجد وغير
ذلك مما لا يسعها الحصر وفيها الفنى عن التعرض لما حوته من المطالب فإنه من
يحصي الحاصل ، ومع ذلك نشير إشارة مجملة إلى ما كانت عليه هذه الأقطار ،
تنشيطاً للقارئ الأخياري (فأما الحجاز) ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية
على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام . وقيل هى من نجد وهى بلدة طيبة
مباركة كثيرة الخيرات عذبة المياه وافرة النخيل والثمار أهلها وسكنتها يودون الغرباء
ويحبون من هاجر إليهم ، ولها أسماء كثيرة نظمها بعض الأفاضل بقوله :

خُذْ جَمَلَةً يَاصَاحِرْ مِنْ أَسْمَاءِ مَدِينَةِ الْهَادِي مِنْ الْأَسْوَءِ
(مُحَمَّدٍ) نَبِينَا الْمَشْرِفِ الْهَاشِمِيِّ الْمَصْطَفَى الْوَفِيِّ
فَطَيْبَةُ طَيْبَةُ وَوَطَايَةُ وَطَايَةُ تَعْرِفُ بِالْإِطَايَةِ

(١) هى أرض ذات حجارة نخرة سود (٢) المرخ : شجر سريع الورى ،
والأراك : شجر من الحمض يستاك به

حبيبة بيت الرسول والحرم
ودار الإيمان ودار السنة ودار فتح مع دار الهجرة
دار السلامة ودار الأبرار ودار الأخيار لنفى الأشرار
حسنة مختارة مرزوقة مؤمنة مسكينة محفوفة
مدخل صدق قبة الإسلام شافية من جملة الآلام
أكالة القرى مع المقدسة وهى المباركة خذ ما قبسه
من نور أسماء مكان المصطفى نظم به أرجو موارد الصفا

وهى من البلاد القديمة الوضع والتأسيس ، فى كتاب نشر المحاسن اليمانية
كانت مدينة يثرب للعرب نخرج إليها قوم من بنى إسرائيل فى زمن موسى بن عمران
عليه الصلاة والسلام ففتحوها من العرب العاربة وقتلوا ملكا لهم يسمى الأرقم
وأقاموا فيها ما شاء الله تعالى حتى افترقت الأزد من مأرب فى حادثة سيل العرم ،
فنزل الأوس والخزرج يثرب على الإسرائيليين ، ولهم ملك يقال له القطيعون
فقتلوه ، وكان قاتله سيد الحيين أعنى الأوس والخزرج ، واسمه مالك بن المجلان
وهو ابن عم سالم بن عوف الخزرجى . فلما قتل الملك وقعت الصيحة باليهود
فقتلوهم أبرج القتل وأبقوا منهم بعض القوم لعمارة الأراضى ، وملك الأوس
والخزرج يثرب حتى بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهداهم الله تعالى لطاعته
ولم يسلم قبلهم بطن من العرب ، فصارت تلك فضيلة لهم من أحسن الفضائل
والمآثر . ثم خرب من يثرب سبعون رجلا وامرأة واحدة مهاجرين إلى مكة فبايعوا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جرة العقبة جهراً ثم قالوا يا رسول الله قد
اتبعناك تصديقاً لقولك وإيماناً بخالك فاشترط لربك ولنفسك . فقال : اشترط
لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى ما تمنعون منه نفوسكم وأبناءكم
ونساءكم . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة . قالوا : رضينا . فبايعوه بذلك
على رموس الأشهداء ، وجميع الحيين من ربيعة ومضر حاضرون إذ ذاك عِمنى ،

ثم قالوا أئامرنا يا رسول الله أن نميل بأسيا فإنا على من في هذه الشعاب ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : ما أمرت بذلك . فلما رأت قريش ما كان من فعل الأوس والخزرج جاء إليهم بنو عمه الأقربين ، منهم أبو جهل وعتبة وأبو سفيان وشيبة وأبي وأمية وسهيل وبنوه ومنبه والنضر بن الحارث وعمرو بن العاص ، فقالوا لهم : يا أهل يثرب إنا أولى منكم به لأننا صلته ولحمته . فقال لهم الأوس والخزرج : بل نحن أولى به منكم لأننا وإياه نعبد رباً واحداً . فلما رأت قريش منهم صدق المهمة وقوة العزم خافوا حدوث الشر فدافعوا بالتي هي أحسن ، وقالوا : خلوا بيننا وبينه على أن له الأمان والذمام فلا يعرض له إلا الخير ولا لمن تبعه ، ومن أحب منهم أن يلحق بكم لم نمنعه يريدون بذلك المهاجرين ، فكرهت الأوس والخزرج . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : أجيئهم يا معشر الأوس والخزرج فإن الله تعالى بالغ أمره ومنجز وعده فقالوا تطيب عن نفسك يا رسول الله أن نفعل ذلك ؟ قال نعم . قالوا : فالسمع والطاعة وضربوا بينهم أجلاً أربعة أشهر ثم رجعوا إلى يثرب ، فلما افترقوا همت قريش بالغدر فكفى الله تعالى نبيه شرهم ، وخرج من مكة بالوحي الذي أنزل عليه خائفاً يترقب حتى ورد المدينة عن أمر الله تعالى له بذلك ، فلما وصل إليهم صلى الله تعالى عليه وسلم هو وأصحابه المهاجرون معه سمحوا له ولجميع من وصل بمشاطرة الأموال ، ومن كان له زوجتان من الأوس والخزرج طلق إحداها وزوجها بعض المهاجرين ، فأثنى الله تعالى عليهم بذلك فقال : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١) .

(١) قوله يؤثرون على أنفسهم أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من الطيبات حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً منهم ويجوز أن لا يعتبره مفعول يؤثرون خصوص المهاجرين : والخصاصة : الحاجة ، والشح الأؤم وهو أن تكون النفس كزة حريصة على المنع وأضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ، والمفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه

ثم نصر وارسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع المواطن ولم يكن لهم عسكر حتى صار بينهم . فسماهم الأنصار فصار ذلك ألزم لهم من النسب والاسم ، فهذه فضائل خصهم الله تعالى بها ، ثم إنه كان منهم ما كان من غزو المشركين وجهاد الكافرين ما هو مشهور ومذكور في سيرة ابن هشام وغيرها من كتب المبعث مما لا يحتمل بسطه هذا المختصر . وأقام بينهم حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وهي دار الأوس والخزرج وهم أكثر الناس بها عدداً ، وأعلامهم فيها يداً . (وفي الحجاز) أيضاً من البلاد : (الطائف) وهو بطن من جبل غزوان بشرق مكة وهو شديد البرد كثير الفواكه لما فيه من كثرة البساتين التي تسقيها العيون والجداول المنحدرة من الجبال وأهلها من ثقيف وهم من قيس عيلان وقيل من إباد ، وقيل هم من بقايا ثمود . ومن بلاد الطائف (وِج) وهو واديهما الذي يقول فيه الثقي :

سقياً لوجٍّ و جنوب وِجٍّ . واحتله غيثٌ دراكُ الشَّجِّ (١)

وواد يقال له (النخب) وهو من الطائف على ساعة . وواد يقال له (المرج) وهذا غير المرج الذي بين مكة والمدينة . وواد يقال له (لية) أعلاه لثقيف وأسفله لنصر ، وبين لية وبسل بلد يقال له (جلدان) تسكنه بنو نصر ، وبجلدان هضبة سوداء يقال لها (تبعه) ، وبها نقب كل نقب قدر ساعة كانت تلتقط فيه السيوف العادية والخرز يزعمون أن فيه قبوراً لعاد ، وكانو يعظمون ذلك الجبل . ومن بلاد الطائف (الشديق) وهو واد . و (الهدّة) بينها وبين السراة وقرية لبني نصر يقال لها (الفتق) و (عكاظ) نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة زادها الله تعالى شرفاً ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب بالابتداء ، وبه كانت أيام الفجار . وكانوا يطوفون بصخرة هناك ويحجون إليها ، وذو الحجاز ماء من أصل كبكب وهو لهذيل . وقال أبو عبد الله الواقدي عكاظ

(١) الدراك ككتاب اتباع الشيء بعضه على بعض ، والشج : الصب الكثير .

بين نخلة والطائف . وذو الحجاز خلف عرفة ومجنة بمر الظهران . وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيها شيء أعظم من عكاظ . وسيأتى تفصيل ذلك عند ذكر أسواقهم (وفي الحجاز) أيضاً من البلاد (خير) بمجمة وتحتانية وموحدة بوزن جمفر ، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام . وذكر أبو عبيد البكرى : لأنها سميت باسم رجل من الماهليق نزلها وقد خرجت بعد استيلاء المسلمين عليها بقرون وكان فيها قبائل من اليهود المتعربة ، وكانوا يوصفون بالسكر والخبث ، وكان السموءل بن عاديا اليهودى ساكناً فيها . وقيل كانت للعاقلة ثم صارت لبني عنزة بن أسد بن ربيعة . وكانت رديئة ، الهواء كثيرة الوحمة دأمة الوباء ، تولد الحميات وحماها شديدة ، قال بعض الشعراء فى ذلك :

ومن يك أمسى فى بلاد مقامه يسائل أطلالا بها لا تجاوب
وقفت بها أبكى وأشعر سخنة . كما اعتاد محمواً (بخير) صالب
وخير هذه كانت كثيرة النخل يحمل منها التمر إلى الجهات القصوى وفى ذلك يقول خارجة بن ضرار المري :

أخالد هلا إذ سفهت عشيرة كفت لسان السوء أن يتدعرا^(١)
فإنك واستبضاعك الشعر نحونا كستبضع تمرأ إلى أرض خير^(٢)
وفى اليوم بقايا من النخيل والبساتين يسكنها على خرابها بعض الفلاحين
والعبيد السود . و (فذك) قرية من قراها كان بها نخيل وصوافى للسلطان
ورروع . قال الشاعر :

من عجوة الشق تطوف بالودك ليست من الوادى ولكن من (فذك)
وأما (الجار) فهى إلى الجنوب الشرقى من المدينة المنورة على نحو يوم وليلة

(١) نصب عشيرة على التمييز أى سفهت عشيرتك ، والدعارة : الخبث وتأتى بمعنى الشراسة فى الخلق أيضاً . (٢) استبضع الشيء جعله بضاعة وهذا مثل وخص خير بالذكر لكثرة نخلها .

وهى فرضة المدينة وإليها ينسب جماعة ، منهم عبد الملك بن الحسن الجارى الأحول ، وإلى الجنوب الشرق منها على نحو مرحلة ماء يقال له (بدر) وبقره قرية (بدر) . وفى كتاب فتح البارى : هى قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها ، ويقال (بدر) اسم البئر التى بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفاء مائها فكان البدر يرى فيها . وحكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار ، وإنما هى مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد انتهى . وفيها كان يوم بدر وهو اليوم الذى انتصر فيه المسلمون على المشركين من قريش ، وكان ممن قتل فى ذلك اليوم بدر بن الأسود بن زمة بن المطلب بن نوفل القرشى وكان من المشركين ، فرثاه أبوه بقوله :

أتبكي أن يضلّ لها بعير ويمنعها من النوم السهودُ
فلا تبك على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدودُ
وعلى نحو منتصف الطريق بين الجحفة التى هى الآن خراب وبين مكة عُسفان
ويقال لها مدرج عثمان وهى المعنية بقول عنترة العبسى :

كانها يوم صدّت ما تكلمنا ظبي بعسفان ساجى الطرف مطروف
 وإلى شرق المدينة جبلا طي وها (أجا وسلمى) ذكروا أنهما اسمتا شخصين
من العرب كان أحدهما أجا يعشق سلمى ، وكانت العوجاء تجمع بينهما فصلبوها
على هذه الجبال فسميت بأسمائهم ، وهى المرادة بقول جابر بن رلان السنبسى :

ونحن غلبنا بالجبال وعزها ونحن ورثنا غيثا وديننا
أراد بالجبال أجا وسلمى وهما بينهما . وبقول حسان بن حنظلة الطائى :

غضبت على أن اتصلت بطي وأنا امرؤ من طي الأجيال
أى أجا وسلمى وعوارض ، وفى الحجاز جبال كثيرة وأودية وبلاد وقرى وعيون
وآبار لا يمكننا استقصاؤها فى هذا المقام .

وأما مهاض

ففيها من البلاد مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، والقول بأنها من الحجاز مردود . وسيأتى تفصيل الكلام عليها إن شاء الله تعالى قريباً ، وكانت تسمى (أم القرى) لكثرة القرى التى حولها ، وكان من بلاد هذيل فى طريق مكة على ليلتين نخلتان نخلة اليمانية يصب فيها (يدعان)^(١) وهو وادٍ به مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبه عسكرت هوازن يوم حنين ، و (نخلة الشامية) ومجتمعها بطن مرّ . و (سبوحه) وهو وادٍ يصب فى نخلة اليمانية و (أبام) و (أبيم) ، وكانا لهذيل وهما شعبان بينهما جبل مسيرة ساعة من النهار ، وقد قال فيهما السعدى من سعد بن بكر :

وإن بهذا الشعب بين أبيم وبين أبام شعبة من فؤاديا
ثم فوق ذلك شعب يقال له (نحا) وكان لهذيل أيضاً . ثم (المراح) وهى
لهذيل وهى ثلاثة شعاب تصب من (داءة) . وداءة هى الجبل الذى يحجز بين
نخلتين ، ثم (عشر) وهو شعب لهذيل يصب من داءة أيضاً . وقبالة عشر من
شق نخلة الأخرى شعبان يقال لهما (الصهياتان) يجيئان من السراة وبينهما وبين
(بسوم) جبل يقال له (المرقبة) كان مرقبة لهذيل تكون رقبائهم فيه . وشعب
يقال له (هلال) يحى من السراة أيضاً من بسوم . ثم شعب مثل هذا أيضاً
يقال له (خيص) وبسوم جبل لهذيل وشعبان يقال لهما (الكفوان) الكفو
الأبيض والكفو الأسود وهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف . وهما
مغان لا تطلع عليهما الشمس إلا ساعة من نهار وهما شعبا سار وهما بلاد مهاض
تهاف الغنم من المرعى الذى فى التار ولا يرعيان إلا فى الصيف وهذه كلها أعلى
نخلة اليمانية . ثم تصير إلى (البوبات) وهى صحراء ، وهى بلاد سعد بن بكر ،

(١) بالياء المشناة .

وقرن وهو بين المناقب والبوبات هو أقصى البوبات ، وهي وادي يحيى من السراة
لسعد بن بكر ولبعض قريش وبقرن منبر . قال الشاعر :

لا تقمرنَّ على قرن وليتته لا إن رضيت ولا إن كنت مغتضبا

ثم تجلس إلى نجد تطلع (المناقب) والمناقب جبل معترض يقال له المناقب
لأن فيه ثنايا طُرُقٍ إلى اليمن وإلى (اليمامة) وإلى أعلى (نجد) وإلى (الطائف)
ففيه ثلاث معاقب ، عقبة يقال لها (الزلالة) ، وعقبة يقال لها (قرين) . وأخرى
يقال لها (البيضاء) . وبالزلالة صخرة وهي التي أُلحِمَ منها (العقيل) ناقة فافتحمت
من شق وذلك أنهم خاطروه ، ومن جبال مكة وشعابها جبل يقال له (الخندمة)
وفيه بنيان مكة منها شعب بن عامر . ومنها (أجيادان) أجياد الصغير وأجياد
الكبير . ومنها (أبو قبيس) . ومن جبال مكة (ثور) وهو بالفجر من خلف
مكة على طريق اليمن ، و (ثيران) وهما جبلان مفترقان يصب بينهما (أفاعية)
وهو واد يصب في (منى) . قال الأصمعي (قُزَح) هو القرن الذي يقف عنده
الإمام (بالمزدلفة) قال : و (ثبير غيناء) و (ثبير الأعرج) وهما حراء . و (ثبير)
و (أبو قبيس) و (الخندمة) جبال مكة وما حولها وأبناء طمر واحد وعير والجماء
وذباب بالمدينة وقربها . والقموص بخير ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ومن
تهامة « ينبع » وهي مدينة قريبة من البحر كانت منزلا لبني الحسن بن علي بن
أبي طالب ولها فُرْضة^(١) على البحر نحو مرحلة منها وبقرها جبل (رضوى)
الذي يحمل منه حجر السن إلى الآفاق وأما « جُدَّة » فهي على البحر الأحمر وهي
فرضة مكة « والحديبية » قيل بعضها في الحل وبعضها في الحرام « وتَبُوك » على
نصف المسافة بين المدينة ودمشق ، وفيها كانت الواقعة العظيمة بين المسلمين
والروم ، وفي تهامة كثير من البلاد منها ما قد خرب ، ومنها ما بقي على وضعه
الأول ، ومنها ما حدث في الأزمنة الأخيرة . وبيانها على وجه التفصيل في كتب
معدَّة لذلك .

(١) محط السفن .

وأما العروصة

فقد اشتمل على ناحيتين ، الأولى « اليمامة » وهي مدينة دون مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في المقدار ، كان بينها وبين البصرة ست عشرة مرحلة وبينها وبين الكوفة مثل ذلك ، وهي أكثر نخلاً من بلاد الحجاز وفيها مياه كثيرة ، ومنها كان (مُسَيْلَمَةُ الكَذَاب) (١) الذي ادعى النبوة في زمن النبي

(١) هو ابو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفي من اهل اليمامة كان صاحب اسجاع ومخاريق وتمويهات وادعى النبوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فما زال يخفى ويظهر ويقوى ويضعف واهل اليمامة فرقان احداها تعظمه وتؤمن به والاخرى تستخفه وتضحك منه ، وكان يقول : انا شريك محمد في النبوة وجبريل عليه السلام ينزل على كما ينزل عليه وكان يقول يا بنى حنيفة ما جعل الله قريشا احق بالنبوة منكم وبلادكم اوسع من بلادهم وسوادكم اكثر من سوادهم وجبريل ينزل على صاحبكم مثل ما ينزل على صاحبهم ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد الناس يتذاكرونه وما يبلغهم عنه من قوله وقول بنى حنيفة فيه فقام يوما خطيبا فقال بعد حمد الله والثناء عليه : اما بعد قاما هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه فكذاب بثلاثين كذابا قبل الدجال فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب واظهروا شتمه وعيبه وتصغيره وهو باليمامة يركب الصعب والدول في تقوية امره ويعتضد برجال ابن عنفوه وهو ينصره ويذب عنه ويصدق اكاذيبه ويقرأ اقاويله التي منها :

والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل اذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فادركها حتى اتاها ، واطفا نورها فمحها ، ومنها : سبح اسم ربك الاعلى ، الذي يسر على الحبل ، فاخرج منها نسمة تسعى ، من بين احشاء ومعى ، فمنهم من يموت ويدس في الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى الى اجل ومنتهى ، والله يعلم السر واخفى ولا تخفى عليه الآخرة والاولى .

وكتب مسيلمة الكذاب الى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا قال فيه : الى النبي محمد رسول الله من مسيلمة رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون ولا يعدلون ، وختم الكتاب وانفذه مع رسولين فلما قرىء الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما ما تقولون ؟ قالا نقول كما قال ابو ثمامة ، فقال اما والله لولا ان الرسل لا يقتلون لقتلتكما ، واملى في الجواب : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ولما صدر الرسول الى مسيلمة الكذاب افتعل كتابا يذكر فيه انه جعل له الامر من بعده فصدقه بنو حنيفة وبلغ من تبركهم به انهم كانوا يسألونه ان يدعو لمريضهم ويبرك لمولودهم وجاءه قوم بمولودهم فمسح رأسه فقرع وجاءه رجل يسأله ان يدعو لمولود له بطول العمر فمات من يومه ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه وارتدت العرب بعث ابو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد الى حرب اهل الردة فاوقع بهم وانتصف منهم ثم امره ابو بكر (رض)

صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقتل في زمن أبي بكر رضى الله عنه . ومنها أيضاً (زرقاء اليمامة) ^(١) وكانت مشهورة بمحبة البصر ومزيد الفطنة والذكاء ، ويقال : إنها كانت تبصر من مسيرة أيام ولها قصص شهيرة . وفي اليمامة أيضاً بلاد أخر هي اليوم خراب . الناحية الثانية بلاد البحرين ، ، وهو قطر متسع مجاور لبحر فارس كثير النخل والثمار والمشهور فيه من البلاد « هَجَر » بفتح الهاء والجيم ، وكانت هذه البلدة قاعدة البحرين وخرابها القرامطة عند استيلائهم على البحرين ، وبنوا مدينة (الاحساء) ونزلوها وصارت إذ ذاك قاعدة البحرين ، وهي مدينة كثيرة المياه والنخيل والفواكه . وبينها وبين (اليمامة) نحو أربعة أيام ، وفيها غير ذلك من البلاد المنتعمة والقرى والمياه .

وأما نجد

فهي أطيب أرض في جزيرة العرب ، ولذلك ترى الشعراء قديماً وحديثاً يلهجون بذكرها ويترنمون برُبَّها ورَبِّها عطرُها قال قائلهم :

يقصد اليمامة ومقارعة مسيلمة ففعل وزحف إليها في وجوه المهاجرين والانصار وتلقاه مسيلمة في خيله ورجله ولما كان يوم اليمامة حمى الوطيس واشتدت الواقعة والتجأ بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الى حديقة سميت من بعده حديقة الموت فافتحمها خالد رضى الله عنه والمسلمون ووضعوا فيهم السيوف وقتل الله مسيلمة فاشتترك في قتله وحشى بحرته وعبد الله بن الزبير بسيفه وفتح الله تعالى اليمامة على المسلمين وأفاء عليهم الغنيمة (١) العرب تضرب المثل بها في جودة البصر وحدة النظر ويقال أن اليمامة اسمها وبها سميت بلدها اليمامة ثم أضيفت الى البلدة ف قيل زرقاء اليمامة واسم البلدة جو وربما قيل زرقاء الجو كما قال أبو الطيب المتنبي :
وابصر من زرقاء جو لأننى اذا نظرت عيناي شاءهما علمى

وهي امرأة من جدیس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام على ما يذكر أهل الأخبار والقصص ، والنفس تنفر من تصديق ما يذكرون ، قالوا : ولما قتلت جدیس طسما خرج رجل من طسبم الى حسان بن تبع فاستجاشه وارغبه ، فخرج في جيش جرار فلما كانوا من جو على مسافة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء السطح فنظرت الى الجيش وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها فقالت يا قوم قد اتكم الشجرة او اتكم حمير وقد أخذت أشياء تجرر اى تسحب فلم يصدقوها فقالت : أحلف بالله لقد ارى رجلا ينهش كتفا أو يخصف نعلا فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى طسبهم حسان فاجتاحهم وأخذ الزرقاء فشق عينيها فاذا فيها عروق سود من الائم والله أعلم

أقولُ لصاحبي والعيسُ تهوى بنا بين المنيقة فالضمار: (١)
تمتّع من شميمٍ عرارٍ نجدٍ فما بعد العشيّة من عرارٍ (٢)
ألا يا حبذا نفحاتُ نجدٍ وريّاً روضه بعد القطار (٣)
وأهلك إذ يحملُ الحىُ نجداً وأنت على زمانك غير زارى (٤)
شهورٌ ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لمنّ ولا سرارٍ (٥)
وقال عبد الله بن الدمينه الخثعمي (٦)

ألا يا صبا نجدٍ متى هجّت من نجدٍ لقد زادنى مسراك وجداً على وجدٍ (٧)
إن هفت ورقاء في روثق الضحى على فتن غصّ النبات من الرند (٨)
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليداً وأبديت الذي لم تكن تُبدى (٩)
وقد زعموا أن الحب إذا دنا يملّ وأن النأى يشقى من الوجد
بكلّ تدأوينا فلم يشف ما بنا على ذاك قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وقال الصّمة بن عبد الله

حنّنت إلى رّيا ونفسك باعدت مزارك من رّيا وشعبا كما ممّا (١٠)

(١) المنيقة : ماء لبنى تميم ، والضمار : اسم موضع ، وقوله فالضمار كان حق العطفان يكون بالواو لأن بين لا تدخل الا بين شيئين متباينين او الأشياء الا اذا أريد بين أجزاء المنيقة فيصير المنيقة كاسم الجمع نحو القوم والعشيرة (٢) الشميم مصدر ويقال تمتع بكذا ومن كذا والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وقوله من عرار من لاستغراق الجنس (٣) النفح تضسوع الرياح بالنسيم الطيب ، والريا : الرائحة هنا ، والقطار جمع قطر وهو المطر (٤) زرى عليه : عابه وازرى به قصر به (٥) سزار الشهر آخره والمعنى أن الزمان المذكور شهور مضت وما علمناها بانصافها ولا بأواخرها لما كان فيه من اللذة وطيب العيش (٦) الدمينه أمه وهو أحد بنى عامر بن تميم الله ويكنى أبا السرى وهو شاعر اسلامي مجيد محسن وعده جرجى زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » من شعراء الجاهلية وهو خطأ بين لا يخفى على ذي بصيرة فليحذر من سقطاته وزلاته ، بل ودسائسه (٧) الصبا ريح القبول ، وهاجت : ثارت والمعنى الا ياصبا نجد متى كان هبوبك من نجد التي هي أرض المحبوب فلقد زادنى مسراك حزنا على حزن أى ماكان منك هبوب الا كان منى وجد (٨) الورقاء : الحمامة التي مال سوادها الى البياض ، والروثق : الضياء ، والرند : نوع من الطيب ، والفنن : الغصن الناعم والغض : الغارى (٩) الجليد : القوى ، والنأى : البعد (١٠) الحنين : تألم من الشوق ، رريا اسم امرأة ، وباعدت أبعدت والواو فى الموضعين من البيت واو الحال ، والمزاور الزبارة ، والشعب : الحى

فاحسنتُ أن تأتي الأمر طائماً وتجزع إن داعي الصباية أسمما
 ففما ودعا نجداً ومن حلّ بالحي وقلّ لنجدٍ عندنا أن يودعا (١)
 بنفسى تلك الأرض ما أطيب الرُّبا وما أحسن المصطاف والمتربعا (٢)
 وليست عشياتُ الحمى برواجعٍ عليك ولكن خلّ عَيْنَيْكَ تدمعا
 ولما رأيت البشر أعرَضَ دونفا وحالت بناتُ الشوق يَحْنَنُ نَزْعاً (٣)
 بَكَتْ عَيْنِي اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا (٤)
 تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتاً وَأَخْذَعاً (٥)
 وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أثنى على كَيْدِي من خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
 وفي نجد بلاد كثيرة ، وفيها أرض العالمة التي كان يحميها كليب بن وائل وأفضى
 بذلك إلى قتله وانتشابه حرب البسوس التي استقامت مدة مديدة وأعواماً عديدة ،
 وقد ألف أبو لندة الأصفهاني كتاباً فيما كان في نجد من البلاد والقرى والجبال

(١) الحمى : موضع فيه ماء وكلاء يمنع الناس منه ، والنجد كل ما ارتفع
 من تهامة إلى أرض العراق (٢) الألف واللام في الربا عوض عن المضاف إليه
 والربا جمع ربوة وهي ما ارتفع من الأرض ، والمصطاف : مكان الصيف ،
 والمتربع : مكان الربيع والمعنى أفدى بنفسى تلك الأرض لطيب رباه العجيب
 وحسن فصلها صيفاً وربيعاً (٣) البشر جبل بالجزيرة ، وأعرض : أبدى عرضه
 وجانبه ، وحالت : تحركت ، وبنات الشوق : نوازع الحنين كأطفال الحب
 وهذه استعارة لطيفة جميلة وأراد بها مسببات الشوق وآثاره ، والنزع جمع
 نازع أي مشتاق (٤) بكت عيني جواب لما في البيت قبله ، والعجب كل العجب
 من بعض أئمة اللغة المتقدمين فإنه لما تكلم على هذا البيت قال « واختلف في
 معناه الصحيح أنه كان أعور والعين العوراء لاتدمع » فهلا نظر إلى قوله
 واسبلتا معا ، والذي أراه أنه لما رأى البشر أعرَضَ دونه وتحركت مسببات
 الشوق بالحنين مشتاقة إلى نجد دمعت عينه اليسرى والإنسان كثيراً ما إذا
 اشتاق إلى الشيء هو مغرم به وحظي برؤيته تدمع إحدى عينيه فتطاوعها
 الأخرى ، وقوله فلما زجرتها الخ يريد أنه لما منعها من البكاء الذي يشعر
 بالجهل بعد الحلم وتيقن أن البكاء لا يفيد مع اليأس من القرب طاوعتها اليمنى
 فدمعتا معا ، والظاهر أن المراد بالجهل بعد الحلم الجزع بعد الصبر (٥) تلفت
 التفت ، والليت صفحة العنق ، والخذع عرق فيها ، والأصفاء الميل وليتا
 واخذعا منصوباً على التمييز ، والمعنى لما حان الفراق صرت أكثر من الالتفاتات
 جهة الحي حتى وجدت نفسي وجع الليت والخذع لدولم التفاني تحسراً في
 اثر الفائت من أحبابي وديارهم

والمادان والياه ومن ملكها من قبائل العرب في سالف الأيام ، ومن جملة ما ذكر في كتابه ؛ قال ابن الأعرابي : نجد اسمان السافلة والعالية ، فالسافلة ما ولى العراق . والعالية ما ولى الحجاز وتهامة . وقال الأصمى : إذا جُزَّت ذات عِرْق إلى البحر فأتت في تهامة ، وإذا جُزَّت وَجْرة وَغَمرة فأتت في نجد إلى أن تبلغ العُذيب ، وغمرة في طريق الكوفة . ووجرة في طريق البصرة إلى هنا ذكر نجد . قال : يقول بعض الناس : إذا بلغت العُذيب من ناحية الكوفة وهى من الكوفة على مرحلة فأتت في نجد إلى أن تبلغ حدَّ تهامة . وقال الأصمى : إذا جاوزت عجل من ناحية البصرة فقد أنجحت ، وإذا بلغت من ناحية الكوفة سميراً أو دونها فقد أنجحت إلى أن تبلغ ذات عرق ، فإذا تصوبت في ثنايا ذات عرق فقد أتهمت ، ويقال : إذا خرجت من المدينة على مُشرِّفها أفضل الصلاة وأكمل السلام فأتت منجِدان تتصوّب في مدارج العرج فإذا تصوبت فيها فقد أتهمت إلى مكة المكرمة . قال : ويقول أهل المدينة أخذت التهامية أم النجدية ؛ فالتهامية التى على عُسْفان والجحفة ، والنجدية التى طريق الرَبْدَة . قال : وللبصرة إلى مكة طريقان : أما أحدهما : فالصحراء عن يسارك وأنت مُصمّدة إلى مكة ليالى ، فإذا ارتفعت فخرجت من فليج فأتت في الرمل فإذا جاوزت النجاج والقريتين فقد أنجحت ، وإذا أخذت طريق المُنْكَدِرِ إلى كاظمة فتلاث إلى كاظمة ، وثلاث في الدوّ . وثلاث في الصمان ، وثلاث في الدهناء . وعن غيره قال بعضهم : إذا جاوزت الحفر حفر أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه ، وهو حفر بنى العنبر كان أبو موسى احتفر فيه ركبةً . فأتت في نجد . وقال بعضهم : حدُّ نجد من النجاج وهو لبنى عبد الله بن عامر ابن كريز . ويقول بعضهم : إذا جُزَّت القصيم فأتت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق ثم تهم ، والقصيم موضع كان ذا غضى فيه مياه كثيرة ، وقرى منها القريتان قريتا ابن عامر أحدهما يقال لها : العسكران . قال : وكان أهل القصيم يسكنون في خيام الخوص ، وهى منازل بنى عبس وغيرهم وفيه نخل كثير وهو من عمل

المدينة ويقال حد القصيم قاع بولان وهي مفازة . قال : والقصيم رمل وبالقصيم ماء
لبنى أسد في الرمل عليه خيام من الخوص كثيرة يقال له الحويرثية . قال الشاعر :
على الربع الذي يحوِّر ثبات من الله التحية والسلام
وبالقصيم عجلز^(١) وهي ماءه لبنى مازن وهي المنصف بين البصرة ومكة
قال الراجز :

الله نبحاك من العجلز ومن جبال طخفة النواشر^(٢)

والعجلز رحب ، وعجلز وما حولها من المياه ورحب ماء لبنى مازن بالقصيم
أيضاً . وقد ذكر هذا المؤلف رحمه الله جميع القرى والجبال والمياه والمعادن
وما ورد من الشعر في ذلك . قال بعض شعراء العرب يذكر بعض منازل نجد
ويتشوقها ، وهو قائد بن حكيم الربيع :

خليلي إن حانت بمصر مدينتي وأزعمتا أن تحفرا لي بها قبراً^(٣)

فلا تنسيا أن تقرآ لي على الغضى ونجد سلاماً قليلاً ولا تزرأ^(٤)

وإن سرت ياسبحان ربي بالغضى أو المرات من نجد نخيسة صعرأ^(٥)

(١) ورد في القاموس وشرحه التاج : عجلزة بالكسر رملة بالبادية بازاء حفر
أبي موسى وتجمع على عجلز ذكرها ذو الرمة فقال :

مررن على العجلز نصف يوم وادين الأواصر والخلالا

قال الصاغاني ولم أجد البيت في شعر ذي الرمة في قصيدته التي أولها :

اناخ فريق جيرتك الجمالا كأنهم يريدون احتمالا

في نسختي من ديوانه التي قابلتها وصححتها باليمن والعراق ولكنه يقضي
منه قطرات عدوبة أنفاسه وسلاسة الفاظه وانما هو لابن احمر والرواية
وقضين وقد وقع ذكر العجلز في رجز اهاب بن عمير العبسي :

قاظ اقريبات الى العجلز يرد شغب الجمع الجوامز

وهي جمع عجلزة التي ذكرها الجوهري بعينها ، قال الزبيدي ومما يستدرك
عليه برملة عجلزة ضخمة صلبة وكتيب عجلز ضخم صلب والعجلز مياه

بضة بنجد هكذا ذكره في مختصر البلدان ويمكن أن يكون المراد في الرجز فتأمل

(٢) طخفة جبل احمر حداؤد أبار ومنهل ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على

قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، والنواشر : المرتفعة ١٣١ يقال ازعمت الأمر

وعليه أجمعت أو ثبت عليه كزعمت (٤) الغضى : شجر وخشبه من اصلب

الخشب ولهذا يكون في فحمة صلابة ١٥١ المرت : المفازة بلا نبات أو الأرض

لايجف ثراها ولا ينبت مرغاها

وقال أيضاً

متى العيسُ من مصر بنا رافعاتنا إلى نجد أو باد لعيني قلاها
ومزج إليها الطرف حتى يرده قوس القرى في البعد يخفق آها
على متن عادى كأن أماره رجال تنادى أفلتها جالها
وقوله ومزج أى يسوق نحوها الطرف ينظر إليها ويعنى بقموس القرى
هضبة . وقال عباس بن خليل النصرى ينوح على بنى جذيمة بن مالك بن نصر ،
ويقال إن القائل مرار الفقهسى :

ولقد أرى الثكثوث يألف نبتة حتى كأنهم أولو سلطان^(١)
ولهم بلاد طالبا عرفت بهم صحر الملا ومدافع السبعان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكم إن الأجير قسمه شطران
طردت مخاض بنى أنيف عنوة سبحانك اللهم ذا السبحان
طردوه إن لا قوا غلاماً واحداً ونسوا موائق معقد الإيمان
فلو الهديم لقوا أو ابني دهمج عرفوا التملك أسرع العرفان
سكنوا شبيثاً والأخص وأصبحت نزلت منازلهم بنو ذبيان^(٢)
وإذا يقال أتيتم لم يرحوا حتى تُقيم الخيل سوق طمان
وإذا فلان مات عن أكرومة رقعوا معاويز فقهه بفلان
وقد أحلنا استيفاء بلاد نجد وقراها وجبالها ومعاذنها وغير ذلك على كتاب
الأصبهاني السابق ذكره .

وأما اليمن

فهذا إقليم عظيم متسع الأرجاء ، متباعد الأطراف والأجزاء ، لم تزل محمودة

(١) الثكثوث كجبروت واد أو أرض بين طيء وذبيان (٢) شبيث والأخص موضعان بتهامة وموضعان بطلب وفي المثل : تخطى إلى شبيث والأخص ، قال في الفرائد : شبيث ماء لبنى الاضبط ببطن الجريب في موضع يقال له دارة شبيث ، والأخص : موضع هناك ، قاله جساس الكليب حين طعنه فقال اغثنى بشرية ماء فقال تجاوزت شبيثا والأخص ، يعنى ليس حين طلب الماء يضرب لمن يطلب شبيثا في غير وقته

على أسنة الأصفياء ، لما أودع الله فيها من البركة في جميع الأشياء ، وكانت تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وأثمارها ومراعها وبريحها . قال الكلاعي في قصيدته :

هي الخضراء فاسأل عن رباها يُخبرك اليقين المخبرونا
وَيُطهرها المهيمن في زمان به كل السيرة يطمئونا
وفي أجبها عزّ عزيز يظل له الوري متقاصرينا
وأشجاراً منورة وزرع وفاكهة تروق الآكلينا
وأرض اليمن مقسومة ثلاثة أقسام : قسم برارى سهلة ، وقسم جبال وعرة ،
وقسم بحر . فعند أبو الحسن الكلاعي من البرارى السهلة مواضع شرقية ، ومواضع
غربية ، فمن الشرقية مأرب ونجران وحضرموت وجوف همدان والشحر
وبييجان . وعند من الغربية زبيدأ وعلافقة وعسيرا وسررد ومورا وأرض حكم
وهي من المبيضة إلى جلى ، قال : وفي هذه البرارى والسهول من المنافع والفضائل
والخير الطائل ما لا يحصى له عدد ، ولا يبلغ له أمد ، وعند من قسم الجبال .
جبال اليمن المشهورة بالشموخ والسعة ، والخصب والمنعة ، والجناب والرفعة ، وهي
صر ومخلاف جعفر ودخر وبعدان ووصاب وعممة وأريمة وبرع وحفاش وملحان
وحضور وتيس ومسور والشرف وجبل هنوم ، وذكر أن فيها من الخيرات
والفضائل ما لا يخفى إلا على جاهل أو متجاهل ، وكم فيها من اللسانين والعيون
الجارية والفواكه والروعات ، والأشجار والثمرات ، والماعل النبعة ، والحصىون
القاهرة . مما لا يوجد في كثير من الديار مثله ، ولا يوصف شكله . وعند أيضاً
جزء البحر وما يخرج منه إلى اليمن فقال : يخرج منه اللؤلؤ والمرجان والمنبر الذكي .
قال : وأما الذي كان يصل إلى اليمن من البلدان البعيدة بواسطة البحر فالدرّ
والياقوت وأصناف من المسك والكافور والعود الرطب وأنواع العطر والفلفل
والحديد ، هذا كله من بلاد الهند . وأما الذي كان يصل من الصين فالحرير

والقصب . وأما الذى كان يَصِلُ من عمان وأرض فارس فكثير من التَّحَفِ التى يطول ذكرها .

بعض ما ظهر فى اليمن من المعادن

ذكر فى كتاب نشر المحاسن اليمانية إن فى اليمن كثيراً من المعادن ، منها مَعْدِنُ عَشَمٍ وَمَعْدِنُ ضَنْكَانَ وهما معدنا ذهب جليلان . ومعدن القفاعة من أرض حِمْيَر وهو دونهما . ومعدن فى أرض بنى محيد وهو دونه . وأما معادن الفضة فإن فيها مَعْدِنُ الرصاص وهو موضع بين فهم بطن من همدان وبين خولان العالية وبين مراد ، وهو معدن جليل كان اعتماد أهل اليمن عليه فلما ضعفت السلطنة تقالت العرب عليه وخربت قرية الرصاص وكان أهلها من العَرَنِيِّين^(١) فانتقلوا إلى صنعاء . وأما معادن الجزع واليقران والعقيق فهما جميعاً بأرض مَقَرَى من مخاليف اليمن الشرقية . وأما حجارة الحديد فإن فى اليمن جبالا كثيرة يصلح منها الحديد بعضها بعدن أبين وبعضها بأرض وادعة بين صعدة والحجاز ، وفى نجران أيضاً جبل من حديد . ومنها ييجان ضرب من حديد حديد سيوف كثيرة كانت مع ولد سبأ بمأرب لم يكن لها فى السيوف قياس ولا مثيل .

ما ظهر فى اليمن من القصور والباني الشهيرة

كان فى اليمن حصون كثيرة ، ومساكن عامرة ، وقصور عجيبة فاخرة ، منها : قصر غَمْدَانِ الذى كان بصنعاء وهو قصر عجيب فاخر أسَّسه — كما فى كتاب نشر المحاسن اليمانية — أزال بن قَحْطَانَ بأمر أخيه يعرب بناء عشرين طبقة عشرين سقفاً بين كل سقفين عشرين ذراعاً وجعل فيه مائة مسكن ، وكان أعلى غرفه مَمَرْدَاً بالقوادر . وذكر بعض المؤرخين : أن قصر غمدان هو بظاهر صنعاء اليمن وله غرف شهيرة يسمونها المحارِب وهو محكم البناء عجيب

(١) عرنة بالضم اسم قبيلة ورهط من العرنين ارتدوا فقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى الصحاح .

الارتفاع لأنه سبع طبقات وفيه مالا يوصف من الزخارف والصنائع الغريبة .
بناه الملك سُرحبيل بن عمرو بن غالب بن النثاف بن زيد بن يعفر بن السكسك
ابن وائل بن حير ، وأقام فيه مدة ملكه ثم صار بعد ذلك دار الملك للتبابعة .
وذكر بعضهم : أن عُمدان قصر باليمن بناه يَشْرُخُ بأربعة وجوهٍ أحمر وأصفر
وأبيض وأخضر ، وبني داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعًا .
وعلى كل قول من هذه الأقوال أن قصر عُمدان كان من أعاجيب المباني في وقته
فلذلك أكثر شعراء الجاهلية من ذكره في شعرهم ونووها بشأنه . ومنها : ظفار
وهو قصر الملك أبرهة ، وقد كان أيضًا من الأبنية العظيمة . ومنها : سَلْحِيْنٌ وهو
قصر بناه الحارث الرائي بين صنعاء ومأرب . ومنها : ناعظ قصر ملوك همدان .
ومنها : بينون قصر بناه تَبْعُ الذائد بأرض عنتر . ومنها : صرواخ لسعد بن خولان .
ومنها : قصر المشب . ومنها : قصر العنقاء . ومنها : موكل قصر في المشرق
بناه أبرهة ذو المنار بن الحارث الرائي . ومنها : براقين ومعين قصران مقتبلان
بالجوف . ومنها : تلعم قصر همدان بريدة . ومنها : هكر والأهجر قصران في أرض
عبس . ومنها : دورم لصهر أبرهة بن الصباح . ومنها : أعماد لسنام بذي شان ،
وهو من ولد سبأ الأصغر .

ومن المدن الشهيرة باليمن « صنعاء » وكانت من أحسن البلاد مساكن
وأطيبها وأصحها هواء ، يقال إن شتاءها في غاية البرودة . ومع ذلك لا يحصل
منه ضرر لأحد . وكانت هذه المدينة من أشهر بلاد العرب وأزهرها وكانت تحاكي
دِمَشْق الشام لكثرة مياهها وأشجارها وهي معتدلة الهواء حسنة الأسواق واسعة
التجارة . وكانت كرسى ملوك اليمن في الزمان القديم ، وهي شرقي عدن في الجبال ،
وكانت في الزمن القديم تسمى أزال . ولما كانت هي وما حولها في الأزمنة الأخيرة
تحت حَوْزَة إمام الزيدية استحدث عليها حصن تعز ، فصارت إذ ذاك منزلًا لبني
رسول ملوك اليمن وهو حصن في الجبال مُطْلَقٌ على التهاشم وأرض زبيد وفوقه مقبرته

كان يقال له (صهلة) قد ساق إليه صاحب اليمن المياه التي فوقه وبني فيه أبنية عظيمة في وسط بستان هناك . ومنها « زبيد » وهي قصبة التهايم وموضعها في مستوى من الأرض والبحر عنها أقل من يوم ، وفيها نخيل كثير وكان عليها سور دائر فيه ثمانية أبواب ، وهي إلى الغرب من صنعاء ولها فُرْضة على البحر تسمى (علافة) وبينها وبين البحر خمسة عشر ميلاً ، وإلى الجنوب منها على شط البحر أيضاً « مدينة الحما » التي يجلب منها البن وعلى أربع مراحل من الحما بيت الفقيه وهي من الأراضي التي بنيت فيها البن أيضاً . ومنها « عدن » ويقال لها عدن أبين سميت باسم بانها وهي مدينة على ساحل البحر أغنى بحر الهند جنوبي باب المندب بميلة إلى الشرق ، وكانت مورد حط وإقلاع لمراكب الهند ومصر وغيرها ، وهي في ذيل جبل وتماه سور إلى البحر ، وكان لها باب إلى البر وآخر إلى البحر ، وأرضها مُجْدبة تنقل إليها المياه في الغالب على ظهور الدواب ، وهي اليوم بيد الأفرنج وهي فُرْضة اليمن . ومنها : (نجران) بفتح النون . وسكون الجيم ، وهي قطعة عظيمة من أرض اليمن ذات نخيل وأشجار على القرب من صنعاء ، وهي بين عدن وحضرموت ، ويقال : هي جبال من شمال اليمن إلى شمال صعدة تبعد عن صنعاء نحو عشرة مراحل ، وكانت من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمائر ومياه . وبها كان أفعى الجرهمي الذي تحاكم إليه مضر وربيعة وإياد وأتمار أولاد نزار بوصية من أبيهم ، على ما سيحى إن شاء الله تعالى بيانه في الكلام على الفراسة . ومن مشاهير بلاده « ظفار » بالطاء المشالة والفاء وهي مدينة على ساحل (جون) يخرج من بحر الهند ويطن في الشمال نحو مائة ميل ، وهي على طرفه بينها وبين صنعاء أربعة وعشرين فرسخاً وعلى شمالها رمال الأحقاف التي كان بها عاد ، وهي قاعدة بلاد (الشحر) ويوجد في أرضها كثير من النبات الهندى كالنارجيل والتنبل^(١) ، وفيها بساتين على سواقي ، وفي سواحلها يوجد العنبر .

(١) قال في القاموس والتامول التانبول وهو ضرب من اليقطين طعم ورقه

ومن البلاد التي كانت في اليمن - مأرب

وتسمى سبأ باسم بانها ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك اليمن في قول واسمه عبد شمس ، وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي من ولد قحطان . وكان ملكه أربعمائة وأربعمائة سنة ثم سمي به الحى ثم سمي به مسكنهم ، وكانت هذه البلدة من أحسن بلاد اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ، وهى إلى الجنوب الشرقى من صنعاء لم يكن يومئذ في بلاد العرب أعمر منها . قال عبد الملك في شرح قصيدة بن عبدون : **إِنَّ أَرْضَ سَبَأٍ مِنَ الْيَمَنِ كَانَتْ الْمَهَارَةَ فِيهَا أَزِيدُ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ لِلرَّاكِبِ الْحَدِيدِ** وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر فزقوا كل ممزق . وذكر غيره من المؤرخين الثقة : أن (مأرب) كانت لطيفة الهواء ، حسنة التربة ، لا تحدث فيها عاهة ، ولا يكون فيها هامة ، حتى إن الغريب إذا دخلها وفي ثيابه قتل أو براغيث ماتت ولذلك نطق القرآن في شأنها أنها بلدة طيبة . وقيل : المراد بطيبتها همة هوائها وعذوبة مائها ، ووفور نزهتها ، وأنه ليس فيها حرٌّ يؤذى في الصيف ولا برد يؤذى في الشتاء وكان عن يمين البلدة وشمالها بساتين كثيرة ، ويقال : إن لكل منزل من منازل البلد جنة عن اليمين وأخرى عن الشمال ، وذلك بسبب ما كان من كثرة المياه في أرضها . فقد روى أن بلقيس لما ملكت اقتتل قوعها على ماء واديعهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على أن ترجع فأبت ، فقالوا : **لترجعين أو لنقتلنك** . فقالت لهم : أنتم لا عقول لكم ولا تطيعونى . فقالوا : نطيعك . فرجعت إلى واديعهم ، وكانوا إذا مطروا أتاها السيل من مسيرة ثلاثة أيام ، فأمرت فسدت ما بين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة منها اثنا عشر مخرجاً على عدة

كالقرنفل يعضغونه بقليل من كلس وهو مشبه مطرب باهى مقو اللثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند يمازج العقل قليلا وهو ينبت كاللوبيا ويرقى في الشجر

أنهارهم ، وكان الماء يخرج لهم بالسوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ما كان . وقيل : إن الذى بناءه هو حمير أبو القبائل اليمنية . وقيل : بناء لقمان الأكبر ابن عاد ، ورصف أحجاره بالرصاص والحديد ، وكان فرسخاً في فرسخ ولم يزالوا في أرغد عيش ، وأخصب أرض ، حتى إن المرأة تخرج وعلى رأسها المِكتل^(١) فتعمل بيديها وتسير فيمتلئ المِكتل مما يتساقط من أشجار بساتينهم إلى أن أعرضوا عن الشكر وكذبوا الأنبياء عليهم السلام ، فسلط الله تعالى على سدّهم الخلد^(٢) فتوالد فيه فخرقه ، فأرسل سبحانه سيلاً عظيماً لحمل السدّ وذهب بالجنان وكثير من الناس ، وكان ذلك السيل على ما قيل في ملك ذى الأذعار ابن حسان في الفترة ، وكان أول من أحس بمحاذة (سيل العرم) قبل وقوعها زمن طويل فخرج من اليمن عمرو بن عامر مزيّناً لما أنذرت به بذلك طريفة الكاهنة ، وسيأتى ذكر ما قالته من الأسجاع عند الكلام على الكهانة إن شاء الله تعالى مع بيان من تفرّق من القبائل والمواضع التي سكنوها . وفي أرض (مأرب) اليوم بقايا من آثارهم وكتابات كثيرة منقوشة بالخط الحميري قد اهتدى إلى معرفتها بعض السياحين من الأفرنج الذين طافوا أنحاء هذه البلاد بواسطة مقابلتهم ما نقش منه على الآثار التي اكتشفوها بالخط الحبشي والكوفي والفينيقي والعبراني ، وعرف بذلك ما كان للقوم من المدنية والمعارف الكلية .

وفي اليمن بلاد أخرى كثيرة لا يمكننا استيعابها في أقسام اليمن الخمسة ، وهي : حضرموت ومهرة وعُمان وشحر ونجران ، ولذلك كتب معدة . وكان اليمن منازل العرب العاربة من عاد وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن في معنهم . ثم انتقلت ثمود إلى الحجر من أرض الشام ، فكانوا بها حتى هلكوا وهلك أيضاً من هلك من بقايا العرب العاربة باليمن من عاد وغيرهم ، وخلفهم فيه بنو قحطان بن

(١) بكسر الميم الزنبيل وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره والجمع مكاتل مثل مقود ومقاوذ (٢) الخلد بالضم ويفتح الفارة العمياء .

عامر على قول فمرفوا بعرب الين وبقوا فيه إلى أن خرج منه عمرو في حادثة السيل ، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا في الحجاز والشام وغيرها . وكانت الحجاز أرض بنى عدنان إلى أن غزاهم بمختصر ، ونقل من نقل منهم إلى الأنبار من بلاد العراق ، ولم تزل العرب بعد ذلك تنتشر في الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامي فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد المشرق وملأوا الآفاق ، وصار بعض عرب الين إلى الحجاز ، فأقاموا به وربما صار بعض عرب الحجاز إلى الين فأقاموا به وبقي من بقي منهم في الحجاز والين إلى يومنا هذا .

ومن بلاد العرب وصانيتها في بواري الشام — ترمز

وهي بلدة قديمة بيادية الشام من أعمال حمص وهي على شرقها وأرضها سباح ، وكان فيها شجر ونخيل وزيتون ، وفيها آثار عظيمة قديمة من أعمدة وصخور ، وكان لها سور وقلعة وبينها وبين حمص نحو ثلاث مراحل : وكذلك بين سلمية وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلا ، وبينها وبين الزحمة مائة ميل وميلان ، وكانت منزل آل ربيعة ملوك الشام . واختلف في بانيها فقال بعض المؤرخين : إنه سليمان عليه السلام فإن هذه البلدة كانت مستقره وأن الجن قد بنتها له بالشفاح والعمد والرخام الأبيض والأشقر ، وفي ذلك يقول النابغة الذبياني في مدح النعمان ابن المنذر :

ولا أرى فاعلاً في الناس يُشبهه^(١) وما أحاشي من الأقوام من أحد^(٢)

إلا سليمان إذ قال الآله له قم في البرية فاصددها عن الفند^(٣)

(١) ولا أرى فاعلاً الخ أي لا أرى أحداً يفعل الخير يشبهه ، ولا أحاشي أي لا استثنى ، ومن في قوله من أحد زائدة (٢) يريد بسليمان ابن داود عليهما السلام وهو في موضع نصب على البدل من موضع أحد وإن شئت على الاستثناء ويروى إذ قال المليك له ، والفند الخطأ .

وخيس الجن أنى قد أذنت لهم يبنون تدمرُ بالصفاح والعمد^(١)
 فمن أطاع فاعقبه معاقبة كما أطاعك وادله على الرشد
 ومن عصاك فماقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد^(٢)
 ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(٣)

ذكر ذلك الثعالبي في تفسيره ، وهذا من مذاهب العرب على سبيل المبالغة
 لا الحقيقة كما كانوا يزعمون أن عبقرأ اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب ،
 فزعموا أن (تدمر) من بناء الجن لما يرون من قوتها الباهرة وصنعها العجيب .
 وقال بعضهم . أنها من أبنية العرب الأقدمين ، ففي القاموس تدمر كتنصنر بنت
 حسان بن أذينة بها سميت مدينتها وهذا هو الموئل عليه ، ولعل مراد من قال :
 إن بانها سليمان عليه السلام أنه حسنها وزاد في أبنيتها والله أعلم « ومنها تيماء »
 وهى حاضرة طيء وبها الحصن المعروف (بالأبلق الفرد) المنسوب إلى السمومل
 ابن عاديا ، وكانت بلدة عظيمة بين الحجر أرض ثمود وبين الشام ، وفيها عين ماء
 ونخيل . ويقال : إن أصحاب الأيكة الذين بعث الله تعالى شعبياً إليهم أيضاً
 سكنوها ، وفي ذلك الحصن يقول السمومل في قصيدته الشهيرة :

لنا جبلٌ يحثله من نُجَيْرُهُ منيعٌ يرُدُّ الطرف وهو كليلٌ
 هو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره يعزُّ على من رامه ويطول
 رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل
 ومنها « مدين » وهى قريبة من البحر إلى غربى (الحجر) مائلاً إلى الجنوب
 وهى التى قال فيها كثير عزة :

رهبان (مدين) والذين عهدتهم يكون من حذر العذاب قعودا
 لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركباً وسجودا

(١) الصفاح : الحجارة كالصفائح عراض ومعنى ذال ويروى وخبر
 الجن أنى قد أمرتهم الخ (٢) الضمد : الحقد (٣) أى لاتقم على الحقد إلا لمن
 يماثلك فى حاله أو من فضلك عليه كفضل السابق على المصلى يعنى أو من
 يباريك ، والأمد : الغاية

وقد خرجت هذه البلدة من أمد بعيد ، وزمان مديد ، وقد عفت طولها ورسومها
ومنها « دومة الجندل » كان رجل اسمه الأكيدر في بلدة قرب عين التمر في العراق
تسمى (دومة) وكان يزور أخوالاً له من بني كلب في أطراف الشام فيبني
هو يسير في بعض الطريق ، إذ ظهرت له مدينة منهدة لم يبق منها إلا بعض حيطانها
وكانت مبنية بأرض تسمى الجندل فأعاد (الأكيدر) بناءها وغرس فيها الشجر
وسماها (دومة الجندل) تفرقة بينها وبين (دومة العراق) وكان بنو كلب
ينزلونها ، ومنهم زهير بن جناب الكلبي ، وهو القائل في غزوه لبني بكر وتغلب
على ماء الحنّ :

أين الفرارُ من حذر الموت وإذ تتقون بالأسلاب
إذ أسرنا مُهْلَلاً وأخاه وابن عمرو في القيد وابن شهاب
وسبيننا من تغلب كل بيضا ، رُقود الضحى برؤود الرضاب

ومنهم زهير بن شريك الكلبي ، وهو القائل لأسناء زوجته :

ألا أصبحت أساء في الخمر تمذل وتزعم أني بالسَّاء موكلُ
فقلت لها : كفى عتابك نصطبج وإلا فيني فالتغربُ أمثلُ

« والحجر » بكسر الحاء المهملة هي إلى الجنوب من (دومة الجندل) وبها
كانت ديار ثمود . وأما الحجر بالفتح فهي في اليمامة بقرب مدينة اليمامة وهما منازل
بني حنيفة وبعض مضر ، وبنو حنيفة هؤلاء من بكر بن وائل . ومنهم مسيلمة
الكذاب وهم من العرب المستعربة من قبيلة ربيعة الفرس ، وكان في دومة الجندل
من المباني العظيمة (مارد) وهو حصن للسموئل بن عاديا الغساني ، كما أن (الأبلق)
له أيضاً غير أن (مارداً) في دومة وكان مبنياً من حجارة سود ، والأبلق كان
في أرض تيماء كما سبق وقد بنى من حجارة سود وبيض ، وقد قصدهما (هند)
ملكة الجزيرة المعروفة بالزباء وعجزت عنهما فقالت : تمرد مارد وعز الأبلق ،
فذهب هذا القول مثلاً . ومن مباني العرب في بادية الشام (صرح الغدير) وهو

من أبنية ملوك غسان في أطراف (حوران) ممالي (البلقاء) بناء ثعلبة بن عمرو ابن جفنة الفسائي ، ومنها (القناطر) و (أذرح) و (القسطل) وهي من أبنية جبلة ابن الحارث بن ثعلبة المذكور . ومنها (الحفير) و (مصنعة) و (قصر أبير) و (امعان) وهي من أبنية الحارث بن جبلة المذكور وكان يسكن في البلقاء . ومنها قصر (الفضا) و (صفات المجلات) و (قصر منار) وهي من أبنية عمرو بن الحارث المذكور فإنه أنشأ في دمشق وضواحيها عدة من القصور الشاخنة منها هذه الأبنية . ومنها (قصر السويداء) و (قصر حارب) بناهما النعمان بن عمرو الذي مر ذكره . ومنها (قصر برقع) بنى في البرية لجبلة بن الحارث أخى عمرو المذكور سابقاً ، وكان صاحب تدمر . و (قصر بركة) و (ذات أعمار) بناء له عامله القين . ومنها (جبلة الأهمية) وهي بلدة بناها جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، وهو الذى أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ثم لحق بقيصر ملك الروم فتنصر وأقام عنده والقصة مشهورة^(١) ، وكان يضرب به المثل في عزة الملك فيقال أعز ملكاً من جبلة بن الأيهم .

ما جاور العراق من بلاد جزيرة العرب

اعلم أن كثيراً من العرب في حدود العراق من أرض جزيرة العرب والبعض منهم كان في العراق أيضاً ، واختلف المؤرخون في سبب ذلك فذهب ابن خلدون في تاريخه عند الكلام على الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب أن يختصر ملك بابل هو الذى أسكن بعضهم في الحيرة بسبب ما كان له مع التبابعة وغيرهم من الوقائع والحروب ، وبعد موته انتقلوا منها إلى الأنبار فابتشروا بعد

(١) حدثنا استاذنا المؤلف انه رأى ابن الشجرى في كتابه « المختلف والمؤتلف » المخطوط ينكر على من يدعى تنصر جبلة انكاراً شديداً ويبالغ في الرد على من يقول بذلك فأجبت ان أقف على هذه المسألة الغامضة فأخبرنى أنه أرسل نسخة الكتاب — وهي قديمة وحيدة في العالم — الى بعض الوراقين في مصر للطبع والنشر فتجرا ذلك الخؤون الأثيم على بيعها الى بعض المستشرقين فهى اليوم في خزائن كتب الافرنج والأمر لله

ذلك بأرض العراق . وقال الهمداني في كتاب جزيرة العرب : سار تُبَّع أبو كوب في غزوته الثانية فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غُثَم بن دُوس على أثقاله وتحلف معه من ثقل من أصحابه في نحو اثني عشر ألفاً ، وقال : تحيروا هذا الموضع فسمى الموضع الحيرة ، وهو من قولهم تحير الماء إذا اجتمع وزاد ، وتحير المكان بالماء إذا امتلأ ، فالك أول ملوك الحيرة وأبوهم . وكانوا يملكون ما بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البراري الغمير والتقططانة وحفية . وكان مكان الحيرة أطيب البلاد ، وأرقه هواء ، وأخفه ماء ، وأعذبه تربة ، وأصفاه جواً ، قد تعالى عن عمق الأرياف واتضع عن حزونة الغائط واتصل بالمزارع والجنان والتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الهند والصين وغيرها ، والحيرة أرض في العراق فيها بلدة كانت قريبة من الكوفة . وغير الهمداني يقول إن الحيرة بلدة على حافية البادية وحافة سواد العراق وإن تُبَّعاً لما سار من اليمن إلى خراسان وانتهى إلى موضعها ليلاً تحير فنزل وأمر بينائها فسميت الحيرة وصارت مقام الملوك اللخمين من آل النعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة ، وأقام قصراً سماه (الزوراء) وهو المعنى بقول النابغة الذبياني :

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد بزوراء في أكنافها السك كارع

« والأنبار » مدينة كانت في العراق أيضاً على شرق نهر الفرات بينها وبين بغداد نحو عشرة فراسخ ، سميت بهذا الاسم لأن الأكاسرة كانوا يحزبون فيها الطعام ، وبعد الفتح الإسلامي ظهر فيها جماعة من أهل العلم ، وبعد أن مصر سعد ابن أبي وقاص الكوفة نقل إليها أهل الحيرة فخرت . وكان فيها من مباني العرب الجاهليين قصور عظيمة ، منها قصر (الخورنق) وكان في الحيرة بظهر الكوفة بناه رجل من الروم يقال له سنمار للملك النعمان الأكبر ابن امرئ القيس اللخمي الملقب بالحرث في مدة عشرين سنة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه الملك المذكور من

أعلاه فقتله ثلاثين مثله لغیره ، فضربت العرب بذلك المثل ، فقالوا : جزاء جزاء سنّمار .

جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء سنّمار وما كان ذا ذنب
سوى رصّه البنیان عشرين حجةً يعلى عليه بالقراميد والسكب^(١)
فلما رأى البنیان تمّ سحوقه وأض كمثل الطود والباذخ الصعب^(٢)
ووطن سنّمار به كل خيرة وفاز لديه بالموذّة والقرب
رى بسنّمار على أم رأسه وذاك لغمر الله من أعظم الخطب^(٣)

وقال سليط بن سعد

جزى بنوه أبا الفيلان عن كبرٍ وحسن فعل كما يُجزى سنّمار
ويروى أن السبب في قتل سنّمار غير ذلك ، وقصة قصر (الخورنق) مفصلة
في ترجمة (عدى بن زيد) من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، وهناك أيضاً
ترجمة سليط بن سعد ، ويقال : إن هذا الملك بعد أن مكث في الملك ثلاثين سنة
كان جالساً يوماً في هذا القصر ، فتأمل في الملك الذي له والأموال والذخائر التي
عنده وكانت على جانب عظيم ، فقال : لا خير في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه
غيري غداً ، ومن ثمّ زهد في الملك وأمر حجابيه أن يعتزلوا عن بابه ، ولما جنّ
الليل التحف بكساء وخرج سائحاً في الأرض فلم يره أحد بعد ذلك . ومنها
(السدير) وهو قصر آخر من آخر من مباني النعمان الأكبر أيضاً . ومنها (الصنبر)
وهو حصن من مباني امرئ القيس بن النعمان الأعور . ويقال : إن ما وقع لسنّمار
كان مع هذا الملك بعد أن بنى له هذا الحصن . وقد لهجت الشعراء بذكر هذه
القصور وغيرها من مباني العرب القديمة . قال الأسود بن يعفر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

(١) القراميد جمع قرميد وهو آجر أو شيء يشبهه وقيل شيء كالجص يطلّى به وقيل حجارة محرقة أو خزف مطبوخ ، والسكب : النحاس أو الرصاص (٢) أض أى صار ، والطود : الجبل ، والباذخ : العالى : وقوله سحوقه أى ارتفاعه (٣) أم رأسه أى دماغه

وقال المنخل الشكري من أبيات كانت سبب عزل عمر رضى الله تعالى عنه
له عن العمل :

ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير
وإذا سكرت فإننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإننى رب الشوبهة والبعر

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ، والمنخل هذا كان من شعراء الجاهلية ، وكان
ينادم النعمان بن المنذر وهو الذى سمي بالنابغة الذبياني إلى النعمان فى أمر المتجردة امرأة
النعمان فلحق بآل جفنة الفسانيين ، وقال أبو العتاهية :

كهنى على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

والشعر فى ذلك كثير ، وقد تركنا ذكر كثير من مباني العرب القديمة
فى العراق ، وقد ذكرت فى كتاب معجم البلدان وغيره من الكتب المؤلفة فى هذا
الباب ، واعلم أن العراق ليس من جزيرة العرب ، والسواد سواد كسرى الذى فتحه
المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وهو من أرض العراق سمي
سواداً لسواده بالزرع والأشجار لأنه حين تآخم جزيرة العرب التى قل الزرع فيها
والشجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم إليه ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار ، وهم
يجمعون بين الخضرة والسواد فى الأسماء كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب ، وكان أسود اللون :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة من نسل العرب

فسموا خضرة العراق سواداً ، وسمى عراقاً لاستواء أرضه حين خلت من جبال
تملو وأودية تنخفض ، والعراق فى كلام العرب هو الاستواء ، قال الشاعر :

سقم إلى الحق لهم وساقوا سياق من ليس له عراق

أى ليس له استواء وبعضهم يقول : إنما سمي بهذا الاسم تشبيهاً له بعراق
المزادة وهو موضع الخرز المستطيل فى أسفلها . وبعضهم يقول : هو جمع عرق

لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض . وحد السواد طولاً من (حديثة الموصل) إلى (عبادان) وعرضاً من عُذَيْب القادسية إلى حلوان ، فطوله مائة وستون فرسخاً ، وعرضه ثمانون فرسخاً : فأما العراق فهو العرض مستوعباً لأرض السواد عرفاً ، ويقصر عن طوله في العرف لأن أوله من شرق دجلة الملتح . وفي غربها حربى ، ثم يمتد إلى آخر أعمال البصرة من جزيرة عبادان فيكون طوله مائة وخمسة وعشرون فرسخاً يقصر عن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخاً ، وعرضه مع تبعه في العرف ثمانون فرسخاً كالسواد . قال قدامة بن جعفر : يكون ذلك مكسراً عشرة آلاف فرسخ وطول الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة ، ويكون بذراع المساحة وهى الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع ، فيكون ذلك إذا ضرب في مثله وهو تكسير فرسخ في فرسخ اثنين وعشرين ألف جريب وخمسمائة جريب ، فإذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ وهى عشرة آلاف فرسخ - بلغ مائتى ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف جريب وخمسمائة جريب ، يسقط منها بالتخمين مواضع القلال والآكام والسبخ والآجام ومداس الطرق والمحاج ومجارى الأنهار وعراض الدُف والقرى ومواضع الأرحاء والبريدات والقناطر والشاذروانات والبنادر ومطارج القصب وأتاتين^(١) والآجر وغير ذلك الثلث وهو خمسة وسبعون ألف ألف جريب يراح منها النصف ويكون النصف مزروعاً مع ما فى الجميع من النخل والسكرم والأشجار . فإذا أضيف إلى ما ذكره قدامة فى مساحة العراق ما زاد عليها من بقية السواد ، وهو خمسة وثلاثون فرسخاً . كانت الزيادة على تلك المساحة قدر ربعها ، فيصير ذلك مساحة جميع ما يصلح للزراع والفرس من أرض السواد ، وفى المتعذر أن يستوعب زرع جميعه وقد يتعطل منه بالمواضع والحوادث ما لا ينحصر . وقد قيل : إنه بلغت مساحة السواد فى أيام كسرى بن قباد مائة ألف وخمسين ألف ألف جريب ، فكان مبلغ ارتفاعه

(١) جمع اتون بالتشديد موقد النار مولد وتردد فيه الجوهرى .

مائي ألف ألف وسبعة وثمانين ألف درهم بوزن سبعة ، لأنه كان يأخذ على كل جريب درهماً وقفيزاً ثمنه ثلاثة دراهم بوزن الثقال . وإن مساحة ما كان يزرع منه على عهد عمر رضى الله تعالى عنه من اثنين وثلاثين ألف ألف جريب إلى ستة وثلاثين ألف ألف جريب ، والكثير من أراضي العراق اليوم موات وغالب البلاد خراب .

ديار بكر بن وائل وريعة ومضر

ذكر بعض المؤرخين : أن ثلاث قبائل من عرب اليمن وهم بكر وريعة ومضر هاجروا من اليمن عند حادثة سيل العرم ، وسكنوا شمال ما بين نهري دجلة والفرات وهو المسمى بالجزيرة . فسميت حينئذ تلك النواحي ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر ، وفيها يجري نهر (الخابور) وقد قتل في هذا المحل الوليد بن طريف التغلبي ، فرثته أخته ليلي بأبيات منها قولها :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف

وصحارى هذه الديار مملوءة كلاً وأزهاراً ، ولذا اتخذها آل بكر بن وائل من بين الديار داراً ، وطيرها كثير جداً لا تكاد تستطيع له عدداً . فما من زهر تنسقه عرائن السمع إلا وهو مزهر في رياضها ، وما من طير يقع في شباك الوهم إلا وهو حائم على غياضها . ولم يكن فيها اليوم ممن كان في الأعصر الخالية من أولئك القوم بل سكنها أناس مختلفوا الملل والأجناس ، ليس فيهم مزايا من سلف ، ولا فصاحة من مضي وانصراف ، وسبحان من أخلى ديار بكر ممن يرى زهر الأدب وريعه ، وجلها بلاقع لا تجد فيها من يتخذ لفهم كلام العرب ذريعة ، ولم كان فيها من أديب حلا نظمه ونثره ، وأديب رمى عن قسي الإصابة لا شلّ عشره ، فنثرهم ريب النون من كنانتها ثمر السهام ، ونظمهم على الرغم منهم في ديوان القبور تحت أطباق الرغام^(١) ، سقى الله تعالى ثراهم ، ما يوجب في دار

(١) التراب .

الإقامة ثراهم ، وهناك بلد أحدث بعد الزمن الجاهلي اسمه اليوم (آمد) هواؤه لا يهواه جسد أحد ، أسرق للصحة من شر شظاظ^(١) ، وأسرى في الأعصاب من سريان المعاني في الألفاظ ، ولذا ترى حمّاء في حماء عاكفة ، والأمراض في كل بيت من بيوت طائفة ، قلما تمرّ السنة على رضيع جرّها ، ولم تهزه أم ملدم^(٢) في مهد حجيرها ، فأغلب أهلها حتى الأحداث ، صفر الوجوه كأنما خرجوا من الأجداث ، ولا ترى منهم من يرد من ماء شببته ظمأى العين ، اللهم إلا أن يكون ذلك واحداً أو اثنين ، وربما يتفق من غلط الزمان ، واحدة من النساء عليها مسحة الجمال كنساء سائر البلدان ، وقبل أن تضحك تبكيها الأسقام ، وتطمئنها^(٣) على فراش الأمراض الآلام ، هكذا وصفه (الجد) عند مروره على هذه الديار . ثم قال بعد كلام : وسبب تغير الهواء بزعم ساكنيها ، مزيد تعمق في أرجائها مما فيها ، فترى في أحيائها مياهاً أنقن من صديد الأموات ، وأوحالاً تغيرت أحوالها مما جرى على رأسها من القاذورات ، وفي طرقاتها أيضاً ما يجري على نحو هذا الطريق . ويسرى برفيق من الجيف أمامه ألف فريق ، وكذلك يزعمون أن ارتفاع السور ، أحد أسباب تلك الأمور ، وهو في بادى النظر كلام منحط عن القبول ، وآسن^(٤) لا تنشر به أفواه العقول ، ولا يبعد أن الارتفاع ، يكون سبباً لاحتباس الهواء في تلك البقاع ، فيزداد تعمقنا ، ويعظم العناء . ثم قال : ويقابل (آمد) من

(١) شظاظ ككتاب لص من بنى ضبة كان يصيب الطريق مع مالك بن الريب المازنى ، « قيل انه مر بامرأة من بنى نمير وهى تعقل بعيرا لها وتتعوذ من شر شظاظ وكان بعيرها مسنا وكان هو على حاشية من الابل وهى الصغير فنزل وقال لها اتخافين على بعيرك هذا شظاظا فقالت ما آمنه عليه فجعل يشغلها وجعلت تراعى جملة بعينها فأغفلت بعيرها فاستوى شظاظ عليه وذهب به وهو يقول :

رب عجوز من نمير شهيرة علمتها الانقاض بعد القرقرة
الانقاض : صوت صفار الابل ، والقرقرة : صوت مسانها ، فهو يقول علمتها
استماع صوت بعيرى الصغير بعد استماعها قرقرة بعيرها الكبير (٢) هى الحمى قال اصحاب الاشتقاق هى مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى يحمر ، وقال بعضهم ملدم بالذال من قولهم لدم به اذا لزمه (٣) أى تمسها والطمث النكاح بالتدمية ومنه قيل للحائض طامث (٤) أى متغير الريح والطعم

الشمال قرية نصارى تسمى (بقطريل)^(١) ونهر دجلة بينهما يشبه ورب الفلك الدوار دائرة المعدل ، وهذه غير قطريل بغداد ، التي جاءت في حديث ضعيف الإسناد ، وكان حانا لكل خمرة تنسب إليه ، وتنقل إلى ما حواليه ، فتقادم الزمان ، وتغير ما كان ، واستولى الحين على الحان ، ويس الكرم وتكسرت الدنان ، فلم يبق محتسب الليالي والأيام ، إلا حديثاً تدور به في حانات الكتب سقاة الأعلام في كاسات الأرقام :

زمان بما فيه انقضى فهو ماترى أحاديث تجلوه على السمع أفواه

انتهى ما هو المقصود . ويوجد في بعض النواحي من هذه الديار بعض بنى مضر وهم العرب الطائيون ، ومن المدن التي كانت فيها (سروج) و (الرقة) و (رجة) مالك بن طوق) أحد قواد هارون الرشيد ، و (قرقيسيا) وكانت مدينة هند بنت الريان التي قتلت جذيمة الأبرش ، وكانت هذه البلدة من ديار مضر . ومن مدن هذه الجزيرة (دارا) التي أدار الإسكندر عليها في فنائها من كؤس الفناء ما أدار ، قال فيها بعض الشعراء :

ولقد قلت لرحلى بين حرّان ودارا
اصبرى يا رحل حتى يرزق الله حمارا

ومنها مدينة (نصيبين) وهي من ديار ربيعة ، وكانت مختصة بالورد الأبيض وليس فيها وردة حمراء ، ومنها كان يجلب إلى الآفاق ويمجرى إلى القرية نهران أسود وأبيض ثم أنهما يتحدان وبعد ذلك يتشعبان ، ويكون منهما منافع غزيرة للحجرات وغيرهم . وعليهما ممّا قنطرة نحو مائة ذراع وغاية ارتفاعها عن وجه الماء نحو ستة أذرع أو أكثر والماء يجرى من تحتها بشدة ثم ينصب ما يبق منه بمد سقى المزارع في (الخابور) ويختلط آخر الأمر بماء الفرات ولرداء ماؤها ، وفساد هوائها كثرت فيها الحمى حتى يقال إنه شوهده أن عصافيرها تتساقط

(١) قال في شفاء الفليل أعجمية لم تسمع في شعر قديم وهو اسم بلدة

ميتة من أعلى الأشجار ، ولولا ذلك لغدت من أوسع البلاد ولعدت منتزها
أبهى من غوطة دمشق الشام ، لما أن ترابها ينبت مالا يكاد ينبت بمكان ، واشتهر
أنها كانت قبل بلدة واسعة فضيقتها كأمثالها جيوش البلاء وحوادث الأيام والليالي
وهي اليوم تشتمل من البيوت على نحو ثلاثمائة وخمسين بيتاً . وعلى غربي دجلة
قرية صغيرة تسمى « جزيرة ابن عمر » ومنها ابن الأثير الجزرى وغيره من
الأفاضل الأعلام ، الذين تزينت بمؤلفاتهم نحور الأيام ، وليس هذا مقام ذكرهم .
وهي بلدة غلالية الشكل ، ولكن لا نور فيها ولا فضل ، وذلك لوخامة هوائها ،
وذمامة أرجائها ، ولولا أن تكون دجلة عليها شفيقة ، لجعلتها بمجازها جزيرة على
الحقيقة ، وابن عمر الذى تنسب إليه ، وتعمل في الشهرة عليه ، قيل : هو يوسف
ابن عمر الثقفى ، وفي معجم البلدان . جزيرة ابن عمر أحسب أن أول من عمرها
الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ، وكان له إمرة بها سنة ما يتين وخمسين انتهى
وفي تاريخ ابن المستوفى : ابنا عمرها أوس وكامل ابنا عمر بن أوس التغلبى ،
وإليها تنسب الجزيرة المشهورة انتهى . وفي تاريخ ابن خلكان ما يتعلق بذلك .
والممول عليه ما في معجم البلدان ، ويعد ما في تاريخ ابن المستوفى في الجلة أفراد ابن
دون تثنيته والله أعلم .

ومن مساكن العرب في الجزيرة التي بين دجلة والفرات « الموصل » كان
يسكن فيها وفي نواحيها كثير من قبائل العرب من أبناء ربيعة ومضر . قال في
اللباب : هي بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وفي آخرها لام ، مدينة
من الرابع من الجزيرة ، وهي على دجلة في جانبها الغربى انتهى . وفتاحها في زمن
الفاروق رضى الله تعالى عنه قيل : عياض بن غنم الأشعرى ، وقيل : خالد بن
الوليد فتحها غنوة . وسميت بالموصل على ما هو المشهور لأن نوحاً عليه السلام
سبر الماء هناك وهو في السفينة فوصل السبار الأرض . وفي الراصد : سميت
بذلك لأنها وصلت بين الجزيرة والفرات ، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات .

وقيل : لأنها وصلت بين (بلد) و (الحديثة) . وقيل : إن الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل انتهى ، ولا جزم بشيء مما ذكر والله أعلم . وقريب من الموصل المعمورة اليوم محل يسمى الموصل القديمة وهذا ظاهر في أن المعمورة حديثة وفي معجم البلدان ما يدل على أن تلك القديمة هي حديثة الموصل فوصفها بالقديمة لعله لخرابها اليوم . وقد وصفها الجدي في كتابه غرائب الاعتبار إذ مر على هذه البلدة بأوصاف جميلة فقال : هي عذبة الماء ، طيبة التربة والهواء ، طعامها هنيء ، وشرابها مريء ، واسطة البلاد وسرورها ووجهها الصبيح وغرتها ، تلد الربيع في السنة مرتين ، فهي بين البلاد أم الربيعين ، فأراضيها في فصلين قد علا جنسها ، وتجرد عن عوارض الكدر إنسها ، وهي كالعرائس في حليها وزخارفها ، والقيان ^(١) في وشيها ^(٢) ومطارفها ^(٣) زرايتها ^(٤) وإنماطها ^(٥) ناشرة حبرها ^(٦) ورياضها ^(٧) :

كأن نسيم الريح في جنباتها نسيم حبيب أو لقاء مؤمل
لا عيب فيها سوى أنها أيام الربيع ، تسرق المائم الخضر من السادة فتنتشرها على سطوح دورها وتبيع ، وتقول : لا بأس على أم الربيعين ، لو سرت غنائم أبناء الريحانتين ، ولعمري إن من اختبر وامتنح ، حكم بأن كل روضة بالنسبة إلى رياضها خضراء الدمن ، وأنها تنبت العلماء المحققين ، كما تنبت الأقحوان ^(٨) والنسرين ^(٩) ، وتخرج الأخيار ، كما تخرج الأزهار ، وهذا أظهر من الشمس ، وأقوى تحقّقاً من الأمس ، فلا حاجة إلى التطويل ، بإقامة الدليل :

(١) جمع قينة وهي المغنية (٢) الوشي نوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر (٣) جمع مطرف ثوب من خزلة أعلام ويقال ثوب مربع من خزر وأطرفته أطرافاً جعلت في طرفيه علمين فهو مطرف وربما جعل اسماً براسه غير جار على فعله وكسرت الميم تشبيهاً بالالة (٤) الزرابي الطنافس المخملة وأحدثها زربية (٥) جمع ثمط بفتح الحاء ثوب من صوف ذو لون من الألوان ولا يكاد يقال للأبيض ثمط (٦) الحبر على وزن عنب جمع حبرة على وزن عنبه ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط (٧) جمع ريط وهو ثوب رقيق (٨) بالضم : البابونج كالأقحوان بالضم والجمع أقاحى وأقاح (٩) مشموم معروف فارسي معرب وهو فعيل بكسر الفاء فالتون أصلية أو فعيل فالتون زائدة مثل غسلين ، قال الأزهرى ولا أدري أعربى هو أم لا ؟

وليس يصح في الأعيان شيء متى احتاج النهار إلى دليل
(نفحة الشامه) تهدي من ليس له زكام ، إلى حي بعض أولئك العلماء
الأعلام ، وفي (الروض النضر) أريخ فضلاء منهم ارتدوا رداء أحسن عصر ،
ولا يكاد يحيط نطاق ، بجميع من فاق منهم علماء الآفاق ، والأمر من البديهيّات
الأولية عند منصف علماء العراق فهميات أن يكون فيه بين اثنين فيهم نزاع
وشقاق . . ومن مدن الجزيرة « عانات » وهي بلدة على شاطئ الفرات كثيرة
النخيل والأشجار عذبة الماء والهواء ، وكانت في الأزمنة المتقدمة موصوفة بجودة
التمر ، كما يدل ذلك قول الشاعر :

أمن بابل أم من لواحظك السحر ومن (عانة) أم من مراشفك التمر ؟
وهل ما أراه الموت أم حادث النوى وهل هو شوق بين جنبي أم جمر ؟
واليوم قد كسرت أهلها حوادث الدهر ، وتركهم لا يميزون بين التمر
والتمر ، وجرى عليها من المصائب ما جرى ، حتى غدت عاناتهم عورة بين القرى ،
هذا وفي هذه الجزيرة كثير من البلاد والقرى القديمة كانت تسكنها العرب
أيام الجاهلية ، قد استوعبها أبو عبيد البكري في معجم ما استمعجم ، والحموي
في كتاب معجم البلدان ، وغيرها في كتب كثيرة ألقت في هذا الباب ،
والله الموفق .

بعض ما ظهر دائراً على ألسنة الشعراء من المواضع

إن كثيراً من شعراء الجاهلية وغيرهم يذكرون في بعض أشعارهم مواضع كانت
تطيب بها نفوسهم ، وتهتز من بهجتها قدودهم ورؤسهم ، كالبرق والدارات ،
والرياض والمنزهات ، وقد ألف فيها بعض أهل الأدب كتباً مخصوصة بهذا
المطلب . ولندكر شيئاً منها في هذا المقام ، ليكون كالمثال لذوى الأفهام ، أما الدارات
فهي جمع دارة وهي الدار غير أنها أخص فكل دارة دار وليس كل دار يقال لها دارة ،
ودارات العرب مخصوصة في جزيرتهم كلها سهول بيض تنبت النوى والصليل ، وما

طاب ريحه من النبات ، وأنهاها صاحب القاموس إلى ما يزيد على المائة ، وادعى أنها لم تجتمع لغيره مع بحثهم وتنقيحهم عنها^(١) . ثم ذكر ما أضيف إليه الدارات مرتبة على الحروف فراجعها . وقد ألف الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس كتاباً في المواضع المعروفة بهذا الاسم . وقد أحببت أن أذكر منها بعض ما وجدته في شعرهم ، وهي (دارة جُلْجُل) قال امرؤ القيس :

ألا ربَّ يومٍ لكَّ منهنَّ صالحٍ ولا سيما يومٍ بدارةٍ جُلْجُلٍ
ودارةٍ (صُلْصُل) قال جرير :

ولما حلَّ أهلك يا سُلَيْمى بدارةٍ صُلْصُلٍ شَحَطُوا المزارا
ودارةٍ (مَأْسَل) قال عمرو بن لجأ :

لا تهجُ ضبطةً يا جريراً فإنَّهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا شتيراً وابن غولٍ وابنه وابنى هتيم يومٍ دارةٍ مَأْسَلٍ
ودارةٍ (السَّلَم) قال البكاء بن كعب :

ما كنت أولَّ من تفرَّقَ شملُهُ ورأى الغداةَ من الفراق يقينا

(١) أقول : وقد ذكر الاصمعي وعدة من العلماء عشرين دارة وواصلها العلم السخاوي في شرح سفر السعادة إلى نيف وأربعين دارة واستدل على أكثرها بالشواهد لاهلها فيها ، وذكر المبرد في أماليه دارات كثيرة وكذا ياقوت في المعجم والمشتراك وأورد الصغاني في تملكته إحدى وسبعين دارة كما في التاج ، قال السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الحسيني في فلك القاموس المحيط : راجعت وجزءاً من أصله - أعني العباب - من نسخة محفوظة في خزائن آبائنا (رض) وقد جرى عليها قلم مؤلفها ثم قلم المجد (رح) فرأيت تلك الدارات جميعها ممدودة في العباب وقدسها المجد عن سبع فاهملها من قاموسه عند النسخ ولكنه زاد المجد في هامش العباب سبع دارات فزادها في القاموس فلا أدري هل زادها من (المجل) أو من غيره فلو عد ما في العباب وذلك مائة دار ونيّف ثم قال وقد وقفت على سبع دارات غير ذلك والله الحمد - إكان أولى ، والدارات التي سها عن نقلها هي دارة أحماد والذيب والذيان وغور مخلف والمزد وموقع ، وظاهر ما في خطبة القاموس أنه لم بجميع معاني أصلية بعبارة وجيزة وزاد عليها فانظر ما أهمله في هذا الموضوع وقس عليه غيره ، وقال في العباب وأما دارة بغير إضافة في قول خلف الأحمر : دوبرات برد بين باب ودارة الخ ودارة ابن العمر ودارة بنجران ودارة الكلبى ودارة العبد ودارة المقطع فهذه ليست من دارات العرب وإنما هي دورهم التي تختص بهم وهذه أسامى أصحاب الدور ، ودارات العرب مضافات إلى جبال ومياه وأمكنة

وبدارة (السَّلم) التي شوقتها دمن يظلُّ حمامه ييكينا
وبهذا الشعر سمي هذا الشاعر البكاء . فإن كثيراً من الشعراء كان يسمى
ببعض ألفاظ شعره . ودارة (وَشَحَى) وقد تضم الواو . قال الشاعر :

لَمَعْرُكٍ إِنِّي يَوْمَ أَسْفَلَ عَاقِلٍ ودارة (وَشَحَى) للهوى لتُبْعُ
ودارة (خَنَزَر) بفتح الخاء والزاي وسكون النون ، ويقال : خنزِر بكسر
الخاء والزاي . قال الجعدي :

أَلَمْ خِيَالٍ مِنْ أُمَيْمَةٍ مَوْهِنًا طُروِقًا وَأَسْجَابِي بِدَارَةِ (خَنَزَرِ)
ودارة (الجَّاب) قال جرير :

أَصَاحُ أَلَيْسَ الْيَوْمَ مَتَنَظِّرِي صَبْحِي نَحْيِي دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ دَارَةِ الْجَابِ
ودارة (مَسْكُن) قال الراعي :

عَرَفْتُ بِهَا مَنَازِلَ كُلِّ حَيٍّ فَلَمْ تَمْلِكْ مِنَ الطَّارِبِ الْعِيُونَا
بدارة مَكْنَم سَاقَتْ إِلَيْهَا رِيحُ الصَّيْفِ آرَامًا وَعَيْنَا
ودارة (يَعْمُون) ويقال أيضاً يعموز بالزاي . قال الشاعر :

بدارة يعمونٍ إِلَى جَنْبِ حَشْرَمٍ

ودارة (رَهْبِي) قال جرير :

بِهَا كُلُّ ذِيَالٍ الْأَصِيلِ كَأَنَّهُ بدارة رَهْبِي ذُو سَوَادِ بْنِ رَائِحٍ
ودارة (الآرَام) قال الشاعر :

فَأَبْرَقَ وَأَرْعَدَ إِنْ الْعَيْسَ خَلَفَتْ بَنَا دَارَةَ الْآرَامِ ذَاتَ الشَّقَائِقِ
ودارة (الرَّهَى) قال الشاعر :

بَرِثْتُ مِنَ الْمَنَازِلِ غَيْرَ شَوْقٍ إِلَى الدَّارِ الَّتِي بَلَوَى أَبَانَ
وَمِنْ وَادِي الْقَنَانِ وَأَيْنَ مَتْنِي بَدَارَاتِ (الرَّهَى) وَادِي الْقَنَانِ
ودارة (الصَّفَاخ) قال الأَفَوْه :

وَتَبَكَّيْهَا الْأَرَامِلُ بِالْبَاكِي بَدَارَاتِ الصَّفَاخِ وَالنَّصِيلِ

ودارة (هَضْبُ القليب) قال جميل :

أشباقل عاقل فألى الكئيب إلى الدارات من هَضْبُ القليب

ودارة (رُمَح) قال الشاعر :

كأنَّ النَمِرَ الذي يتبعنه بدارة رُمَحٍ ضالعُ الرجلِ أحتَفَ

ودارة (مَحْضَن) ويقال : محضر . قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة :

ودارة مَحْضَنٍ من ذى طلوح فسرداح الثامن فالضواحي

ودارة (واسط) قال الشاعر :

ما قد أرى الدارات دارات واسطٍ فما قابلت ذات الصليل فجُلْجُل

ودارة (الجمْد) قال الشاعر :

ألا يا ديار الحمى من دارة الجمْد سلمتِ على ما كان من قدَمِ العهدِ

ودارة (الرَّمِيم) قال الشاعر :

أعد نظراً هل ترى ظعنهم وقد جاوزت دارة رَمِيم

ودارة (قَرْح) قال الشاعر :

حبسن في قَرْحٍ وفي داراتها سبعَ لَيالٍ غير معلقاتها

ودارة (اليَعْفِيد) قال آخر :

أو ما ترى أضغانها مخروعة بين الدَّخُولِ فدارة اليعفيد

ودارة (الخرْج) قال الشاعر :

مخيسة في دارة الخرج لم تدق بلالاً ولم يسمح لها ببخيل

ودارة (الرَّدْم) قال قائلهم :

لنم سخط من خالق أو لقسوة تبدلت قرقياء من دارة الرَّدْم

وأما البرق فهي جمع برقة بالضم غلظ كالأبرق ، وفي القاموس : وُبرَقُ

ديار العرب تُتيفُ على مائة . منها : بُرقة الأعماد والأجول والأجداد والأجول

(١٥ - أول)

وأخجار وأخذب وأخواذ وأخرم وأرمام وأروى وأظلم وأغيار وأففى والأمالخ
والأمهار وأقعد والأوجر وذى الأوداث وإير بالكسر وبارق وثادق وثمثم
والثور وثهمد والجبا وحارب والحرض وحسلة وحسمى أو حسنى والحصاء
وحليت والحى وحوزة وخاخ والحال والحبيبة والخرجاء وخنزير وخو وخينف
والداث ودمخ ورامتين ورخرحان ورعم والركاء ورؤاوة والرواحن وسعد
وسمر وسلمانين وسمنان وشماء والشواجن وصاير والصراة والصفاء وضاحك
وضارج وطحال وعاذب وعاقل وعالج وعسس وذى علقى والعناب كعرباب
وعوهمق والعيرات وعيمل وعيهم وذى غان والغضى وغضور وقاديم وذى قار
والقلاخ والسكبوان ولعلع ولفلف واللكيك واللوى وماسل ومجول ومرورة
ومكتل ومنشد وملحوب والنجد ونعمى والتير وواحف وواسط وواكف
والوداء وهارب وهجين وهولى ويترب واليامة . هذه برق العرب ، وتعين
مواضعها فى شروح القاموس وكذا ما ورد من الشعر فى ذلك كقول النعمان
ابن المنذر :

وما اعتذارك منه بعدما جزعت أيدى المطى به برقاء شمليلاً

وقال طرفة بن العبد البكرى فى معلقته

لخولة أطلال بريقة ثممد تلوح كباق الوشم فى ظاهر اليد

وقال الكميت

وقد فاض غرب عند برقاء جندب لمينيك من عرفان ما أنت تعرف

وقال ابن مقبل

طربت إلى الحى الذين تحمّلوا بريقة أحواذ وأنت طروب

وقال آخر

لن الديار بريقة الأجساد عقت سوار رسمها وغواذى

وقد ذكر فى معجم البلدان كثير من أسماء المواضع المشتركة ، وكذا

في كتاب المشترك مما يطول الكتاب باستقصائه ، وما ذكرناه نبذة يسيرة بالنسبة إلى ما هنالك . والله الموفق لما هو الأولى في الآخرة والأولى .

بيانه مال مكة سرفها الله وما كانت عليه في الجاهلية

اعلم أن الله تعالى قد ذكر مكة في كتابه الكريم باسمين مكة وبكة فذكر مكة في قوله عز وجل . (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) . ولفظ مكة مأخوذ من قولهم تمككت الخ من العظم تمككا إذا استخرجته منه لأنها تمك الفاجر عنها وتخرجه منها على ما حكاه الأصمعي ، وأنشد قول الراجز في تليته

يامكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجا وعكا^(١)

وذكر بكة في قوله عز وجل : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) . قال الأصمعي وسميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً فيها أى يدفع ، وأنشد قول الراجز :

إذا الشريب أخذته أكه فخله حتى يبك بكة^(٢)

واختلف الناس في هذين الاسمين فقال قوم : هما لفتان والمسمى بهما واحد ، لأن العرب تبدل الميم بالباء فتقول ضربة لازم وضربة لازب لقرب المخرجين ،

(١) عك بن عدنان أخو معد وهو في اليمن وقال بعض النسابين إنما هو معد بن عدنان فاما عك فهو ابن عدنان من ولد قحطان وعدنان بالنون من ولد اسمعيل ، ومذحج كمسجد أبو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن يحامر بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ ، قال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ، وفي القاموس : مذحج كمجلس اكهة ولدت مالكا وطيثا أمهما عندها فسموا مذحجا ، وذكر الجوهري آياه في الميم غلط وإن أحاله على سيبويه ، انتهى ، فتدبر .

(٢) الشريب الذي يسقى ابله مع ابلك ، يقول فخله يورد ابله الحوض فتبأك عليه أى تزدهم فيسقى ابله سقيه ، والاكه : الضيق والرحمة وآكه يؤكه إذا زاحمه واثتاك الورد ازدحم معنى الورد جماعة الأبل الواردة ، والمعنى : إذا ضجر الذي يورد ابله مع ابلك لشدة الحر انتظارا فخله حتى يزاحمك .

وهذا قول مجاهد . وقال آخرون : بل هما اسمان والمسمى بهذا شيثان لأن اختلاف الأسماء موضوع لاختلاف المسمى . ومن قال بهذا اختلف في المسمى بهما على قولين ، أحدهما : إن مكة اسم البلد كله وبكة البيت ، وهذا قول إبراهيم النخعي ويحيى بن أبي أيوب ، والثاني : أن مكة الحرم كله وبكة المسجد ؛ وهذا قول الزهري وزيد بن أسلم . وحكى مصعب بن عبد الله الزبيري قال : كانت مكة في الجاهلية تسمى (صلاحا) لأنها ، وأنشد قول أبي سفيان بن حرب بن أمية :

أبا مطر هلمَّ إلى (صلاح) فيكفيك الندامى من قريش^(١)

وتنزل ببلدة عزت قديماً وتأمّن أن يزورك رب جيش
وحكى مجاهد : أن من أسماء مكة (أم رحم) و (الباسة) فأما أم رحم فلائنّ الناس يتراحمون فيها ، و يروى أم زحم بالزاي من المزاحمة . وأما الباسة فلائنها تبسّ من الحدف فيها أى تحطمه وتهلكه ، ومنه قول الله تعالى « وبستّ الجبال بساً » و يروى (الناسة) بالنون . ومعناه أنها تنس من الحدف فيها أى تطرده وتنفيه ، ولها أسماء آخر يطول شرحها . وأصل مكة وحرمتها ما عظمه الله سبحانه من حرمة بيته حتى جعلها لأجل البيت الذى أمر برفع قواعده وجعله قبلة عباده أم القرى ، كما قال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) . وحكى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي رضي تعالى الله عنهم أن سبب وضع البيت والطواف به أن الله تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء^(٢) ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون) . فغضب عليهم فمادوا للعرش فطافوا حوله سبعة أشواط^(٣) يسترضون

(١) هلم أي تعال مركبة من ها التنبيه ومن لم أي ضم نفسك اليها واستعملت استعمال البسيطة يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين وتميم تجربها مجرى رد أهل نجد يصفونها ، والندامى : جمع نديم وندامة ونداما جالسة على الشراب .

(٢) سفك الدم يسفكه فهو مسفوك وسفك ضبه فانسفك .

(٣) جمع شوط وهو الجرى مرة الى الغاية وفي القاموس كره جماعة من الفقهاء ان يقال لظوفان الطواف اشواط .

ربهم فرضى عنهم ، وقال لهم : ابنوا لى فى الأرض بيتاً يعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما فعلتم بمرشى فأرضى عنهم . فبنوا له هذا البيت فكان أول بيت وضع للناس . قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) الآية ، فلم يختلف أهل العلم أنه أول بيت وضع للناس للعبادة ، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها ؟ فقال الحسن وطائفة : قد كان قبله بيوت كثيرة . وقال مجاهد وقتادة : لم يكن قبله بيت . والقول الأول مرجح عند الجمهور ، وعليه أكثر المؤرخين وجمع من المفسرين . وفى قوله تبارك وتعالى (مباركا) تأويلان ، أحدهما . ان بركته ما يستحق من ثواب القصد إليه . والثانى أنه أمن لمن دخله حتى الوحش فيجتمع فيه الطيب والذئب . (وهدى للعالمين) يحتمل تأويلين ، أحدهما : هدى لهم إلى توحيدهم . والثانى : إلى عبادته فى الحج والصلاة . (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) . وكانت الآية فى مقام إبراهيم تأثير قدميه فيه وهو حجر صلد^(١) ، والآية فى غير المقام أمن الخائف وهيبة البيت عند مشاهدته وامتناع الطير من العلو عليه وتعجيل العقوبة لمن عتأ^(٢) فيه ، وما كان فى الجاهلية من أصحاب القيل ، وما عطف عليه قلوب العرب فى الجاهلية من تعظيمه ، وأن من دخله من الجبارة وهم غير أهل كتاب ولا متبعى شرع يلتزم أحكامه ، حتى إن الرجل منهم كان يرى قاتل أخيه وأبيه ولا يطلبه بثأره فيه ، وكل ذلك آيات الله تعالى ألقاها على قلوب عباده . وأما أمنه فى الإسلام فى قوله سبحانه وتعالى (ومن دخله كان آمناً) تأويلان أحدهما . أمن من النار ، وهذا قول يحيى بن جعدة . والثانى : أمن من القتل لأن الله تعالى أوجب الإحرام على داخله وحظر عليه أن يدخله محلا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح حلالا : (أحلت لى ساعة من نهار ولم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد من بعدى) . ثم قال تعالى : (والله

(١) صلد : الصلب الاملس كالصاودد كسفرجل . (٢) استكبر وجاوز الحد

على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) فجعل حججه فرضاً بعد أن صار في الصلاة قبلة لأن استقبال الكعبة في الصلاة فرض في السنة الثانية من الهجرة ، والحج فرض في السنة السادسة .

صفة الكعبة شرفها الله تعالى

اعم أن أول من تولى بناءها بعد الطوفان إبراهيم عليه السلام فإنه سبحانه قال :
(وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)
فدل ما سألاه من القبول على أنهما كانا بينهما مأمورين . وسميت كعبة لعلوها من قولهم كعبت المرأة إذا علا ثديها ومنه سمي كعب كعباً لعلوه وكانت الكعبة بعد إبراهيم عليه السلام مع جرهم والعاقلة إلى أن انقرضوا حتى قال فيهم عامر بن الحارث بن مضاض^(١) ، وروى أن اسمه عمرو :

وقائلةٍ والدمع سكبٌ مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر^(٢)
قللت لها والقلب منى كأنما يُلجَلجَلُ بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا صروف الليالي والجودود العوائر^(٣)
وكنا ولاية البيت من بعد نابت بعزٍّ فما يحظى لدينا المكائر^(٤)

(١) كان الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن أرقيب بن هب بن نبت ابن جرهم الجرهمي قد نزل بقنونا من أرض الحجاز فضلت له ابل فبناها حتى أتى الحرم فاراد دخوله ليأخذ ابله فننادى عمرو بن لحي من وجد جرهميا فلم يقتله قطعت يده فسمع بذلك الحرث وأشرف على جبل من جبال مكة فرأى ابله تنحر ويتوزع لحمها فأنصرف بائساً خائفا ذليلاً وابتعد في الأرض وهي غربة الحرث بن مضاض التي يضرب بها المثل حتى قال الطائي:
غربة نقتدى بغربة قيس بن زيد والحرث بن مضاض

وحينئذ قال الحرث هذا الشعر وهو قوله: وقائلة والدمع سكب مبادر الخ.
(٢) الحجون بفتح الحاء اسم موضع على فرسخ وثلاث من مكة وهو والصفاء جبلان بها ، والسامر اسم الجماعة يتحدثون بالليل وفي التنزيل سامرا تهجرون . (٣) يقال عثر جده يعثر ويعثر تعس وفي المثل اعثره الله اعسه . (٤) نابت من أبناء اسماعيل (ع) .

ملكنا فمزّنا فأعظم بملكنا فليس لحى غيرنا ثم فآخر^(١)
 ألم تنكحوا من غير شخص علمته فأبناؤه منا ونحن الأصاهر^(٢)
 فإن تنن الدنيا علينا بحالها فإن لها حالا وفيها التشاجر^(٣)
 فأخرجنا منها المليك بقدرة كذلك بالناس تجرى المقارد^(٤)
 أقول إذا نام الخلى ولم أنم : إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر^(٥)
 وبدلت منها أوجها لا أحبا قبائل منها حير ويحار^(٦)
 وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة بذلك عصتنا السنون الغوار^(٧)
 فسحت دموع العين تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها الشاعر^(٨)
 وتبكي لبیت ليس يؤذى حمامه يظل به أمنا وفيه العصافر^(٩)
 وفيه وحوش لا تراب أنيسة إذا خرجت منه فليست تغادر^(١٠)
 وقال أيضا يذكر ساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم من بكر وعَبْشان :
 يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تُصبحوا ذات يوم لا تسيرونا^(١١)
 حثوا المطى وأرخوا من أزمتها قبل المات وقضوا ما تقضونا
 كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنّا تكونونا
 وخلفهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم لكثرتهم بعد القلة ، وعزتهم

(١) أى كانت لنا العظمة على غيرنا فلا احد يفخر علينا .
 (٢) يريد بذلك مصاهرة اسماعيل لهم وهو خير شخص فأبناؤه منا ونحن الأصاهر ومعناه معلوم .
 (٣) يحتمل أن يريد بالمليك الله عز اسمه فهو الذى سلط عليهم من آخرهم لما عصوه ويحتمل أن يريد عمرو بن لحي ملك خزاعة ورئيسهم .
 (٤) إذا العرش الهمة للنداء وذا العرش هو الله ، وعامر جبل من جبال مكة .
 (٥) أى وبدلت عن مكة أو أهلها ، ويحار قبيلة لحيم .
 (٦) أى حكايات بين الناس بما جرى علينا كما قال تعالى فى أهل سبا : وجعلناهم احاديث الآية ، والسنون الغوار المقحطة لان الارض تغبر اذا اجذبت و سنون الجذب تسمى غبرا لا غبرا آفاقها من قلة الامطار .
 (٧) ويظل به امنا أى ذات امن ويجوز أن يكون امنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب واراد بالعصافر العصفير وحذف الياء ضرورة ورفع العصفير على المعنى أى وتامن فيه العصفير .
 (٨) لا تراب أى لا تخوف من الريب ، وقوله انيسة أى لا تنفر من احد : وقوله اذا خرجت الخ أى اذا تجاوزت حدود الحرم لا تغادر ولا تترك بل تصاد .
 (٩) ان قصركم أى غايتكم .

بعد الذلة ، تأسيساً لما يظهره الله تعالى فيهم من النبوة ، فكان أول من جدّد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قصي بن كلاب وسقفاً بخشب الدوم^(١) وجريد النخل . قال الأعشى :

حلفتُ بثوبى راهب الشام والذى بناه قصي جده وابن جرهم
لئن شبَّ نيران العداوة بيننا ليرتجلن منى على ظهر شيهم^(٢)

ثم بناها قريش بعده ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وعشرين سنة وشهد بناءها ، وكان بابها في الأرض فقال أبو حذيفة بن الميرة : ارفموا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا بسلام فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم ، فإن جاء أحد ممن تكرهون رميت به فيسقط فكان نكالا لمن رآه فعلت قريش ذلك . وسبب بنائها أن الكعبة استهدمت ، وكانت فوق القامة فأراد تمليتها ، وكان البحر قد أتى سفينة لرجل من تجار الروم إلى جدّة فأخذوا خشبها ، وكان في الكعبة حية يخافها الناس فخرجت فوق جدار الكعبة فنزل طائر فاخطفها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله سبحانه قد رضى ما أردنا فهدموها وبنوها بخشب السفينة . وكانت على بنائها إلى أن حوضر ابن الزبير بالمسجد من الحصين بن نمير وعسكر الشام حين حاربوه سنة أربع وستين في زمن يزيد بن معاوية . فأخذ رجل من أصحابه ناراً في ليفة على رأس رمح وكانت الريح عاصفة فطارت شرارة فتعلقت بأستار الكعبة فأحرقتها فتصدعت حيطانها واسودت وتناثرت أحجارها ، فلما مات يزيد وانصرف الحصين بن نمير شاوور عبد الله بن الزبير أصحابه في هدمها وبنائها فأشار به جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير وأباه عبد الله بن عباس ، وقال : لا تهدم بيت الله تعالى . فقال ابن الزبير : أما ترى الحمام يقع على حيطان البيت فتتناثر حجارتها ويظل أحدكم يبنى بيته ولا يبنى بيت الله ألا إني هادمه بالعداة فقد بلغنى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : لو كانت لنا سعة لبنيته على أس^(٣)

(١) هو شجر المقل والنبق وضخام الشجر ما كان . (٢) شيهم هو الفرس السريع التشييط القوى . (٣) الاس مثلثة أصل البناء كالاساس .

إبراهيم ولجعت له بابين شرقياً وغربياً . وسأل الأسود هل سمعت من عائشة رضى الله تعالى عنها شيئاً فى ذلك ؟ فقال : أخبرتنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها : « إن النفقة قصرت بقومك فاقصروا ، ولو حدّثان عهدهم بالكفر لهدمته وأعدت فيه ما تركوا » . فاستقر رأى ابن الزبير على هدمه فلما أصبح أرسل إلى عبيد بن عمير فقبل هو نائم فأرسل إليه وأيقظه وقال له : أما بلغك أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إن الأرض لتصبح إلى الله تعالى من نومة العلماء فى الضحى فهمدها ، فأرسل إليه ابن عباس إن كنت هادماً فلا تدع الناس بلا قبلة ، فلما هدمت قال الناس : كيف نصلى بلا قبلة . فقال جابر وزيد صلوا إلى موضعها فهو القبلة ، وأمر ابن الزبير بموضعها فستر ووضع الحجر فى تابوت فى خرقه حرير . قال عكرمة : رأيته فإذا هو ذراع أو يزيد وكان جوفه أبيض مثل الفضة ، وجعل حلى الكعبة عند الحجابة فى خزانة الكعبة ، فلما أراد بناءها حفر من قبل الحطيم حتى استخرج أس إبراهيم عليه الصلاة والسلام فجمع الناس ، ثم قال : هل تعلمون أن هذا أس إبراهيم ؟ قالوا : نعم فبناها على أس إبراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم وأدخل فيها من الحجر ستة أذرع وترك منها أربعاً . وقيل : أدخل سبعة أذرع وترك ثلاثاً وجعل لها بابين ملصوقين بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخل من واحد ويخرج من الآخر ، وجعل على بابها صفاًخ الذهب ، وجعل مفاتيحها من ذهب . وكان ممن حضر بناءها من رجال قریش أبو الجهم بن حذيفة العدوى ، فقال : عملت فى بناء الكعبة مرتين واحدة فى الجاهلية بقوة غلام يافع^(١) ، وأخرى فى الإسلام بقوة كبير فان . وذكر الزبير بن بكار أن عبد الله بن الزبير وجد فى الحجر صفاًخ حجارة خضر قد أطبق بها على قبر ، فقال له عبد الله بن صفوان : هذا قبر نبى الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فكف عن تحريك تلك الحجارة .

ثم بقيت الكعبة فى أيام ابن الزبير على حالها إلى أن حاربه الحجاج وحصره

(١) يفع الغلام راهق العشرين كايفع وهو يافع لا موفع وهو من النوادر .

في المسجد ونصب عليه المنجنيقات إلى أن ظفر به . وقد تصدعت الكعبة بأحجار المنجنيق فهدمها الحجاج وبناها بأمر عبد الملك بن مروان وأخرج الحجر منها ، وأعادها إلى بناء قريش على ما هي عليه اليوم فكان عبد الملك بن مروان يقول : وددت أنى كنت حملت ابن الزبير من أمر الكعبة وبناها ما تحمله .

« وأما كسوة الكعبة » فقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن أول من كسى الكعبة سعد اليماني ، ثم كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الثياب اليمانية . ثم كساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه القباطي^(١) ، ثم كساها يزيد بن معاوية الديباج الخسرواني^(٢) وحكي محارب بن زياد إن أول من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب أصاب نظمة في الجاهلية وفيها نَمَطُ ديباج فناطه بالكعبة ، ثم كساها ابن الزبير والحجاج الديباج . ثم كساها بنو أمية في بعض أيامهم الحلل التي كانت على أهل نجران في حربهم وفوقها الديباج ، ثم جدد المتوكل رخام الكعبة وأزرها بالفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها بالذهب ، ثم كسا أساطينها الديباج ، ثم لم يزل الديباج كسوتها .

« وأما المسجد الحرام » فقد كان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ، ولم يكن له على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جدار يحيط به ، فلما استخلف عمر رضي الله تعالى عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دوراً فهدمها وزادها فيه ، وهدم على قوم من جيران المسجد دوراً أبوا أن يبيعوا ، ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد ذلك ، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة وكانت المصاييح توضع عليه ، فكان عمر رضي الله تعالى عنه أول من اتخذ جداراً للمسجد فلما استخلف عثمان رضي الله تعالى عنه ابتاع منازل فوسع بها المسجد وأخذ منازل أقوام ووضع لهم أثمانها فضجوا عند البيت

(١) جمع قبطى وهو ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر نسبة الى القبط على غير قياس فرقا بينه وبين الانسان كما في المصباح . (٢) نوع من الثياب .

فقال إنما جرأكم عليّ حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر رضى الله تعالى عنه هذا فأقررتهم ورضيتهم . ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلفه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد نفلى سبيلهم وبني للمسجد الأروقة حين وسعه ، فكان عثمان رضى الله تعالى عنه أول من اتخذ للمسجد الأروقة ، ثم إن الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرخام . ثم إن المنصور زاد في المسجد وبناه وزاد فيه المهدى بعده وعليه استقر بناؤه إلى زمن طويل .

« وأما مكة » فلم تكن ذات منازل وكانت قريش بعد جرحهم والمالقة ينتجعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها اتساقاً إلى الكعبة لاستيلائهم عليها وتخصيصاً بالحرم لخلوهم فيه ويرون أنه سيكون لهم بذلك شأن ، ولما كثر فيهم العدد ، ونشأت فيهم الرياسة قوى أملهم وعلموا أنهم سيتقدمون على العرب ، وكان فضلاؤهم وذوو الرأي والتجربة يتخيّلون أن ذلك لرياسة في الدين ، وتأسيس لنبوّة ستكون ، لأنهم تمسكوا من أمور الكعبة بما هو بالدين أخص ، فأول من شعر بذلك منهم وألممه كعب بن لؤى بن غالب . وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة ، وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية عروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه على قريش . ويخبرهم بيمنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وهذا من فطن الإلهامات التي تخيلتها العقول فصدقت ، وتصورتها النفوس فتحققت . وسنستوفى الكلام على هذا إن شاء الله في المجتمعات . ثم انتقلت الرياسة بعده إلى قصى بن كلاب فبنى بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين قريش ، ثم صارت لتشاورهم وعقد الألوية في حروبهم . قال الكلبي فكانت أول دار بنيت بمكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه وكلما قربوا من عصر الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب فصدقت الخيلة الأولى في الرياسة عليهم ، ثم بعث الله سبحانه نبيه رسولا فصدقت الخيلة الثانية في حدوث النبوة فيهم فآمن به من هدى وجحد من عاند ، وهاجر عنهم صلى الله تعالى عليه وسلم حين اشتد به الأذى حتى عاد ظافراً بعد ثمان سنين من هجرته عنهم .

واختلف الناس في دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة عام الفتح هل دخلها
عنوة أو صلحاً مع إجماعهم على أنه لم يغم منها مالا ولم يسب فيها ذرية ، فذهب
أبو حنيفة ومالك إلى أنه دخلها عنوة فمعا عن الغنائم ومن على السبي ، وأن الإمام
إذا فتح بلداً عنوة فله أن يعمو عن غنائمه ويعن على سبيه ، وذهب الشافعي رضي
الله عنه إلى أنه دخلها صلحاً عقده مع أبي سفيان ، وكان الشرط فيه أن من أغلق
بابه كان آمناً ، ومن تعلق بأستار الكعبة فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو
آمن إلا ستة أنفس استثنى قتلهم ، ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهم : « عبد الله بن
سعد » أخو بني عامر بن لؤي لأنه كان قد أسلم . وكان يكتب لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الوحي فارتد مشركا راجعا إلى قريش « وعبد الله بن خطل »
رجل من بني تميم بن غالب ، فإنه كان مسلماً فبعثه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مصدقاً وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلماً
فنزله منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع
له شيئاً ، فمدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا ، وكانت له قينتان وكانتا تغنيان بهجاء
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بقتلهما معه « والحويرث بن نفيد » بن وهب بن عبد قصي ، وكان ممن يؤذيه
بمكة . « ومقيس بن صبابه » وإنما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله
لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مشركا « وسارة
مولاة لبعض بني عبد المطلب » وكانت ممن تؤذى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بمكة . « وعكرمة بن أبي جهل » ثم إن من هؤلاء من عفا عنه بعد
حين . ومنه من ظفر به بعد الهزيمة فقتله ، ولأجل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
دخلها صلحاً لم يغم ولم يسب . وليس للإمام إذا فتح بلداً عنوة أن يعمو عن غنائمه
ولا أن يمن على سبيه لما فيها من حقوق الله تعالى وحقوق الغانمين . فصارت مكة
وحرمةا حين لم تغم أرض عشر إن زرعت لا يجوز أن يوضع عليها خراج .

واختلف الفقهاء في بيع دور مكة وإجارتها فنحى أبو حنيفة من بيعها وأجاز إجارتها في غير أيام الحج ، ومنع منهما في أيام الحج لرواية الأعمش عن مجاهد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال مكة حرام لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها . وذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى جواز بيعها وإجارتها ، لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقرهم عليها بعد الإسلام على ما كانت عليه قبله ، ولم ينفمها ولم يعارضهم فيها . وكذلك بعده « هذه دار الندوة » وهي أول دار بنيت بمكة صارت بعد قتيّ لعبد الدار بن قصي ، وابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة ابن عامر بن هشام بن عبد الدار بن قصي ، وجعلها دار الإمارة ، وكانت من أشهر دار ابتيحت ذكراً ، وأشرها في الناس خيراً ، فما أنكر بيعها أحد من الصحابة . وابتاع عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ما زاده في المسجد من دور مكة وتملك أهلها أئمانها ، ولو حرم ذلك لما بذلاه من أموال المسلمين ، ثم جرى به العمل إلى وقتنا هذا فكان إجماعاً متبوعاً ، وتحمل رواية مجاهد مع إرسالها على أنه لا يحل بيع رباعها على أهلها تنبيهاً على أنها لم تنعم فتملك عليهم فلذلك لم تباع وكذلك حكم الإجارة .

« وأما الحرم » فهو ما أطاف بمكة من جوانبها ، وحده من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت بني نفاذ على ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمنقطع على سبعة أميال . ومن طريق الجعرانة بشعب أبي عبد الله بن خالد على تسعة أميال ، ومن طريق الطائف على عرفة ومن بطن نمره على سبعة أميال . ومن طريق جُدّة منقطع المشار^(١) على عشرة أميال . فهذا حد ما جعله الله تعالى حرماً لما اختص به من التحريم وباين بحكمه سائر البلاد . قال الله عز وجل :

(١) ونظم ذلك بعضهم فقال :

والحرم التحديد من أرض طيبة
وسبعة أميال عراق وطائف
وزاد الدميري فقال :

ومن يمن سبع وكرر لها اهتدى

ثلاثة أميال اذا رمت اتقانه
وجبة عشر ثم تسع جعرانه

فلم يعد سبل الحل اذ جاء تبيان

(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً (يعنى مكة وحرماها) وارزق أهله من الثمرات) لأنه كان وادياً غير ذى زرع ، فسأل الله تعالى أن يجمع لأهله الأمن والخصب ليكونوا بهما فى رغد من العيش ، فأجابه الله تعالى إلى ما سأل فجعله حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله . وجبى إليه ثمرات كل بلد حتى جمعها فيه . واختلف الناس فى مكة وما حولها هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو كانت قبله كذلك على قولين . أحدهما : أنها لم تزل حرماً آمناً من الجبابرة والتسلطين ومن الخسوف والزلازل ، وإنما سأل إبراهيم عليه السلام ربه سبحانه أن يجعل حرمة آمناً من الجذب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات لرواية سعيد بن أبى سعيد . قال : سمعت أبا شريح الخزاعى يقول إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما افتتح مكة قام خطيباً فقال : (أيها الناس إن الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، أو يعضد^(١) بها شجراً ، وإنها لا تحل لأجد بعدى ، ولم تحل لى إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس ألا ليلبلغ الشاهد الغائب ، فن قال رسول الله قتل بها فقولوا : إن الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك) . والقول الثانى : إن مكة كانت حلالة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد ، وإنها صارت بدعوته حرماً آمناً حين حرمها كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرماً بعد أن كانت حلالة ، لرواية الأشعث عن نافع عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إن إبراهيم عليه السلام السلام كان عبد الله وخليله ، وإنى عبد الله ورسوله ، وإن إبراهيم حرم مكة ، وإنى حرمت المدينة ما بين لا بتنها^(٢) غضاها وصيدها ، ولا يحمل بها سلاح

(١) عضد الشجرة عضداً من باب ضرب : قطعها .

(٢) تشية لابة وهى الحرة والحررة أرض ذات حجارة سود والمدينة لابنان شرقية وغربية وهى بينهما فحرمها ما بينهما عرضاً وما بين جباها طولاً وهى غير وثور ، وعضاها بكسر العين وتخفيف الضاد كل شجر فيه شوك .

لقتال ، ولا يقطع بها شجر إلا لعلف بعير) . وأما « مروة » فجبل بمكة يعطف على الصفا ويميل إلى الحمرة ، وأما « مزدلفة » فهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة إذا صعدوا من عرفات ، وهو مكان بين بطن مُحَسَّر والمَازِمين وإذا أفضت من عرفات فأنت فيه حتى تبلغ القرن الأحمر دون محسر « وقزح » هو الجبل الذى عند الموقف ومزدلفة على فرسخ من منى بها مصلى وسقاية ومنارة وعدة برك إلى جنب جبل يثرب . وأما « منى » فهي بليدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان تعمر أيام الموسم وتحلو بقية السنة إلا ممن يحفظها ، وقل أن يكون فى الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله بمنى مضرب ، وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترمى عليها الجرة يوم النحر . والمسجد فى الشارع الأيمن ومسجد الكعبش بقرب العقبة . وبها مصانع وآبار وهى بين جبلين مطلين عليها . قال الأصمى وهو يذكر الجبال التى حول حى ضريبة ومنى جبل ، وأنشد :

أَتَمَّتْهُمْ مَقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا غَرِقَ كَالْفَصِّ فِي رَفْرِقِ الدَّمْعِ مَغْمُورٌ^(١)
حَتَّى ثَوَارُوا لَشَعْفِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ مِنْ هَضْبَتَيْهَا وَعَنْ جَنْبِى مَنْى زُورُ
وَعِرْفَاتِ وَالصَّفَا وَنَحْوِ ذَلِكَ . كلها مواضع تؤدى الحجاج فيها الناسك وهى مفصلة أتم تفصيل ، فى الكتب المعدة لهذا القبيل .

نبذة مما ورد فى فضل مكة

وذكر شئ من حال رؤسائها وأشرفها

قد سبق أن لها عدة أسماء ، وقد سماها الله تعالى (البلد الأمين) أيضاً فقال :
(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) . وفى هداية الحيارى قوله
(والتين والزيتون) : هما فى الأرض المقدسة التى بعث منها المسيح عليه السلام

(١) المقلة وزان غرفة : شحمة العين التى يجمع سوادها وبياضها وإنسان العين خدقتها .

وأنزل فيها الإنجيل ، وطور سينين هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تسكيبا وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التى فيه ، وأقسم بالبلد الأمين وهو مكة التى أسكن إبراهيم إسماعيل وأمه فيه ، وهذا مثل ما ورد فى التوراة : (تجلى الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعان من جبال فاران) . قال ابن قتيبة : ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض لأن مجيء الله من طور سيناء إزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير إزاله الإنجيل على المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى (ناصرة)^(١) وباسمها تسمى من اتبعه نصارى . وكما وجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلاؤه من جبال (فاران) إزاله القرآن على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجبال فاران هى جبال مكة ، ولما كان ما فى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى فقدم الأسبق ثم الذى يليه . وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله ، فأقسم بها على وجه التدرج درجة بعد درجة ، فبدأ بالعالى ثم انتقل إلى أعلى منه ثم إلى أعلى منهما ، فإن أشرف الكتب القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل وكذلك الأنبياء الثلاثة انتهى بتلخيص . وقال تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد) . وقال تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) . وقال سبحانه (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس وأمناً) . وكذلك قول إبراهيم عليه السلام (ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات) . ولما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقف على الحزورة^(٢) وقال : إني لأعلم أنك أحب البلاد

(١) هى قرية بالشام ويقال لها نصرانة ونصورية ينسب إليها النصارى أو جمع نصران كالندامى جمع ندمان أو جمع نصرى كمهرى ومهارى .
(٢) قال ابن الأثير : هو موضع عند باب الحنطين وهو بوزن قيسورة ، قال الامام الشافعى (رضى) الناس يشددون الحزورة والحديينة وهما مخففتان وفى روض السهيلي : هو اسم سوق كانت بمكة وادخلت فى المسجد

إلى وإنك أحب أرض الله إلى الله الحديث . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : (لولا الهجرة لسكنت مكة فإني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلدة قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة) . تريد بقرب السماء منها قرب الرحمة ونحوها ، وإلا فجميع أجزاء الأرض بالنسبة إلى بعدها عن السماء سواء كما حقق في محله . وقال ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطواف :

يا حبذا مكة من وادى أرض بها أهلى وأولادى
أرض بها ترسخ أوتادى أرض بها أمشى بلا هادى

ولما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وعك^(١) أبو بكر وبلال رضى الله تعالى عنهما فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصيب في أهله والموت أدنى من شركاء نعليه^(٢)

وكان بلال إذا أقيمت عنه الحمى رفع عقيرته وقال :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلةً وعندى منها إذ خر وجليل^(٣)
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبه بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميه بن خلف ، كما أخرجونا من مكة . ووقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح على جرة العقبة ، وقال : (والله إنك لخير أرض ، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولو لم أخرج منك ما خرجت إنها لم تحل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد بعدى ، وما أحلت لى

= لما زيد فيه ونقل بعضهم عن مشارق عياض مثل ذلك وفيه عن الدارقطني مثل قول الشافعى ونسب التشديد للمحدثين قال وهو تصحيف ، ونسبه صاحب المراسد الى العامة وزاد انهم يقولون عزورة بالعين بدل الحاء ، وقال القاضى عياض وقد ضبطنا هذا الحرف على ابن السراج بالوجهين .
(١) أى اخذته الحمى . (٢) شركاء النعل سيرها الذى على ظهر القدم .
(٣) الاذخر بكسر الهمزة والخاء نبات معروف ذكى الريح واذا جف ابيض ، والجليل الثمام وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت الواحد جلبة والجمع جلائل ، قال الشاعر :

يلوذ بجنبى مرخة وجلائل

إلا ساعة من نهار ثم هي حرام لا يُعَصَدُ شجرها ولا يَخْتَلَى خلاها ولا تلتقط ضالتها
إلا لمنشد (قال رجل : يا رسول الله إلا الإذخر . وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم
(من صبر على حرِّ مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة
مائتي عام) . ووجد على حجر مكتوب فيه : (أنا الله رب مكة الحرام وضمتها يوم
وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول أخشابها مبارك لأهلها
في اللحم والماء) ، وما يدل على فضلها قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى
يبعث في أمها رسولا) . وقوله سبحانه (ولتنذر أم القرى ومن حولها) . ومن
شرفها أنها كانت لقاحاً^(١) لا تدين لدين الملوك ولم يؤد أهلها إتاوةً ، تخرج إليها ملوك
حير وكندة وغسان ولخم فيدينون للحُمس^(٢) من قریش ويزيدون في تعظيمهم ،
ويرون الاقتداء بآثارهم من الشرف والفرائض . وكان أهلها آمنين يفتزون الناس
ولا يُفزون ويحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد ، وقد ذكر الشعراء كل ذلك في
شعرهم حين مدحهم . قال الزبرقان بن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل
وتناول قریشاً :

أتدرى من هجوت أبا حبيب سليل خُضارم سكنوا البطاحا^(٣)
وزاد الركب تذكر أم هشاماً وبيت الله والبلد اللقاحا^(٤)

وقال حرب بن أمية ودعا الحضرمي أن لا ينزل خارجاً من الحرم . وكان يكنى
أبا مطر ، فقال حرب :

(١) سيأتى تفسيرها قريباً (٢) لقب قریش ومن ولدت قریش ، وكنانة
وجذيلة قيس وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن
صمصمة ومن تابعهم في الجاهلية ، هؤلاء الخمس وإنما سموا لخمستهم في
دينهم أى تشددهم فيه وكذا في الشجاعة فلا يطاقون أو لالتجائهم بالخمسة
وهي الكعبة لأن حجرها أبيض الى السواد وقيل غير ذلك

(٣) الخضارم بالضم الجواد المعطاء والسيد الحمل
(٤) يقال قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا الملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في
الجاهلية سباً ، وأنشد ابن الأعرابي :

لعمري أهلك والأنبياء تنمى لنعم الحى في الجلى رياح
أبو دين الملوك فهم لقاح اذا هيجوا الى الحرب اشاحوا
وقال ثعلب : الحى اللقاح مشتق من لقاح الناقة لان الناقة اذا لقحت لم
تطاوع الفحل وليس بقوى

أبا مطر هلم إلى (صلاح) فيكفيك الندامى من قریش
وتنزل بلدة عزت قديماً وثأمن أن يزورك رب جيش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت بخير عيش
ومما زاد في فضلها فضل أهلها لأنهم كانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير
من شريعة إبراهيم الخليل عليه والصلاة والسلام ، ولم يكونوا كالأعراب الذين
لا يوقرهم دين ، ولا يزينهم أدب . وكانوا يحبون أولادهم ويحبون البيت وقيمون
المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة ويتبرؤون من الهرطقة^(١) ويتباعدون
في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت وغيره وبمداً من المجوسية ،
ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يزوجون بالصدق والشهود
ويطلقون ثلاثاً ، ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما — وقد
سأله رجل عن طلاق العرب — : (كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ، ثم
هو أحق بها ، فإن طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضاً ، فإن طلقها ثلاثاً فلا سبيل له
إليها . قال الاعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طالق
ويبنى فقد فارقت غير ذميمة ومومقة منا كما أنت وامقة
ويبنى فإن البين خير من العصا وإلا ترى لى فوق رأسك بارقه

ومما زاد في شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أى قبيلة شاءوا ولا شرط عليهم
في ذلك ، ولا يزوجون أحداً حتى يشترطوا عليه أن يكون متحمساً على دينهم .
يرون أن ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم حتى يدان إليهم وينقاد ، والتحمس
التشدد في الدين ، ورجل أحسن أى شجاع . فحمسوا خزاعة ودانت لهم إذ كانت
في الحرم ، وحمسوا كنانة وجديلة قيس وهم فهم ، وابنا عمرو بن قيس عيلان
إلا أنهم ساكنوا الحرم ، وعامر بن صعصعة وإن لم يكونوا من ساكني الحرم ، فإن

(١) الهرطقة قومة بيت النار التى للهند فارسي معرب وقيل عظماء الهند
أو علمائهم

أهمهم قرشية . وهي مجد بنت تيم بن مرة . وكان من سنة الحس أنهم لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالمزدلفة ، وكانوا لا يسلأون^(١) ولا ياقطون^(٢) ولا يرتبطون عنزاً ولا بقرة ولا يمزلون صوفاً ولا وبراً ، ولا يدخلون بيتاً من الشعر والمدر ، وإنما يكتنون بالقباب الحرم في الأشهر الحرم . ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم ، وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراءً وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها وإلا طافوا بالبيت عرايا ، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير .

قالت امرأة وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بادٍ ظلّه كأنّ حمى خبير تملّه^(٣)

وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة ، وقد كان الملك في جرم وخزاعة وصدر من أيام قريش . فلولا أنهم أُمِنَ حتى من العرب مع نخوة العرب في إياها لما أجلي قصي خزاعة جرهما ، ولم يكونوا يهتبدون الهبيد^(٤) ويأكلون الحشرات كسائر الأعراب ، بل منهم الذي هشم الثريد ، وفيه يقول ابن الزبيري :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه قوم بمكة مستنون عجاف^(٥)

(١) سلا السمن : طبخة وعالجه (٢) الاقط شيء يتخذ من الخيض الغنمي واقط الطعام ياقطه إقطا عمله به فهو ما قوط ، قال ابن هرمة : لست بدى ثلة مونة أقط البانها واسلوها وانتقط اتخذت الاقط (٣) قال ثعلب : فرج اختم منفتح خرقة قصير السمك خناق ضيق ، والعقب : القدح الضخم الجافى أو الى الصغر أو يزوى أرجل ، وحمى خبير يضرب بها المثل لأن خبير مخصوصة بالحمى والوباء ، قال أوس بن حجر :

كان به إذ جثته خبيرية يعود عليه ورده وملالها

الورد يوم الحمى الدائر ، والملال : الضجر والتضايق

(٤) هو الحنظل أو جبه (٥) عمرو هو هاشم بن عبد مناف أبو عبدالمطلب وكان يكنى أبا نضلة ثالث جد لسيدنا رسول الله (ص) سمي هاشما لأنه أول من ثرد الثريد وهشمه في الجذب والعام الجماد ، ومستنون : مقحوطون ، وعجاف : ضعاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف
وكان عبد الله بن جُدعان التيمي يطعم الرغو^(١) والعسل والسمن ولَبَّ البرَّ حتى
قال أمية بن أبي الصلت فيه يمدحه :

لكل قبيلة رأسٌ وهاد وأنت الرأس تقدم كل هادي
له دليج بمكة مُشْمِلٌ وآخرُ فوق دارته ينادي
إلى رُدُح من الشيزاء ملأى لبابَ البرِّ يُلَبِّك بالشهادِ

وفضائل قريش ليس هذا موضع استقصائها ، وقد أفردھا الزبير بن بكار
بكتاب أجاد فيه وأفاد ، وقد بلغ تعظيم العرب لمكة أنهم كانوا يحجون البيت
ويعتمرون ويطوفون ، فإذا أرادوا الانصراف أخذ الرجل منهم حجراً من حجارة
الحرم فنحته على صورة أصنام البيت فيجعله في طريقه قبلةً ويطوف ويصلي له
تشبيهاً بأصنام البيت ، وأفضى بهم الأمر بعد طول المدة إلى أن كانوا يأخذون
الحجر من الحرم فيعبدونه ، فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في منازلها
شَغَفاً منها بأصنام الحرم ، وتام الكلام ، في هذا المقام ، نوره إن شاء الله تعالى
عند البحث عن أديانهم ، وما كانوا يتعبدون به في سالف أزمانهم . وأما رؤساء
مكة فذكر أهل السير أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما حمل ابنه إسماعيل عليه
السلام إلى مكة جاءت جُرهم وقطوراء وهما قبيلتان من اليمن وهم أبناء عم ؛
فأروا بلداً ذا ماء وشجر فنزلوا ونكح إسماعيل عليه السلام من جُرهم ، فلما توفي
إسماعيل ولي البيت بعده نابت بن إسماعيل وهو أكبر ولده ، ثم ولي بعده مُضاض
ابن عمرو الجزهمي خال ولد إسماعيل عليه السلام ، إلى أن تنافست جُرهم وقطوراء
في الملك وتداعوا للحرب فخرجت جُرهم إلى قعيمةان وهي أعلى مكة وعليهم مضاض
ابن عمرو ، وخرجت قطوراء من أجياد وهي أسفل مكة وعليهم السميذع ، فالتقوا
بفاضح واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل السميذع وهزمت قطوراء ، فسمى الموضع

فاضحاً لأن قطوراء افترضت فيه ، وسميت أجياداً لما كان معهم من أجياد الخيل ، وسميت قعيقمان لقعة السلاح . ثم تداعوا إلى الصلح واجتمعوا في الشعب وطبخوا القدور ، فسمى المطابخ . ونشر الله ولد إسماعيل عليه السلام فكثروا وتفرقوا في البلاد لا ينادون قوماً إلا أتوهم طائعين ، وظهروا عليهم بدينهم . ثم إن جرهما بنوا بمكة فاستحلوا المحرمات ، وأباحوا المنكرات ، وظلموا من دخلها ، وأكلوا مال الكعبة ، وكانت مكة تسمى الباسة^(١) . لا تقر ظالماً ولا بغيّاً ولا تبقى فيها أحداً من الملحدين إلا أخرجته ، وكان أبو بكر بن عبد بن مناة بن كنانة وغسان وخزاعة حلولا حول مكة فأذنوهم القتال فاقتتلوا فحمل الحارث بن عمرو بن مضاخ يقول :

لَا هُمْ إِنْ جَرَّهَ عِبَادُكَ النَّاسَ طَرَفَ وَهْمٍ تِلْدَاكَ^(٢)

فغلبتهم خزاعة على مكة ونفثهم عنها . وفي ذلك قال عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاخ الأصغر * وقائلة والدمع سكب مبادر * إلى آخر الأبيات التي سبق ذكرها . ثم وليت خزاعة البيت ثلاثمائة سنة يتوارثون ذلك كابراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن أبي حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو خزاعة بن حارثة . وقريش إذ ذاك حلل وحرم ويبيوتات متفرقة حول الحرام ، إلى أن أدرك قصي بن كلاب وتزوج بنت حليل بن أبي حبشية وولدت بنيه الأربعة فكثرت ولده وعظم شرفه ، ثم هلك حليل وأوصى إلى ابنه المحترش أن يكون خازناً للبيت وأشرك معه غبشان^(٣) الملكاني . وكان إذا غاب أحجب هذا حتى

(١) من لست الشيء إذا ذهبت وذكروا الخطابي أنه يقال لها الباسة أيضاً بالوحدة وهو من بست الجبال بسا أي فتت وثرئت كما يثرى السوق قال الراجز :

لَا تَخْبِرْ خَبْرًا وَبَسَا بَسَا مَاتَرَكَ السَّيْرَ لَهْنِ نَسَا

يقول لا تشتغل بالخبر وثرى الدقيق والتقمه . (٢) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقي ، والطرف : المستحدث من المال ، والتلاد : القديم منه :

(٣) يضرب به المثل في الخسران ، قال الثعالبي : وكانت خزاعة سدنة الكعبة قبل قريش وكان أبو غبشان الخزاعي يلي من بينهم أمر الكعبة ويده مفاتيحها فاتفق له أنه اجتمع مع قصي بن كلاب في شرب بالطائف فخدعه

هلك الملكاني فيقال أن قصياً سقى المخترش الخمر وخذعه حتى اشترى منه البيت بدنّ خمر وأشهد عليه وأخرجه من البيت وتملك حجابته وصار رب الحكم فيه ، قصى أول من أصاب الملك من قريش بعد ولد اسماعيل . وذلك في أيام المنذر ابن النعمان ملك الحيرة ، وملك الفرس يومئذ بهرام جور أبو الفرس وجعل قصى مكة رباعاً وبني بها دار الندوة . وكانت صوفة^(١) وهى قبيلة من جرهم تصيب بمكة من بلى الإجازة بالناس من عرفة مدة . وفيهم يقول الشاعر :

ولا يرمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صوفانا^(٢)

ثم أخذتها منهم خزاعة وأجازوا مدّة . ثم عدا عليهم بنو عدوان بن عمرو ابن قيس وصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة^(٣) أحد بني ساعد ، وله يقول الراجز :

قصى عن مفاتيح الكعبة بان أسكره ثم اشتراها منه بزق خمر وأشهد عليه ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصى وسرحه إلى مكة فلما أشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال : يامعشر قريش هذه مفاتيح بيت ايكم اسماعيل (ع) قد ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم ، وافاق غبشان من سكره نادماً خاسراً فقال الناس أحق من أبى غبشان واند من أبى غبشان وأخسر صفقة من أبى غبشان ، فذهبت الكلمات الثلاث أمثالا واكثر الشعراء القول فيه فقال بعضهم :

باعت خزاعة بيت الله أذ سكرت بزق خمر فما فازت ولا ربحت وقال آخر :

أبو غبشان اظلم من قصى أبو غبشان اظلم من قصى فلا تلخو قصياً في شراء ولوموا شيخكم اذ كان باعه وقال آخر :

إذا افتخرت خزاعة في قديم وجدنا فخرها شرب الحمور تبيع لكعبة الرحمن حمقاً بزق بئس مفتخر الفخور (١) أبو حى من مضر سمي بذلك لان أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة بخدما وهو الفوث بن مر بن اد بن طابخة . (٢) قوله أجزوا أى أفيضوا وكان احدهم يقول أجزى صوفة فاذا أجازت قال أجزى خندف فاذا أجازت اذن للناس كلهم في الإجازة ، وآل صوفان ويقال لهم آل صفوان قوم من بنى سعد بن زيد مائة قال أبو عبيدة حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان والبيت لاوس بن مغراء . (٣) اسمه هميلة بن خالد بن اعزل وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة وعير أبى سيارة مشهور يتمثل به فيقال اصح من عير أبى سيارة للرجل الصحيح في بدنه ، قال الجاحظ : أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمير الأهلية

خلوا السبيل عن أبي سيّارة وعن مواليه بنى فزارة^(١)

حتى يجيز سألماً حمّاره . مستقبل الكعبة يدعو جاره^(٢)

وكانت صورة الإجازة أن يتقدمهم أبو سيّارة على حمّاره ، ثم يخطبهم فيقول اللهم أصلح بين نسائنا ، وعاد بين رعايانا ، واجعل المال في سماحنا وسمحائنا ، أوفوا بعهدكم . وأكرموا جاركم ، وأقروا ضيفكم ، ثم يقول : أشرق ثَمِير ، كيما نغير ، ثم ينفر ويتبعه الناس . فلما قوى أمر قصيّ أتى أبا سيّارة وقومه فثمنه من الإجازة وقاتلوا عليها فهزمهم قصيّ وصار البيت الحرام إلى قصيّ . فلما كبر قصيّ ووهن عظمه جعل الأمر في ذلك كله إلى ولده عبد الدار لأنه أكبر أولاده ، وهلك قصيّ وأقام قريش على ذلك عبد الدار . ثم إن عبد مناف رأى في نفسه أنه أحق من عبد الدار بالأمر وكذلك قريش لما كان عليه من النباهة والفضل فأجمعوا على أخذ ما بأيديه ، وهموا بالقتال فشئ الأكره منهم حتى تداعوا إلى الصلح بأن يكون لعبد مناف السقاية^(٣) والرّفاة^(٤) ، وأن تكون الحجابة^(٥) واللواء والندوة لبني عبد الدار ، وعقدوا على ذلك حلفاً مؤكداً لا ينقضونه ، فأخرج بنو عبد مناف ومن تابعهم من قريش جفنة مملوءة طيباً وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة تأكيداً على أنفسهم فسموا المطيبين ، وأخرج بنو عبد الدار ومن تابعهم جفنة من دم وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة

ولا يعرف حمّار أهلى عاش أكثر وعمر أطول من غير أبي سيّارة فانهم لا يشكون إنه رفع عليه أهل الموسم أربعين عاماً .

(١) يعنى بمواليه بنى عمه لأنه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان
(٢) يدعو جاره أى يدعو الله عز وجل يقول اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٣) الموضع يتخذ لسقى الناس (٤) هى مأكات تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج (٥) هى سداية لبيت وقد أحدثها قصيّ ، واللواء منصب أحدثه قصيّ أيضاً بمنزلة وزير الحرب فى عصرنا فإذا أخرجه من كان بيده اجتمعت عنده صناديد قريش لا يتخلف أحد منهم عنه وذلك إذا نابته نائبة وغيره لا يمكن من ذلك اللواء وكان هذا المنصب مخصوصاً ببني عبد الدار ، والندوة وهى أيضاً مما أحدثه قصيّ وهى بمنزلة قصر الامارة ودار الحكومة وهى دار كانوا يجتمعون فيها لابرار أمرهم وتشاورهم والندوة الجماعة ودار الندوة دار الجماعة .

فسموا الأحلاف ولعقة الدم ، ولم يل الخلافة منهم غير عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والباقون من المطيبين لم يزالوا على حالهم حتى جاءهم الإسلام ، وقريش على ذلك حتى فتح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مكة سنة ثمان من الهجرة فأقرّ المفتاح في يد عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ منه المفاتيح عام الفتح فأنزّل الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فاستدعاه ورد المفتاح إليه ، وأقر السقاية في يد العباس رضى الله تعالى عنه .

من انتهى إليه الشرف بمكة من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام :

اعلم أن من انتهى إليه الشرف من قريش إلى أن بزغ نور الإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : (هاشم) و (أمية) و (نوفل) و (عبد الدار) و (أسد) و (تيم) و (مخزوم) و (عدى) و (جمح) و (سهم) فكان من هاشم العباس ابن عبد المطلب يسقى الحجيح في الجاهلية وبق له ذلك في الإسلام ، ومن بنى أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه . ومن بنى نوفل الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة ، وهي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج . ومن بنى عبد الدار عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، يقال : والندوة أيضاً في بنى عبد الدار . ومن بنى أسد يزيد بن زَمعة بن الأسود وكانت إليه المشورة وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإن وافقه ولاهم عليه وإلا تخير وكانوا له أعوانا ، واستشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطائف ومن بنى تيم أبو بكر الصديق ، وكانت إليه في الجاهلية الأشناق وهي الديار والغرم ، فكان إذا احتمل

شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حاملة^(١) من نهض معه وإن احتملها غيره خذله . ومن بنى مخزوم خالد بن الوليد ، كانت إليه القبة والأعنة . فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب . ومن بنى عدى عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى لفأخرة جعلوه منافراً ورضوا به . ومن بنى جُمَح صفوان ابن أمية ، وكانت إليه الأيسار وهي الأزلام ، فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي تسييره على يديه . ومن بنى سهم الحارث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها آلهمتهم . فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية ، وهي السقاية والمارة والعقاب والرفادة والسدانة والحجابة والندوة واللواء والمشورة والأشناق والقبة والأعنة والسفارة والأيسار والحكومة والأموال والمحجرة إلى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت في أوليتهم يتوارثون ذلك كبراً عن كابر ، وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الإسلام فوصله ، فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر في بني هاشم . فأما السقاية فمروفة ، وأما المارة فهو أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رفث ولا يرفع فيه صوته ، كان العباس ينههم عن ذلك . وأما حلوان النفر فإن العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحداً فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة فمن خرجت عليه القرعة أحضروه صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المن ، وسبحان من صرف الدهور ، على حسب مصالح الأمور .

(١) الحملة كسحابة الدية يحملها قوم عن قوم .

ذكر ما وقع لأصحاب الفيل في مكة سرفها الله تعالى

اعلم أن أبرهة الأشرم بعد أن استولى على اليمن وقتل أميرها أرياطاً بنى القُدَيْسَ بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها ، ثم كتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُنَّ مثلها لك كان قبلك ، ولست بمذمتي حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء ^(١) أحد بني ققيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر فخرج حتى أتى القُدَيْسَ ^(٢) ففقد فيها يعني أحدث فيها ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة . فقال : من

(١) الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهور من الأشهر الحرم ويحرمون مكانة الشهور من أشهر الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهور ففيه أنزل الله تبارك وتعالى إنما النسى زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون غاماً ويحرمونه غاماً قوله ليواطئوا أي ليوافقوا ، وكان أول من نسا الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حليفة بن عبد بن ققيم بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وقيل له القلمس لجوده إذ القلمس من أسماء الحرب وتفصيل الكلام يأتي في الجزء الثالث . (٢) هو كنيسة بصنعاء سميت لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرأس ويقال تقلنس الرجل وتقلنس إذا لبس القلائس وقلس طعاماً أي ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استدل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعاً من السخر وكان ينقل إليها العدد من الرخام الجرز والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان (ع) وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما اراده في هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ونصب فيها صلبان من الذهب والفضة ومناير من العاج والأبنس وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده !! فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهي امرأة عجوز فضرعت إليه تستشفع لابنها فأبى إلا أن يقطع يده فقالت : اضرب بمعولك اليوم فالיום لك وغدا لغيرك ، فقال : ويحك ما قلت ؟ فقالت : نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك فكذلك يصير منك إلى غيرك فاخذته موغظتها واعفى الناس من العمل فيها بعد ، فلما هلك أقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثر حولها السباع والحيات ولم يقربها أحد إلى زمن أبي العباس فذكر له أمرها وبعث إليها بابل الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة فخر بها وحصلوا منها مالا كثيراً يبيع ما يمكن بيعه من رخامها وآلاتها فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها

صنع هذا ، فقيل له : رجل من العرب من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة لما سمع أنك تريد أن تصرف إليها حج العرب غضب فجاء فقمعد فيها أى أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرجوا معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضطعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حزب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخراجه فأجابه إلى ذلك من أجابه . ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر قاتى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من قتلى فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيل خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به . فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلنى فإنى دليك بأرض العرب ، وهاتان يدان لك — يشير إلى شهران وناهس قبيل خثعم — بالسمع والطاعة فخل سبيله وخرج به معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف فى رجال ثقيف فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس يبتنا هذا البيت الذى تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم ، واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة . قال ضرار بن خطاب الفهري :

وفرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر

فبمشوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال

حتى أنزله المغمس^(١) ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجت قبره العرب ،
فهو القبر الذي يرجه الناس بالمغمس . فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من
الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه
أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم
— وهو يومئذ كبير قريش وسيدها — فهنت قريش وكنانة وهذيل ومن كان
بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة
حناطة الجيرى إلى مكة وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم
قل له : « إن الملك يقول لك إنى لم آت الحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم
تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم فإن هو لم يرد حربى فأنتى به »
فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقبل له عبد المطلب بن هاشم
فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما يزيد حربه وما لنا
بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال
فإنه يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه . فقال
حناطة : فانطلق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتية بك ، فانطلق معه عبد المطلب
ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان صديقاً له حتى دخل عليه
وهو فى محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر :
وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً . ما عندى غناء
فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى وسأرسل إليه فأوصيه
بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع
لك بخير إن قدر على ذلك ، فقال : حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن
عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش
فى رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده

(١) كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل
أبرهة ويرجم

بما استطعت فقال : أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلمك في حاجته . قال : فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي ، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتي حين رأيته ثم قد زهدت فيك حين كلمتني . أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه . قال له عبد المطلب : أنارب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع مني قال أنت وذاك . وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاعة بن عدى ، ينتهي نسبه إلى كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر ، وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شَمَفِ الجبال ^(١) والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش ^(٢) . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لَا إِلَهَ إِلَّا الْمَرْءُ يَمْنَعُ رَجُلَهُ فَاَمْنَعُ حِلَالَك ^(٣)

(١) الشعف بفتح السين جمع شعفة محرّكة وهي رأس الجبل ، والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل (٢) المعرة : المساءة (٣) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى وكذلك تقول لا إله إلا الله

لايفلبن صليهم ومالهم أبدا محالك
 إن كنت تاركهم وكم بتنا فأمر ما بدا لك
 فلئن فعلت فإنه أمر يتم به فعالك
 أسمع بأرجس ما أرا دوا العدو وانتهكوا حلالك
 جروا جميع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
 عمدوا حماك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف :

لاهم أخز الأسود بن مقصود^(١) الأخذ الهجمة فيها التقليد
 بين حراء وثبير فالبيد يحبسها وهي أولات التطريد^(٢)
 فضمها إلى طماطم سود أخفره يارب وأنت محمود^(٣)

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شمع الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهياً فيه وعبي جيشه ، وكان اسم الفيل (محموداً) وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل^(٤) . وخرج

ابوك ويقولون لاهنك اي والله انك وهذا لكثرة دور هذا الاسم على الاسنة وقد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال اجنك تفعل كذا اي من أجل انك تفعل كذا وكذا والحلال في هذا البيت القوم الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء ، قال الشاعر : ا بغير حلال غادرته مجحفل والحلال ايضاً متاع البيت وجائز ان يستغيره ههنا (١) الهجمة ما بين التسعين الى المائة من الابل والمائة منها هنيذة والمائتان هند ، والأسود بن مقصود صاحب الفيل (٢) حراء وزان كتاب جبل بمكة ، وثبير : جبل بين مكة ومنى ، والبيد بالكسر جمع بيداء وهي الغلاة ، وفي الحديث ان قوما يغزون البيت فإذا نزلوا البيداء بعث الله جبريل فيقول يا بيداء أيديهم فيخسف بهم اي أهلكتهم وهي هذا اسم موضع بعينه (٣) قوله أخفره اي انقصر عزمه وعهده فلا تؤمنه ، وقوله الى طماطم سود يعني العلوج ويقال لكل أعجمي طمطماني وطمطم (٤) قال ابو القاسم السهيلي : فيه نظر لأن الفيل لا يبرك فيحتمل ان يكون

نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن^(٢) لهم في مرقه^(٣) فبزغوه^(٤) بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول^(٥) ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى الشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، فقال أبو الطيب مسعود في ذلك ، وقيل : بل قاله عبد المطلب :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا سَاطِعَاتٌ لَا يَمَارِي بَهْنَ إِلَّا الْكَفُورُ^(٦)
حبس الفيل بالمغمس حتى مرَّ يَعْوِي كَأَنَّهُ مَمْقُورُ^(٧)

فارس الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف^(٨) والبلسان^(٩) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك . وخرجوا هارين يتتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن . فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله تعالى بهم من نعمته .

أَيْنَ الْمَرْءُ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

بروكه سقوطه الى الأرض لما جاءه من أمر الله سبحانه ويحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت من يقول أن في القيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل فان صح والا فتأويله ما قدمناه

(١) ذكر البكري في المعجم أن الأصل فيه طبرزين بفتح الباء وقال طبر هو الفأس (٢) جمع محجن وزان مقود خشبة في طرفها اعوجاج مثل الصولجان قال ابن دريد كل عود معطوف الرأس فهو محجن والجمع المحاجن (٣) قال في القاموس ومراق البطن مارق منه ولأن جمع مرق أو لا واحد لها (٤) أي أدموه ومنه سمي البرغ (٥) يسرع في مشيه يقال هرول هرولة أسرع في مشيه دون الخبب ولهذا يقال هو بين المشي والعدو وجعل جماعة الواو أصلاً (٦) الآيات : العلامات وتجمع الآية على أي أيضاً ، وقوله ساطعات أي مرتفعات يقال سطع الغبار سطوعاً وسطيعاً ارتفع وكذا البرق والشعاع والصبح والرائحة ، وقوله لا يماري أي لا يجادل ولا يخاصم (٧) المغمس كمعظم بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهة وبرجم (٨) جمع خطاف وهو طائر معلوم (٩) طير من طيور الماء يسمى مالك الحزين وعبر عنه في حياة الحيوان بلفظ بلشون

وقال أيضاً

ألا حيث عنا يارديننا نعمناكم مع الإصباح عينا^(١)
 ردينة لو رأيت فلا تريبه لدى جنب المحصب ما رأينا
 إذا لعذرني وسحبت أمري ولم تأسي على ما فات بيننا^(٢)
 سحبت الله إذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
 وكل القوم يسأل عن نفيل كأن على الحبشان ديننا

نخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك ، على كل منهل ، وأصيب
 أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة^(٣) أنملة^(٤) حتى قدموا به صنعاء
 وهو مثل فراخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . ويروى أن
 أول ما رؤيت الحنطة والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها
 مرائر الشجر^(٥) الحرمل والحنظل . فلما رد الله تعالى الحنطة عن مكة وأصابهم بما
 أصابهم به من النعمة أعظمت العرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم

(١) قوله رديننا اسم امرأة كانها سميت بتصغير ردة وهي القطعة من الردين
 وهو الحرير ، ويقال لمقدم الكم ردين مذكر وأما ردينة بتقديم الدال فهو اسم
 للأحمق ، ونعمناكم الخ دعاء أى نعمنا بكم فعدى الفعل لما حذف حرف الجر
 وهذا كما تقول أنعم الله بك عينا (٢) نصب بينا نصب المصدر المؤكد لما
 قبله إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه لأن فات معنى فارق وبان كأنه قال
 على ما فات فوتاً أو بان بينا ولا يصح لأن يكون مفعولاً من أجله يعمل فيه
 تأس لأن الأسى باطن في القلب والبين ظاهر ولا يجوز أن يكون المفعول من
 أجله إلا بعكس هذا تقول بكى أسفاً وخرج خوفاً وانطلق حرصاً على كذا ولو
 عكست الكلام كان خلفاً من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله
 (٣) أى ينتشر جسمه والأنملة طرف الأصبع ولكن قد يعبر بها عن طرف غير
 الأصبع والجزء الصغير (٤) يقال شجرة مرة ثم يجمع على مرائر كما تجمع
 حرة على حرائر ولا تجمع فعلة على فعائل إلا في هذين الحرفين والقياس
 فعل نحو درة ودرر ولكن الحرة من النساء في معنى الكريمة والعقيلة ونحو
 ذلك فأجروها مجرى ما هو في معناها من الفعلية وكذلك المرقباسة أن يقال
 فيه مرير لأن المرارة في الشيء طبيعة فقياس فعله أن يكون فعل وإذا كان
 قياسه فعل فقياس الصفة منه أن تكون على فيل والانشى فعيلة والشيء
 المرعسير أكله شديد فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التي هي على فيل
 لأنها طباع وخصال وافعال الطباع والخصال كلها تجرى هذا المجرى

مؤنة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله تعالى بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبيري :

تنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديماً لا يرام حريمها^(١)
لا تخلق الشعري ليالى حرمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها^(٢)
سائل أمير الحبش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليها
ستون ألفاً لم يثوبوا أرضهم بل لم يعيش بعد الإياب سقيمها^(٣)
كانت بها عادٌ وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها
وقال أبو قيس صيف بن الأسلت بن جشم بن وائل :

ومن صنعه يوم فيل الحبوش إذ كل ما بعثوه رزم^(٤)
محاجهم تحت أقرابه وقد شرموا أنفه فأنخرم

(١) الأبيات من (الكامل) وقد دخل في قوله تنكلوا الخ خرم ولا يبعدان يدخل الخرم في متفاعل فيحذف من السبب حرف كما حذف من الود في الطويل حرف وإذا وجد حذف السبب الثقيل كله فأحرى أن يجوز حذف حرف منه وذلك في قول ابن مفرغ :

هامة تدعو صدى بين المشقر واليمامة
وهو من المرفل والمرفل من الكامل ألا ترى أن قبله :
وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامة

فالمحذوف من الطويل إذا خرم حرف من وتد مجموع والمحذوف من الكامل إذا خرم حرف من سبب ثقيل بعده سبب خفيف قال السهيلي : ولما كان الاضمار فيه كثيراً وهو أسكان التاء من متفاعلين فمن ثم قال أبو علي : لا يجوز فيه الخرم لأن ذلك يؤول إلى الابتداء بساكن ، وهذا الكلام لمن تدبره بارد غث لأن الكلمة التي يدخلها الخرم لم يكن قط فيها اضممار نحو تنكلوا عن بطن مكة والتي يدخلها الاضمار لا يتصور فيها الخرم نحو لا يبعدن قومي ونحو قوله لم تخلق الشعري الخ فتعليله في هذا الشعر إذا لا يفيد شيئاً وما أبعد العرب من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعض النحاة وهي أوهى من نسج الخدرنق (٢) أن كان ابن الزبيري قال هذا في الاسلام فهو منتزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم أن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ومن قوله في حديث آخر أن الله حرمها يوم خلق السموات والأرض والتربة خلقت قبل خلق الكواكب وأن كان ابن الزبيري قال هذا في الجاهلية فإنما أخذه والله أعلم من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند حين بنوا الكعبة وفيه أنا الله رب بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض الحديث (٣) يعني بقوله بعد الإياب سقيمها أبرهة إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنعاء (٤) رزم : ثبت ولزم موضعه وأرزم من الرزم وهو صوت ليس بالقوى وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم خلقته

وقد جَعَلُوا سَوَطَهُ مَقُولًا إِذَا يَمُوه قَفَاهُ كَامٌ (١)
 فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ (٢)
 فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلَفَّهِمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ (٣)
 تَحَضُّضًا عَلَى الصَّبْرِ أَخْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجَّجُوا كُثُوجَ الْغَنَمِ (٤)
 « وَقَالَ أَيْضًا »

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبِّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ (٥)
 فَمَنْدُكُمُ مِنْهُ بِإِلَّا مَصْدَقٌ غَدَاةً أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ (٦)
 كَتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرَجُلُهُ عَلَى الْقَادِزَاتِ فِي رُؤُسِ الْمَنَاقِبِ (٧)
 فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصَرْدَى الْعَرْشِ رَدَّكُمْ جُنُودَ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ (٨)
 فَوَلُّوا سَرَاعًا هَارِيَيْنَ وَلَمْ يَوُوبُ إِلَى أَهْلِهِ مَلْحَبِشٍ غَيْرِ عَصَائِبِ (٩)
 وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

أَلَمْ تَعْمَلُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاخِسٍ وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومِ إِذْ مَلَّوْا الشُّعْبَا
 فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ لِأَصْبَحْتُمْ لَا تَتَمَنَّوْنَ لَكُمْ سَرَبًا (٩)
 وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ابْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ الثَّقَفِيُّ :

إِنَّ آيَاتَ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ لَا يَمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ
 خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّهُ مُسْتَبِينٌ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
 ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٍ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ (١٠)

(١) المغول كمنبر حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافًا وشبه مشمل
 إلا أنه أدق وأطول منه ونصل طويل أو سيف دقيق له قفا (٢) يقال أدبر
 أو رجع فلان أدراجه أي عاد من حيث جاء ، وباء رجع ، وثم بالفتح اسم
 يشاربه بمعنى هناك للمكان البعيد ظرف لا ينصرف (٣) الحاصب : ريح
 تحمل التراب أو هو مآثر من دقايق الثلج والبرد والسحاب الذي يرمى
 بهما ، والقزم صغار الغنم ويقال رذال المال (٤) كُثُوج الغنم أي كصوت الغنم
 (٥) الأخاشب : جبال الصمان (٦) أبو يَكْسُوم كنية أبرهة والكتائب جمع
 كتيبة وهي الجيش أو الجماعة المستجيذة من الخيل أو غير ذلك ، والهادي
 المتقدم (٧) السافي الذي يرمى بالتراب ، والحاصب مر تفسيره قريباً
 (٨) قوله لم يَوُوب أي لم يرجع وملحيش أي من الحبش (٩) السرب بالفتح
 المال الراعى والسرب بالكسر القطيع من البقر والظباء ومن النساء أيضاً
 (١٠) المهابة : الشمس سميت بذلك لصفائها والمها من الأجسام الصافي

حبس الفيل بالمفَس حتى ظلَّ يحبوا كأنه معقور
 لازماً حلقة الجران كما قط رمى صخر كبكب محدود^(١)
 حوله من ملوك كندة أبطا لملاويث في الحروب معقور^(٢)
 خلفوه ثم ابذعروا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور^(٣)
 كل دين يوم القيامة عند الآله إلا دين الحنيفة بُور^(٤)
 وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك ويهجو الحجاج بن يوسف:
 فلما طنى الحجاج حين طنى به عنا قال إني مرتق في السلام^(٥)
 فكان كما قال ابن نوح سأرتق إلى جبل من خشية الماء عاصم^(٦)
 رمى الله في جثمانه مثل ماري عن القبة البيضاء ذات المحارم
 جنود تسوق الفيل حتى أعادهم هباءً وكانوا مطرَحِي الطراخم^(٧)
 نصرت كنصر البيت إذ ساق فيه إليه عظيم المشركين الأعاجم
 وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر
 أبرهة والفيل :

كادَ الأشرم الذي جاء بالف سيل فوَّى وجيشه مهزوم
 واستهلت عليهم الطير بالجنَّة دل حتى كأنه مرجوم^(٨)
 ذاك من يفرُّه من الناس يرجع وهو فلَّ من الجيوش ذميم

الذي يرى باطنه من ظاهره ، والمهاة البلورة ، والمهاة الظبية (١) الجران العنق يريد القى بجرانه الى الأرض وهذا يقوى أنه برك الا تراه يقول كما قطر من صخر كبكب وهو جبل محدود أى حجر حدر حتى بلغ الأرض (٢) الملاويث والملاوٲ جمع ملاث وهو الملاذ السيد الشريف لأن الأمر يلاث به ويعصب أى تقرن به الأمور وتعتد (٣) ابذعروا : تفرقوا من دعر وهى كلمة منحوتة من اصلين من البدر والذعر (٤) يريد بالحنيفة الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين ابراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية أى عدل عنهما فسمى حنيفاً او حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه (٥) السلام جمع سلم كسكر المراقبة وقد تذكر وتجمع على سلايم أيضاً (٦) ابن نوح اسمه يام وقيل كنعان ، وعاصم اسم فاعل عصمه اذا حفظه وحماه (٧) المطرخم الممتلئ كبرا أو غضباً والطراخم جمع مطرخم (٨) بالجنبدل كجعفر مايقاله الرجل من الحجارة وتكسر الدال ، ومرجوم الرجم القتل والقذف والطرْد ورمى بالحجارة

فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميري وكان يكنى بأبي مرة فانتزع ملك اليمن من أيديهم بمعاونة كسرى وقد عدت قصة الفيل من آيات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإنه كان في زمانه حملا في بطن أمه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز ابن أنوشروان . وحكى أبو جعفر الطبرى : أن مولده كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان فكانت آيته في ذلك من وجهين . أحدهما : أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله لصيانة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجرى عليه السبي حملا ووليداً . والثانى : أنه لم يكن لقريش من التآله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم ، وما هم أهل كتاب لأنهم كانوا بين يدي عابدين ، أو متدين وثن ، أو قائل بالزندقة ، أو مانع من الرجعة ، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيساً للنبوة ، وتعظيماً للكعبة ، أن يجعلها قبلة للصلاة ، ومنسكاً للحج ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى يجهش الفيل تهيبوا الحرم ، وأعظموه وزادت حرمة في النفوس ، ودانت لقريش بالطاعة ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، فزادهم تشريفاً وتعظيماً . وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية على ما سبق فصاروا أئمة ديانين ، وقادة متبوعين وصار أصحاب الفيل مثلاً في الفارين . وروى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج في الجاهلية تاجراً إلى الشام فرز بناع بن روح وكان عشيراً فأساء إليه في اجتيازه وأخذ مكسه ، فقال عمر بعد انفصاله :

متى ألف زنباع بن روح بيلدة إلى النصف منها يقرع السن بالندم
ويعلم أنا من لوى بن غالب مطاعين في الهيجا مضارب في التهم

فبلغ ذلك زنباعاً فجhez جيشاً لغزو مكة فقبل له لأنها حرم الله ما أرادها أحد بسوء
إلا هلك كأصحاب الفيل فكف زنباع فقال :

تمتّى أخو فهر لقاي ودونه قراضبة مثل الليوث الحواظر^(١)
فوالله لولا الله لا شيء غيره وكعبته راقّت إليكم معاشرى
لأقتل منكم كل كهل معمم وأسبى نساء بين جمع الأباقر
فبلغ ذلك عمر رضوان الله تعالى عليه فأجابه وقال :

ألم تر أنّ الله أهلك من بنى علينا قديماً في قديم المعاصر
وأردى أبا يكسوم أبرهة الذى أنا منيراً كالفتيق الحاطر^(٢)
بجمع كثير يُخرج العين وسطه على رأسه تاجٌ على رأس باكر
فما راعنا من ذلك العبد كیده وكنا به من بين لاه وساخر
وقال سأبنى البيت هدماً ولا أرى بمكة ماش بين تلك المشاعر^(٣)
فرداه رب العرش عنا رداه ولم ينجه أعظامه بالمرائر
فأهلكه والتابعين له معاً وأسرى به من ناصر ومسامر
وليس لنا فاعلم وليس لبيتنا سوى الله من مولى عزيز وناصر
فدونك زرنا تلق مثل الذى لقوا جميعهم من دارعين وحاسر

وكان شأن الفيل رادعاً لكل باغ ، ودافعاً لكل طاغ ، وقد عاصر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل ، وطير
الأبائيل^(٤) ، منهم حكيم بن حزام ، وحاطب بن عبد العزى ، ونوفل بن معاوية ،
لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين سنة فى الجاهلية ،
وستين سنة فى الإسلام .

(١) القراضبة : اللصوص الواحد قرضوب وقرضاب .
(٢) الفتيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
(٣) المشاعر : مواضع المناسك والمشعر الحرام جبل بآخر مزدلفة واسمه
فرح وميمه مفتوحة على المشهور وبعضهم يكسرها على التشبيه بالالة .
(٤) فرق جمع بلا واحد .

سؤال وجواب

إن سأل سائل لم كان حبس الفيل في زمان الجاهلية عن مكة من الإفساد والإلحاد فيها ، ولم يمنع الحجاج بن يوسف الثقفي في زمان الإسلام عنها ، وقد نصب المنجنيق^(١) على الكعبة وأضرمها بالنار ، فقال فيها على ما حكى عنه :

كيف تراه ساطعاً^(٢) غباره والله فيما يزعمون جاره

وقال راميه بالمنجنيق :

قطارة مثل الفنيق المزيذ أرى بها أعواد كل مسجد

وسفك فيها الدم الحرام ، وقتل عبد الله بن الزبير وأصحابه في المسجد ، وكيف لم يحبس عنها القرامطة ، وقد سلبوا الكعبة ، ونزعوا حليتها وقلموا الحجر ، وقتلوا العالم من الحاج وخيار المسلمين بحضرة الكعبة ؟

(الجواب) إن حبس الفيل في الجاهلية كان علماً لنبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنوياً بذكر آياته إذ كانوا عمار البيت وسكان الوادي فكان ذلك الصنيع إرهاباً^(٣) للنبوة وحجة عليهم في إثباتها فلو لم يقع الحبس عنها والذب عن حريمها لكان في ذلك أمران ، أحدهما : فناء أهل الحرم وهم الآباء والأسلاف لعامة المسلمين ، ولكافة من قام به الدين . والآخر : أن الله سبحانه أراد أن يقيم به الحجة عليهم في إثبات نبوة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يجعله مقدمة لكونها وظهورها فيهم ، وكان مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عامئذ

(١) معرب من جه نيك أي ما أجودني أو أنا شيء جيد لأنه لا يجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما في القاموس وضبطه أبو منصور بفتحها أله أرمى الحجارة بالمنجنوق ومنجنيق لغات فيه معربة وقيل الأقرب أنه معرب منجل نيك ومنجل ما يفعل بالحيل وميمه زائدة وقيل أصلية ويدل على الأول قول بعض العرب كانت بيننا حروب عون تفقا فيها العيون مرة بمنجنيق وأخرى بوثق ، وقيل النون زائدة والميم أصلية وعكسه وقيل هما أصليتان وقيل زائدتان كما فصل في التصريف كما في شفاء العليل (٢) أي مرتفعاً (٣) الارهاص : الإثبات يقال ارهص الشيء إذا أثبتته وأسسسه وهو مجاز ومنه ارهاص النبوة

وكانوا قوما عرباً أهل جاهلية ليست لهم بصيرة في العلم ، ولا تقدمة في الحكمة ، وإنما كانوا يعرفون من الأمور ما كان دركه من جهة الحس والمشاهدة ، فلو فلم يجر الأمر في ذلك على الوجه الذي جرى لم يكن يبق في أيديهم شيء من دلائل النبوة تقوم به الحجة عليهم في ذلك الزمان . فأما وقد أظهر الله الدين ورفع أعلامه ، وشرح أدلته وأكثر أنصاره ، فلم يكن ما حدث عليها من ذلك الصنيع أمراً يضر بالدين ، أو يقدح في بصائر المسلمين ، وإنما كان ما حدث منه امتحاناً من الله سبحانه لعباده ليلو في ذلك صبرهم واجتهادهم وليقبلهم من كرامته ومغفرته ما هو أهل التفضل به ، والله يفعل ما يشاء وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . وما ذكرناه نبذةً يسيرة مما كان عليه البلد الحرام ، وبقيت أبحاثٌ يضيق عنها نطاق الأرقام ، فإن أردت زيادة على ما ذكرنا فقلبك (بشفاء الغرام ، بإخبار البلد الحرام) لأبي الطيب محمد المكي المالكي عليه رحمة الملك العلام ، وكذلك تاريخ مكة للإمام الأزرقي عليه الرحمة فإن فيهما البغية ^(١) لمن أراد الوقوف التام على أحوال مكة المكرمة .

أسواق العرب قبل الجاهلية

كان للعرب أسواق يقيمونها شهور السنة وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر . منها (دومة الجندل) كانوا ينزلونها أول يوم من ربيع الأول يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، وكانت المباينة فيه يبيع الحصة ، وهو من بيوع الجاهلية التي أبطلها الإسلام وفسر بأن يقول أحد المتبايعين للآخر أرمت هذه الحصة فعلى أى ثوب وقعت فهو لك بدرهم ، وفسر بأن يبيعه من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصة ، وفسر بأن يقبض على كف من حصى ويقول لى بعدد ما خرج فى القبضة من الشيء المنيع أو يبيعه سلمة ويقبض على كف من الحصى ويقول لى بكل حصة ^(١) بالكسر الحاجة التى تبغيها ، وضمها لغة وقيل بالكسر الهيئة بالضم الحاجة

درهم ، وفسر بأن يمسك أحدهما حصاة في يده ويقول أى وقت سقطت الحصاة
وجب البيع ، وفسر بأن يتبايعا ويقول أحدهما إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب
البيع ، وفسر بأن يمترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول أى شاة أصابتها
فهى لك بكذا . وهذه الصور كلها فاسدة لما تتضمن من أكل المال بالباطل ومن
الغرر والخطر الذى هو شبيه بالقمار ، ولذلك أبطلتها الشريعة . وكان أكيدر
صاحب دومة الجندل يعرى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم فتقوم سوقهم إلى نصف الشهر .
وربما غلب على السوق بنو كلب فيمشوم ويتولى أمرهم يومئذ بعض رؤساء
بنى كلب فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر . ومنها (سوق حجر) بفتح الحاء والجيم
اسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل « كبضع تمر إلى حجر » . وقول عمر رضى الله
تعالى عنه « عجبت لتاجر هجر » كأنه أراد لكثرة وبائه أو لركوب البحر .
وسمى بهذا الاسم بلد باليمن بينه وبين (عثَر) يوم وليلة مذكر معسوف وقد يؤنث
والنسبة هجرى وهاجرى والسوق الموضع الأول كانوا ينتقلون إليها في شهر ربيع
الآخر فتقوم سوقهم بها ، وكان يمشوم ويتولى أمرهم المنذر بن ساوى أحد بنى
عبد الله بن دارم . ومنها (سوق عمان) كغراب . ذكر في القاموس أنها بلد باليمن
ويصرف وكشداد بلد بالشام ولم يذكر الموضع الذى كان سوقاً ، وهو فى أرض
البحرين كانوا يرتحلون من سوق هجر فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى ،
ومنها (سوق المشقر) كمعظم حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من أول
يوم من جمادى الآخرة ، وكان يبيعهم بالملامسة والإيماء والمهممة خوف الحلف
والكذب . والمهممة : الكلام الخفى وكل صوت معه بحج . وبيع الملامسة
على أوجه وهى : أن يأتى بثوب مطوى أو فى ظلمة فيلمسه الستام فيقول له صاحب
الثوب : بمتكه بكذا بشرط أن يقوم لمسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته .
الوجه الثانى : أن يجعلا نفس اللبس بيعاً بغير صيغة زائدة . الوجه الثالث : أن
يجعلا اللبس شرطاً فى قطع خيار المجلس وغيره ، وهو أيضاً من البيوع التى أبطلها

الإسلام كبيع النابذة وهو أن يجعل نفس النبد بيعاً كما تقدم في الملامسة ، أو أن يجعل النبد بيعاً بغير صيغة ، أو أن يجعل النبد قاطعاً للخيار ومنها (سوق سُحار) بضم الصاد المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب الفرد خمسة أيام . ومنها (الشجر) كالمنع ساحل البحر بين عمان وعدن ويكسر تقوم في النصف من شعبان ، وكان بيعهم في هذه السوق أيضاً برى الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل . ومنها (سوق عدن أئين) كانوا يرتحلون من الشجر فيزلون هذا الوضع ، وعدن جزيرة في اليمن أقام بها (أئين) فنسبت إليه فتقوم سوقهم بها إلى أيام من رمضان فتشتري التجارات وأنواع الطيب ، ومنها (سوق صنعاء) كانوا إذا ارتحلوا من عدن والشجر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان إلى آخره وصنعاء من أطيب بلاد اليمن ، ومنها كان يجلب الأدم^(١) والبرود ، وكانت تجلب إليها من معافر وهو بلد كان في اليمن ، وقد تقدم بعض الكلام على صنعاء . ومنها (سوق حضر موت) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منهم يحضر سوقاً أخرى تقوم في هذه الأيام أيضاً سيأتي ذكرها . ومنها (سوق ذي الحجاز) كانت بناحية عرفة إلى جانبها ، وعند الأزرق من طريق هشام بن الكلبي أنها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة ، ووه هنا صاحب الصحاح فإنه قال فيه ذو الحجاز موضع بمعنى كان به سوق في الجاهلية لما رواه الطبراني عن مجاهد أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون في الجاهلية بعرفة ولا بمعى ومنها (سوق مجنة) يفتح الميم وكسرها موضع قرب مكة ، وهو الذي عناء بلال رضى الله تعالى عنه بقوله متشوقاً إليه بعد الهجرة :

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل
كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيام موسم الحج . ويحضرها كثير من قبائل

(١) بفتحيتين وبضميتين أيضاً جمع اديم وهو الجلد المدبوغ ، والبرود جمع برد بالضم وهو ثوب مخطط وكساء يلتحف به

العرب . ومنها (سوق حُباشة) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد ألف شين معجمة . كانت في ديار بارق نحو (قنونا) بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة من مكة إلى جهة اليمن ، ولم تكن من مواسم الحج ، وإنما كانت تقام في شهر رجب . ومنها (سوق عكاظ) بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخر ظاء معجمة بالصرف وعدمه . قال اللحياني : الصرف لأهل الحجاز وعدمه لغة تميم . وهو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم وأسواقهم وهو نخل في وادي بين نخلة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال ، وهو وراء (قرْن المنازل) بمرحلة من طريق صنعاء اليمن ، وكان المكان الذي يجتمعون فيه منه يقال له الابتداء ، وكانت هناك صخور يطوفون حولها ، وكانوا يتبايعون فيها ويتماكطون^(١) ويتفاخرون ويتحاجون ، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سَأَنْشُرُ إِنْ حَيِّتُ لَهُمْ كَلَامًا يَنْشُرُ فِي الْمَجَامِعِ مِنْ عُكَاظٍ
وفيهَا كَانَ يَخْطُبُ كُلُّ خَطِيبٍ مِصْقَعٌ . ومهم قُسْنٌ سَاعِدَةُ الْأَيْدَى إِذْ
خَطَبَ خُطْبَتَهُ الشَّهِيرَةَ هُنَاكَ وَهُوَ عَلَى جَمَلَةِ الْأَوْرَقِ ، وفيهَا عُلِقَتِ الْقَصَائِدُ السَّبْعُ
الشَّهِيرَةُ افْتِخَارًا بِفَصَاحَتِهَا عَلَى مَنْ يَحْضُرُ الْمَوْسِمَ مِنْ شُعَرَاءِ الْقَبَائِلِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
وَكَانَ كُلُّ شَرِيفٍ إِنَّمَا يَحْضُرُ سَوْقَ بَلَدِهِ إِلَّا سَوْقَ عُكَاظٍ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَافُونَ بِهَا
مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَكَانَ يَأْتِيهَا قَرِيشٌ وَهَوَازِنٌ وَسَلِيمٌ وَالْأَحَاشِيشُ وَعَقِيلٌ وَالْمِصْطَلِقُ
وَطَوَائِفٌ مِنَ الْعَرَبِ . وَمَنْ كَانَ لَهُ أَسِيرٌ سَعَى فِي فِدَائِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ حُكُومَةٌ ارْتَفَعَ
إِلَى الَّذِي يَقُومُ بِأَمْرِ الْحُكُومَةِ . وَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِأَمْرِ الْحُكُومَةِ فِي هَذِهِ السُّوقِ
أَنَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، وَكَانَ أَحَدُهُمُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ السُّوقُ يَجْمَعُ الْقَبَائِلُ
قَالَ طَرِيفُ بْنُ تَمِيمٍ الْعَنْبَرِيُّ :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدْتُ عُكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ^(٢)

(١) أي يتفاخرون

(٢) العريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك أو النقيب وهو دون

فتوسموني إنني أنا ذلكم شاكي سلاحي في الحوادث مُعَلَّمٌ^(١)
تحتي الأغرُّ وفوق جلدِي نثرةٌ زَغَفَ تَرَدَّ السيف وهو مثلُ^(٢)
حولي أسيدٍ والمهجمِ ومازِنٌ وإذا حَلَّتْ فحول بيتي خَضَمٌ^(٣)
ولكل بكرىٍ لَدَيَّ عداوةٌ وأبو ربيعةَ شاني لا وعَلَمٌ

وطَريف هذا كان من مشاهير شجعان العرب وفرسانهم قتل مرة رجلا من بني شيبان ثم حضر ذلك الموسم فأمن في النظر بعض أقارب ذلك المقتول . فسأله طريف عن السبب فقال أريد أن أعرفك فلعل أصادفك يوماً لأقتلك أو تقتلني ، فأنشد طريف تلك الأبيات . وقد صادف ذلك الرجل طريفاً في يوم من أيامهم فقتله وأخذ منه ثار قريبه ، وكانت بمكاظ وقائع مرة بعد مرة ، ولذلك يقول دريد ابن الصمة :

تَغَيَّبْتُ عَنْ يَوْمَيَّ عُكَازَ كُلَيْهِمَا وَإِنْ يَكُ يَوْمٌ ثَالِثٌ أَتَغَيَّبُ
وَإِنْ يَكُ يَوْمٌ رَابِعٌ لَا أَكُنْ بِهِ وَإِنْ يَكُ يَوْمٌ خَامِسٌ أَتُجَنِّبُ

وذكر أبو عبيدة أنه كان بمكاظ أربعة أيام : يوم شمطة ويوم العبلاء ويوم شرب ويوم الحرية ، وهي كلها من عكاظ قال : « فشمطة » من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخله ، وهو أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار بِحَوْلٍ على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبل يقال له (رخم) فلم يقتل منهم أحد ، وقال خدش بن زهير :

الرئيس ، والتوسم التخيل والتفرس وانما كان يتوسمه لان فرسان العرب اذا كان ايام عكاظ في الشهر الحرام وامن بعضهم بعضا تقنعوا حتى لا يعرفوا (١) شاكي السلاح : ذو شوكة وحد في سلاحه ، واعلم نفسه ونسبها بسيما الحرب (٢) الزغفة وقد يحرك : الدرع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة الحسنة السلاسل ، درع زغف ايضا ، والنثرة : الدرع السلسلة الملبس او الواسعة (٣) خضم كبقم الجمع الكثير من الناس

فأبلغ إن بلغت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليد^(١)
 بأنا يوم (شمطة) قد أقمنا عمود الدين إن له عموداً
 ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من شمطة «بالبلاء» إلى جنب
 عكاظ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة. قال خدش بن زهير :
 ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى البلاء خندف بالقياد
 ضربناهم بيطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد
 ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة «بشرب» وشرب
 من عكاظ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدم
 لهوازن عليهم يومان، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان بن حرب أنفسهم
 وقالوا لا يبرح منا رجل مكانه حتى يموت أو يظفر، فانهزمت هوازن وقيس كلها
 الابن نصر فانهزمت مع ثقيف، وذلك أن (عكاظ) بلدهم لهم فيه نخل وأموال
 فلم ينفوا شيئاً، ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً. قال أمية بن
 أسكر الكنانى :

الاسائل هوازن يوم لا قوا فوارس من كنانة مملينا^(٢)
 لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أينا^(٣)

وقال

قوى اللذو بمكاظ طيروا شرراً من روس قومك ضرباً بالمصاقل^(٤)

(١) حذف نون التوكيد من أبلغن للضرورة ومثله قول الشاعر :
 يا راكباً بلغ اخواننا من كان من كندة أو وائل
 وقول الآخر :
 ان ابن احوص مغرور فبلغه في ساعديه اذا رام العلى نصر
 ولا يجوز مثل هذا في سعة الكلام الا شاذاً نحو قراءة ابى جعفر المنصور
 'الم نشرح لك صدرك بفتح الحاء
 (٢) المعلم الذى اعلم نفسه اى وسمها بسيما الحرب (٣) او عب القوم
 اذا حشدوا (٤) الشرر بفتح الحاء هو اما جمع شررة وهو ما نطير من النار
 وكذلك الشرار والشرارة واما مصدر شررت يارجل بفتح الراء وكسرها شررا
 وشررا وشرارة من الشر نقيض الخير، وقوله من روس ومك بحذف الهمزة

ثم التقوا على رأس الحول « بالحريزة » وهي جرة إلى جنب عكاظ مما يلي مهب جنوبها فكان لهوازن على قريش وكنانة . وكانت تقوم هذه السوق في قول أول ذى القعدة إلى عشرين منه ثم يتوجهون إلى مكة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون إلى أوطانهم . وفي قول آخر : أنهم كانوا يقيمون به جميع شوال إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة ، ولعل ذلك لاختلاف العادة في السنين أو لاختلاف القبائل في الإقامة في هذا الموسم . والذي عليه صاحب قبائل العرب أنهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذى القعدة إلى آخره فإذا أهل ذوالحجة أتوا (ذا الحجاز) وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقه إلى التروية وهو اليوم الثامن من ذى الحجة سمي بيوم التروية لأنهم كانوا يرتون فيه من الماء لما بعد ، أو لأن إبراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر في رؤياه فيه . وفي التاسع عرف وفي العاشر استعمل ثم يصيرون إلى منى وتقوم سوق (نطاة) بخيبر ونطاة عين أو حصن بخيبر . وسوق (حَجْر) بفتح الهمة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحورية بمكة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة فنهبوها فتركت إلى الآن . واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة وكان آخر ما ترك من الأسواق المذكورة سوق (حُباشة) في زمن داود بن عيسى بن موسى العباسي في سنة سبع وتسعين ومائة . والله أعلم بحقائق الأمور .

مجمعات العرب في جاهليتهم

أما المجتمعات في غير هذه الأسواق فهي كثيرة الأنواع والأقسام لا يمكن استيعابها

من رؤس ، والمصاقيل جمع مصقول من الصقل وهو جلاء الحديد وتحديده
أى جعله قاطعاً أراد كل آلة حديد من السلاح مثل السيف والسنان وفي البيت
شاهد على أن النون تحذف من اللدون

فى مثل هذا المقام . منها ما كان لمحض الأناى ، وتنشيط الأناى ، وذكر ما سلف لهم من الحروب والوقائع ، وتناسد الشعر والقريض ونحو ذلك من الكلام الذى تنهيج له الطبائع . وهذا الحال لا يكون غالباً إلا فى اللالى ، وبعد الاستراحة واستقرار البال ، كما يدل عليه لفظ المسامرة فإن السمر هو المتحدث فى الليل والمحاورة . والله در العرب ، فقد كان لهم من دقلى الفكر ما يوجب العجب ، فإن النهار ولا سىا فى الغدو وهو وقت السى وطلب المعاش وزمان قضاء مصلحة وتكسب واتعاش ، وهم كانوا يسمعون فىه بما لهم من المصالح والأشغال ، ولا يقضونه فى اللهو والبطالة والقيل والقال ، وهذا بمكس ما عليه أهل زماننا من قبيح العوائد ، فتراهم يقضون نفائى الأوقات فى كل ما عرى عن الفوائد ، ولذلك تأخروا فى الفضائل ، وحرموا والأمر لله تعالى من الصفات الجليلة وجميل الشئائل . وأما العرب الأولون فقد ملأوا بطون الدفاتر ، بما كان لهم من المفاخر والمآثر ، وكانوا يتحلقون إذا اجتمعوا من النادى فى طرف ، وربما كان وسط الحلقة من ينتهى إليه الشرف ، وإذا أراد أحدهم ذكر حادث غريب ، وإلقاء كلام عجيب ، قام وتلاه على القوم كما يفعل الخطيب ، وإذا حدث شخص آخر مس لحيته فى أثناء مخاطبته ، وتناولها بيده فى حال محاورته ، وذلك شكل من أشكال العرب وعادة من عاداتهم ، يفعل الرجل ذلك بصاحبه إذا حدثه ويمجرى ذلك مجرى اللالطة من بعضهم لبعض فى معتقداتهم كما نبه على ذلك الخطابى فى شرح السنن .

« ومنها » ما كان للمذاكرة والمشاورة فى تدارك حرب أو إغارة على قوم آخرين فإنهم لا يتحركون حركة فى ذلك إلا بعد أن يجتمع أهل الحل والمقد فى محل مخصوص كقبة ينصبها لهم من تكفل بأمرها لأجل ذلك كما أشرنا إليه سابقاً ، وعند الاجتماع تدور بينهم أقذاح المذاكرة فما يستقر عليه رأى يعمل بموجبه ولا يتخلف أحد عنه . « ومنها » ما كان لأجل الحكومة وفصل الدعاوى والمنازعات التى كانت تقع بينهم كما كانوا يجتمعون فى دار الندوة وهى دار قصى

ابن كلاب وهو الذى بناها وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، وفيها كانت قريش تقضى أمورها تيمناً بأمر قصي^١ ، فأتى كعب امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يفقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا فيها يعقده لهم بعض ولد قصي^٢ ، وما تدرع جارية من قريش إذا بلغت أن تدرع إلا فى داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . وكان لا يعذر غلام إلا فيها^(١) ، ولا تفصل خصومة بينهم إلا هناك . قال الكلبي : وهى أول دار بنيث بمكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه ، وكلما قربوا من عصر الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب وصار أمر قصي فى قريش كالدين المتبع . وسميت الندوة لأنهم كانوا ينتدون فيها أى يجتمعون للخير والشر . وفى القاموس النادى والندوة والمنتدى مجلس القوم نهراً أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه . وكانت لقريش أندية حول الكعبة يجتمعون فيها كما فى السيرة المشامية ويتذاكرون فى أمور تخصهم . وكان عبد المطلب يجلس فى ظل الكعبة على فراش معد له لا يجلس عليه أحد غيره احتراماً له وإجلالاً لقدره . وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس وهو صغير بجانب جده ولا يدع أحداً يمنعه . وكان يقول : سيكون لابنى هذا شأن فكان كما قال بل فوق ما كان يتصوره ويرجوه .

« ومنها » ما كان لطلب مشوبة واتعاط بوعظ كما كانت قريش فى الجاهلية تجتمع إلى كعب بن لؤى بن غالب وهو جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السابع فى كل جمعة فيخطب فيه على قريش فيقول على ما حكاه الزبير بن بكار : أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا . ليل داج^(٢) ونهار صاح ، والأرض والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالآخرين ،

عثر الغلام والجارية من باب ضرب ختنه فهو معذور وأعدته بالالف لغة أى مظلّم

فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وتمروا أموالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع
أوميت انتشر ، والدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون . وكان يذكرهم بمبعث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ، ويقول :
زينوا حرمكم وعظموه ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم ينشد :

نهارٌ وليل كل أوبٍ تجاذب سواً علينا ليل ونهارها
يثوبان بالأحداث حين تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأبناء تقلب أهلها لها عقدٌ ما يستحل مريرها
على غفلةٍ يأتي النبي محمدٌ فيخبر أخباراً صدوقاً خيرها

ثم يقول : أما والله لئن كنت فيها ذاسع وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب
الجل ، ولأرقلت فيها أرقال^(١) الفحل ، ثم يقول :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين العشرة تبغى الحق خذلانا

وهذا من فطن الإلهامات التي تخيلتها العقول فصدقت ، وتصورتها النفوس
فتحقق ، ويقال : هو الذي سمي يوم العروبة يوم الجمعة . وهو أول من نقلها إلى ماهو
التداول ، لاجتماع الناس إليه في كل جمعة . وقد كانت العرب العاربة تسمى أيام
الأسبوع بأسماء غير هذه الأسماء المتداولة بين الناس اليوم . وكانوا يسمون الأحد
أول ، والإثنين أهون ، والثلاثاء جباراً ، والأربعاء دباراً ، والخميس مونساً ، والجمعة
ماسبق ، والسبت شياراً ، ويقال في أهون أهون وأوهو وفي شيار الفتح والكسر ،
وقد نظم ذلك بعضهم بقوله :

أؤمل أن أعيش وأن يوى بأول أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فإب أفته فونس فالعروبة أو شيار

أي إني أؤمل البقاء في الدنيا والعيش فيها ، ولا بد من الموت في يوم من هذه

(١) هو ضرب سريع من السير .

الأيام ولا محالة وهذا سفه من رأى ، فينبغى للحازم أن لا يؤمل البقاء وكل يوم من أيام الأسبوع محتمل أن يكون غاية الأجل وللعمر فيه ختام وانقضاء . وكذلك وضعت العرب لساعات النهار والليل أسماء غير ما هو المتعارف ، وهى الدور ثم البروع ثم الضحى ثم الغزاة ثم المهاجرة ثم الزوال ثم الدلول ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب ثم الحدود ثم الغروب ويقال فيها أيضاً البكور ثم الشروق ثم الإشراف ثم الراد ثم الضحى ثم المتوع ثم المهاجرة ثم الأصيل ثم العصر ثم الطفل ثم المشى ثم الغروب ، ذكر هاتين الروايتين ابن النحاس فى كتابه الذى سماه (صناعة الكتاب) . ويقال : إن أول من قسم النهار اثنتى عشرة ساعة آدم عليه السلام : وضمن ذلك وصيته لابنه شيث عليه السلام وعرفه ما وظف عليه فى كل ساعة من عمل وعبادة . وأما ساعات الليل فهى الشاهد ثم الغسق ثم العتمة ثم الفجعة ثم الموهن ثم القطع ثم الجومر ثم العبكة ثم التباشير ثم الفجر الأول ثم المعترض ثم الإسفار . وفى كتب اللغة أسماء آخر لساعات الليل والنهار فلتراجع . وكذلك كانوا يسمون الأشهر بأسماء غير ما نعلمها اليوم وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى الكلام على النسيء ، وقيل فى سبب تسمية يوم العروبة بيوم الجمعة أن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك فلهلوا نجمل لنا يوماً نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى ، فقالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجملوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ، فأنزل الله تعالى سورة الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل على قبيلة بنى عمرو بن عوف ، وأقام عندهم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وانتبش مسجدهم . ثم خرج يوم الجمعة قاصداً المدينة فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى بهم الجمعة . وحكى السهيلي فى كتاب شرح السيرة النبوية : أن يوم الجمعة كان

يسمى بهذا الاسم قبل أن تصلى الأنصار الجمعة وأنه لما كان اليوم الذى جمع فيه خلق آدم عليه السلام سمي بهذا الاسم . قال أهل اللغة : السبت القطع ، ومنه يوم السبت لانقطاع خلق الأشياء فيه . وحكى أيضاً أن هذه الأسماء المتداولة مروية عن أهل الكتاب وأن العرب المستعربة لما جاورتهم أخذتها عنهم ، وأن الناس لم يكونوا يعرفون ذلك إلا الأسماء التى وضعتها العرب العاربة والأسماء التى وضعتها السريان وهى (أبجد ، هوز ، حطى ، كلن ، سغفص ، قرشت) ، ولم يذكرها سابقاً وذكرها أنها أسماء الأيام التى خلق الله تعالى فيها سائر المخلوقات علويها وسفليها . وهذا القول مذكور فى كتاب ابن النحاس أيضاً وكأن السهيلي نقله منه .

« ومنها » ما كان لحلف وعقد معاهدة كما اجتمعت قريش فى الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة وشاهدوا من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر فمقدوا حلفاً على رد المظالم ، وإنصاف المظلوم من الظالم . وكان سببه ما حكاه الزبير بن بكار : أن رجلاً من اليمن من بنى زبيد قدم مكة معتمراً ببضاعة فاشترأها منه رجل من بنى سهم ، وقيل إنه العاص بن وائل فولى الرجل بحقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه فقام على الحجر ، وأنشد بأعلى صوته :

يال قصي^(١) لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائى الدار والنفر
وأشعث محرم لم تقض حرمة بين المقام وبين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بذمتهم أو ذاهب في ضلال مال معتمر

ثم إن قيس بن شيبه السلمى باع متاعاً على أبى بن خلف فلواه وذهب بحقه فاستجار برجل من بنى جمع فلم يجره ، فقال قيس :

يال قصي كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت وأحلاف الكرم

أظلم من لا يمنع عنى الظلم

فأجابه العباس بن مرداس السلمى^(٢) :

(١) ويروى عنه يال فهر . (٢) جده أبو عامر بن حارثة أحد بنى سليم

إِنْ كَانَ جَارُكَ لَمْ يَنْفَعَكَ ذِمَّتُهُ وَقَدْ شَرِبْتَ بِكَأْسِ الذِّلِّ أَنْفَاسَا
فَاتِ الْبُيُوتَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا صَدَا لَا تَلْقَ تَأْدِيبَهُمْ فُحْشًا وَلَا بَاسَا
وَمَنْ يَكُنْ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ مَعْتَصِمًا يَلْقَى ابْنَ حَرْبٍ وَيَلْقَى الْمَرْءَ عَبَاسَا
قَوْمِي قُرَيْشٌ بِأَخْلَاقٍ مَكْمَلَةٍ بِالْمَجْدِ وَالْحَزْمِ مَا عَاشَا وَمَا سَاسَا
سَاقِ الْحَجِيحِ وَهَذَا نَاشِرُ فُلُجٍ وَالْمَجْدِ يُوْرثُ أَخْمَاسَا وَأَسَدَاسَا

فقام أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب فرد عليه ماله ، واجتمعت بطون قريش فتجالفوا في دار عبد الله بن جُدعان على رد الظالم بمكة وأن لا يظلم أحد إلا ممنوه وأخذوا للظالم حقه ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ معهم قبل النبوة ، وكان إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة فمقدوا حلف الفضول في دار ابن جُدعان فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا كراً للحال : لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلف الفضول ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى إليه في الإسلام لأجبت . وأتى بقصته وما يزيده الإسلام إلا شدة ، فقال بمض قريش في هذا الحلف :

تيمَ بنَ مرةَ إِنْ سَأَلْتَ وَهَاتِمَا وَزَهْرَةَ الْخَيْرِ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ
مُتَحَالِفِينَ عَلَى النَّدَى مَا غَرَّدَتْ وَرَقَاءَ فِي فَنَنِ مِنْ جَدْعِ كَتَمَانَ

وهذا وإن كان فعلا جاهليا دعتهم إليه السياسة فقد صار بحضور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له وما قاله في تأكيد أمره حكما شرعيا ، وفعلا نبويا ، وكما اجتمعوا على الحلف الشهير (بحلف المطيبين) وقد مرت الإشارة إليه عند الكلام على مكة شرفها الله تعالى . وهو على ما في السيرة الهشامية نقلا عن ابن إسحق : أن قصي بن كلاب لما هلك أقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده فاختلفوا مكة رباعا بعد الذي كان قطع لقومه بها . فكانوا يقطعونها في قومهم

ابن منصور وامة الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد وكان العباس فارسا شاعرا مخضرا شديدا العارضة والبيان سيدا في قومه من كلا طرفيه وقد الى النبي (ص) واسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه .

وفي غيرهم من حلفائهم ويديمونهم فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي بن عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا مابأيدى بني عبد الدار قصي مما كان قصي جمل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق من بني الدار لمكانهم في قومهم . وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جمل إليهم فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ، وكان صاحب بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان بنو أسد ابن عبد العزى بن قصي . وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف ، وكان بنو مخزوم ابن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص كعب ، وبنو جحج بن عمرو ابن هصيص بن كعب ، وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار ، وخرحت عامر ابن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين . فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ما لبَّ بحر صوفه^(١) ، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتماقدوا وتماهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم

(١) هذا من الأبيديات لامن الأمثال كما زعم بعضهم وحكى اللحياني ما لب البحر صوفة والظاهر أن هاء صوفة فيه للتأنيث كهاء ثمرة وإن المراد بذلك القطعة من الصوف المعروف وذكر بعض أهل اللغة أنه يحتمل أن تكون الهاء هاء الضمير وحمل صوف البحر على شيء يكون فيه يشبه الصوف المعروف من وجه ويسمى سحب البحر وغمامة والزبد الطرى وقيل هو الطحلب ويسمى غزل الماء كما قال الطبيب داود الضرير ورجح الأول بأن السفنج المتبادر منه البحر المالح بخلاف الطحلب فإنه يكون في منافع الماء مطلقاً فالأوفق بالاضافة في صوف البحر ارادة ما كان مختصاً وبأن شبه السفنج للصوف الحيواني أقوى من شبه الطحلب له ، والاظهر أن الهاء للتأنيث والصوفة قطعة من الصوف المعروف .

فسموا الطيبين . وتعاقد بنو عبد الدار وتماهدواهم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً فسموا الأحلاف . ثم سوند بين القبائل ولزم بعضها ببعض فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم ، وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار ، وعبيت زهرة لبني جمح ، وعبيت بنو تيم لبني مخزوم وعبيت بنو الحارث بن فهر لبني عدى بن كعب . ثم قالوا لتغز كل قبيلة من أسند إليها فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة . وبقي لهم اجتماعات كثيرة مذكورة في كتب السير والتواريخ

الكلام على مفاخرات العرب في الجاهلية ومناظراتهم

اعلم أن الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان . وفي القاموس : الفخر والفخار والفخارة بفتح الفاء التمدح بالخصال كالافتخار ، وتفاخر القوم بفخر بعضهم على بعض ، وفاخرهم مفاخرة وفخارة عارضه بالفخر ففخره كنصره غلبه ، وفخره عليه كنع فضلته عليه في الفخر كأفخره عليه . والمفخرة وتضم ما فخر به انتهى . والفخر نهاية الحق عند من نظر بعين عقله ، وانحسر عنه قناع جهله . وقد أبطلته الشريعة الحممدية ، ونهت عن تعاطيه بالكلية ، فإن أعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن كل ساعة أن ترجع . فالباهي بها مباهٍ بغير ثراه ، ومتبجح بما في نظر سواه ، كالفاجرة تبجح بزبيها بل هو دون ذلك ، فقد قال بعض الحكماء لئلا يفتخر بترائه : إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراة له دونك ، وإن افتخرت بأبائك فالفضل فيهم لافيك ، ولو تكلمت هذه الأشياء لقات هذه محاسنها فإلك

من الحسن ؟ وأيضاً فالأعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع ، وظل زائل عن قليل يضمحل ، كما قال الشاعر :

إنما الدنيا كرويا فرحت من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال الله عز وجل « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض » . فإن افتخرت فافتخر بمعرفة غير خارجة عنك ، وإذا أمجبتك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه ، أو بقاءك وزواله أو فناءك جميعاً ، فإذا أرابك ما هو لك ، فانظر إلى قرب خروجه من يدك ، وبعد رجوعه إليك ، وطول حسابك عليه ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر . وقد ذم الله تعالى الفخور ، بقوله « والله لا يحب كل مختال فخور » وتفاخر حيان من قريش بنو عدنان وبنو سهم وتكاثروا بالسيادة والإشراف بالإسلام فقال كل حي منهم : نحن أكثر سيدياً ، وأعظم رجلاً ، وأكثر قائدأ ، فإن التكاثر التفاعل فيكون من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً فكثر بنو عبد مناف بنى سهم ، ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم بهم فنزل « أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » قاله الكلبي . وعن أبي بردة : أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار : في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداها : فيكم مثل فلان وفلان . وقال الآخرون مثل ذلك . تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبر ومثل فلان ، وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله تعالى « أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » ردع وزجر لهم وتنبه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد ، وفي ذلك دليل على أن الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الحصل المذمومة . والعرب لم يكن لهم في الجاهلية من يردعهم ويكفهم عن سفاسف الأمور وذم الأهل فيهم كانوا في زمان فترة من الرسل والأنبياء فلم يكن لهم وقوف على غايات الأمور

والمواقب المحموده وما يترتب عليه الثواب والعقاب من الفعل الحسن والقبیح ،
 وكان غالب مفاخراتهم بالشجاعة والكرم والوفاء ونحو ذلك ، وها أنا ذا كرم من
 مفاخراتهم ومنافراتهم لُعماء لاني لو تفصيت ذلك لأفئيت العمر دون الجزء الذي
 لا يتجزى منه قلة ، فأقول : نقل عن أبي عبيدة أنه قدم على النعمان بن المنذر
 وفود ربيعة ومضر ابني نزار ، فكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام
 ابن قيس والحوفزان بن شريك البكران . وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس
 ابن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل . ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن
 حابس فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وجباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم
 مجلساً يطعم فيه معهم ويشرب ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان فن بدى به
 على أثره فهو أفضل الوفد فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذي
 يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه
 وأنشأ يقول :

اسقى وفودك بما كنت ساقيتي وابدئ بكأس ابن ذى الجدة بن بسطام
 أغرّ بنميهِ من شيبان ذو أنف حامى النمارِ وعن أعراضها رام
 قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدا الملوك به أيام أيام
 فارضوا بما فعل النعمان في مضرٍ وفي ربيعة من تعظيم أقوام
 هم الجاحِمُ والأذنبُ غيرهُمُ فارضوا بذلك أوْبُوهُوا بإرغام
 فقال عامر بن الطفيل :

كان التابع في دهرٍ لهم سلف وابن المرارِ وأملك على الشام
 حتى انتهى الملك من لخمٍ إلى ملك بادى السنان لمن لم يرمه رام
 أنحنى علينا بأظفار فطوّفنا طوق الحمام ياتماس وإرغام
 إن يمكن الله في يومٍ يشاء به نتركك وحدك تدعور رَهْطَ بسطام
 فانظر إلى الصيد لم يحموك من مضر هل في ربيعة إن لم تدعنا حام

فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لعمري لئن صحت تميم وعامر
أروني كسمودٍ وقيس وخالد
فكانوا على افناء بكر بن وائل
وسرت على آثارهم غير تارك
لقد كنت قدماً في حلوقهم شجاً
وعمر وعبد الله ذى الباع والندى
ربيعاً إذا ما سال سائلهم جدا
وصيتهم حتى انتهت إلى المدى

« وروى عن ابن الكلبي » أنه قال : قال كسرى للنعمان بن المنذر يوما : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ، قال : نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكمال رابع فالبيت من قبيلته فيه وتنسب إليه . قال : فاطلب ذلك فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر وآل ذى الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فجمع الجميع ومن معهم من عشائهم وأقعد لهم الحكام والمدول وقال : ليتسكلم كل رجل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر أول متكلم ، وكان السِّن القوم ، فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والعرز الأعظم ، وماثر للصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ قال . ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعرز الذي لا يضام ؟ قيل له : صدقت . ثم قام شاعرهم فقال .

فزارة بيت العز والعرز فيهم
لها العزة القعساء والحسب الذي
فن ذاً إذا مد الأوكف إلى العلا
فهيأت قد أعيأ القرون التي مضت
وهل أحدث إن مد يوماً بكفه
فإن يصلحوا يصلح لذلك جميعنا
فزاره قيس حسب قيس نضالها
بناه لقيس في القديم رجالها
يمد بأخرى مثلنا فينالها
ماثر قيس مجدها وفعلها
إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرايته بالنعمان ، فقال : لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وقديم زحفها الأكبر ، وأنا

غياث اللزبات^(١) . فقالوا : لم يا أخا كندة ؟ قال . لأننا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه ، وتقلدنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بحبويه^(٢) الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال

إذا قست أبيات الرجال بيتنا وجدت له فضلاً على من يفاخر
فن قال . كلا أو أتاننا بخطبة ينافرنا يوماً فنحن نخاطر
تعالوا فعدوا يعلم الناس أيثنا له الفضل فيما أورثته الأكار

ثم قام بسطام بن قيس فقال . قد علمت العرب أنا بُناة بيتها الذي لا يزول ، ومغرس عزها الذي لا يحول . قالوا . ولم يا أخا شيبان ؟ قال . لأننا أدركهم للثأر ، وأضربهم للملك الجبار ، وأقولهم للحق ، وألدم للخصم . ثم قام شاعرهم فقال :

لعمري بسطام أحق بفضلها وأول بيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومها إذا جدَّ يوم الفخر كل مناصل
فيخبرك الأقوام عنها فإنها وقائع ليست نهزة للقبائل
ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة وأضربهم للكبش بين القبائل^(٣)
وقائع عز كلها رعيّة تذلل لهم فيها رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذ بها من شرها كل قائل
وأنا ملوك الناس في كل بلدة إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال . قد علمت العرب أنا فرع دعامتها ، وقادة زحفها . قالوا . ولم ذاك يا أخا بني تميم ؟ قال . لأننا أكثر الناس عديداً ، وأنجهم طراً وليداً ، وأعظامهم للجزيل ، وأحملهم للثقل . ثم قام شاعرهم فقال :

ولقد علمت أبناء خندف أننا لنا العزُّ قد مآ في الخطوب الأوائل
وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذي فعال ونائل

(١) لزبات بالتسكين جمع لزبة وهي الشدة . (٢) بحبوحة الشيء وسطه

(٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم .

فسائل أبيتَ اللعنَ عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل
ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفمهم في الكرمات
دعائم ، وأثبتهم في النائبات مقادم . قالوا : ولم ذلك يا أخا بني سعد ؟ قال : لأنا
أدر كهم للثأر ، وأمنهم للجار ، وأنا لا ننكل إذا حملنا ، ولا نرام إذا حملنا . ثم
قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيسٌ وخِنْدَفُ أننا وجل تميم والجوع التي ترى
بأننا عماد في الأمور وأننا لنا الشرف الضخم المركب في الندى
وأنا ليوث البأس في كل مأزق إذا جزّ بالبيض الجاحم والكلأ
وأنا إذا داعٍ دعانا لنجدة أجبنا سراعاً في العلأ من دعا
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصماً وقيساً إذا مد الألف إلى العلا ؟
فهيأت قد أعيأ الجميع فعاظمهم وقاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فقال كسرى حينئذ ايس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حواءهم ،
وأعظم صلاتهم « وافتخر » رجلاً من بني معاوية بن أبي سفيان أحدهما من بني
شيبان والآخر من بني عامر بن صعصعة . فقال العامري : أنا أعدل لك عشرة
من بني عامر ، فمد عليّ عشرة من بني شيبان . فقال الشيباني هات إذا شئت .
فقال العامري : خذ عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، والطفيل بن مالك قائد
هوازن ، وفارس قردل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء ، وربيعة بن مالك
فارس ذي علق ، وعامر بن الطفيل ، وعاقمة بن علانة وعتبة بن سنان ، ويزيد
ابن الصق وأربد بن قيس وهو أربد الحتوف . فقال الشيباني . خذ قيس بن
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وهاني بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر ، وقبيصة
ابن مسعود وافد المنذر ، ومفرق ابن عمرو^(١) حاضن الأيتام ، وسنان بن
مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب روس بني تميم ، وعمران
ابن مرة الذي أسرى يزيد بن الصق مرتين ، وعوف ابن النعمان : فقال معاوية :
(١) وسيأتي قريباً : مفروق بن عمران فانظر أيهما أصوب .

عامر أفخر هوازن ، وشيبان أفخر بكر بن وائل ، وقد كفاكما الله المؤنة . هذان رجلان من غير قومكما عندى يحكان بينكما . عدى بن حاتم . وشريك بن الأعور الحارثى . ثم قال معاوية للشيباني . من تعبأ لعامر بن مالك . قال أصم بن أبي ربيعة : الذى قتل من تميم مائة رجل على دم . فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قالوا : رجح الأصم على عامر بن مالك . قال معاوية : فمن تعبأ لعامر بن الطفيل قال الشيباني : الحوفزان بن شريك . فقال الحكمان : رجح الحوفزان . قال : فمن تعبأ لمعلقة بن علاثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس . فنظر معاوية إلى الحكمان فقالا : رجح بسطام بن قيس . قال معاوية : فمن تعبأ لعتبة بن سنان ؟ فقال الشيباني : معروق بن عمران بن مرة . فقالا له : رجح معروق . قال معاوية : فمن تعبأ للطفيل بن مالك ؟ قال الشيباني : عمران ابن مرة . فقالا رجح عمران بن مرة . قال فمن تعبأ لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني عوف بن النعمان . فقالا : رجح عوف بن النعمان . قال فمن تعبأ لعوف بن الأحوص ؟ قال قبيصة بن مسعود . فقالا : رجح قبيصة . قال فمن تعبأ لربيعة بن مالك ؟ قال : هانيء بن قبيصة . قال معاوية : فمن تعبأ ليزيد بن الصعق ، قال : سنان بن معروق . قال فمن تعبأ لأربد بن قيس ؟ قال الأسود بن شريك . فقال معاوية للشيباني : فأين نسيب قيس بن مسعود ؟ قال : أصلحك الله ليس من هذه الطبقة فإنهم قيس مجدأ وطولا فقال العامري في ذلك :

أعد إذا عدت أبراء	وكان علا على الأقوام فضلا
وكان الجعفري أبو علي	إذا ما هاجت الهيجا علا
ووالده الذى حدث عنه	طفيل خيرنا يقعا وكهلا
وكان معوذ الحكماء البارى	رياح الصيف أعلى القوم فعلا
وقد أورت زناد أبى لييد	ربيعة يوم ذى علق فأبلا
وعلقمة بن الأحوص كان كهفا	كلاييا رحيب الباع سهلا

وعتبه والأعصر يزید إني رأيتهما لكل الفخر أهلا
وعوفا ثم أرْبِدَ ذا المعالي كفى بهما عليك ندى وبذلا
أولئك من كلاب في ذُرَاهَا وخير قُرومها حَسْبًا ونُبْلًا
فقال الشيباني مجيباً له :

أعدّ إذا عددت أبا خفاف وعمران بن مُرَّة والأصم
وهانينا الذي حدثت عنه وكان قبضة الأنف الأشما
ومفروقاً وذا النجدات عوفاً وبسطاما ووالده الخضم
وأسود كان خيريني شريك ولم يكُ قرنه كبشاً أجماً
أولئك من عكابة خير بكر وأكرم من يليك أبا وأما
وأفضل من ينص إلى المعالي إذا ما حصلوا خلاً وعمّا
وأكثر قومهم بالشر طوقاً وأبعد قومهم في الخير همّا

فقال معاوية للحكّين : ما تقولان ؟ قال : شيبان أكرم الحيين . فقال معاوية :
وذاك قولي فأكرمهما وحبّاهما ، وفضل الشيباني على العامري .

ومن حديث زى الجبرين

أن الملك النعمان قال : لأعطينّ أفضل العرب مائةً من الإبل فلما أصبح
الناس اجتمعوا لذلك ولم يك ابن مسعود فيهم وأراده قومه على أن ينطلق فقال
لا لأن كان يريد بها غيري لا أشهد ذلك وإن كان يريدني بها لأعطينها . فلما رأى
النعمان اجتماع الناس قال : ليس صاحبها شاهداً . فلما كان من الغد ، قال له قومه :
انطلق فانطلق . فدفعها الملك إليه . فقال حاجب بن زرارة أبيت اللعن ما هو بأحق
بها مني . فقال قيس بن مسعود : أنا فره عن أكرمنا قعيدةً ، وأحسننا أدب ناقة
وأكرم لثيم قوم . فبحث معهما النعمان من ينظر في ذلك ، فلما انتهيا إلى بادية
حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه فقال حاجب : هذا الأثم قومي وهو

فلان بن فلان والرجل عند حوضه يورد إبله فأقبلوا إليه فقالا : يا عبد الله دعنا فلنستق فإننا قد هلكنا عطشا وأهلكنا ظهورنا فتجهم وأبى عليهم فلما أعيام قالوا للحاجب أسفر فسفر ، فقال : أنا حاجب بن زرارة فدعنا فلنشرب . قال : أنت ؟ فلا مرحبا بك ولا أهلا فأتوا بيته فقالوا لا مرأته هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله مارب المنزل شاهد أو ما عندنا من منزل وأرادوها على ذلك فأبت ثم أتوا رجلا من بكر بن وائل على ماء يورد فقال قيس : هذا والله الأم قومي فلما وقفوا عليه قالوا مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم وهم أن يضربهم . فقال له قيس ابن مسعود : ويلك أنا قيس بن مسعود فقال له : مرحبا وأهلا أورد . ثم أتوا بيته فوجدوا فيه امرأته قدرها تَفِطُ^(١) فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وتردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله منزل ؟ قالت : نعم أنزلوا في الرحب والسعة فلما نزلوا وطعموا وارتحلوا أخذوا ناقتيهما فأناخوها على قريتين للنمل ، فأما ناقة قيس بن مسعود فتصورت^(٢) وتقلبت ثم لم تَبْرْ^(٣) . وأما ناقة حاجب فكشفت وثبتت حتى إذا قالوا قد اطمأنت طففت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك فقال له قد كنت يا قيس ذا جد فأت اليوم ذو جدين ، فبذلك سمي ذا الجدين . وقيل : إنما سمي بذلك لأسيرين أسرها مرتين . وقيل بل سبق في سبقين هكذا جاءت الرواية . والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمي بذلك لأنه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم عَنَزِيَّين وكنم نفسه وعرفه عبد الله أنه لم يشتريه إلا عن معرفة فوهبه كل مالتى في طريقه من إبل أبيه بعبداها وكانت سودا وحمرا وصهبا ، وبلغ به إلى أبيه ، فأجاز له ذلك وأعطاه قبته بما فيها ، فلما أتى الحيرة قال بمض من رآه لصاحبه : أنه لذو جد . قال الآخر : بل هو ذو جدين فسمى بذلك .

(١) أى تصوت وذلك عند اشتداد غليانها . (٢) التصور : الصياح والتلوى عند الضرب أو الجوع . (٣) من ثار يشور .

مفاخرة يعن ومصر

قال الأبرش الكلبى لخالد بن صفوان : هلمّ أفاخرك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد : قل ، فقال الأبرش : لانا ربع البيت يريد الركن اليماني ، ومنا حاتم طيء ، ومنا المهلب ابن أبي صفرة . قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل ، وفيما الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل . قال الأبرش : لافاخرت مضريا بعدك . ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كلب ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم فقال هشام لخالد بن صفوان : أجب القوم فقال : أخوال أمير المؤمنين . قال : لا بد أن تقول قال : وما أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين خائف بُرد ، وسائس قرد ، ودانغ جلد ، دل عليهم هُدْهُدٌ ، وملكتهم امرأة ، وغرقتهم فارة ، فلم يثبت لهم بعدها قائمة .

مفاخرة الأوس والخزرج

تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب ، ومنا عاصم بن الأفلح الذى حمت لحمه الدبر^(١) ، ومنا ذو الشهادتين خزيمة بن ثابت ، ومنا الذى اهتز لموته العرش سعد بن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقرأه غيرهم زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب سيد القراء ، ومنا الذى أيدته الله بروح القدس فى شعره حسان بن ثابت .

المنافرات الشهيرة التى وقعت بين العرب فى الجاهلية

« منها منافرة عامر بن عقبة » كانت العرب فى الجاهلية إذا تنازع الرجلان منهم فى الشرف تنافرا إلى حكائهم وسندكهم إن شاء الله قريبا فيفضلون

(١) جماعة النحل والزنابير .

الأشرف . ونافر معناه حاكم في النسب وسميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند
 المفاخرة إنا أعز نفرأ . وقد ألف أبو عبيدة وغيره من الأئمة البارعين في اللغة
 كتباً في منافرات العرب ، وأشهر منافرة كانت في الجاهلية منافرة عامر بن
 الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص
 ابن جعفر حين قال له علقمة : الرئاسة لجدى الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك
 أبي براء من أجله ، وقد استسن عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك وإن شئت
 نافرتك . فقال له عامر : قد شئت والله لأنا أشرف منك حسباً ، وأثبت منك
 نسباً ، وأطول قصباً فقال . علقمة : أنا فرك وإني كبر وإني لك لفاجر ، وإني لولود
 وإني لك لعافر ، وإني لواف وإني لك لنادر . فقال : عامر : أنا فرك إني اسمي منك سمة ،
 وأطول قة ، وأحسن لمة ، وأجمد حمة ، وأبعد همة ، فقال علقمة : أنا جميل وأنت
 قبيح ، ولكن أنا فرك أنا أولى بالخيرات منك . فخرجت أم عامر فقالت : نافر
 أيكاً أولى بالخيرات . ففعلوا على أن جعلوا مائة من الإبل يعطيها الحكم الذي
 ينفر عليه صاحبه ، فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر وبني الأحوص ومعهما القباب
 والجزر والقدور وينحرون في كل منزل ويطعمون ، وخرج عامر ببني مالك وقال :
 إنها لمقارعة عن أحسابكم ، فاشخصوا بمثل ماشخصوا به . وقال لعمه أبي براء أعني
 فقال سبني ، فقال : كيف أسبك وأنت عمي . فقال : وأنا لأسب الأحوص وهو عمي
 ولم ينهض معه ، فجعلوا منافرتهم إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ثم إلى أبي جهل
 ابن هشام فلم يقولوا بينهما شيئاً ، ثم رجعا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري .
 فقال : نعم لأحكم بينكما فأعطيني موثقاً أطمئن به أن ترضيا بحكمي وتسلما لما
 قضيت بينكما ففعلوا فأقاما عنده أياماً ، ثم أرسل إلى عامر فأتاه سرأ فقال : قد كنت
 أحسب أن لك رأياً وأن فيك خيراً ، وما حبستك هذه المدة إلا لتتصرف عن
 صاحبك ، أنتافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بآبائه فما الذي أنت به خير منه ؟
 فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل عليّ علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح

بعدها أبداً هذه ناصيتي فاجزُزها واحتكم في مالي فإن كنت لا بد فاعلا فسوِّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى من آرائى . فانصرف عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سراً فقال له ما قال لعامر ، وقال له : أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء ، وأسمح سماحاً ، فما الذى أنت به خير منه ؟ فرد عليه علقمة مارد به عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامراً عليه فأرسل هرم إلى بنيه وبني أخيه وقال لهم : إني قاتل فيهم غداً مقالة فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينجحها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينجحها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة ، ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم . إنكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي وأنتمَا كركبتما البعير الأدرم الفحل تقعان الأرض وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لكيلا يجلب بذلك شراً بين الحيين ونحر الجزر وفرق على الناس ، وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر . فقال : يا هرم أى الرجلين كنت مفضلاً لو فعلت ؟ قال : لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلغت شعثات هجر . فقال عمر : نعم مستودع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع العشيرة أسرارهم . والحكاية طويلة قد اختصرناها . وقال فيه الأعشى :

حكمتوه قضي بينكم أبلج مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالى غبن الخاسر

هذا ما وجدناه في أول شرح المقامات الحبرية للشريشى . وقد شرحها بأكثر من هذا مرتين أو ثلاثاً الأصبهاني في الأغاني^(١) فقال : قال ابن الكلبي حدثني أبي وعيريز بن جعفر وجعفر بن كلاب الجعفري عن بشر بن عبد الله بن حبان ابن سلمى بن مالك بن جعفر عن أبيه عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين قالوا :

أول ما هاج النفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، وأم عامر كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر ، وأمها أم الظباء بنت معاوية فارس الهراز بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة ، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأم أبيه الطفيل أم البنين بنت ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أم علقمة ليل بنت أبي سفيان بن هلال بن النخع سبية وأم أبيه ماوية بنت عبد الله ابن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة ، وذكر أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يقول فبصر به عامر فقال لم أرَ كالיום عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كنانتها يعرض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم والله لفكرس أبي حيوة أذكر من أبيك ولفحل أبي غيَّهب أعظم ذكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فرساً جواداً نجاً عليه يوم بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وكان فحله فحلاً لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق قال هو الأشعر بن صرمة . قال الأثرم : وسمى صرمة غيَّهب لسواده . قال ابن الكلبي : فاستماره منهم يستطرقه فغلبهم عليه . فقال علقمة : أما فرسكم فعارة وأما فحلكم فندرة ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت . فقال عامر : والله لأنا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً . فقال علقمة : لأنا خير منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك . فقال عامر : أنا فرك على أني أنحرج منك للقياح ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح . فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاه وأنا خلفك وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل ولست كذلك ، ولكن أنا فرك أني خير منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأعز منك نفراً ، وأشرف منك ذكراً . فقال عامر : ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك

في العدد ، وبصرى ناقص وبصرى صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة ، وأطول منك قمة ، وأحسن منك لمة ، وأجعد منك حمة ، وأبعد منك همة . قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قصير ، وأنت جميل وأنا قبيح ، ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى . فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنى أنافرك أنى خير منك عقبا ، وأطعم منك جدبا . قال عاتمة : قد علمت أن لك عقبا فى العشيرة ، وقد أطعمت طيئا إذ سارت ، ولكنى أنافرك أنى خير منك ، وأدلى بالخيرات منك ، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم . قال : فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت : يا عامر نافرهم أيكما أولى بالخيرات . قال أبو المنذر : قال أبو مسكين قال عامر فى مراجعته والله لأنا أركبُ منك فى الحماة ، وأقل منك للسكاه ، وخير منك للمولى والمولاه . فقال له عاتمة : والله إنى كبرُ وإنك لفاجر ، وإنى لوفى وإنك لفادر ، ففيم تفاخرنى يا عامر ، فقال عامر : والله إنى لأنزلُ منك للفقرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعم منك للهيرة ^(١) ، وأطعم منك للثفيرة ، فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر . نكد النظر ، وثاب على جاراتك بالسحر . فقال بنو خالد بن جعفر وكانوا يداً مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامراً ولكن قل له أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكبر . قال له علقمة هذا القول . فقال عامر (غير وتيس وتيس وعنز) فذهبت مثلاً ، نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يبطاها الحكم أينما نفر عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ووضعوا بها رهناً من أبنائهم على يد رجل من بنى الوحيد ، فسمى الضمين إلى الساعة وهو الكفيل . قال : وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عامر بن مالك وهو أبو براء . فقال : يا عماء أعنى . فقال يا ابن أخى : سبنى . فقال لا أسبك وأنت عمى قال : فسب الأحوص . فقال عامر : ولا أسب والله الأحوص وهو عمى . فقال :

(١) القطعة من اللحم

دونك نعلی فانی قد ربعت فیها أربمین مرّباعاً^(١) فاستعن بها فی تفارك ، وجملا منافرتهما إلى أبی سفیان بن حرب بن أمیة فلم یقل بینهما شیئاً وكره ذلك لخالهما وحال عشیرتهما وقال : أنما كركبتی البعیر الأدرم . قال : فأینا الیمین فقال كلا كما یمین . وأبی أن یقضی بینهما فانطلقا إلى أبی جهل بن هشام فأبی أن یحكم بینهما فوثب مروان بن سراقه بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال :

یالَ قریشِ یینوا الكلاما إنا رَضینا منكم الأحكاما
فبینوا إن كنتم حُكّاماً كانَ أبونا لهم إماما
وعبد عمرو منع الفشاما فی يوم نخر مِعلاً إعلاماً^(٢)
ودعّلع أقدمه إقداما لولا الذی أجشمهم إجشاما
* لاتخذتْهم مَذْحِجٌ نعاما *

قال : فأبوا أن یقولوا بینهما شیئاً وقد كانت العرب تحاكم إلى قریش فأتیا عیینة بن حصن بن حذیفة فأبی أن یقول بینهما شیئاً ، فأتیا غیلان بن سلمی ابن معتب الثقفی فردهما إلى حرملة بن الأشعر الری فردهما إلى هرم بن قطبة ابن سنان بن عمرو النّفزاری فانطلقا حتی نزلا به . وقال بشر بن عبد الله بن حبان ابن سلم : إنهما ساقا الإبل معهما حتی أشتت وأربعت لا یأتیان أحداً إلا هاب أن یقضی بینهما فقال هرم : لعمری لأحكمن بینكما ثم لأفضلن ثم لست أثق إلى أحد منكما فأعطینی موثقاً أطمئن إلیه أن ترضیا بما أقول وتسامیا لما قضیت بینكما وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك الیوم من قابل فانصرفا حتی إذا بلغ الأجل خرجا إلیه ، فخرج علقمة بنی الأحوص فلم یتخلف منهم أحد معهم القباب والجزر والقذور وینحرون فی كل منزل ویطعمون ، وجمع عامر بنی مالك فقال : إنما تخاطرون عن أحسابكم فأجابوه وساروا معه ولم ینهض أبو براء معه وقال لعامر : والله لا تطلع ثنیة إلا وجدت الأحوص منیخاً بها وكره أبو براء ما كان من أمرهما . فقال عامر فیما

(١) ربع الغنیمة كان رئیس القوم یاخذه لنفسه فی الجاهلیة

(٢) الفشام : الجماعة من الناس

كان من منافرتيها ودعا عامر إياه أن يسير معه .
أَوْمَرُ أَنْ أَسْبَّ أَبَا شَرِيحٍ وَلَا وَاللَّهِ أَفْعَلُ مَا حَيْتُ
وَلَا أَهْدِي إِلَى هَرَمٍ لِقَاحًا فَيَحْيَا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ يَمِيتُ
أَكْلَفُ سَمَى لَقْمَانُ بْنُ عَادٍ فَيَا لِأَبِي شَرِيحٍ مَا لَقِيتُ
قَالَ : وَأَبُو شَرِيحٍ هُوَ الْأَحْوَصُ فَكُفِّرْهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَطْنَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ
عَبْدُ عَمْرٍو بْنُ شَرِيحٍ بْنُ الْأَحْوَصِ :

لَحَا اللَّهُ وَفَدِينَا وَمَا ارْتَحَلَا بِهِ مِنْ السُّوءِ الْبَاقِ عَلَيْهِمْ وَبَالِهَا
إِلَّا إِنَّمَا بَرَدَى صَفَاقٍ مَتِينَةٍ أَبِي الضَّمِيمِ أَعْلَاهَا وَأَثْبَتَ حَالَهَا
قَالَ : فَسَارَ عَامِرُ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى الْخَيْلِ مَجْنِبِي الْإِبِلِ وَعَلَيْهِمُ السِّلَاحُ . فَقَالَ
رَجُلٌ مِنْ غَنَى : يَا عَامِرُ مَا صَنَعْتَ أَخْرَجْتَ بَنِي مَالِكٍ تَنَافَرُوا بَنِي الْأَحْوَصِ وَمَعَهُمُ
الْقَبَابُ وَالْجُزُرُ وَلَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ تَطْعَمُهُ النَّاسُ مَا أَسْوَأُ مَا صَنَعْتَ ! فَقَالَ عَامِرُ لِرَجُلَيْنِ
مِنْ بَنِي عَمِّهِ : أَحْصِيَا كُلُّ شَيْءٍ مَعَ عُلُقْمَةٍ مِنْ قَبَةِ أَوْ قَدَرٍ أَوْ لَقْمَةٍ . ففَعَلَا ، فَقَالَ عَامِرُ :
يَا بَنِي مَالِكٍ إِنِّهَا الْقَارَعَةُ عَنْ أَحْسَا بِكُمْ فَاشْخَصُوا بِمِثْلِ مَا شَخَصُوا بِهِ ففَعَلُوا وَثَارَ مَعَ
عَامِرٍ لَبِيدُ بْنُ رَيْبَعَةَ وَالْأَعَشَى ، وَمَعَ عُلُقْمَةِ الْحَطِيطَةِ وَفَتَيَانِ مِنْ بَنِي الْأَحْوَصِ مِنْهُمْ
السَّنْدَرِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَرِيحٍ وَمَرْوَانُ بْنُ سَرَّاقَةَ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ وَهُمْ
يَرْتَجِزُونَ ، فَقَالَ لَبِيدُ :

يَا هَرَمُ وَأَنْتَ أَهْلُ عَدْلٍ إِنَّ نَفَرَ الْأَحْوَصِ يَوْمًا قَبْلِي
لِيَذْهَبَ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لَا يَجْمَعُنْ شَكْلَهُمْ وَشَكْلِي
وَنَسْلُ آبَائِهِمْ وَنَسْلِي

وَقَالَ أَيْضًا :

إِنِّي أَمْرٌ مِنَ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ عُلُقْمٌ قَدْ نَافَرْتُ غَيْرَ مَنْفَرٍ
نَافَرْتُ سَقْبًا مِنْ سَقَابِ الْعَرَعَرِ

فَقَالَ خُفَّافَةُ بْنُ عَوْفٍ بْنُ الْأَحْوَصِ :

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشَّعْرُ يَا لَبِيدُ وَاصْدَدُ قَقْدُ يَنْفَعُكَ الصَّدُودُ
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا سَوَّدَكُمْ مَطْرَفُ زَهِيدِ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِنِّي إِذَا أَكْنَيْتُ الْخَبَاءَ وَضَاعَ يَوْمَ الشَّهْدِ الْإِلَوهُ
أَنْمِي وَقَدْ خَقَّ لِي النَّمَاءُ إِلَى كَهُولٍ ذَكَرَهَا سَنَاءُ
إِذَا لَا يَزَالُ جِلْدُهُ كَوْمَاءُ مَبْقُورَةٌ لَسْقِبَهَا رِغَاءُ
لَمْ يَنْهِنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكَ سُورَةُ وِلَاءِ
الْمَجْدِ وَالسَّوْدِ وَالْعَطَاءِ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَنْتُمْ عَزَلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ فِي سِنَوَاتٍ مُضِرَّ الْهُوَالِكِ
يَا شَرَّ نَاحِيَا وَشَرَّ هَالِكِ

قَالَ : وَأَنْشَدَهَا السَّنْدَرِيُّ يَوْمَئِذٍ وَرَفَعَ صَوْتَهُ فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ :

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيُّ أَنَا الْفَتَى الْجَعْدُ الطَّوِيلُ الْجَعْفَرِيُّ
مَنْ وَلَدَ الْأَحْوَصَ أَخْوََالَ غَنَى

فَقَالَ عَامِرُ : أَجِبْ يَا لَبِيدُ فَرُغْتَ لَبِيدُ عَنْ إِجَابَتِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّنْدَرِيَّ كَانَتْ جَدَّتُهُ

أُمَّةً اسْمُهَا (عِيسَاءُ) فَقَالَ :

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأَجْبِيَةِ أَيْتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عِيسَاءَ ظَالِمًا
لَكِي لَا يَكُونُ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي وَاشْتَمَ أَعْمَامًا عَمُّومًا عَمَّا
وَأَنْشَرُ مِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أُبُوءَ كَرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى التَّمَائِ
لَمَبْتُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ وَلِيدًا وَسَمَوْنِي وَلِيدًا وَعَاصِمًا
أَلَا أَيْتَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكِ فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا تَمًا

قَالَ وَوُثِبَ الْحَطِيبَةُ فَقَالَ :

مَا يَحْبِسُ الْحُكَّامَ بِالْفَصْلِ بَعْدَمَا بَدَأَ سَابِقُ ذُو غُرَّةٍ وَحُجُولُ

وقال أيضاً :

يا عامُ قد كنتَ ذاباع ومكرمة لو أن مسماة من جاريتِه أُمُّ
جاريتِ قرماً أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرنيته شَمُّ
لا يصعب الأمر إلا ريثَ يركبه ولا يبيت لمعوبٍ له قسم
هابتُ بنو مالك مجداً ومكرمةً وغاية كان فيها الموت لو قدموا
وما أساءوا فراراً عن مجلحة لا كاهن يمتري فيها ولا حَكَمُ

قال : وأقام القوم عنده أياماً ، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة . فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رأياً وإن فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ قال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل عليّ علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً هذه ناصيتي فاجزّوها واحتكم في مالي فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه . ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر فأتاه فقال يا علقمة : والله إن كنت لأحسب فيك خيراً وإن لك رأياً وما حبستك هذه الأيام إلا لتصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلاً في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غناءً ، وأحمدهم لقاءً ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أنشدك الله والرحم أن لا تنفر عليّ عامراً أجزز ناصيتي واحتكم في مالي وإن كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً .. قال أبي : وسمعت أن هرماً قال لعامر حين دعاه يا عامر كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولم يا هرم ؟ قال : لأنه أنجل منك عيناً في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء ، قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم هو أكثر منك نائلاً في الثراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال . ولم يا هرم ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً ، وأمضى منك سناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال . نعم هو أقتل منك للكلمة ، وأفك

منك للعنة . قال : ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أبيه إلى قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة فإذا فمات فليطرد بمضكم عشر جزائر فلينجرها عن علقمة ويطرد بمضكم عشر جزائر ولينجرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا تكونوا لهم جماعة . وأصبح هرم فجلس مجلسه ، وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لبيد فقال :

يا هَرِمُ ابن الأكرمين منصبا إنك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوب رأي من تصوبا إن الذي يعلو عليها ترتبا^(١)
خيرنا عمّا وأمّا وأبا وعامر خيرها مركبا
وعامر أدنى لقيس نَسبا

فقام هرم فقال . يا بني جعفر قد تحاكمتا عندي وأنتما كركبتى البعير الأذرم تقمان إلى الأرض معاً وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم . وعهد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فتحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشراً وعن عامر عشراً وفرقوا الناس فلم يفضل هرم أحداً على صاحبه وكره أن يفعل وهما ابنا عم فيجلب بذلك عداوة ويوقع بين الحين شراً . قال . وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معدى كرب بما أعطاه طلب الجوار والخفرة من علقمة فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفّره عامر حتى أداه وماله إلى أهله . قال .

علقم ما أنت إلى عامر الناقص الأوتار والواتر^(٢)

(١) الترتب الدائم الثابت كذا في نسخة الأصل (٢) من أبيات أعشى بن قيس بن ثعلبة يمدح عامر بن المظفيل ويهجو علقمة بن علاثة وبعده :

ان تسد الحوص فلم تعدهم	وعامر سداد بنى عامر
عهدي بها في الحى قد درعت	صفراء مثل المهررة الضامر
قد حجم الثدى على نجرها	في مشرق ذي بهجة ناضر
لو استندت ميثا إلى نجرها	عاش ولم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما راوا	يا عجباً للميت الناشر

ثم أتمها بمد النفاذ فلما باغ علقمة ما قال الأعشى وأشاع في العرب أن هرما قد فضل عامراً ؛ توعده الأعشى فقال الأعشى : (لعمري لئن أُمسى من الحى شاخصاً) قال ابن الكلبي : حدثني أبي قال فعاش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسأله أى الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جذعة ، ولبلغت شعاف هجر . فقال : نِعَمْ مُسْتَوْدَعُ السر ومُسند الأمر إليه أنت يا هرم ، مثل هذا فليُسدر المشيرة . وقال : إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم . قال أبو الفرج الأصبهاني : وقد أدرك علقمة ابن علاثة الإسلام فأسلم ثم ارتد فيمن ارتد من العرب ، فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى بنى كلاب ليوقع بهم وعلقمة يومئذ رئيسهم هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه فقبل إسلامه وأمنه ، وهكذا ذكر المدائني . وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك والله تعالى أعلم .

منافرة بين فزارة وبنى هلال

إن بنى فزارة وبنى هلال تنافراً إلى أنس بن مدرك ، وتراضوا به فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة أكلتم أير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرفه . وكان سبب ذلك أن ثلاثة اصطحبوا فزاري وتغلبى وكلابي فصادفوا حمار وحش ، ومضى الفزاري في بعض حوائجه فطبخها وأكلا وخبأ للفزاري أير الحمار ، فلما رجع قال له قد خبأنا لك سهمك فكل ، وأقبل يأكل ولا يسيغه فجعلوا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام إليهما وقال : لتأكلان منه وإلا قتلتكما فامتعا فضرب أحدهما فقتله وتناول الآخر فأكل منه ولذلك روى بنو فزارة بأكل أير الحمار قال الكمي ابن ثعلبة .

نشدتك يا فزارُ وأنت شيخٌ إذا خيرت تخطىء في الحيار

أصيحانية أدمت رِسْمَن أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحَمَارِ
بلى أَيْرُ الْحَمَارِ وَخَصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةِ مَنْ فَزَارَ

قوله نشدتك أراد به نشدتك بالله أى ذكرتك به واستمعطفتك به لتخبرنى عما أسألك ويقال أيضاً نشدتك الله من باب نصر والخيار هو الاختيار . وقوله أصيحانية أدمت : أى أثمره صيحانية والصيحاني تمر معروف بالمدينة ويقال كان كبش اسمه صيحان بمهملتين شد بنخلة فنسبت إليه وقيل صيحانية : وأدمت : من الأدام يقال أدمت الخبز إذا أصلحت إساغته بالأدام وهو ما يؤتم به مأثماً كان أو جامداً . ولكون هذه الأبيات فيها خفاء أشرنا إلى تفسير مبهماتهما . . فقالت بنو فزارة منكم يا بنى هلال من سقى إبله فلما رويت سَلَحٌ^(١) فى الحوض ومدره بخلا ، يريدون به رجلاً من بنى هلال يضرب به المثل فى البخل فيقال (هو أبخل من مادر) . وبلغ من بخله أنه كان يسقى إبله فبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسלح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً ، فنفرهم أنس بن مدرك على الهلالين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ، وكانوا تراهنوا عليها ، وفى بنى هلال يقول الشاعر :

لقد جللت خزيًا هلالُ بنِ عامرِ بنى عامرٍ طرأ لسلحة مادر
فأف لكُم لا تذكروا الفخرَ بَمَدَّها بنى عامرٍ أنتم شرارُ العشائر

هذا ما أورده الجاحظ فى مساوى البخل من كتاب الحاسن والأضداد ، ونقله حمزة الأصبهانى والميدانى والزحشرى فى أمثالهم بعبارات مختلفة محصلها ما ذكرناه تعالى أعلم .

* * *

قصته الففقسى وضمرة وما جرى بينهما من المنافرة

قال أبو محمد الأعرابى فى (ضالة الأديب) : إنَّ ضمرة بن ضمرة بن جابر

(١) السلح ما يخرج من البطن

ابن قطن بن تهل كان جاراً لنوفل بن جابر بن شحنة بن حبيب بن مالك بن نصر وأم نوفل عاتكة بنت الأشتر بن حجوان بن قعس بن طريف بن عمرو ابن قعين ، وكان ضمرة كثير المقامرة فنجر نوفل جزوراً فدعا الحى فأكلوا فدعا ضمرة فقال يا معشر بني قعين هذا جاركم وأنا منه خلو . ثم إن ضمرة قام فقمير ماله كله ، وانتجعت^(١) أسد نحو أرض بني تميم وهم مقحمون مضغفون فأرسل ضمرة إلى من يليهم من بني تميم أن ميلوا عليهم فإنهم لأول من أتاهم ، فأتى بني نصر الخبر فانصرفوا وأتمروا بضمرة أن يأكلوه حين ينزلون فأمر نسوته سرا أن يتأخرن ويلحقن بظمن بني قعس وسار هو في سلف بني نصر وقد علم أنهم آكلوه إذا نزلوا ، فلما نزلوا ركض نحو بني قعس فقال أنا جاركم لكم فقالوا إنك لست بجار ولك أمان العائد الغادر ومنعوه من بني نصر ، وإذا ماله في بني نصر قد أحرزوه فلما جاء ظمن بني قعس إذا نسوته فيهن فعدل له بنو قعس خمسين شائلة^(٢) ونحروا الجزور ، وكان فيهم زماناً ثم لحق بقومه فذاقر معبد ابن نضلة بن الأشتر بن حجوان خالد بن وهب الصيداوى وجعهما وضمرة مجلس النعمان ، فأرسل ضمرة إلى خالد نافرته واجملنى الكفيل وهو بينى وبينك نصفين فإنه لا يخافنى ، واجعلهما مائة في مائة في خفرة النعمان وأجعل بينكما بها رهناً فإنه لا بد من أدائها إذا كنت أنا الكفيل . فلما راحوا إلى النعمان سب خالد معبداً ، فقال : أنسبى ولم تنافرنى قال : أنا فرك قال ما بد لك . قال خالد : إني أجعل الكفيل من شئت وإن شئت ولّى نعمتكم هذا . قال معبد : فإنى قد فعلت وأعتقد عليه بما أمره به ضمرة . ثم تغاديا على ضمرة ، فقال ضمرة : والله إن بني طريف لمن أكرم الناس وما رأينا قط أكرم من خالد فنفره على معبد في مجلسه فحبس قيس بن معبد عند النعمان رهينة بمائة من الإبل ، فقال معبد لبني جابر بن شحنة : اكفلونى

(١) أى طلبت الكلأ فى موضعه . (٢) الشائلة من الإبل ما أتى عليها من حماتها او وضعها سبعة أشهر فجفف لبنها

يا بني عمي فإني لم يشني غدر ضمرة ولا كذبه . قال بنو جابر : نرى بنى قعس مقربين بهذا . قال : نعم يرون أنها خيانة ولا تضرهم فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبد بنى قعس قال بنو وثار وبنو نوفل بن قعس : والله ما رضى بهذا أبداً ما بقى منا إنسان فنهضت بنو قعس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة فقال سبرة بن عمرو بن الحارث بن وثار بن قعس بن طريف :

إني إن أنكر وجهي سبره الرجل الأثم فيه الزعره^(١)
كالميسم الحامى عليه الغبره

إلى أن قال .

والله ما نعقل منها بكره أو يأمر النعمان فيها أمره
فأمرهم النعمان أن يتقاضوا إلى العزى صنم كان بنخلة فعندها قال سبرة .
أضمر بن ضمير أبلق الاست والقفا وهل مثلنا في مثلها لك غافر
أتنسى دفاعي عنك إذ أنت مُسلمٌ وقد سال من ذلّ عليك قراقِر^(٢)
ونسوتكم في الرّوع بادٍ وجوهها يُحكّن إماء والإماء حرائِر^(٣)
يسلخن بالليل الشوى بأذرع كأيدى السباع والرّوس حواسر
أعيرتنا ألبانها ولحومها وذلك عارٌ يا ابن ربيعة ظاهر^(٤)
وإنا لتغشانا حقوقٌ ولم تكن تقربنا المخزبات الأباير^(٥)
نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أئمانها ونقامر^(٥)
وتكسبها في غير غدر أكفنا إذا عقدت يوم الحِفاظ الدوائر

(١) الزعره : سوء الخلق (٢) المسلم : المخدول الذى لناصر له ، وقراقِر اسم واد (٣) الرّوع هنا الحرب ، وقوله يخلن إماء أى يحسبن إماء وكانت الحرة في ذلك الوقت تتشبه بالأمّة خوفاً على نفسها من السبى ، وقوله والإماء حرائر معناه أنكم تفرقتم حتى تركتم إماءكم فيما تركتم فصرن بمنزلة الحرائر (٤) عيره الأمر قال المجد ولا تقل عيره بكذا أى نسبه إلى العار والذم ، وظاهر أى زائل ، يريد عيرتنا البان الإبل ولحومها واقتناء الإبل مباح لامحظور فيه وعاره ذاهب (٥) نحابي من المحابة وهى العطاء ، والأكفاء جمع كفاء وهو النظير المماثل لك ، وقوله ونهينها أى للاضياف ومن يطلب القرى

وإنا لنقرى الضيف فى ليلة الشتاء عظيم الجفان فوقهن الحوائر
والحوائر جمع حوير وهو الشحم الأبيض وبعد هذا ثلاثة أبيات آخر .
ثم أورد لسيرة الفقهسى أشعاراً كثيرة يخاطب بها ضمرة ويهجوها بها فى
سياقه هذا نقص فإنه لم يذكر فيه وجه تعبيره بالإبل ولا إلى أى شىء تم حالها
والله أعلم .

منافرة جرير البجلي وخالد بن أوطاة الكلبي

قال ابن الأعرابى فى نوادره : كان جرير بن عبد الله البجلي تنافر هو وخالد بن
أوطاة الكلبي إلى الأقرع بن حابس ، وكان عالم العرب فى زمانه . والمنافرة المحاكمة
من النفر لأن العرب كانوا إذا تنازع رجلان منهم وادعى كل واحد أنه أعز من
صاحبه تحاكما إلى عالم فن فضل منها قدم نفره عليه ، أى فضل نفره على نفره . فقال
الأقرع : ما عندك باخلد ؟ فقال : نزل البراح ^(١) ، ونظمن بالراح ، ونحن فتیان
الصباح ، فقال : ما عندك يا جرير ؟ فقال : نحن أهل الذهب الأصفر ، والأحمر المعتصر ،
نخيف ولا نخاف ، ونظعم ولا نستظعم ، ونحن حى لقاح ، نطعم ما هبت الرياح ،
نضمن الدهر ، ونصوم الشهر ، ونحن الملوك القسر . فقال الأقرع : واللات والعزى ،
لو نافرت قيصر ملك الروم ، وكسرى عظيم الفرس ، والنعمان ملك العرب
لنفرت عليهم ، وروى لنصرت عليهم . فقال عمرو بن خثارم البجلي فى هذه المنافسة :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إني أنا أخوك فانظرن ما تصنع
إنك إن يضرع أخوك تصرعُ إني أنا الداعى زاراً فاسمعوا
فى باذخ من عز مجد يفرع به يضر قادر وينفع
وأدفع الضيم غداً وأمنع عزُّ الله شامخ لا يقمع
يتبمه الناس ولا يستتبع هل هو إلا أذنب وأكرع

(١) يأتى شرح هذه الكلمة وما بعدها فى الأصل .

وَزَمَعَ مُؤْتَشَبٌ مَجْمَعٌ وَحَسَبٌ وَغُلٌّ وَأَنْفٌ أَجْدَعُ

وقوله : يا أقرع بن حابس هو من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه . والصرع : الهلاك . ونزار : هو أبو قبيلة وهو نزار بن معد بن عدنان . والباذخ : العالى يقال جبل باذخ بمجمتين . والمجد : العظمة والشرف . ويفرع : أى يعلو كل عز ومجد ، يقال فرعت قومي ، أى علوتهم بالشرف ونحوه وهو بالفاء ومهملتين ، والألد : الأشد ولده يلدّه غلبه في الخصومة والشامخ : المرتفع ، ويقمع : أى يقهر ويذل يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع ، وقوله هل هو الضمير لخالد بن أوطاة الكلبي . والأكرع جمع كراع بالضم وهو مستدق الساق أستعاره لأسفل الناس كالذنب . والزمع بفتح الزاى والميم هو رذال الناس ، يقال هو من زمع الناس ، أى من مؤخرهم . والمؤتَشَب يفتح الشين قال في الصحاح . فلان مؤتَشَب أى مخلوط غير صريح في نسبه ، والوغل بفتح الواو وسكون المعجمة . قال في الصحاح : والوغل النذل من الرجال . وأجدع بالجيم والدال المهملة مقطوع الأنف . وقوله نزل البراح بفتح الموحدة والحاء المهملة المكان الذى لاسترة فيه من شجرة وغيره وهو منزل الكرماء . وقوله : والأحمر المتصر هو الخمر . وقوله حتى لقاح بفتح اللام بعدها قاف . قال في الصحاح : يقال حتى لقاح للذين لا يدينون للملوك أو لم يُصِبهُم في الجاهلية سباً . وجريز بن عبد الله البجلي صحابي وكان جليلاً .

قال عمر هو يوسف هذه الأمة وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية ثم سكن جريز الكوفة وأرسله على رسولاً إلى معاوية ثم اعتزل الفريين وسكن قريساء حتى مات سنة إحدى وقيل أربع وخمسين . وفي الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه إلى ذى أُلُحْلُصَة فهدهما وفيه قال ما حجبتني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم ، كذا في الإصابة لابن حجر . وخالد بن أوطاة الكلبي جاهلي . وسيأتي ذكر ابن حابس

في الكلام على الحكم . وأما عمرو بن خثارم البجلي فهو جاهلي والله أعلم هذا على وجه الاختصار . وأما على وجه البسط فهو ما أورده أبو محمد الأعرابي في (فرحة الأديب) قال : أُملي علينا أبو الندى قال : كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد بن أوطاة بن خشين بن شيث الكلبي . أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بجيلة يقال له مالك بن عتبة من بني عادية بن عامر بن قداد فوافوا به عكاظ فر العادي بآبن عم له يقال له القاسم بن عقيل ابن أبي عمرو بن كعب بن عريج بن الحويرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قداد يأكل تمرأ فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرم به فغذبه الكلبي . فقال له القاسم إنه رجل من عشيرتي فقال لو كانت له عشيرة منعتني فأنطلق القاسم إلى بني عمه بني زيد بن الغوث فاستتبهم . فقالوا نحن منقطعون في العرب وليست لنا جماعة نقوى بها . فأنطلق إلى آخر فاستتبهم فقالوا كلما طارت وبرة من بني زيد في أيدي العرب أردنا أن نتبعها . فأنطلق عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلي فكلمه فكان القاسم يقول إن أول يوم أريت فيه الثياب المصبغة والقباب الحمر اليوم الذي جئت فيه جريراً في قسر . وكان سيد بني مالك بن سعد بن زيد بن قسر وهم بنو أبيه فدعاهم في انتراع العادي من كلب فتبعوه . فخرج يمشي بهم حتى هم على منازل كلب بعكاظ فانتزع منهم مالك بن عتبة العادي وقامت كلب دونه . فقال جرير زعمتم أن قومه لا يمنعونه فقالت كلب إن رجالنا خلوف . فقال جرير لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً . فقالوا كأنك تستطيل على قضاة إن شئت قايسناكم المجد وزعيم قضاة يومئذ خالد بن أوطاة بن خشين بن شيث قال ميعادنا من قابل سوق عكاظ فجمعت كلب وجمعت قسر ووافوا عكاظ من قابل . وصاحب أمر كلب خالد بن أوطاة فحكموا الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع حكمه جميع الحيين ووضعوا الرهون على يدي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في أشراف من قريش . وكان في الرهن من قشر الأصرم بن عوف بن عوف

ابن مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يشكر بن علي بن مالك بن صعصعة بن
نذير بن قسر ومن أحر حازم بن أبي حازم وصخر بن العلية . ومن بني زيد بن
الغوث بن أمار وجل ثم قام خالد بن أوطاة فقال لجريز ما تجعل قال الخطر في يدك
قال ألف ناقة حمراء في ألف ناقة حمراء . فقال جريز ألف قينة عذراء في ألف
قينة عذراء . وإن شئت فألف أوقية صفراء لألف أوقية صفراء . قال من لي
بالوفاء ؟ قال كفيلك اللات والمزى وإساف ونائلة ويعوق وذو الخلصة ونسر .
فمن عليك بالوفاء قال ودومناة وقلس ورضا . قال جريز لك بالوفاء سبعون غلاماً
مُعَمَّماً مَخُولاً يوضعون على أيدي الأكفاء من أهل الله . فوضعوا الرهن من بجيلة
ومن كلب على أيدي من سمي من قريش . وحكموا الأقرع بن حابس وكان عالم
العرب في زمانه . فقال الأقرع ما عندك يا خالد ؟ فقال نزل البراح . ونظمن
بالرماح . ونحن فتيان الصباح . فقال الأقرع ما عندك يا جريز ؟ قال نحن أهل الذهب
الأصفر . والأحر المعتصر . نخيف ولا نخاف . ونظم ولا نستظم . ونحن
حي لِقَاح . نُظْم ما هبت الرياح ، نطمع الشهر . ونضمن الدهر . ونحن الملوك لقسر .
فقال الأقرع واللات والمزى لو فاجرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس
والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم وأقبل نعيم بن حجة النمرى . وقد كانت قسر
ولدت بفرس إلى جريز فركبه جريز من قبل وحشيته^(١) فقيل لم يحسن أن يركب
الفرس ، فقال جريز الخليل ميامن وإنا لا نركب إلا من وجوهها . وقد كان نادى
عمرو بن خثارم أحد بني جشم بن عامر بن قداد فقال :

لا يغلب اليوم فتى إلا كما يا ابني نزارٍ انصُرَا أخاك
إن أبي وجدته أبا كما ولم أجد لي نسباً سوا كما
غيثٌ ربيع سبط ندا كما حتى يحلّ الناسُ في مرا كما
أنتم سرور عين من رآ كما قد ملئتُ فارتى سوا كما

قد فاز يومَ الفخر من دعاكم ولا يمدّ أحدُ حصاكما
وإن بنوا لم يُدرِكوا بناكم مجداً بناه لكما أباكما
ذاك ومن ينصره مثلاكما يوماً إذا ما سمرت ناراكما
وقال أيضاً

يا لنزار قد نمت في الأخشب دعوة داع دعوة الثوب^(١)
يا لنزار ثم فاسمى واركي يا لنزار ليس عنكم مذهي
إن أباكم هو جدى وأبى لم ينصر المولى إذا لم تنفضي
يا لنزار إننى لم أكذب أحسابكم أخطرتها وحسبي
ومن تكونوا عزه لا يغلب ينمى إلى عز هجان مضعب
كأنه في البرج عند الكوكب

وقال أيضاً

يا أقرع بن حابس يا أقرع إني أخوك فانظرون ما تصنع
إنك إن يصرع أخوك تصرع إني أنا الداعي نزار فاسمعوا
لى باذخ من عزه ومفزع به يضر قادر وينفع
وأدفع الضيم غداً وأمنع عز الدّ شامخ لا يقمع
يتبعه الناس ولا يستتبع هل هو إلا ذنب وأكرع
وزممع مؤلّش مجع وحسب وغلّ وأنف أجدع
وقال أيضاً

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع
إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا فى باذخ من عزه ومفزع
قم قائماً ثمت قل فى المجمع للمرء أرطاة أيا ابن الأفع
ها إن ذا يوم علا وجمع ومنظر لمن رأى ومسمع

(١) الأخشب : اسم جبل

فنفره الأقرع بمضر وربيعة ولولاء نفر الكلبي ، وكانت القرابة بين بجيلة وولد نزار .
 أن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب
 بن يعرب بن قحطان خرج حاجا فتزوج سلامة بنت أنمار بن نزار . وأقام معها في الدار
 بغور تهامة فأولدها أنمار بن أراش ورجالا فلما توفي أراش وقع بين أنمار بن أراش
 وإخوته اختلاف في القسمة فتنحى عن أخويه ، وأقام أخويه في الدار مع أخوالهم ،
 وتزوج أنمار بن أراش بهند بنت مالك بن غافق بن الشاهد فولدت أقتل وهو خثعم .
 ثم توفيت فتزوج ببجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة فولدت له عبقر ، فسمته باسم
 جدّها وهو سعد ولقب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر وولدت أيضاً الغوث
 ووادة وصهبية وحزيمة وأشهل وشهلاء وسنية وطريقاً وفهماً وخدعة والحارث ، انتهى
 ما أورده أبو محمد الأعرابي والله أعلم .

منافرة القعقاع بن زرارة بن مالك

إن القعقاع بن زرارة بن عدس ، وخالد بن مالك بن ربي بن سلم بن جندل
 ابن نهشل تنافرا إلى أكرم بن صيفي أيهما أكرم وجعلا بينهما مائة من الإبل لمن
 كان أكرمهما . فقال أكرم : سفيهان يريدان الشر وطلب إليهما أن يرجعا عما
 جاءه فأيما فبعث معهما رجلا إلى ربيعة بن خندار . وحبس إبلهما التي تنافرا
 عليها مائة ومائة . وقال : انطلقا مع رسولي هذا فإنه (قتل أرضاً عالمها)^(١) وقتلت
 أرض جاهلها) فأرسلها مثلاً . فلما قدما على ربيعة وأخبراه بما جاء له قال ربيعة
 للقعقاع : ما عندك يا قعقاع ؟ قال : أنا ابن معبد بن زرارة وأمي معاذة بنت ضرار
 رأس من أعمام عشرة ومن أخوالي عشرة وهذه قوس عمي رهنها عن العرب
 وجدى زرارة أجار ثلاثة أملاك بعضهم من بعض قال : وفي ذلك يقول الفرزدق :

(١) أصل القتل التذليل ومنه قتل الخمر وهو مزجها بالماء والمراد بالمثل
 أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذل الأرض وبطلها بعلمه فلم يضل ولم
 يهلك ، يضرب في مدح العلم وقتلت أرض جاهلها في مقابلة قتل أرضاً عالمها
 يضرب لمن يبشر أمراً لا علم له به .

منا الذى جمع الملوك وبينهم حرب يشب سعيها بضرام
ثم قال ربيعة لخالد بن مالك : ما عندك يا خالد ؟ قال أنا ابن مالك . قال :
لم تصنع شيئاً . ثم ابن من ؟ قال : ابن ربى . قال : لم تصنع شيئاً . ثم ابن من ؟
قال : ابن سلم . قال الآن . فمن أمك ؟ قال : قردة . قال ابنة من ؟ قال : ابنة
مندوس . قال ربيعة للقعقاع : قد نفرتك يا ابن الضبية . فقال خالد . أتجعل ابن
معهدي بن زرارة كمثل ابن سلم بن جندل فقال ربيعة : (ما جعل العبد كربة)
فأرسلها مثلاً .

منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس

كان هاشم بن عبد مناف أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تولى
أمر مكة بعد أبيه وساد قومه بما كان عليه من محاسن الأخلاق ، وجليل الشيم ،
وكمال الشجاعة ، ووافر الكرم ، وغاية الفصاحة ، وغير ذلك من الصفات الفاضلة
التي لم يطاوله بها أحد . وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن
ورحلة الصيف إلى الشام وهو الذى كان يقوم بأمر الناس فى السنين المصحبة ويطعمهم
أحسن الطعام ، ولذلك لهجت السنة العرب على اختلافهم فى القبائل بالثناء
عليه ، فعند ذلك حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن عبد مناف حيث عجز عن
محاكاته فى صنيعه ومباراته فى شيمه حتى شتم به أناس كثيرون من قريش . فقال فيه
وهب بن عبد قصى :

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأعيان أن يقوم به بريض
أتاهم بالغرأر مشقات من الشام بالبر البغيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب اللحم باللحم الغريض^(١)

ونشبت العداوة بين أمية وهاشم وأراد منافرة فكره هاشم ذلك لنفسه

(١) الغريض : الطرى .

وقدره . فلم تدعه قريش حتى نافره إلى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحديق ينجرها بيطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والنعيم الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر . فنفر الخزاعي هاشمًا وقال لأمية : تنافر رجلا هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأحسن منك وسامة ، وأقل منك لامة ، ، وأكثر منك ولدًا ، وأجزل منك صفرًا ؟ فقال أمية : من انتكاث الزمان أن جعلناك حكام . فأخذ هاشم الإبل فنجرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين . فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وسيأتى لهاشم ذكر في مبحث حكام العرب ، وما قاله عند تنافر قريش وخزاعة عنده إن شاء الله تعالى .

مظام العرب في الجاهلية

الحاكم منفذ الحكم كالحكم بحركة جمعه حكام . وحكام العرب علماءهم الذين كانوا يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل والمجد وعلو الحسب والنسب وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم وكان لكل قبيلة من قبائلهم حكم يتحاكمون إليه وهم كثيرون لا يسمهم الحصر ونحن نذكر منهم من وجدناه فيما عندنا من كتب الأدب ، منهم :

أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي بْنِ رَبِيعٍ^(١)

كان أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ حَكَمًا مِنْ حُكَّامِ تَمِيمٍ فَصِيحًا عَالِمًا بِالْأَنْسَابِ ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ بَعَثَ أَكْثَمُ ابْنَهُ حُبَيْشًا فَأَتَاهُ بِخَبْرِهِ فَجَمَعَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَالَ . يَا بَنِي تَمِيمٍ لَا تَحْضُرُونِي سَفِيهًا فَإِنَّهُ

(١) أقول ومن الحكام أيضا عيينة بن حصن بن خديفة وحرملة بن الأشعر المري وهرم ابن قطبة بن سنان بن عمرو الغزالي وبشر بن عبد الله بن جبان وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبو جهل بن هشام وأنس بن مدرك .

من يَسْمَعُ يَحَلِّ (١) إن السفية يوهن من فوقه ويثبت من دونه ، لا خير فيمن لا عقل له ، كبرت سني ودخلتني ذلة ، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقيم ، إن ابني شافه هذا الرجل مشافهةً وأتاني بخبره وكتابيه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران . وقد حلف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأب الرأي ترك ما ينهى عنه . إن أحق الناس بمعونة (محمد) ومساعدته على أمره أنتم ، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس ، وإن يكن باطلا كنتم أحق الناس بالكف عنه والستر عليه ، وقد كان أسقف نجران (٢) يحدث بصفته ، وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبله ، وسمى ابنه محمداً فكونوا في أمره أو لا ولا تكونوا آخراً . اثبتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين ، إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً أطيعوني واتبعوا أمرى أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً وأصبحتم أعزّ حتى في العرب ، وأكثرهم عدداً ، وأوسعهم داراً ، فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل ، ولا يلزمه ذليل إلا عزّ ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً وهذا أمر له ما بعده ، من سبق إليه غمر المعالي واقتدى به التالى والعزيمة حزم والاختلاف عجز . فقال مالك بن نويرة : قد خرف شيخكم . فقال أكنتم ويل للشجى من الخلى (٣) ، ولحقى على أمر لم أشهده ولم يسبقنى فذهب مثلاً .

(١) المعنى أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، وقيل من يسمع أخبار الناس ومعاييرهم يقع في نفسه عليهم المكروه أى أن المجانبية للناس اسلم ، ومفعولاً يخل محذوفان أى يخل مسموعه صادقاً على ما في كتب النحو ، قال الكميّ :

فان تصغ تكفاء العداة اناءنا وتسمع بنا اقوال اعدائنا يخل

(٢) هو قس بن ساعدة أحد بل أوحد حكماء العرب وبلغائهم — راجع الجزء الثانى من هذا الكتاب — (٣) يضرب مثلاً لسوء مشاركة الرجل صاحبه ، يقول أن الخلى لا يساعد الشجى على ما به ويلومه ، والخلى الخالى من الهم ويأوه مشددة وياء الشجى مخففة وقد تشدد ، وقيل أن أول من قاله لقمان وقصته في صغراهن شراهن وقيل بل أن أول من تكلم به أكثم بن صيفى لما اتاد ابنه من عند رسول الله (ص) بكتاب فدعى قومه وحرضهم على الاسلام

قال المدائني : أول من قال ذلك أكرم بن صيفي التميمي ومن كلامه : مقتل الرجل بين فكيه . والمقتل القتل وموضع القتل أيضاً . ويجوز أن يحمل اللسان قتلاً مبالغة في وصفه بالإفضاء إليه ، كما قال الشاعر : (فإنما هي إقبال وإدبار) ويجوز أن يحمل موضع القتل أى في سببه يحصل القتل . ويجوز أن يكون بمعنى القاتل فالمصدر ينوب عن الفاعل كأنه قيل قاتل الرجل بين فكيه . قال المفضل : أول من قال ذلك أكرم بن صيفي في وصيته لبنيه وكان جمعهم فقال : تباروا فإن البر يبقى عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لي صديقاً . الصديق منجاة . لا ينفع التوقي مما هو واقع . وفي طلب المعالي يكون العناء . الاقتصاد في السعى أبقى للحمام . من يأس على فاته ودع بدنه . ومن قنع^(١) بما هو فيه قرت عينه . التقدم قبل التندم . أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند ذنبه . لم يهلك من مالك ما وعظك . ويل لعالم أمر ومن جاهله . يتشابه الأمر إذا أقبل . وإذا أدبر عرفه الكيس والأحق . البطر عند الرخاء حق . والعجز عند البلاء أفن . أى نقص . لا تغضبوا من اليسير فإنه يجنى الكثير . لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يضحك منه . تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يتعمق عمده . أزموا النساء المهانة . نعم لهو الحرة المغزل . حيلة من لا حيلة له الصبر ، إن تعيش تر ما لم تره .

فقال مالك بن نويرة قد خرف شيخكم انه ليدعوكم الى الفناء ويعرضكم على البلاء ان تجيبوه تفرق جماعتكم وتظهر اضعافكم ويدل عزيزكم فمهلاً مهلاً فقال اكثم بن صيفي : ويل للشجي من الخطي فيالهف نفسي على امر لم ادركه ولم يفتني ما آسى عليك بل على العامة يمالك أنك هالك وان الحق اذا قام دفع الباطل وصرعه صرعى قياماً فتبعه مائة من عمرو وحنظلة وخرج الى النبي (ص) فلما كان في بعض الطريق عمده حبيش الى رواحلهم فنحسرها وشق ما كان معهم من قربة وهرب فأجهد اكثم العطش فمات واوصى من معه باتباع النبي (ص) واشهدهم انه اسلم فانزل الله فيه : ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .

(١) قنع بالكسر قنوعاً وقناعة اذا رضى واما قنع بالفتح فمعهناه سأل وما احسن ما قال بعضهم :

العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما شيء يشين سوى الطمع

المكثّر لحاطبٍ ليل . من أكثر أسقط . لا تجعلوا سرّاً إلى أمة . فهذه تسعة وعشرون مثلاً كماها من كلام أكنم . وقد أحسن من قال في معنى قوله (مقتل الرجل بين فكّيه) : رحم الله امرأ أطلق ما بين كفّيه ، وأمسك ما بين فكّيه . والله درّ أبي الفتح البستي حيث يقول في معنى هذا المثل أيضاً :

تكلّم وسدّ ما استطعت فإنما كلامك حيّ والسكوت جماد
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي فقال :

إذا كنت ذا علم وما راك^(١) جاهل فأعرض في ترك الجواب جواب
وإن لم تصب في القول فاسكت فإنما سكوتك عن غير الصواب صواب

وضمن الشيخ أبو مهمل النيلي شرائط الكلام في قوله حيث يقول :

أوصيك في نظم الكلام بخمسة إن كنت للموصى الشفيق مطيعاً
لا تغفلن سبب الكلام ووقته والكيف والكم المكان جيماً
وقد ذكرت نبذة من كلام أكنم مع كسرى وما خطب به فيما سبق ، وسيأتي إن شاء الله في الخطب شيء منه . ومنهم :

حاجب بن زرارة بن عرس التميمي

كان حاجب أيضاً من حكام تميم ، وله معرفة تامة بأخبار العرب وأحوالها وأنسابها وكان من مشاهير فصحاء زمانه وبلغائهم ، ومن المعروفين بالوفاء بين العرب . وفد على كسرى لما منع تيمناً من ريف العراق فاستأذن عليه فأوصل إليه فقال : أسيد العرب أنت ؟ قال : لا . قال : فسيد مضر ؟ قال : لا . قال : فسيد بني أبيك أنت ؟ قال : لا . ثم أذن له فلما دخل عليه قال له : من أنت ؟ قال : سيد العرب . قال : أليس قد أوصلت إليك أسيد العرب . فقلت : لا . حتى

(١) أي جاد لك وخاصمك .

اقتصرت بك على بنى أبيك . فقلت : لا . قال له : أيها الملك ألم أكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب . قال كسرى : آه املاؤا فاه دُرًّا . ثم قال : إنكم معشر العرب غُدُر فإن أُذِنْتُ لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وأذيتموني . قال حاجب فإني ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنت ؟ قال : أرهناك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا : لهذه العصافى . قال كسرى : ما كان ليسلمها لشيء أبداً فقبضها منه وأذن لهم أن يدخلوا الريف . ثم إن مضر أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله هلك قومك ، وأكلتهم الضبع يريدون الجوع . والعرب يسمون السنة الضبع والذئب . قال جرير (من ساقى السنة الشهباء والذئب)^(١) وقال آخر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفرٍ فإن قومي لم يأكلهم الضبع^(٢)

فدعا لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأحيوا . وقد كان دعا عليهم فقال : « اللهم اشدّد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . ومات حاجب بن زرارة فارتحل عطارذ بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال له : ما أنت الذى رهنتها . قال : أجل ، قال : فما فعل ؟ قال : هلك وهو أبى وقد وفى له قومه ووفى هو للملك فردها عليه وكساه خلة . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عطارذ بن حاجب وهو رئيس تميم وأسلم على يديه أهداها للنبي

(١) قبله : (ياوى اليك فلا من ولا جحد) والبيت من قصيدة له يمدح بها أيوب بن سليمان ابن عبد الملك ومعناه ياوى اليك أهل الحاجة الذين ساقتهم السنة الشهباء وهى التى لاخضرة فيها أولا مطر والذئب أى الجوع .
(٢) نسبته الزمخشري فى المفضل الى أبى ذؤيب الهذلى ونسبه غير واحد الى العباس بن مرداس من أبيات يخاطب بها خفاف بن ندبة السلمى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، والنفر فى أصل معناه اسم للمادون العشرة والمراد هنا القوم والجماعة والضبع السنة المجذبة : قيل ان ذلك اسم لها وقيل بل اطلاقه عليها على سبيل التشبيه كانه شبه نقص السنة المجذبة لمن تأتى عليه باكل الضبع وهذا البيت من شواهد النحو والشاهد فى اما أنت حيث حذف فيه كان بعد ان المصدرية .

صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم . وهذه رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد . وقال الإمام المزوقي : وقد روى القصة بأبسط مما ذكر . كان السبب في ذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان دعا على مضر وقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنيناً كسنى يوسف » فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بنى فزارة وقال : إني أزمعت^(١) على أنى آتى الملك يعنى كسرى فأطلب أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يحبوا . فقالوا : رشدت فافعل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل . فقال : ما منهم وجه إلا ولى عنده يذ إلا ابن الطويلة التميمي وسأداويه . ثم ارتحل فلم يزل ينتقل في الاتحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلاً فلما أضاء الفجر دعا بنطع^(٢) ثم أمر فصب عليه التمر ، ثم نادى حى على الغداء فنظر ابن الطويلة . فإذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيبوه . وأهدى إليه جزراً ، ثم ارتحل فلما بلغ كسرى شكاً إليه الجهد في أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده . فقال : أنتم معشر العرب غدر فإذا أذنت لهم عاثوا^(٣) في الرعية وأغاروا . قال حاجب : إني ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنت . قال : أرهناك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله ، فقال الملك ، ما كان ليسألها اقتبضوها منه . ثم جاءت مضر إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطارده ابن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالذى وضعتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفى للملك . قال ردوا عليه وكسائه حلة . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم فصار ذلك نخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته . وإلى هذه القوس أشار أبو تمام بمدح بها أبا دلف المجل :

(١) يقال أزمعت الأمر وعليه أى أجمعت أو ثبت عليه كزمعت بالتشديد

(٢) هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعب : بساط من الأديم

(٣) أى أفسدوا

على مثلها من أرْبَعٍ وملاعِبٍ . تذال مصونات الدموع السواكِبُ (١)
أقول لقرحان من البين لم يجد رسيس الهوى بين الحشا والترائب (٢)
أعنى أفرّق شمل دمعى فأنى أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب
إلى أن قال

إذا العيسُ لاقت أبى دُلفٍ فقد تقطع ما بينى وبين النوايب (٣)
هنالك تلقى الجود حيث تقطعت تمامه والمجد مرخى الدوايب (٤)
تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يعوّذها بنعمة طالب (٥)
يرى أقبح الأشياء أوبةً آملٍ كسته يد المأمول حلة خائب (٦)
وأحسن من نورٍ يفتّحه الندى بياض العطايا في سواد المطالب (٧)
إذا ألحت يوماً لحيم وحولها بنوالحسن نجل المحصنات النجائب (٨)
فإن النايا والصوارم والقنا أقاربهم في الرّوع دون الأقارب
ججافل لا يتركن ذا جبرية سليماً ولا يحزن من لا يحارب (٩)
يمدون من أيدي عواصٍ عواصمٍ تصول بأسيافٍ قواصٍ قواضبٍ (١٠)

(١) الرابع : المنازل ، وتذال . تحتقر وتهان ، ويروى تذييل واهينت أيضا
(٢) قرحان : سالم ، والبين الفراق ، والرسيس : الثابت ، والترائب عظام
الصدر (٣) العيس : الأبل البيض بشقرة ، والنوايب : المصائب (٤) التمايم :
خزرات رقط تعلق في عنق الصبى لدفع العين والمفرد تميمة ، وفي الحديث
من علق تميمة فلا اثم الله له ، والجود : الكرم ، والدوايب : النواصي وهي
قصاصات الشعر (٥) هذا البيت انتقد به على أبى تمام حتى قال بعضهم
ومأثاله ينسبها الى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى هلافك أسارها وعجل
خلاصها ولم ينتظر بها نعمة الطالب ففعل كما قال المتنبي :

وعطاء مال لو عداا طالب انفقته في أن تلاقى طلبا

(٦) الاوبة : الرجعة ، والحلة ثوبان : وهنا استعارة . (٧) النور : زهر
النبت ، والصبا الريح الشرقية ، وهذا البيت من احسن الشواهد على
المقابلة (٨) من صناعة البديع ، وهو مأخوذ من قول الاخطل :

راينا بياضا في سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

(٨) النجل النسل وبطلق على الولد ، والمحصنات : الحرائر العفيفات .
(٩) الججافل : الجيوش وذا جبرية أى متجبرة ، ويحزن : يسلم .
(١٠) عواصم : موانع ، وقواض قاضيات : وقواضب : قواطع ، وهذا
البيت يستشهد به في البديع على الجناس الناقص المطرف

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها نحراراً على ما وطدت من مناقب^(١)
فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم : عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
يقول إذا افتخرت تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين أ كسبهم هذا المجد بما
ارتبهوه وهدمتم عزهم . وإنما يعنى وقعة ذى قار حين قتلت بنو شيبان المعجم
ونكثوا فيهم . وكان رئيسهم سيار بن حنظلة العجلي ، وأبو ذلف عجلي فلذلك
خاطبه بهذا . ومنهم :

الأقرع بن حابس أبو عينة التميمي

كان الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي الجاشمي الدارمي
من حكام تميم ومرجعهم في واقعاتهم ومنافراتهم . قال ابن إسحق : وفد على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد فتح مكة وَخُنَيْنًا والطائف ، وهو من المؤلفة
قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقال الزبير في النسب : كان الأقرع حكاماً في الجاهلية ،
وقد نادى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد فلم يجبه . فقال :
والله يا محمد إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم : ذلكم الله . وروى ابن شاهين من طريق الدائني ، قال : لما أصاب عيينة بن
حصن بنى العنبر قدم وفدهم فذكر القصة وما فيها فكلم الأقرع بن حابس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في السبي . وكان في المدينة قبل قدوم السبي فنازعه عيينة
ابن حصن . وفي ذلك يقول :

وعند رسول الله قام ابن حابس
له أطلق الأسرى التي في قيودها مغللة أعناقها في الشكائم^(٢)
وشهد الأقرع مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل وشهد مع خالد حرب

(١) وطدت ثبتت .

(٢) الشكائم جمع شكيمة وهي في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس
فيها الفأس .

أهل العراق وفتح الأنبار . وقال ابن دريد : اسم الأقرع بن حابس فراس ، وإنما قيل له الأقرع أقرع كان برأسه وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله ابن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش ، وذلك في زمن عثمان . وذكر ابن السكبي : أنه كان مجوسياً قبل أن يسلم . وذكر الرضبي الشاطبي : أنه قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بيته والله أعلم . ومنهم :

ربيعة بن محاسن التميمي

كان من حكام تميم وإليه المرجع في عصره حيث كان عالمهم واقفاً على أنساب قومه وغيرهم من قبائل العرب مقدراً لمراتبهم ، ومع ذلك كان من أفصح أهل زمانه ومن الخطباء المشهورين مضيافاً شجاعاً لا يعدل قومه عن رأيه ولا يقطعون أمراً دونه . وهو أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم وبنو تميم يزعمون أنه هو الذي أوّل من قرعت له العصا . وقد ذكرنا الخلاف في ذلك عند الكلام على ذكاء العرب . ومنهم :

ضمرة بن ضمرة التميمي

كذلك كان من حكام تميم وإليه يتنافرون وعنده يتحكون لا يرون في وقته كراهه رأياً ، ولا يستغنون عن مشورته في وقائعهم وأيامهم لوقوفهم على ما كان عليه من غزارة العقل وذكاء الفطنة وطلاقة اللسان وكرم السجية وخبرته بأحوال العرب وأنسابهم . وفي القاموس : أنه ضمرة بن أبي ضمرة وصوابه ما ذكرناه كما نبه عليه شارحه الزبيدي . وفي مجمع الأمثال للميداني عند قولهم : « إن العصا قرعت لذي الحلم » أن ضمرة حكم فأخذ رشوة ففدر . ومنهم :

عامر بن الظرب العرواني

كان عامراً هذا من حكام قيس ، وقد ذكرنا في ذكاء العرب أن أبا عبيدة

قال : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب ، والقصة هناك . وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً ، وفي كتاب مجمع الأمثال : يُقال إنه عاش ثلاثمائة سنة ، ثم ذكر ما يدل على ذلك من شعره ، وقد نقلناه سابقاً مع نبذة من خبره . وكان عامر من فصحاء العرب . ومن كلامه : رُبَّ أكلةٍ تمنع أكلات . قال المفضل : أول من قال ذلك عامر بن الظرب المدواني ، وكان حديثه أنه كان يدفع بالناس في الحج فرآه ملك من ملوك غَسَّان فقال : لا أترك هذا المدواني أو أذله فلما رجع الملك إلى منزله أرسل إليه أحب أن تزورني فأحبوك وأكرمك واتخذك خيلاً . فاتاه قومه فقالوا : آتِفِدْ وَفِدْ معك قومك إليه فيصيبون بجنبك ويتجهون بجهاك فخرج وأخرج معه نفرًا من قومه ، فلما قدم بلاد الملك أكرمه وأكرم قومه . ثم انكشف له رأى الملك فجمع أصحابه وقال : « الرأى نائم والهوى يقظان ، ومن أجل ذلك يغلب الهوى الرأى عجبت حين عجلم ولن أعود بمدها ، إنا قد توردنا بلاد هذا الملك فلا تسبقوني بريث^(١) أمر أقيم عليه ولا بمجلة رأى أخف معه فإن رأيت لكم » فقال قومه ، لقد أكرمنا كما ترى وبعد هذا ما هو خير منه . قال : لا تعجلوا فإن لكل عام طعاماً رُبَّ أكلة تمنع أكلات فكثروا أياماً . ثم أرسل إليه الملك فتحدث عنده . ثم قال له الملك : قد رأيت أن أجعلك ناظرًا في أموري . فقال له : إن لي كنز عظيم لست إلا به تركته في الحى مدفوناً وإن قومي أضناء بي فاكتب لي سجلاً ببجاية الطريق فيرى قومي طعاماً تطيب به أنفسهم فأستخرج كنزى وأرجع إليك وإفراً . فكتب له بما سأله ، وجاء إلى أصحابه فقال : ارتحلوا ، حتى إذا أدبروا وقالوا : لم نر كاليوم وافد قوم أقل ولا أبعد من نوال منك . فقال : مهلاً فليس على الرزق فوت ، وغنم من نجاة من الموت ، ومن لا يرى باطنًا ، يعيش واهنًا ، فلما قدم على قومه أقام فلم يمُد . ومن كلامه أيضاً : « رب زارع لنفسه حاصد سواء » قال ابن الكلابي : أول

من قال ذلك عامر بن الظرب ، وذلك أنه خطب إليه صمصمة بن معاوية ابنته فقال : « يا صمصمة إنك جئت تشتري مني كبدي ، وارحم ولدي عندي ، منعتك أو بعتك ، النكاح خير من الأئمة ، والحسيب كفاء الحسيب ، والزوج الصالح يمدُّ أباً ، قد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك » ثم أقبل على قومه فقال يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم ، ولكنه من خط له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه حاصد سواء ، ولولا قسم الحظوظ على غير الجذود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذي أرسل الحيا^(١) أثبت الرعى ، ثم قسمه أكلا لكل فم بقلة ، ومن الناء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذي قلب واع ، ولكل شيء راع ، ولكل رزق ساع ، ما أكيْس وما أحمق ، وما رأيت شيئاً قط إلا سمعت حسه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائياً إلا داعياً ولا غانماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء ، فهل لكم في العلم العالم ؟ » قيل : ما هو قد فأت فأصبت وأخبرت فصدقت ؟ فقال : « أرى أموراً شتى وشيئاً شتياً حتى يرجع الميت حياً ، ويعود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت الأرض والسماء » فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيَلْمُهَا نَصِيحَةً لو كان من يقبلها . ومن كلامه أيضاً : « من طلب شيئاً وجده » وفي مجمع الأمثال للميداني أن أول من قال ذلك : عامر بن الظرب وكان سيد قومه فلما كبر وخشى عليه قومه أن يموت اجتمعوا إليه فقالوا : إنك سيدنا وقائنا وشريفنا فاجعل لنا شريعاً وسيداً وقائلاً بعدك . فقال : (يا معشر عدوان كلتموني بغيراً إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من نفسي فأني لكم مثلي . افهموا ما أقول لكم إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجمعهما له وكان الباطل أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق ، يا معشر عدوان

لا تشمتوا بالدلة ولا تفرحوا بالعزة فبكل عيش يعيش الفقير مع الغنى ومن ير يوماً
ير به ، وأعدوا لكل أمر جوابه ، إن مع السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال
وفيها ذمامة ، ولليد العليا العاقبة والقود راحة لا عليك ولا لك ، وإذا شئت وجدت
مثلك إن عليك كما أن لك ، وللكرثة الرثب ، وللصبر الغلبة ، ومن طاب شيئاً
وجده ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه ، ومنهم :

غيلان بن سلمة الثقفي

وهو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف
ابن ثقيف وسمى أبو عمرو جده شرحبيل : قال المرزباني في معجم الشعراء : غيلان
شريف شاعر أحد حكام قيس في الجاهلية .

« وأنشد له »

لم ينتقص مني المشيبُ قلامة^(١) الآن حين بدا ألبٌ وأكيسُ
والشيب إن يحلل فإن وراءه عمراً يكون خلاله متنفس

وفي مجمع الأمثال للميداني : غيلان بن سلمة الثقفي من حكام قيس ، وكانت
له ثلاثة أيام يوم يحكم بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله ،
وجاء الإسلام وعنده عشر نسوة فخيرهن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاختار أربعاً .
وعده أيضاً صاحب القاموس من حكام قيس . وأسلم بعد فتح الطائف ، وكان
أحد وجوه ثقيف وأسلم أولاده عامر وعمار ونافع وهو أحد من نزل فيه قوله تعالى
(على رجل من القريتين عظيم) وقد روى ابن عباس عنه شيئاً من شعره ، وهو
ممن وفد على كسرى فبنى له حصناً بالطائف ، وله معه خبر ظريف قال أبو الفرج
الأصبهاني بعد أن ساق سنده : كان غيلان بن سلمة قد وفد على كسرى فقال
له ذات يوم أى ولدك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر والمرضى حتى يبرأ
قال : عجبت لك هذا المقل . وقد روى الهيثم بن عدي هذه القصة أبين من

(١) القلامة بالضم ماسقط من الظفر .

هذه ، وفيها : كان أبو سفيان في نفر من قريش ومن ثقيف فوجهوا بتجارة إلى العراق فقال لهم أبو سفيان : إنا تقدم على ملك جبار لم يأذن لنا في دخول بلاده فأعدوا له جواباً . فقال غيلان : أنا أكفيكم على أن يكون نصف الربح لي قالوا نعم فتقدم إلى كسرى وكان جيلاً فقال له الترجمان : يقول لك الملك كيف قدمتم بلادى بغير إذنى ؟ فقال : لسنا من أهل عداوتك ولا تجسسننا عليك وإنما جئنا بتجارة فإن سلحت لك خذها وإلا فائذن لنا في بيعها ، وإن شئت رجعنا بها . قال : وسمعت صوت الملك فسجدت فقليل له لم سجدت ؟ قال : سمعت صوت الملك حيث لا ينبغي أن ترفع الأصوات . فأعجب كسرى وأمر أن توضع تحتة مرققة فرأى عليها صورة كسرى فوضعها على رأسه . فقليل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت عليها صورة الملك فأجلتها أن أجلس عليها . فاستحسن ذلك أيضاً ثم قال له : ألك ولد ؟ قال نعم . قال : فأيهم أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم . قال : أنت حكيم من قوم لا حكمة فيهم . وأحسن إليه ، وذرهما أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل بغير إسناد أطول مما هنا فقال : خرج أبو سفيان بن حرب في جمع من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال : إنا في سيرنا هذا على خطر ، ما قدومنا على ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر فأياكم يذهب بالخير فنحن برآء من دمه إن أسيب ، وأن يغنم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة أنا أمضى بالخير وأنشده :

فلو رآنى أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور بأمر ماله طبق^(١)
لقال : رعبٌ ورهبٌ أنتَ بينهما حبُّ الحياة وهول النفس والشفق
أما مشف على مجدٍ ومكرمةٍ أو أسوة لك فيمن يهلك الورق^(٢)

(١) الطبق غطاء كل شيء ، والحسر : الكشف (٢) قوله مشف على مجد هكذا هو في الأصل وأعله مسف إلى مجد من أسف إليه أى دنا ، والمكرمة بضم الراء اسم من الكرم والأسوة : القدوة ، والورق : الدراهم المضروبة

فخرج بالير وكان أبيض طويلاً جعداً^(١) فتخلّق^(٢) ولبس ثوبين أصفرين وأشهر نفسه وقعد بيباب كسرى حتى أذن له فدخل عليه وشباك بينه وبينه فقال له الترجمان : يقول لك ما أدخلك بلادى بغير إذن ؟ فقال : لست من أهل عداوة لك ولم أكن جاسوساً ، وإنما حملت تجارة فإن أردتها فعلى لك وإن كررتها رددتها . قال : فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى نحرّاً ساجداً . فقال له الترجمان يقول لك ما أسجدهك ؟ قال : سمعت صوتاً مرتفعاً حيث لا ترفع الأصوات فظننته صوت الملك فسجدت . قال : فشكر له ذلك وأمر بمرقعة فوضعت تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه . فقال له الحاجب : إنا بعثنا بها إليك لتقعد عليها . فقال : قد علمت ولكننى رأيت عليها صورة الملك فوضعها على أكرم أعضائى . فقال : ما طعامك فى بلادك ؟ قال : الخبز . قال : هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة بأضعاف أثمانها وبعث معه من بنى له أطماً^(٣) بالطائف فكان أول أطم بنى بالطائف . ومن أخبار غيلان فى الجاهلية ما حكاه أبو سعيد السكرى فى ديوان شعره أن بنى عامر أغاروا على ثقيف بالطائف فاستنجبت ثقيف بنى نصر بن معاوية وكانوا حلفاء فلم ينجدهم فخرجت ثقيف إلى بنى عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة فقاتلهم حتى هزموا بنى عامر ، وفى ذلك يقول غيلان فذكر شعراً يذكر فيه الواقعة ، وأخباره كثيرة مفصلة فيما أعيد لثلاثها من الكتب . ومنهم :

هاشم بن عبد مناف القرشى

وهو من أكابر رجال قريش . وساداتهم وحكامهم ، وملك بعد أبيه الرفادة والسقاية واستقرت له الرئاسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لأمره وتعمل برأيه .

(١) جعد الشعر جعودة إذا كان فيه التواء وتقبط فهو جعد وذلك خلاف المسترسل (٢) أى تطيب بالخلوق وهو ضرب من الطيب (٣) الأطم : القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح

وكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سمة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة، وأخباره كثيرة مشحونة منها كتب السير . وكان ذا أهل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته : يامعشر قريش إنكم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسط العرب أنساباً ، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً ، يامعشر قريش إنكم جيران بيت الله . أكرمكم الله بولايته ، وخصكم بجواره ، دون بني إسماعيل ، وإنكم يأتاكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه ، وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضواير^(١) كالقداح ، فأكرموا ضيفه وزوار بيته ، فورب هذه البنية^(٢) . لو كان لي مال يمتلئ ذلك لكفيتكموه ، وأنا مخرج من طيب مالى وحلالى مالم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام . فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظلاماً ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة . وتنافرت قريش وخزاعة إليه فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته : أيها الناس نحن آل إبراهيم وذرية إسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم ، يا بني قصي أنتم كفصن شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه والسيوف لا يصابن إلا بغمده ، وراى العشيرة^(٣) يصيبه سهمه . ومن أنحكه^(٤) اللجاج أخرجه إلى البنى ، أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر .

(١) جمع ضامر وهو الجمل المهزول (٢) البنية على فعيلة الكعبة لشرفها اذ هي أشرف مبنى يقال لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا وفي حديث البراء رابت بان لا أجعل هذه البنية منى بظهر يريد الكعبة وكانت تدعى بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها وقد كثر قسمهم برب هذه البنية (٣) وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

قومي هم قتلوا إيمى أخى فاذا رميت اصابنى سهمى
(٤) اغضبه

والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدمر عُير ،^(١)
والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا
الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا المجلس يعمر ناديتكم ، وحاموا الخليط يرغب
في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة .
وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم الحمد ، وإن نهية الجاهل^(٢) ،
أهون من حزيرته ، ورأس المشيرة يحمل أثقالها . ومقام الحليم عظة لمن انتفع به ،
فقلت قريش : رضينا بك أبا نضلة وهي كنيته . قال الإمام الماوردي بعد إيراد
هذه الخطبة في كتابه أعلام النبوة : فانظروا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق ،
ونهى عن مساوى الأفعال ، هل صدر إلا عن غزارة فضل ، وجلالة قدر وعلو
همة ، وما ذاك إلا لاصطفاء يراد ، وذكر يشاد . لأن توالى ذلك من الآباء ، يوجب
تناهيه في الأبناء . ومنهم :

عبد المطلب بن هاشم القرشي

وكان أيضاً من حكام قريش ، وهو جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويُدعى (شعبة الحمد) لكثرة حمد الناس له لأنه كان مفزع قريش في النوائب
وملجأهم في الأمور فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعلاً من غير مدافع ،
وكان محاب الدعوة ، وكان يقال له (الفياض) لجوده و (مطعم طير السماء)
لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال ، وكان من حملاء قريش
وحكامها ، وكان ممن حرم الحجر على نفسه في الجاهلية ، وكان نديمه حرب بن أمية
ابن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان ، وكان في جوار عبد المطلب يهودى
فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب في سوق من أسواق (تهامة) فأغرى عليه
حرباً من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك مناداة حرب ولم يفارقه حتى أخذ

(١) أى متقلب (٢) زجره .

منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظاً لجواره . ثم نادى عبد الله بن جُدعان ، وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور . وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه ، وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فقليل لعبد المطلب في ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته — أى فالظلوم شأنه في الدنيا ذلك حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة — ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام ووحد الله سبحانه وتعالى ، وتوثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنن بها ، منها الوفاء بالنذر ، والنهي عن نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان . ومنهم :

أبو طالب بن هاشم بن عبد مناف

وهو عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناصره ولد قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخمسة وثلاثين سنة ، ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إليه فكفله وأحسن تربيته ، وسافر به إلى الشام وهو شاب . ولما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم قام بنصرته وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح واسمه عبد مناف على المشهور واشتهر بكنيته ، وقيل اسمه عمران ، وقيل شيبه . وكان من حكام قريش وساداتها ومرجعها في الملأ . قال الواقدي : وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة واختلف في إسلامه . قال ابن حجر : رأيت لعل بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام وإن الحشوية تزعم أنه مات كافراً ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى . ومن شعره قوله

ودعوتني وزعمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أميناً
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
ومن شعره الذي قاله وهو في الشعب :

ألا أبلغنا عنى على ذات بيننا لؤياً وخصاً من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كوسى خطاً في أول الكتب
وأن عليه في العباد مودةً ولا خير ممن خصه الله بالحب

وهي قصيدة جيدة على هذا الأسلوب ، وله قصيدة لامية طويلة تزيد على
مائة بيت وهي من جيد شعره عاذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها إلى
أشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مسلم محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لأحد حتى يهلك دونه ومدحه فيها أيضاً ، وقالها في الشعب لما اعتزل مع بنى هاشم
وبنى عبد المطلب قريشاً . وسبب دخوله الشعب أن كفار قريش اتفق رأيهم على
قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا ، فقالوا
لقومه : خذوا منا ديةً مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحونا وتريحون
أنفسكم فأبى بنو هاشم من ذلك ، وظاهرهم بنو عبد المطلب فاجتمع المشركون
من قريش على منا بذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب ، فلما دخلوا الشعب أمر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى
أرض الحبشة وكانت متجراً لقريش ، وكان يثنى على النجاشي بأنه لا يظلم عنده
أحد ، فانطلق عامة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ودخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب
الشعب مؤمنهم وكافرهم فالؤمن ديناً والكافر حمية ، فلما عرفت قريش أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد منعه قومه أجمعوا على أن لا يبايعوه ولا يدخلوا إليهم
شيئاً من الرفق وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً إلا بادروا إليه
واشتروه ولا يناكحهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتى
يسلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها

في الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على بنى هاشم ومن معهم فأجمعوا على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي طالب : يا عم إن ربى قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلحسستها إلا ما كان اسماً لله فأبقتة . قال : أربك أخبر بهذا ؟ قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش . فقال : يا معشر قريش إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابة فلحست ما فيها فإن كان كما يقول فأفريقوا فلا والله لا نسله حتى نموت ، وإن كان يقول باطلا دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا ففتحو الصحيفة فوجدوها كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا : هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغياً وعدواناً ، فقال أبو طالب : يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة ؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ، ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال ابن كثير : هى قصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أغل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

منها قوله :

خليلى ما أذنى لأول عاذل بصغواء فى حق ولا عند باطل^(١)
خليلى إن رأى ليس بشركة ولا نهنة عند الأمور البابل^(٢)

(١) بصغواء خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء ، والصغوا الميلى واصفيت الى فلان اذا ملت بسمعك نحوه ولأول عاذل متعلق بصغواء وفى حق متعلق بعاذل أى لا اميل بأذنى الأول عاذل فى الحق وانما قيد العاذل بالأول لانه اذا لم يقبل عدل العاذل الأول فمن باب أولى ان لا يقبل عدل العاذل الثانى فان النفس اذا كانت خالية الذهن ففى الغالب ان يستقر فيها أول ما يرد عليها . (٢) اراد ان الراى الجيد يكون بمشاركة العقلاء فان لم يتشاركوا بان كانوا متباغضين لم ينتج شيئاً والراى ما لم يتخبر فى العقول كان فطرياً ، والنهنة بنونين وهاء بن كجعفر : المضى والنير الشفاف الذى يظهر الاشياء على جليتها وأصله الثوب الرقيق النسج ومن شأنه ان لا يمنع النظر الى ما وراءه وهو معطوف على شركة ، والبابل اما جمع بلبله بفتح الباءين أو جمع بلبل بالفتح وهما بمعنى الهم ووساوس الصدر كزلازل جمع زلزلة وزلازل بالفتح وهو اما على حذف مضاف أى ذات البابل أو انها بدل من الامور .

ولما رأيتُ القومَ لا ودَّ عندهم وقد قطعوا كلَّ العُرا والوسائل^(١)
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمرَ العدوِّ المزابل^(٢)
 وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً يعضُّون غيظاً خلفنا بالأنامل^(٣)
 صبرتُ لهم نفسى بسمراءَ سمجةً وأبيضُ غضبٍ من ثراثِ المَقاول^(٤)
 وأحضرتُ عند البيتِ رهطى وإخوتى وأمسكتُ من أثوابه بالوصلال^(٥)
 قياماً معاً مستقبلين رتاجه لدى حيثُ يقضى خلفه كلُّ نافل^(٦)
 أعوذُ ربَّ الناسِ من كلِّ طاعن علينا بسوءٍ أو مُلحٍ بباطل^(٧)
 ومن كاشحٍ يسمي لنا بمعيةٍ ومن مُلحقٍ فى الدينِ مالم نحاول^(٨)

وكلها على هذا النوال وهي مذكورة مع شرحها فى كتاب لب لباب لسان العرب . وعن هشام بن محمد بن السائب الكلبي أنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتتموه ، فلستم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلْب^(٩) ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعنى السكبة) فإن فيها

(١) أراد بالقوم كفار قريش ، والعرا جمع عروة وهي معروفة وأراد هنا ما يتمسك به من العهد مجازاً مرسل ، والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به . (٢) صارحونا أى كاشفونا بالعداوة وصريحاً والصراحة وان كانت لازمة لكنها لما نقلت الى باب المفاعلة تعدت ، والمزابل اسم فاعل من زابله مزابلة وزيالاً فارقه وبابنه وإنما يكون العدو مفارقاً اذا صرح بالعداوة فلا تمكن العشرة . (٣) حالفوا قوماً مثل صارحونا فى انه كان لازماً وتعهدى الى المفعول بنقله الى باب المفاعلة والتحالف التعاهد والتعاقد على ان يكون الامر واحداً فى النصرة والحماية وعلينا متعلق بحالفوا ، والأظنة جمع ظنين وهو الرجل المتهم والظنة بالكسر التهمة والجمع الظن . (٤) الصبر والعجز ، والسمراء : القناة ، والسمجة اللدنة اللينة بالهز والانعطاف ، والابيض : السيف ، والغضب : القاطع ، والمقاول جمع مقول بكسر الميم الرئيس وهو دون الملك . (٥) الوصال ثياب مخططة يمانية كان البيت يكنى بها . (٦) الرتاج : الباب العظيم وهو مفعول مستقبلين ، والنافل فاعل من النافلة وهو التطوع . (٧) قوله ملح اسم فاعل من الح على الشيء اذا قبل عليه مواظباً . (٨) المعية العيبة والتقيصة ، ونحاول : نريد ، والكاشح : مضر العداوة . (٩) واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

مرضاة للرب وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطاة ، صلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم منسأة (أي فسحة) في الأجل ، وزيادة في المدد ، اتركوا البغى والمعوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيئوا الداعي ، وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والمات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وإنى أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان^(١) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه ، أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يامعشر قريش كونوا له ولاية ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ بهديه أحد إلا سمد ، ولو كان لنفسى مدة ، وفي أجل تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ، ثم هلك ، ومنهم :

العاص بن وائل القرشي

عده صاحب القاموس من حكام قريش وكذلك الميداني فإنه قال في كتاب مجمع الأمثال : العاص بن وائل من حكام قريش . وقد ذكر نسبه الزبيدي في شرحه على القاموس فقال : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي انتهى وهو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام . قال ابن الكلبي : كان من حكام قريش ، وأجار عمر رضي الله تعالى عنه حين أسلم . وقد أخرج الزبير بن بكار

(١) القلب .

هذه القصة مطولة وفيها : أنَّ العاص بن وائل قال رجل اختار لنفسه أمراً فسالكم وله فردّ الشرّكين عنه . وكان موته بمكة قبل الهجرة ، ولم أقف على كمال خبره فيما بين يدي من كتب الأدب سوى ما ذكرت وهو كاف في المقصود . ومنهم :

العلوّ بن حارثة القرشي

وهو على ما في القاموس أيضاً من حكام قريش ، واسم جده نضلة بن عبد العزى بن رياح وكان عند قريش بمكان مكين من علو النزلة ونفوذ الحكم وسعة الاطلاع بأحوال العرب وأنسابهم وأحسابهم . ومنهم :

ربيعة بن حذار الأسدي

كان حاكماً من حكام بني أسد وإليه مرجعهم في كل ما يحنّ لهم من الحوادث وإليه نافر خالد بن مالك بن تميم النهشلي القمعاق بن معبد التميمي كما ذكرناه سابقاً عند ذكر النافرات وكان ما أوردناه من رواية الميداني في كتاب مجمع الأمثال . ورأيت القصة في كتاب أسد الغابة عند ترجمة خالد هذا بلفظ آخر وكلام أبسط وأشمل فأحببت ذكرها هنا تكميلاً للفائدة وهي : إن خالداً هو الذي نافر القمعاق إلى ربيعة بن حذار الأسدي فقال هاتيا مكارمكما . فقال خالد : أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ، ونصبت قدوري حين وضعت السماك ذيولها ، وطعمت يوم (شواخط) فارساً فجالت فخذه بفرسه . فقال : يا قمعاق ما عندك ؟ فأخرج قوس حاجب فقال : هذا قوس عمي رهنها عن العرب وهاتان نعلاني جدتي قسم فيها أربعين مرباعاً وهذه زريبة^(١) زرارة لم ير نازه خائف إلا أمن ولم يمسك بطنب فسقاطه^(٢) أسير إلا فكّ . فنأدى ربيعة بن حذار إن الساحة واللهي^(٣) والمرباع والشرف الأسبغ للقمعاق إلا أنني نفرت من كان أبوه معبدًا وعمه حاجباً وجده زرارة . قال أبو أحمد العسكري : ثم أدرك القمعاق بن معبد وخالد بن مالك النهشلي

(١) البساط أو كل ما بسط واتكىء عليه . (٢) يضم الفاء وكسرهما بيت من الشعر والجمع فساطيط . (٣) العطايا .

الإسلام فوفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر : أمر هذا^(١) .
وقال عمر : أمر هذا^(٢) . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا أنكما اختلفتما
لوليتهما وأخذت برأيكما ، وهذه المقالة من أبي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما قد
ذكرت في ترجمة القعقاع بن معبد من كتاب أسد الغابة ، وكان الثانى الأقرع بن
حابس التميمي ، وهو الأكثر . وقد نسب خالدا المذكور ابن الكلبي فقال خالد
ابن مالك بن ربيع بن مسلم بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم . وقال كان شريفاً ولم يذكر له صحبة إلا أبو أحمد العسكري .
والله أعلم . ومنهم :

يعمر الشدّاخ الكنانى^(٣)

وهو يعمر بن عوف بن كعب ولقب بالشدّاخ لأنه شدّخ دماء خزاعة وكان حكام
من حكام كنانة ، وكان عالم العرب في وقته خبيراً بأنسابهم وأحسابهم . ومنهم :

صفوان بن أمية

كان أيضاً من حكام كنانة وإليه مرجعهم فيما ينويهم من المهمات وكان فصيح
اللسان مشهور البيان ، وأخباره كثيرة تدل على رفعة شأنه وعلو مكانه بين
العرب . ومنهم :

سلمى بن نوفل الكنانى

كان أيضاً من حكام كنانة وعرفائها حيث كان في الفهم والفطنة بمنزلة أذعن له بها
العرب غير أنهم كانوا يفضلون عليه عامر بن الظرب العدوانى . ومنهم :

(١) هو القعقاع بن معبد بن زرارة . (٢) هو على ما في الإصابة الأقرع
ابن حابس التميمي . (٣) قال في القاموس ويعمر الشدّاخ كطوال وطياب
وقد يفتح : أحد حكامهم حكم بين قضاة وقضى في أمر الكعبة وكثر القتل
فشدّخ دماء قضاة تحت قدمه وأبطالها فقضى بالبيت لقصى وهذا — الذى
ذهب إليه صاحب القاموس — تبعاً لبعض المؤرخين وقيل يوجد في بعض
النسخ بين خزاعة .

مالك بن حنبل العامري

كان من حكام العرب وحكائها المشهورين بجودة الفهم وغزارة العقل وسعة الاطلاع . ومن كلامه الذي ضرب به المثل : (على الخبير سقطت) والخبير العالم والخبر العلم ، وسقطت أى عثرت عبر عن العثور بالسقوط . لأن عادة العاثر أن يسقط على ما يمش عليه . وقد تمثل الفرزدق بهذا المثل للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما حين أقبل يريد العراق فلقيه وهو يريد الحجاز فقال له الحسين : ما وراءك ؟ قال : (على الخبير سقطت) قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والأمر ينزل من السماء . فقال الحسين رضي الله تعالى عنه : صدقتي . ومنهم :

عمرو بن صخرة الدوسي

وحمة بضم المهملة وفتح الميم الخفيفة بعدها مثلها . ذكر أبو بكر بن دريد أنه وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي ذكره غيره أنه مات في الجاهلية وكان معمرأ . وهو الذي يقول :

أخبر أخبار القرون التي مضت ولا بد يوماً أن تطار لمصرعي
أنشده له ابن الكلبي . وقال المرزباني : كان أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المعمرين . يقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة . وأنشده البيت المذكور وقبله :

كبرت وطال العمر مني كأنني سليم أفاع لييله غير مودع

وبعد

وما السقم أبلاني ولكن تابعت
على سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين من سنين كوامل
وها أنا هذا أرتجي مر أربع
فأصبحت بين الفخ والمش نادياً
إذا رام تطياراً يقال له : قع^(١)

(١) الفخ : آلة يصاد بها .

أخبر أخبار القرون البيت . قال : ويقال إنه الذي كان يقال له ذو الحلم وضربت به العرب المثل في قرع العصا لأنه بعد أن كبر صار يذهل فاتخذوا له من يوقظه فيقرع العصا ، فيرجع إليه فهمه وإليه أشار الحارث بن ولة :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذى الحلم

وقال الفرزدق :

* كأن العصا كانت لذى الحلم تقرع *

وقال الآخر :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما غلّم الإنسان إلا ليملأ

قال ابن دريد بسنده إلى الشعبي قال : كنا عند ابن عباس وهو في ضفة زمزم يفتي إذ قام إليه أعرابي فقال : أفتيتهم فافتنا . قال : هات قال : مامعنى قول الشاعر لذى الحلم قبل اليوم ، وأنشد البيت السابق ؟ فقال له ابن عباس : ذاك عمرو بن حمزة الدوسي قضى بين العرب ثلاث مائة سنة فكبر فألزموه السابع أو التاسع من ولده ، فكان إذا غفل قرع له العصا ، فلما حضره الموت اجتمع إليه قومه فأوصاهم وصية حسنة فيها حلم ، وهذا كله منقول من الإصابة لابن حجر . وقد حقق الميدنى أن أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب ، والقول بأنه عمرو ابن حُمّة هو قول أهل اليمن ، والأبيات السابقة نسبها إلى عامر أيضاً وجعل بدل قوله « كبرت وقد طال » تقول ابنتي لما رأتني كأننى . روى أبو على القالى في أماليه ^(١) قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثني عمي أبيه عن ابن السكبي عن أبي مسكين وعن الشرق بن قطامي قال : لما مات عمرو بن حمزة الدوسي وكان أحد من تتحاكم إليه العرب مر بقبيره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهذم بن امرئ القيس بن الحارث زيد بن كلثوم (أبو كلثوم بن الهذم الذى نزل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وعتيك بن قيس بن هيشة

ابن أمية بن معاوية ، وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كان بسببه حرب حاطب
فمقروا رواحهم على قبره وقام الهدم فقال :

لقد ضمت الأثراء منك مرزاً عظيم رماد النار مُشترَكَ القِدرِ
حليماً إذا ما الحلم كان حزاماً وقوراً إذا كان الوقوفُ على الجِرِ
إذا قاتَ لم تتركُ مقالاً لقائلٍ وإن صُلتَ كنتَ الليثُ يحمى الأجرِ
ليبيك من كانت حياتك عزه فأصبحَ لما بنتُ يُغضى على الصغرِ
سقى الأرض ذات الطول والعرض مُشجِم أحمرَّ الرحي وأهى الرى دأيم القطرِ (١)
وما بي سقى الأرض لكن تربة أضلك في أحشائها ملحدُ القبرِ
الرحى وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها . وقام عتيك فقال :
يرغم الملاء والجود والمجد والتدى طواك الردى يا خيرَ حافٍ وناعِلِ
لقد غال صرْفُ الدهر منك مرزاً نهوضاً بأعباء الأمور الأناقلِ
يضمُّ العفاة الطارقين فناءؤه كما ضمَّ أمَّ الرأس شعبُ القبائلِ
ويسرو دجى الهيجا مضاه عزيمة كما كشف الصبحُ أطراق القيائلِ (٢)
ويُسهرزم الجيش العرمزم باسمه وإن كان جرّاراً كثيرَ الصواهِلِ
وينقاد ذو البأو الأبى لحكمه فيرتدّ قسراً وهو جمّ الدغاوِلِ (٣)
ويَمْضى إذا ما الحربُ مدّت رواقها على الرّوعِ وأرفضتْ صدورُ العواهِلِ
فإما تُصَبِّنا الحادثاتُ بنكبة رمتك بها إحدى الدواهِى الضائلِ
فلا تبعدن إن الخُتوفَ موارِدُ وكل فتى من صرْفها غيرُ وائلِ

الضائل الضواهى واحدها ضئيل . وقام حاطب بن قيس فقال :
سلامٌ على القبر الذى ضمَّ أعظماً تحومُ المعالى حوله فتُسَلِّمُ

(١) انجم المطر اذا دام وانجمت السماء اسرع مطرها ثم اقلعت وقيل
انجمت السماء دام مطرها كنجمت شجماً . (٢) الغيطلة : الظلمة والغيطلة
اختلاط الاصوات قال ابو النجم : مستأسدا ذبابة في غيطل) وهو جمع
غيطلة والغيطلة البقرة الوحشية والغيطلة الشجر المتف ، قال ابن الاعرابي :
الغيطلة التفاف الناس واجتماعهم والغيطلة غلبة النعاس .
(٣) الدغاوِل : الدواهى .

سلام عليه كلما ذرَّ شارقاً
فيا قبرَ عمرو جاداً أرضاً تعطفتُ
تضمنتَ جسماً طابَ حياً وميتاً
فلو نطقتَ أرضٌ لقالَ ترابها
إلى مَرَمَسٍ قد حلَّ بينَ ترابها
فلو وآلتَ من سَطوة الموتِ مُهَجَّةٌ
ولا يُبعدنكَ الله حياً وميتاً
وقد كنتَ تُمضي الحكمَ غيرَ مُهلِّلٍ
لعمُرٍ الذي حُطَّتْ إليه على الونى
لقد هدَّ مِلَمَلياءَ موتك جانباً
ومنهم :

وما امتدَّ قِطْعٌ من دُجَى الليلِ مُظْلِمٍ
عليك مُلْتٌ دائمُ القطرِ مُرْزِمٌ
فأنتَ بما ضُمَّنتَ في الأرضِ مُعْلَمٌ
إلى قبرِ عمرو الأزدرَ حلَّ التَّكْرُمِ
وأحجاره بدَرٌ وأضبطُ ضيغِ
لكنَّتَ ولكنَّ الرَّدَى لا يُشْمِشُ^(١)
فقد كنتَ نورَ الخطبِ والخطبِ مُظْلِمِ
إذا غَالِ في القولِ الأبلُّ الشَّمْشُ^(٢)
حدَّابيرُ عوجٍ نِشْأَ مَتَمِّمِ^(٣)
وَكانَ قديماً ركنها لا يهدمُ

الحارث بن عباد الربيعي

قال أبو رياش في شرح الحامسة : كان الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المدودين ، وكان اعترل حرب بني وائل وتنحى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه وحل وتر قوسه وزرع سنان رحمه ولم يزل معتزلاً حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عباد في أثر إبل له نَدَتْ^(١) يطلبها فمضى له مهمل في جماعة يطلبون غِرَّة (أى غفلة) بكر بن وائل فقال لمهمل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم (وكان من أشرف بني تغلب . وكان على مقدمتهم زماناً طويلاً) : لا تفعل فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يستل عن خاله من هو وإياك أن تحقر البغي فإن عاقبتنه وخيمة ، وقد اعترلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه فأبى مهمل إلا قتله فطعمه

(١) والت . نجت ، ويشتم : يبطىء ويشتم بحرك ويدفع .
(٢) المهمل : المتوقف ويقال حمل عليه فما هلل ، والأبل : الظلوم ، والغشمشم : الذى يركب براسه لا يشنيه شئ عما يحب وبهوى . (٣) الحدابير جمع حدبار وهى المنحنية الظهر . والننى الشحم ، والمتهمم : الذأب ، وقوله ملعياء أى من العلواء . (٤) أى شردت ونفرت .

بالرمح وقتله وقال بؤء بشسع نمل كليب . يقال أبأت فلاناً بفلاء به إذا قتله به ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفاء للأول ، وسيأتي باقي القصة عند ترجمته في مبحث الفرسان . ومنهم :

الفلمس الكنانى^(١)

كان أحد حكام العرب في الجاهلية ، وكان أيضاً من نساة الشهور كان يقف عند جرة العقبة ، ويقول : اللهم إني ناسي الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب ، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر ، وكذلك في الرجيين يعني رجياً وشعبان ، انفراً على اسم الله تعالى . وذلك قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر) وسيأتي له ذكر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابنة الخس ، ومنهم :

ذو الأصبع العرواني

كان أحد حكام العرب في الجاهلية وشعرائهم المعمرين ، قال أبو حاتم في كتاب المعمرين : عاش ذو الإصبع وهو حرثان بن محرت من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ثلثمائة سنة وقال :

أصبحت شيخاً أرى الشخصين أربعة والشخص شخصين لما مسني الكبير
لا أسمع الصوت حتى استدير له ليلاً وإن هو ناغاني به القمر
وإنما قال ليلاً لأن الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضجة الناس ولغظهم أبعد . وإنما قيل له ذو الإصبع لأنه كانت له في رجله أصبع زائدة . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : ذو الإصبع حرثان بن عمرو بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهلياً وسمى ذو الإصبع لأن حية نهشت إصبعه فقطعها انتهى . وقال ابن الأنباري في شرح الفضليات .

(١) الفلمس معناه البحر .

نسبه أحمد بن عبيد وغيره ، فقالوا : هو حرثان بن الحارث والأصمى يقول :
ابن السموم بن محرث بن شبابة بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن الظرب
ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن سعد بن قيس
ابن عيلان بن مضر بن نزار ، وإنما سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهام رجله
فقطعها ، ويقال إنه كانت له إصبع زائدة انتهى . وقال السيد المرتضى في أماليه غرر
الفوائد ودرر القلائد : ومن المعمرين ذو الإصبع المدوانى واسمه حرثان بن محرث
ابن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر
ابن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وإنما سمي الحرث
عدوان لأنه عدا على أخيه فهم قتلته وقيل بل فقا عينه ، وقيل إن اسم ذى الإصبع
محرث بن حرثان ، وقيل حرثان بن حويرث ، وقيل حرثان بن حارثة ويكنى
أبا عدوان ، وسبب لقبه بذي الإصبع أن حية نهشته على إصبعه فشلت فسمى بذلك ،
ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد
حكام العرب في الجاهلية ، ثم أورد السيد جملا من أحواله إلى أن أورد هذه الحكاية
وأوردها الزجاجي أيضا في أماليه الصغرى بسندهما إلى سعيد بن خالد الجذلي أنه قال :
لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس إلى
فرائضهم فأثيناها فقال : ممن القوم ؟ قلنا : من جديلة . فقال جديلة عدوان ؟ قلنا :
نعم . فتمثل عبد الملك .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوِّ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ (١)
بَنَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يَرْعُوا عَلَى بَعْضٍ (٢)

(١) اختلف في العذير فمنهم من جعله مصدرا بمعنى العذر وهو مذهب
سيبويه ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده بات عذرك
واحضر عاذرك وامتنع أن يجعله بمعنى العذر لأن فعلا لا يبنى على المصدر
إلا في الأصوات نحو الصهيل والنهيق والنبيح والاولى مذهب سيبويه لأن
المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلا منه لأنه انسحه ولا يطرد ذلك في اسم
الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب وجيبا اذا اضطرب،
وقوله كانوا حية الارض أى كانوا يتقى منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقى من
الحية المنكرة . (٢) الارعاء الابقاء على اخيك .

ومنهم كانت الساداتُ والموفون بالقرض
ثم أقبل على رجل كنا قدمناه أمامنا جسيم وسيم ، فقال . أيكم يقول هذا الشعر ؟
فقال : لا أدري . فقلت من خلفه : يقوله ذو الإصبع فتركني وأقبل على ذلك الجسيم .
فقال : وما كان اسم ذي الإصبع ؟ فقال لا أدري . فقلت أنا من خلفه : اسمه حرثان ،
فأقبل عليه وتركني ، فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ، فقلت أنا من
خلفه : نهشته حية على إصبعه . فأقبل عليه وتركني . فقال : من أيكم كان ؟ فقال :
لا أدري . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج ، فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟
فقال : سبعمائة درهم . ثم أقبل على فقال : كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم فقال
لكتابيه : حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحّت وعطاني سبعمائة
وعطاؤه أربعمائة انتهى . وأورد له من شعره قوله :

أكثر كالظعن المبين منهم وأضحك حتى يبدؤ الناب أجمع
وأهدنه بالقول هداً ولو يرى سريرة ما أخفى لبات يفرع
ومعنى أهدنه أسكنه . ومن شعره أيضاً قوله :

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ شرّاشره أناخ بأخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيَلقى الشامتون كما لقينا
ومنه قوله أيضاً :

ذهب الذين إذا رأوني مقبلاً هَشُوا إلىّ ورحّبوا بالمقبل
وهم الذين إذا حملت حمالةً ولقيتهم فكأنني لم أحمل
والحمالة بالفتح تحمل دية القتيل عن القاتل ومعنى الشرّاشر في البيت السابق
الثقل ومنه قوله :

ولى ابن عمّ على ما كان من خلق مختلفان فأقليةً ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعماتنا فخالني دونه بل خلتني دوني^(١)

(١) يقال أزرى به إذا قصر وزرى عليه إذا عابه ، وقوله شالت نعماتنا أي
تفرق أمرنا واختلف والمعنى تنافرنا فصرت لا أطمئن إليه ولا يطمئن إلى .
(٢٢ — أول)

لاه ابن عمك لا أفصلت في حسب عني ولا أنت ديتاني فتخزوني^(١)
 إلى لعمرك ما بابي بذى غلق عن الضيوف ولا خيري بمنون
 ولا لسانى على الأدنى بمنطق بالفاحشات ولا أغضى على الهون
 ماذا على وإن كنتم ذوى رحى أن لا أحكم إن لم تحبوني
 يا عمرو إن لم تدع شتى ومنقصى أضربك حتى تقول الهامة اسقوني^(٢)
 كل امرئ صائر يوماً لشيئته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
 لا يخرج القسر منى غير مغضبة ولا ألين لمن لا يبتنى ليني^(٣)
 وهى قصيدة طويلة مذكرة فى شرح الشواهد للعيني^(٤) وكان لذى الإصبع
 بنات أربع فمرض عليهن أن يزوجهن فأين وقلن خدمتك وقربك أحب إلينا ثم
 أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه قلن . لتقل كل واحدة ما فى نفسها . فقالت
 كل منهن شعراً تعرض به إلى حب الازدواج ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تفصيل
 القصة عند ذكر مناكح العرب وأنه زوجهن .

ملكيات العرب

كان فى نساء العرب أيام الجاهلية ذوات كمال ، ووفور معرفة ، ومزید فطانة
 وذكاء ، وحدة نظر ، حتى تربنت بذكر مآثرهن صحف التواريخ ، وقد دونت

(١) قوله لاه ابن عمك قال قوم اراد الله ابن عمك وقال ابن دريد : اقسام
 بالله ابن عمك ، وقوله عني اى على ، والديان القيم بالامر المجازى به وتخزوني :
 تسوسنى سياسة وقهره وملكه وأما الخزى بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل
 منه كرضى . (٢) قوله اضربك حتى تقول الهامة اسقوني ، قال الاصمعى
 العطش فى الهامة واراد اضربك فى ذلك الموضع اى على الهامة حتى تعطش .
 وقال آخرون : أن العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة
 تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشاره
 وهذا من مذاهب العرب فى الجاهلية — راجع الجزء الثانى من هذا الكتاب .
 (٣) القسر : القهر اى ان اخذت قسراً لم أرده الا اباء .
 (٤) وذكرها القالى فى اماليه ايضا انظر ج ١ ص ٢٥٩

كتب ودواوين مشهورة في شعرهن وفصاحة كلامهن ، وكانت منهن جملة اشتهرن
بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرأي في الحكومة . منهن :

ابنة الخس

وهي هند بنت الخس الأيادية جاهلية قديمة ، وقد أدركت القلمس أحد حكام
العرب وقد سبق ذكره . تحاكت هي وأختها جمعة إليه ومدحته بأبيات منها :
إذا الله جازى منعماً بوفائِهِ فجازاك عني يا قلمسُ بالكرم
وبعض الرواة يزعم أنها ماتت في زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك
بقول الفرزدق :

وفيت بعهد كان منك تسكرماً كما لابنة الخس الأيادی وفَتِ هِنْدُ
وليس الأمر كذلك ، وإنما مراد الفرزدق أن هنداً وفَتِ لأختها جمعة ابنة
الخس لأنها عند ابنة النعمان ، وقد ترجعها الشريف المرتضى في أماليه وذكر
طرفاً من أمورهما . ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل ، وكانت تحاجي ^(١) الرجال
إلى أن مرَّ بها رجل فسأله الحاجة فقال لها : كاد . فقالت : كاد . العروس يكون
أميراً . فقال : كاد . فقالت : كاد المتعلل يكون راكباً . فقال : كاد . فقالت :
كاد البخيل يكون كلباً . وانصرف ، فقالت له : أحاجيك . فقال قولي .
فقالت : عجبت . فقال : عجبت للسبخة لا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها .
فقالت : عجبت . فقال : عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها .
فقالت : عجبت . فقال : عجبت لحفرة بين فخذيك لا يمل حفرها ، ولا يدرك
قمرها . فخججات وتركت الحاجة . وقد روى الحريري هذه القصة في كتابه درة
الغواص ونسبها لامرأة من الجن والصواب ما ذكرناه . ومن أسجاعها : قيل لها
أى الخليل أحب إليك ؟ قالت : ذو الميمة ^(٢) الصنيع ، السليط القليع ^(٣) ، الأيد

١) يقال حاجيته حاجة وحجاء فحجوته فاطنته فغلبيته .
٢) يقال ماع الشيء يميع جرى على وجه الأرض منسبطاً في هيئة
والفرس جرى . ٣) السليط : الشديد ، والتليع : الرافع رأسه في مشيه .

الضليع^(١) ، الملعب^(٢) السريع . ف قيل لها : أى الغيوث أحب إليك ؟ قالت :
 ذو الهيدب^(٣) المنبثق ، الأضخم المؤتلق^(٤) ، الصخب المنبق^(٥) ، وروى الشريف
 المرتضى فى أماليه عن ابن الأعرابى أنه قيل لابنة الخس : ما مائة من المعز . قالت :
 مويل يشف من ورائه مال الضميف وحرفة العاجز . قيل : فما مائة من الضأن ؟
 قالت : قرية لا حمى لها . قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : بخ جمال ومال ، ومنى
 الرجال . قيل : فما مائة من الخيل ؟ قالت : طفى من كانت له ولا يوجد . قيل :
 فما مائة من الجر ؟ قالت : عازبة الليل ، وخزى المجلس ، لا لبن فيحلب ولا صوف
 فيجز ، إن ربط غيرها أدلى ، وإن ترك ولى . وقيل لها : من أعظم الناس فى عينك ؟
 قالت : من كانت لى إليه حاجة . وعن ابن الأعرابى أيضاً قيل لابنة الخس : ما أحسن
 شىء ؟ قالت غادية فى إثر سارية فى بنحاء قاوية . قال : بنحاء أرض مرتفعة لأن
 النبات فى موضع مشرف أحسن . وفى أمالى أبى على القالى شىء من أسجاعها .
 وشعرها جيد ، ومنه قولها :

أشتم كَنَصْلِ السيف جَعْدَ مرَجَلٍ شغفتُ به لو كانَ شىء مدانيا
 وأقسم لو خيرت بين لقائه وبين أبى لاخترتُ أن لا أباليا

والخس بضم الخاء المعجمة وتشديد السين المهملة ابن حابس رجل من إباد
 قال فى القاموس : وهو أبو هند بنت الخس أو هى من الماليق والأيدية بُجمة
 بنت حابس ككتاها من الفصاح انتهى . وأغرب الجوالقي فقال : قال الأصمى
 سمعت ناساً يحدثون أن ابنة الخس كانت قاعدة فى جوارٍ فر بها قطا واردٌ
 فى مضيق من الجبل . فقالت : يا ليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه معه * إلى قطة
 أهلنا * إذا لنا قطة مائة * فاتبعت القطا فعدت على الماء فإذا هى ست وستون

(١) الأيد : القوى ، والضليع : التام الخلق المجفر والغليظ الألواح والكثير
 العصب . (٢) هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير الغبار . (٣) الهيدب :
 السحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط ، والمنبثق : السحاب
 المتصبيب بشدة . (٤) أثلق البرق : لمع واضاء . (٥) الصخب ذو الصياح
 والجلبة ، والمنبثق : المنفجر .

انتهى^(١) والصواب أن صاحبة القطا هي زرقاء اليمامة . وإلى هذه القصة أشار النابغة
الذي يأتى بقوله من أبيات يخاطب بها النعمان بن المنذر ويماتبه ويمتدح إليه مما
أثهم به عنده :

فاحكم حكم فتاة الحى إذ نظرتُ إلى حمامٍ شرعٍ وارد الثمد
يحفّه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد .
قالت ألا ليتنا هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
نحسبوه فألفوه كما ذكرتُ تسماً وتسمين لم تنقص ولم تزد^(٢)
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرت حسبةً في ذلك العبد

قال من شرح هذه القصيدة قوله فاحكم حكم أى كن حكيماً كهذه الفتاة أى
أصب فى أمرى كما صابتها فى حدسها بالنظر . وأراد بفتاة الحى زرقاء اليمامة . قال
الزحشرى : أبصر من الزرقاء من مستقصى الأمثال هى من بنات لقمان بن عاد ملكة
اليمامة ، واليمامة اسمها فسميت البلدة باسمها وقيل اسمها عنز وهى إحدى الزُّرق الثلاث
أعينها والزباء والبسوس . وكانت جديسية ، وحين قتل جديس طسا استجاش قبيلة
طسم حسان بن تبع إلى اليمامة فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت
الأطم^(٣) الذى يقال له (الكلب) فنظرت إليهم وقد استتر كل بشجرة تلبساً
عليها فارتجرت بقولها :

(١) أقول ان هذه القصة قد تداولها الناس فى كتبهم وتلقوها بالقبول ،
وانى لا أرى من المستحيل ان يتفق هذا لاحد مع التساهل فى تجويز الرؤية
وسرعتها على ان احصاء هذا العدد والحمام والقطا فى طيرانه كيف يتهاى
وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل وبعضه يستعلى . والأغرب
ما ذكره النابغة فى بيته :

يحضه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
يريد بجانبى النيق : حافى الجبل وإذا كان الحمام بين جبلين
ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضاً متراكماً فيكون أبعد لاحصاء عدده
بخلاف ما اذا كان منبسطاً فى الجو ، والأغرب أيضاً ما يذكره من ان زرقاء
اليمامة كانت تنتظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وقد ذكر فخر الدين الرازى
فى (السر المكتوم) ما هو أسخف من هذه السخافات والأمر لله .

(٢) قوله فحسبوه بعضهم يشدد السين لثلاث تتوالى أربع متحركات
وبعضهم يخففها ويقول بجواز ذلك فى بحر البسيط ، والفوه : وجدوه .

(٣) القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح .

أقسم بالله لقد دبَّ الشجر أو حير قد أخذت شيئاً تجر
فكذبها قومها فقالت : والله لقد أرى رجلاً ينهس كتفاً أو يخصف نعلاً ،
فما تأهبوا حتى صبحهم الجيش ولما ظفر بها حسان قال : ما كان طعامك ؟ قالت :
درمكة^(١) في كل يوم بمخ . قال فبم كنت تكتحلين ؟ قالت : بالإثمد وشق عينها
فرأى مروقاً سوداً من الإثمد وهي أول من اكتحل بالإثمد من العرب انتهى
المقصود منه . ومنهن :

جمعة بنت هابس الزبدي

وكانت من حكيكات العرب ذات فصاحة ومنطق عذب لاتبارى ببيانها وسلطانة
لسانها ، وقد سبق أنها أخت هند بنت الحس وأنهما تحاكما إلى القلمس في كلام
لها ، وذكرها صاحب القاموس والميداني في جملة حكيكات العرب وسبق القول أن جمعة
ليست أخت هند . والأول أشهر . ومنهن :

صحر بنت لقمان

كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والكمال والفصاحة ، وكانت العرب
تتجأكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها . وصُحِرُ بالصاد
والحاء المهملتين وكون أبيها لقمان هو الأصح ، وبعضهم يقول : هي أخت لقمان لابنته
والله أعلم . ومنهن :

خضيلة بنت عامر بن الظرب العمرواني

كانت خضيلة من حكيكات العرب كما في القاموس وجمع الأمثال ، ولعلها هي
التي كان أبوها عامر يقول لها (مَسَى سَخِيلُ بعدها أو صَبَحَى) بناء على أنها
كانت تسمى سَخِيلًا أيضاً . قال الميداني عند شرحه لهذا المثل : سَخِيلُ جارية

(١) الدرمة كجعفر : دقيق الحوارى .

كانت لعامر بن الظرب العدواني وكان عامر حَكَمَ العرب . وكانت سَخِيلَ تَرعى عليه غنمه ، فكان عامر يعاتبها في رعيته إذا سرحت قال : أصبحتِ يأسُخِيلَ ، وإذا أراحت قال : أمسيتِ يأسُخِيلَ وكان عامر عيَّ في فتوى قوم اختلفوا إليه في خنثى يحكم فيه وسهر في جوابهم ليالى فقالت الجارية . أتُبِعَ المبال فبأيهما بال فهو هو ففُرج عنه وحكم به . وقال مَسى سَخِيلَ بمدّها أى بعد جواب هذه المسئلة أى لاسبيل لأحد عليك بعد ما أخرجتني من هذه الورطة ، يضرب لمن يياشر أمراً لا اعتراض لأحد عليه فيه . ومنهن :

هذام بنت الريان

وهي القائلة (لو تُرك القطا ليلاً لنامَ) قال المفضل الضبي : أول من قال ذلك جَذَامُ بنت الريان ، وذلك أن عاطس بن خلّاج سار إلى أبيها في حير وخشم وجعفي وهمدان ولقيهم الريان في أربعة عشرَ حياً من أحياء اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تجاوزوا وأن الريان خرج تحت ليلته وأصحابه هرباً فساروا يومهم وليلتهم ، ثم عسكروا وأصبح عاطس ففندا لقتالهم فإذا الأرض منهم بلاقع فجرد خيله فأنهوا إلى عسكر الريان ليلاً فلما كانوا قريباً منه أثاروا القطا ، فرت على أصحاب الريان فخرجت حَذَامُ بنت الريان إلى قومها فقالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو تُرك القطا ليلاً لناما

أى أن القطا لو ترك لما طار هذه الساعة وقد أتاكم القوم ، فلم يلتفتوا إلى قولها وأخذوا إلى المضاجع لما نالهم من الكلال فقام ديسم بن طارق فقال بصوت عال :

إذا قالت حَذَامُ فصدّقوها فإن القول ما قالت حَذَامُ

فثار القوم فلجأوا إلى واد كان قريباً منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا منهم . قال الميذاني : قلت وفي رواية أبي عبيد أن البيت للجيم بن صعب في امرأته

خدام ، وقد ذكرته في باب القاف . قال : وهذا مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته . هذا ما وقفت عليه من هذا الباب ، وعليك بالكتب المؤلفة فيه إن أردت الاستيعاب ، وما ذكرته كاف في المقصود ، ونسأله تعالى التسهيل إنه ذو البكرم والجود .

الكلام على أعياد العرب في الجاهلية وأفراسهم

اعلم أن العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ، ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والمعدات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد تسمى عيداً ، فالزمان كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً) يعنى يوم الجمعة . والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان ، فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة) والمكان ، كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تتخذوا قبري عيداً) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم للذى نذر أن ينحر بيوتاً^(١) (أيها وثن من أوثان المشركين أو عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال : فأوفى بنذرك . وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة حديث (دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) إذا عرفت ذلك فاعلم أن العرب كانوا في الجاهلية شيعاً متفرقين وفرادى مختلفين . قال ابن قتيبة في أديان العرب : إن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاة ، وكانت اليهودية في حمير وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم منهم زُرارة بن عدس التيمي وابنه حاجب ابن زُرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم ، ومنهم الأقرع بن حابس فقد كان مجوسياً ،

(١) بوانة كشمامة : هضبة وراء ينبع وماءه لبنى جشم وباء لبنى عقيل .

وأبو الأسود جد وكيع بن حسان فقد كان مجوسياً أيضاً ، وكانت الزندقة في قریش أخذوها من الحيرة والمراد بالزندقة هنا عدم الإيمان بالآخرة وبالربوبية ولها غير هذا المعنى وكان بنو حنيفة اتخذوها في الجاهلية إلهاً من حنيس^(١) فمبدوه دهرأ طويلاً ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه فقال رجل من تميم :

أكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن إعواز
وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها زمن التقم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء المواقب والتباعة

والتقم القحط والحنيس الخلط وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم ينذر^(٢) منه نواه وربما جعل فيه سويق ، وسيأتى إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام في ذلك كله . والمقصود أن العرب لم يكونوا متفقين المذهب ، ولا متحدى المسلك والمشرع ، ولا شك أن الأعياد من الديانات ، ولو احق العبادات ، وإلى ذلك ذهب المفسرون في قوله تعالى : (ولكل أمة جعلنا منسكاً ما ناسكوه) فقد فسروا المنسك بالمعيد فلم يكن العرب يومئذ متفقين في الأعياد ، كما لم يتفقوا في الدين والاعتقاد ، فلزم أن نبين ما لكل فرقة منهم من الأعياد والمواسم على وجه الإجمال ، ولو ذكرنا ما كان لكل قبيلة من ذلك على وجه التفصيل لطال المقال ، ومن الله نستمد التوفيق وعليه الاتكال .

أعياد المشركين من عبدة الأصنام

كان لعباد الأصنام من العرب في الجاهلية أعياد كثيرة منها مكانية ومنها زمانية أما « المكانية » فكثيرة ، وهي مواضع أصنامهم وأوثانهم وأمكنة طواغيتهم وكانت الطواغيت الكبيرة التي كانت تشد إليها الرحال وتتخذ عيداً ثلاثة : اللات

(١) سيأتى تفسيره . (٢) نذر الشيء ندورا من باب قعد سقط أو خرج من غيره ومنه نادر أجيل وهو ما يخرج منه ويبرز وندر فلان من قومه .

والعُرَّى ومناة الثالثة الأخرى كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه حيث قال : (أفرايتم اللات والعُرَّى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذَّكْرُ وله الأنثى تلك إذا قِسْمَةٌ ضِيزَى)^(١) وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب ، والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة : مكة والمدينة والطائف ، فكانت اللات لأهل الطائف . ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يُلْتَمَسُ^(٢) السوق للحاج فلما مات عكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله ثم بنوا عليه بنية سموها بيت الربة . وأما العُرَّى فقد كانت لأهل مكة قريباً من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون ، فبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها وقسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها فيئست العُرَّى أن تعبد . وأما مناة فكانت لأهل المدينة يهاون لها شركاء بالله تعالى ، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل . وكانت لهم مواسم من السنة مخصوصة للاجتماع في هذه الثلاثة ، وكانت العرب تقصدها من كل فجٍّ ومعظمها كتعظيم الكعبة ، وكان لها سدنة^(٣) وحجَّاب ، وكانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها وينحرون عندها مع اعترافهم بفضل الكعبة عليها لعلمهم أنها بيت أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده ، وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن الخثعم وبجيلة فيه نصب يعبدون فيها ولهم فيه من السنة موسم وعيد ، وفي الحديث : (كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة والكعبة البمانية والكعبة الشامية ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجرير ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ قال جرير : فنفرت في مائة وخمسين راكباً فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فدعا لنا

(١) أى ناقصة ويقال جائرة ويقال أضارزه حقه اذا نقصه وضاز في الحكم اذا جار فيه وضيضى وزنه فعلى وكسرت الضاد للياء ولبيس في النعوت فعلى .
(١) لت الرجل السوق لنا من باب قتل بله بشيء من الماء وهو اخف من البس .
(٢) يقال سدنت الكعبة سدنا من باب قتل نخدمتها فالواحد سادن والجمع سدنة والسدانة باكسر الخدمة .

ولأحس) وفي رواية أخرى فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبارك في خيل أحس ورجالها خمس مرات، وهذا غير ذي الخلصة الذي نصبه عمرو بن لُحَيٍّ أسفل مكة. وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده.

وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد وموسم في كل سنة إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وحلى النساء ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوماً فابتاع فيمون — وكان مؤمناً بعيسى عليه السلام — رجل من أشرف أهل نجران وابتاع صالحاً آخر، فكان فيمون إذا قام من الليل يتعبد في بيت له أسكنه إياه سيده فإذا صلى أضاء له البيت نوراً حتى يصبح، فأحس بذلك سيده فأعجب به ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به فقال له فيمون: إنما أنتم في باطل إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبدته أهلها وهو الله وحده لا شريك له فقال سيده فافعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه. فقام فيمون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى عليها فأرسل الله عليها ريحاً فجعلتها أي قلمتها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

وأما «الزمانية» فهي أيام مسراتهم وأفراحهم لظفرهم على عدوهم ونصرتهم على خصومهم ومحاربتهم، وذلك إنما يكون بحسب قوم دون قوم ولقبيلة دون أخرى فيتفق في يوم هو عيد لقوم وسرور وهو لآخرين حزن وبؤس. وكان لأهل المدينة يومان يلعبون فيهما^(١) فلما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة قال لهم (قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الفطر والأضحى) ويوم (السبع) عيد من أعياد قبيلة من قبائل العرب في الجاهلية يشتغلون فيه باللهو

(١) ذكر بعض شراح الحديث انهما النيروز والمهرجان وكانهم اخذوهما من الفرس.

واللعب ، وكذلك يوم (السباسب) كأن عيداً تقوم من العرب في الجاهلية ، قال النابغة .

رَقَاقُ النِّمَالِ طَيِّبُ حُجْزَاتِهِمْ يُحَيِّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ^(١)
يقول : هم أعفَاء الفروج لا يحلون إزارهم لريبة ، وكانوا إذا حيوا يقدمون مع التحية الريحان لا أنهم يحيون بنفس الريحان . وذلك في هذا الموسم خاصة وبعض الأدباء عمم .

أعياد الفرس وهم الفرس وشرذمة من العرب وغيرهم

وهي كثيرة جداً حتى إن علي بن حمزة الأصهباني عمل فيها كتاباً ذكر فيه سبب اتخاذهم لها وسنن ملوكهم فيها فكرهت أن أقتنى أثره في ذلك خوف التطويل فاقصرت منها على المشهور الذي أولع الشعراء بذكره ، واعتنى الأمراء بأمره ، وهو (النيروز) و(المهرجان) و(السدق) فأما «النيروز» فهو تعريب نوروز وهو أعظم أعيادهم فيقال : إن أول من اتخذ (جمشاد) أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وهذا الاسم في الأصل مركب من جم وهو القمر وشاد وهو الشماع والضياء وسبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً إن (طمهورة) لما هلك ملك بعده جمشاد فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروزاً أي اليوم الجديد ، ونقل عن بعض المجاميع إن جمشاد ملك الأقاليم السبعة والجن والإنس ، وأنه لما مضى من ملكه ثلثمائة وستة عشر سنة أقبل على عجلة من زجاج عملتها له الشياطين سار بها إلى (دنياوند) إلى (بابل) في يوم واحد ، وجعل يسير بها في الهواء حيث شاء ، وأن اليوم الذي ركبها فيه كان أول من شهر (أفروريزماه) وكان مدة ملكه لا يريهم وجهه فلما ركبها أبرز لهم وجهه ، وكان له حظ وافر من الجلال فحملوا يوم رؤيتهم له عيداً وسموه نوروزاً والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفرس يصفون جمشاد بما وصف

(١) الحجرة . بالضم مقعد الإزار ومن السراويل موضِع التكة .

به سليمان بن داود عليهما السلام ، وأنه كان مجاب الدعوة ، وأنه سأل ربه أن يرفع عن رعيته الموت والسقم فكثر الخلق حتى ضاقت بهم الأرض فسأل ربه أن يوسمها عليهم فأمره أن يأتي جبل (البوز) وهو جبل (قاف) المحيط بالأرض فيأمره أن يتسع ثلثمائة فرسخ في أحوار الأرض فاتسع ، ثم بعد ذلك طغى وتجبر فذهب بهاؤه وشماعة وهرب يجول في الأرض مائة سنة ثم ظفر به الضحاك فنشره بالنيشار . ومن الفرس من يزعم أن النيروز هو اليوم الذي خلق الله تعالى فيه النور ، وأنه كان معظماً قبل جمشاد . وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بالدوران ، ومدته عندهم ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (أفرودريماه) الذي هو أول شهور سنتهم ويسمون اليوم السادس النيروز الكبير لأن ، الأكاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس على اختلاف طبقاتهم ، ثم ينتقلون إلى مجالس أنفسهم مع خواصهم .

وحكى ابن المقفع : أنه كان من عاداتهم فيه أن يأتي الملك رجل من الليل قد أرصد لما يفعله حسن الاسم والوجه فيقف على الباب حتى يُصبح ، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ووقف حيث يراه ، فيقول له الملك : من أنت ومن أين أقبلت وأين تريد وما اسمك ولأى شيء وردت وما معك ؟ فيقول : أنا المنصور واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت والملك السعيد أردت وبالهناء والسلامة وردت ومعى السنة الجديدة ، ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وعليه حنطة وشعير وجلبان وحمص وسمسم وأرز ، من كل جنس سبع سنابل وسبع حببات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديدان فيضع الطبق بين يدي الملك ، ثم تدخل عليه الهدايا ويكون أول من يدخل عليه وزيره ثم صاحب الخراج ثم صاحب المئونة ثم الناس على مراتبهم ، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب موضوع في سلة فيأكل منه ويطعم من حضره ، ثم يقول : هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد يحتاج

إلى أن نجدد فيه ما أخلق الزمان ، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء . ثم يخلع على وجوه مملكته ويصلبهم ويفرق فيه ما حل إليه من الهدايا . وأما عوام الفرس فكانت عاداتهم إيقاد النار في ليلته ورش الماء في صباحه ، وزعموا أن إيقاد النار فيه لتحليل العفونات التي أبقاها الشتاء في الهواء وقيل : إنما فعلوا ذلك تنويعاً بذكره وإشهاراً لأمره . وقيل في رش الماء إنما هو بمنزلة النشرة^(١) لتطهير الأبدان مما انضاف إليها من دخان النار الموقدة في ليلته . وقال آخرون : إن سبب رش الماء أن فيروز بن يزدجرد لما استتم بناء سور (جى) ^(٢) وأصبهان القديمة لم يقع المطر سبع سنين من ملكه ، ثم مطرت في هذا اليوم ففرح الناس بالمطر فصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به فصار ذلك سنة عندهم في ذلك اليوم من كل عام^(٣) . وكثيراً ما نحا الناس هذا النحو لموافاته إياهم بالكدر بدلاً عن الصفو ، وعند القبط بمصر عيد يسمونه (النيروز) أيضاً ويتخذونه في رأس سنتهم ويسميه نصارى الشام (القلنداس) وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور وإيقاد النيران وصب المياه ضعف ما يفعله الفرس ويشاركونهم في ذلك العوام من المسلمين إلا أن أهل مصر يزيدون فيه التصانع بالنطاع ، وربما حملهم ترك الاحتشاد على أن يجترئوا على الرجل المطاع ، ولولا أن ولاية الأمر يدعونهم ويمنعونهم من ذلك لمنعوا الطريق من السالك وهم مع هذا من ظفروا به لا يتركونه إلا بما يرضيهم من الغداء ، كما يفعل بمن حصل في أيدي الأعداء ، ويقال إن أول من عمل نيروز القبط أشمود بن قبطم ابن مريم أحد ملوك القبط الأول ، وأول من رسم هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأول من رفع ذلك عمر بن عبد العزيز ،

(١) بالضم رقية يعالج بها المجنون والمريض (٢) بالفتح لقب أصبهان قديماً
(٣) وما أحلى قول بعضهم يخاطب من يهواه ويذكر ما يستمد في النيروز من شب النيران وصب الافواه :

وكيل ما فية يحكىنى واحكيه	كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكنى
وتارة كتوالى عبرتى فيسه	فتارة كلهب النار فى كبدى
فكيف تهدى الى من أنت تهديه	اسلمتنى فيه ياسؤلى الى وجب

واستمر ذلك إلى أن فتح الهدية فيه (أحمد بن يوسف الكاتب) فانه أهدى فيه للمأمون
سفطاً ذهب فيه قطعة عود هندی في طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه
المادة ، بالطف العبيد للسادة ، وقد قلت :

على العبد حق وهو لا شك فاعله وإن عظم المولى وجلت فواضله^(١)

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز : هذا يوم سهلت فيه السنة
للعبيد الإهداء للملوك وتملقت كل طائفة من البر بحسب القدرة والهمة ولم أجد فيما
أملك ما يفي بحقوقك ، ووجدت تفريطك أبلغ من أداء ما يجب لك ومن لم يؤت
في هدية إلا من جهة قدرته ، فلا طمن عليه في همته . ولم يزل الناس على سنن
الفرس في استجباء الخراج عند دخول النيروز حتى دخل عليهم الخلل في دور
السنين فحاولوا أن يؤخروه وذلك في زمن هشام بن عبد الملك ، وبذلوا لخالد
ابن عبد الله القسري مائة ألف دينار على ذلك فكتب فيه إلى هشام ، فكتب
إليه هشام : أخاف أن يكون هذا من النسيء الذي قال الله تعالى فيه : إنما النسيء
زيادة في الكفر . فامتنع خالد من ذلك ثم سئل يحيى بن خالد بن برمك في أيام
الرشيدي أن يؤخر النيروز إلى شهرين فعزم على ذلك فبذله أن قوماً قالوا أراد أن
ينصر المجوسية فامتنع من ذلك إلى أن رأى المتوكل وقد ركب للصيد يوم النيروز
والزرع لم يسبل بعد وقال : قد استؤذنت في فتح الخراج والزرع لم يسبل بعد
فمرّقه إبراهيم بن عباس الصولي أن الأكامرة كانت تسقط في كل عشرين ومائة
سنة شهراً ، وإن الروم طرحت بعد موت الإسكندر من كل أربع سنين يوماً
وربع يوم ، وإمّا فعلوا ذلك لأن الشمس تقطع الفلك في كل ثلاثمائة وستين يوماً
وربع يوم فيجمع من هذا الربع يوم في كل أربع سنين فيطرح وتسمى هذه السنة

(١) ويروى بعده :

وان كان عنه ذا غنى فهو قابله	الم ترنا نهدي إلى الله ما له
لقصر عنه البحر يوماً وساحله	فلو كان يهدي للجليل بقدره
وان لم يكن في وسعنا ما تشاكله	واكننا نهدي إلى من نجس له

كبيسة فلما جاء الإسلام عملوا على ربح دواوين المعجم من غير أن يطرحوا هذا اليوم ، فأمر المتوكل الحُساب أن يحسبوا ما طرحوه فحسبوا الذى مضى من السنين التى لم تكسب فيها بعد ذهاب الفرس فوجدوه مائتين وخمسين سنة فحملوا لكل مائة وعشرين سنة شهراً ، فوافق السابع عشر من حزيران ، وأمر أن يجعل النيروز فى هذا اليوم ، وأن لا يفتح الخراج إلا فيه ، وكان هذا فى أواخر سنة اثنتين وأربعين ومائتين . ثم قدم فى أيام المعتضد إلى الحادى عشر من حزيران تحريراً للحساب الأول ، ونقلت فى أيام المطيع لله سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين . وأما « المهرجان » فوقعه فى السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان ، ومن شهور الفرس فى السادس عشر من مهرماه وهذا الأوان وسط زمن الخريف ولهذا قال الشاعر :

أَجِبُّ المهرجان لأنَّ فيه سروراً للملوك ذوى السناء
وباباً للعصير إلى أوانٍ تفتح فيه أبواب السماء

وهو ستة أيام ويسمى اليوم الثالث المهرجان الأكبر . قال المسعودى وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم ، وكان لهم ملك يسمى مهراً يسير فيهم بالعنف والعسف فمات فى نصف الشهر الذى يسمونه مهراً ، ومعنى ماه القمر فسمى ذلك اليوم مهرجان وتفسيره : نفس مهر ذهبت لأن المعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف بخلاف العرب ، وهذه اللغة لغة الفرس الأولى وتسمى الفهلوية ويقال مهر وفاء وجان سلطان وكان معناه سلطان الوفاء . وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الروح^(١) . ويقال : إنما ظهر فى عهد إفريدون الملك ، ومعنى هذا الاسم أدراك النار بعده عن دين المجوسية

(١) وفى ذلك يقول عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر :

إذا ما تحقّق بالمهرجان ن من ليس يعرف معناه غاظا
ومعناه ان غلب الفرس فيه فسموه الروح فيه حفاظا

وسبب اتخاذهم له أن بيوراسب وهو الضحاك^(١) . ويقال له الإزدهاق ذو الجنتين

(١) قال ابن الاثير في الكامل ذكر بيوراسب وهو الإزدهاق الذي يسميه العرب الضحاك قال وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وأنه أول القراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل .

والفرس تذكر أنه منهم وتنسبه اليهم وأنه بيوراسب بن ارون داسب ابن رينكال بن وندريشتك بن ياربن بن فروال بن سسيامك بن ميشي بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة .

وزعم أهل الاخبار أنه ملك الاقاليم السبعة وأنه كان ساحرا فاجرا ، قال هشام ابن الكلبي ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة ونزل السواد في قرية يقال لها برس في ناحية طريق اكوفة وملك الأرض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده في القتل وكان أول من سن الصليب والقطع وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تغنى وغنى له ، قال وبلغنا أن الضحاك هو نمرود وأن ابراهيم عليه السلام ولد في زمانه وأنه صاحبه الذي أراد احراقه .

وتزعم الفرس أن الملك لم يكن إلا اللبطن الذي منه أوشهينج وجم وطهمورث وأن الضحاك كان غاصبا وأنه غصب أهل الأرض بسحره وخيئه وهول عليهم بالحيثين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكتب أن الذي كان على منكبيه كان لحيتين طويلتين كل واحدة منهما كراس الثعبان وكان يستترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل انهما حيتان يقتضيان الطعام وكانتا تنحركان تحت ثوبه إذا جاعا . ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لأن اللحيتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فإذا طلاهما بدماغ انسان سكنتا فكان يذبح في كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى إذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل اصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له اخذهما اصحاب بيوراسب بسبب اللحيتين اللتين كانتا على منكبيه ، وأخذ كابي عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومجاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفتون الجور فلما غلب كابي تفاعل الناس بذلك العلم فعضموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذي يتبركون به وسموه درفشن كايان فكانوا لا يسيرونه الا في الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا في الامور الكبار ، وكان من خبر كابي أنه من أهل اصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما اشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازلته وخلق مكانه فاجتمع الاعجام الى كابي فاعلمهم أنه لا يتعرض للملك لأنه ليس من اهله وأمرهم أن يملكوا بعض ولدجم لأنه ابن الملك أوشهينج الاكبر ابن فروال الذي رسم الملك وسبق في القيام ، وكان افريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافي كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته فملكوه وصار كابي والوجه لافريدون اعوانا على امره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في اثره فأسره بدنياوند في جبالها .

وبعض المجوس تزعم أنه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه لقي سليمان بن داود وحبسه سليمان في جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فما برح بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله الى خراسان فلما عرف سليمان

والأنفواه الثلاثة والأعين الستة الداهية الخبيث المتمرد لما قتل جمشاد وملك .
جاءه إبليس في صورة خادم فقبل منكبيه فبدت فيهما حبتان وكانت تؤله فوصف
له أدمغة الناس فقتل كل يوم غلامين لذلك فأجحف قتل الولدان بالرعية فخرج
رجل بأصهبان يقال له (كابي) وعقد لواء من سنبك جدى ، وقيل من جلد أسد
ودعا الناس إلى محاربة الضحاك فاجتمع له خلق كثير ، وشخص إلى الضحاك
فهاهم وهرب منهم فاجتمع الفرس إلى (كابي) ليلسكوه عليهم ، فقال : ما أنا من
أهله وذكر لهم أن معه صبياً من ولد جمشاد يسمى أفريدون ، فقال : أرى أن
تمسكوه وتميدوا الملك إلى أهله . فمسكوه فخرج أفريدون في طلب الضحاك فوجده
فأخذه وشده وخبسه في جبل دنباوند ، وجعل ذلك اليوم عيداً وسماه المهرجان .
ويقال إن ذلك اللواء لم يزل عند الفرس مغشى بالديباج المذهب المرصع بضروب
الجواهر ، وكان يسمى (درفس كابي) ومعنى درفس قائم ، وكانت ملوك الفرس
لا تخرجه إلا في يوم حرب تبركابه ، ولا يحمل إلا على رأس ملك أو ولي عهد ،
ولم يزل عندهم إلى أن جاء الإسلام فحمل على رأس رستم في وقعة القادسية ، فلما
هزمت الفرس وقتل رستم صارت هذه الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه فقومت بألني ألف ومائتي ألف وثلاثين ألف درهم . وقيل : كان أخذها يوم
فتح المدائن . وقيل : يوم فتح نهاوند . وزعم بعض الفرس أن الضحاك هو
نمروذ ، وأفريدون هو إبراهيم عليه السلام . ويقال : إن المهرجان هو اليوم الذي

ذلك أمر الجن فاوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسماً كرجلين يدقان باب
الغار الذي حبس فيه ابداً لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت . وهذا أيضاً من
أكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا ذكرها .
وبعض الفرس يزعم أن أفريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله أمر
وزنروز أي استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيداً وكان أسره يوم
المهرجان فقال العجم أمد مهرجان تقتل من كان يذبح وزعموا أنهم لم
يسمعوا في أمور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو أن بليته لما
أشتدت ودام جوره تراسل الوجوه في أمره فاجمعوا على المصير إلى بابه
فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي إلا صهباني فدخل عليه
ولم يسلم فقال أيها الملك أي السلام عليك سلام من يملك الأقاليم كلها
أم سلام من يملك هذا الأقليم ، فقال بل سلام من يملك الأقاليم كلها لأنى
ملك الأرض .

هذا ما اردنا ذكره توضيحاً لما أجمل في الاصل ليس الا .

عقد فيه التاج على رأس أزدشير بن بابك أول ملوك الفرس الساسانية وقال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخا الفرس إنَّ الفرسَ تعلمُ أنه لأطيبُ من نيروزِها مهرجانُها
لإدبار أيامِ يغمُّ هواؤها وإقبال أيامِ يسرِ زمانها

وكان مذهب الفرس فيه أن تدهن ملوكهم بدهن البان تبركا وكذلك عوامهم وأن يلبس المصعب والوشى وأن يتتوج بتاج عليه صورة الشمس وحجلتها الدائرة عليها ، ويكون أول من يدخل عليها الموبدان يطبق فيه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وعناب وتفتح وعنقود عنب أبيض وسمع طاقات آس قد زمزم عليها ، ثم تدخل الناس على تفاوت طبقاتهم بمثل ذلك . وكان أزدشير وأنوشيروان يأمران بإخراج مافي خزائهم في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفرش فيفرق كلها في الناس على مراتبهم ويقولان . إن الملوك تستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من أخلاقهم أن تجبي كسوتهم في خزائهم وتساوى العامة في فعلها . وزعم أصحاب التاريخ أن النيروز عملته الفرس قبل المهرجان بألثى سنة وخمسة سنة . وكانوا يهدون في النيروز والمهرجان المسك والعنبر والعود الهندي ويعرضون في النيروز عن الزعفران الكافور . وأما « السدق » ويعمل في ليلة الحادى عشر من شهر أيارماه ويسمى هذا اليوم عند الفرس روزابان لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم أسماء ويقال في سبب اتخاذهم له : إن فراسياب لما تملك سار إلى بلاد بابك فأكثر فيها الفتنة وخرب ما كان عامراً منها فخرج عليه زفر بن طهماز شب فطرده عن مملكة فارس إلى بلاد الترك . وكان ذلك في يوم روزابان فاتخذ الفرس هذا اليوم عيداً وجعلوه ثالثاً لعيدى النيروز والمهرجان ، ولما تملك وضع عن الناس خراج سبع سنين فعمرت البلاد . ويقال أيضاً في سبب اتخاذهم لهذا العيد : إن الأب الأول وهو عندهم كيومرت لماكمل له من بنيه مائة ولد زوج الذكور بالإناث وصنع لهم

عرساً أكثر فيه من إيقاد النيران ، وقد وافق هذا تلك الليلة المذكورة فاستنت ذلك الفرس بعده وهم يوقدون النيران بسائر الأدهان ويزيدهم الولوع بها حتى أنهم يلقون فيه سائر الحيوانات .

وللفرس أعياد دون ما ذكرناه . منها عيد يسمى « نيركان » زعموا أنه لما وقعت المصالحة بين منوهر وفراسياب التركي على أن يعطى فراسياب منوهر من المملكة قدر رمية سهم فأنبروا رجلاً يقال له آيس ، وكان مؤيداً في الرمي ففرز سهماً في قوسه ورمى وامتدّ السهم من جبال طبرستان إلى أعلى طخريستان ، وهذا يكون في الثالث عشر من تيرماه . وأيام « الفيروزجان » وهي خمسة أيام أولها السادس والعشرون من أبان ماه ومعناه تربية الروح لأنهم كانوا يصنعون فيها أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ، ويزعمون أنها تأتي وتقتنذ بها « وركوب الكوسج »^(١) يعمل في أول يوم من آذرماه . وسُنّتهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم رجل كوسج قد أعدّ لما يصنع به يأكل الأطعمة الحارة ويشرب الشراب الصرف أياماً قبل حلول الشهر ، فإذا حل لبس غلالة صبورية وركب بقرة وأخذ على يده غراباً ، ويتبعه الناس يصبون عليه الماء ويضربون وجهه بالثلج ويروّحون عليه بالمرّاح وهو يصيح بالفارسية كرم كرم . ومعناه : الحرّ الحرّ ، يفعل ذلك سبعة أيام ومعه أوباش الناس ينهبون ما يجدون من الأمتعة في الحوانيت ، وللسلطان عليهم مال فإذا وجدوا بعد عصر اليوم السابع ضربوا وحبسوا . ويقال : إن هذا الفعل كان يتداوله أهل بيت كل منهم كوسج . وحكى الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار) في سببه : أن كوسجاً كان يشرب في هذه الأيام ويطلّي بدنه فيها فعملته الفرس . وفي ركوبه يقول الشاعر :

قد ركب الكوسجُ يا صاحراً فالتنّذ بالزهر والراح
وأنتم بأزرماء عيشاً وخذ من لذة العيش بمفتاح

(١) الكوسج معرب كوسه بمعنى ناقص الشعر وقيل ناقص الاسنان والاول هو المعروف واشتقوا منه فعلاً فقالوا من طالت لحيته تكوسج عقله ، ويقال كوسق وهو اسم سمكة وهو معرب أيضاً .

و « عيد بهمنجه » يتخذونه في يوم بهمن في شهر بهمن ماه يؤكل فيه بهمن الأبيض باللبن الخالص على أنه ينفع الحفظ ، ورؤساء خراسان كانوا يعملون فيه الدعوات على طبخ فيه كل حب مأكول ولحم كل حيوان يؤكل ويحضر ما يوجد في ذلك الوقت من بقل أو نبات .

أعياد القبط والنصارى

قال الشيخ شهاب الدين الحموى في كتابه (عجائب المخلوقات) : للقبط أربعة عشر عيداً سبعة يسمونها كباراً وسبعة يسمونها صغاراً فالكبار :

« البشارة » ويمنون بها بشاراة (غبريال) وهو جبريل عليه السلام على زعمهم لمريم عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه يعملونه في اليوم التاسع والعشرين من برمات من شهور القبط .

و « الزيتونة » وهو عيد الشعانين وتفسيره التسبيح يعملونه في سابع أحد من صومهم وكانت سنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة وهو ركوب المسيح العفو في القدس وهو معنى الحمار ودخوله صيور وهو راكب والناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

و « الفصح » وهو العيد الكبير عندهم يقولون إن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد إلى السماء ، وكان يوافق فصح اليهود قبل زمان قسطنطين . ولما تنصر قسطنطين وانين واجتمع الأساقفة حينئذ على وضع الأمانة وهي العقيدة التي يدين بها جميع فرق النصارى فاتفقوا أيضاً على مخالفة اليهود في الفصح فأخروه عنه وجعلوه يوم الأحد .

و « خميس الأربعين » ويسميه الشاميون (السلاق) وهو الثاني والأربعون من الفطر يزعمون أن المسيح عليه السلام تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السماء بعد القيام ووعدهم إرسال (الفار قليط) وهو روح القدس .

و « عيد الخمسين » وهو العنصرة يعمل بعد خمسين يوماً من عيد القيام يقولون إن روح القدس حلت في التلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلموا بجميع الألسنة وراح كل واحد منهم إلى بلاد لسانه يدعوهم إلى دين المسيح عليه السلام .

و « الميلاد » وهو الذى ولد فيه المسيح عليه السلام . يقولون : إنه وُلد يوم الاثنين ويعملون عشية الأحد ليلة الميلاد وهم يقدون فيها المصابيح بالكنايس ويزينونها ، وُولد صلوات الله عليه بيت لحم قرية من أعمال فلسطين يعمل في التاسع والعشرين من كيفكر من شهور القبط . وقال المسعودى : يوم الأربعاء لست من كانون الثانى ، وكانت مريم عليها السلام يوم ولده بنت ثلاث عشرة سنة .

و « الفطاس » ويعمل في الحادى عشر من طوبة من شهورهم ، يقولون إن يوحنا وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام غمس بالمعدان ، وفيه غسل عيسى عليه السلام في بحيرة الأردن . ويزعمون أنه لما خرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة والنصارى يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم ووقته شديد البرد . ورأيت في بعض الكتب هذه الأعياد ، وذكر فيه يوم ظهور الجوس وأنهم أهدوا له دقيقاً ولباناً وتمراً وهو يوم النجم .

وأما الأعياد الصغار « فالختان » ويعمل في سادس (مُبونة) ويقولون : إن المسيح ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد .

و « الأربعون » عيد دخول الهيكل ، يقولون : إن سيمان الكاهن دخل بعيسى عليه السلام مع أمه وبارك عليه ويعمل في ثامن أُمشير .

و « خميس العهد » ويعمل قبل الفطر بثلاثة أيام وسنتهم فيه أنهم يأخذون إناء ويملاؤنه ماء ويزمزمون عليه ثم يفسل البطريك به أرجل سائر الناس ويزعمون أن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه في هذا اليوم يعلمهم التواضع وأخذ

عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض والعامّة من النصارى يسمون هذا الخميس (خميس العدس) لأنهم يطبخون فيه العدس على ألوان شتى ويسميه أهل الشام (خميس الرز وكان) ويسميه أهل الأندلس (خميس إبريل) وهو اسم شهر من شهور الروم .

و «سبت النور» وهو قبل الفصح بيوم يقولون : إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس وما ذلك إلا من التخييلات النيرنجية التي يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها العقول الضعيفة وذلك أنهم كانوا يعلقون القناديل في بيت المذبح ويتحياون في إيصال النار إليها بأن يمدوا على سائرها شريطاً من حديد في غاية الدقة مدهونا بدهن البلسان ودهن الزنبق فإذا صلبوا وحان وقت الزوال فتحوا المذبح فدخل الناس إليه وقد اشتعلت فيه الشموع ويتوصل به بعض القوم إلى أن يعلق بطرف الشريط النار فتسرى عليه فتتقد القناديل واحد بعد واحد إذ من طبيعة دهن البلسان علوق النار فيه سريماً بأدنى ملامسة له فيظن من حضر من ذوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل وكذلك اتخذوا شريطاً دقيقاً من حديد مدهون بهذا الدهن منصوباً من أعلى القبة إلى فتيلة قنديل معلق في وسط القبة فيوقد طرف الشريط فتسرى النار فيه إلى الفتيلة فتشتغل . وقد أراد بعض ملوك الشام من بنى أيوب إبطالها فقبل له : إنك تحصل بهذا كثيراً من المال في كل سنة فكف عنها وتركها .

و «الأحد الجديد» وهو بعد الفصح بثمانية أيام يعمل أول أحد بعد الفطر لأن الآحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يحددون الآلات والأثاث واللباس ومنه يأخذون في العدد للمعاملات والقبالات والأمور الدنيوية .

و «التجلى» يقولون : إن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع في هذا اليوم وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى عليهما السلام فأحضرهما لهم بمصلى

بيت المقدس ثم صعدوا وصعدوا ويعمل في ثالث عشرة مسرى .
و « عيد الصليب » وتزعم النصارى أن قُسطنطين بن هيلانة انتقل من
اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية فيه وبني كنيسة قُسطنطينية العظمى وسائر
كنائس الشام ، ويزعمون في سبب ذلك أنه كان مجاوراً للرومان فضاق بهم
ذرعاً من كثرة غاراتهم على بلاده فهم أن يصانعهم ويفرض لهم عليه أتاوة
في كل عام ليكفوا عنه فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعهما أعلام
عليها صلبان فخاربت الرومان فانهزموا فلما أصبح عمل أعلاماً وصور فيها صلباناً
ثم قاتل فيها الرومان فهزمهم . وقيل : إنه رأى في المنام صليباً من بعد في السماء
وقائلاً يقول : اعمل مثل هذا على رؤس أعلامك فإنك تنتصر . فلما أصبح أمر
بعمل صلبان من ذهب على رؤس أعلامه وقاتل بها ونصر فسأل من كان في بلده
من التجار الذين طافوا في بلاد الدنيا فقالوا له هذا دين النصرانية ، وإنه في بلد
الخليل من أرض الشام فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم إليه وأن يقصوا
شعورهم ويحلقوا لحاهم ، وإنما فعل ذلك بهم لأن رسل عيسى عليه السلام كانوا
قد وردوا على اليونان قبل أن يأمرهم بالتعبد بدين النصرانية فأعرضوا عنهم
ومثلوا بهم بهذه المثلة نكالا ففعلوا ذلك تأسيّاً أى اقتداء بهم ولما انتصر قُسطنطين
خرجت أمه هيلانة إلى الشام ، فبنت فيه الكنائس وسارت إلى بيت المقدس
وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح على ما تزعم النصارى وكانت مدفونة
في مرطبة عظيمة فأخرجت منها وفيها موضع سبعة مسامير ، وكانت اليهود قد وثبت
على يعقوب بن يوسف أخى عيسى في الصليبية على زعم النصارى ببيت المقدس
فألقوه من أعلى الشكل (لعله الهيكل) فمات لا متناعه من الرجوع إلى دينهم ومقامه
على دين النصرانية وهدموا البيعة وأخذوا خشبة الصلب وخشبتى اللصين اللذين
صلبا معه على زعمهم فدفنوه في قبر واحد . وهذه الأعياد عندهم يصومونها

وإذا كان أحدهم في موطن أو قرية لا يرتحل حتى يعيد فلما حملت إليها غلفتها بالذهب وحملتها إلى ابنها ، فعمل من المسامير لجاماً لفرسه وعمل صليياً من ذهب ووضعه على جبهته واتخذت يوم رؤيتها لها عيداً وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول ووافق ذلك سبع عشرة ليلة من توت من شهر القبط . قال السعودي وكان من مولد المسيح إلى اليوم الذي وجدت فيه الخشبة ثلاثمائة وثمان وعشرون سنة .

أعياد اليهود

وهي على ما ذكره الحموي أيضاً خمسة نطقت بها التوراة بزعمهم وهي « عيد رأس السنة » يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه (عيد رأس هيشا) أى عيد رأس الشهر وهو أول يوم من تشرين ينزل عندهم منزلة عيد الأضحى عندنا ، ويقولون إن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده اسحق فيه وفداه بذبح^(١) عظيم .

و « عيد صوماريا » ويسمى (الكبير) وهو عندهم الصوم العظيم الذي فرض عليهم صومه ، ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة يبتدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين وتختتم بمضى ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر ، ولهذا ربما يسمى العاشر ويشترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار وهو عندهم تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع عندهم في يوم الأحد ، ولا في يوم الثلاثاء ، ولا في يوم الجمعة ، ويزعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنى بالمُحصنة وظلم الرجل أخاه وجحده لربوبية الله تعالى .

و « عيد المظال » وهو ثمانية أيام أولها الخامس عشر من تشرين وكلها أعياد ، واليوم الآخر منها يسمى عرايا . تفسيره : شجر الخلاف . وهو أيضاً حج لهم وهم يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون والخلاف وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض . ويزعمون أن ذلك

(١) الذبح بكسر الدال ما ذبح ، والذبح يضمها المصدر .

تذكّار منهم لإظلال الله تعالى إياهم في التيه بالغمام . وكيفية عمل هذه الظلال أن يصنع كل من أمكنه في بيته طارمة من قصب وسقفها من الجريد الأخضر وسعفه ويترك داخلها أسفار التوراة . ومنهم من يوزرها بالديباج ومتى زالت من السعف سعفه حتى تدخل الشمس المكعب فسد عليه عيده ، وتكون هذه الظلة في علو الدار تحت السناء ويعمل كل واحد في أول يوم من هذه الأيام الثمانية قبضة مرسين فيها ثلاثة عيدان في كل عود ثلاثة أغصان بعضها أعلى من بعض في كل غصن ثلاثة أوراق وفي وسطها قلب من سعف النخل مستقيم طوله ثلاث قبضات ، وعود من الصفصاف وأترجة سالمة من الخدوش صحيحة من التعفن ويحمل ذلك إلى البيعة ويودع عند القمص ، وإذا كان قبل يوم من الأيام الثمانية دخلوا البيعة وصلوا وأعطى قيم البيعة إلى كل رجل منهم بيده اليمنى قبضة ، وبيده اليسرى الأترجة فيكون في أيديهم وهم قيام . ويقرأ عليهم مزموراً من المزامير ، فإذا فرغ من المزمور سلم عليهم الختران وهو المعلم وقرأ عليهم شيئاً من التوراة فإذا فرغ من القراءة صلى صلاة ثانية قرب الظهر . ومنهم من يبرد إلى العصر في بيته ، ومنهم من يعلم القيم وينصرف .

و « عيد الفطير » ويسمونه الفصح فيكون في الخامس عشر من نيسان وهو سبعة أيام أيضاً يأكلون فيها الفطير وينظفون فيها من خبز الخمير لأنها عندهم الأيام التي خلاص الله تعالى بني إسرائيل من يد فرعون وأغرقه فخرجوا إلى أرض التيه ، وجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير وهم بذلك فرحون ، وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون واتفق أن كان القمر في ذلك اليوم تام الضوء فأصمروا بحفظ ذلك اليوم فصاروا يراعون وقوعه في ذلك الزمن .

و « عيد الأساييع » وهي الأساييع التي فرضت فيها الفرائض وكل فيها الدين ، ولهم فيها حساب طويل امتطوا فيه مطى التعسف ، ويسمى (عيد العنصرة) و (عيد الخطاب) . ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أساييع ، ويقولون : إنه اليوم

الذى خاطب الله تعالى فيه بنى إسرائيل من طور سيناء ، وفي جملة هذا الخطاب الكلمات العشر ، وهى وصايا تضمنت أمراً ونهياً وتضمنت التوفيق ، وهو حج من حجوجهم ، وحجوجهم ثلاثة الأسابيع والفطير والمظال وهم يعظمونه ويأكلون فيه القطايف ويتفننون فى عملها ويجعلونها بدلاً عن المن الذى أنزل عليهم فى هذا اليوم على ما يزعمون . واتخاذهم لهذا العيد السادس من سيوان ، ويسمى عشرتنا مشتق من الاجتماع . و « عيد الفوريم » وهو عيد أحداثه ويسمونه الفوريم ، وذكر فى سبب اتخاذهم له أن يختصر لآجل من كان بيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم أسكنهم (بيجى) وهى إحدى مدينتى أصفهان ، ثم ذهبت أيام الكلدانيين ، وملكت الفرس الأولى والأخيرة . فلما ملك أردشير بن بابك وتسميه اليهود بالعبرانية احشويرش . وكان له وزير يسمونه بلغتهم هامان ، ولليهود يومئذ حبر يسمونه بلغتهم مردخاى ، فبلغ أردشير أن له ابنة عم من أحسن نساء أهل زمانها وأكلمهن عقلاً ، فطلب تزويجها منه فأجاب لذلك فخطبت عنده حظوة صار بها مردخاى قريباً منه فأراد هامان إصغاره واحتقاره حسداً له وعزم على إهلاك طائفة اليهود التى فى جميع مملكة أردشير ، فرتب مع نواب الملك فى سائر الأعمال أن يهلك كل واحد منهم من بعمله من اليهود ، وعين له يوماً وهو النصف من آذار وإنما خص هذا اليوم دون سائر الأيام لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفى فيه ، وأراد بذلك المبالغة فى نكايتهم ليتضاعف الحزن عليهم بهلاكهم ويموت موسى عليه السلام ، فاتضح لمردخاى ذلك من بطانة هامان فأرسل إلى ابنة عمه يعلمها بما عزم هامان فى أمر اليهود وسألها إعلام الملك بذلك وحضها على أعمال الحيلة فى خلاص نفسها وخلاص قومها ، فأعلمت الملك بالحال وذكرت له إنما حمله على ذلك الحسد على قربنا منك ونصحنا لك ، فأمر بقتل هامان وقتل أهله وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والإحسان فى ذلك اليوم فاتخذوه عيداً واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام . وهذا العيد عندهم عيد

سرور ولهو وخلاعة يهدى بعضهم فيه إلى بعض ، ويصورون من الورق صورة هامان ويملاؤن بطنها نخالة وملحاً ويلقونها في النار حتى تحترق يخذعون بذلك صبيانهم .

و « عيد الحنكة » وهو أيضاً مما أحدثوه ، وهو ثمانية أيام أولها ليلة الخامس والعشرين من كسلا ، ويقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجاً ، وفي الثانية سراجين وهكذا إلى أن يكون في الثانية ثمانى سرج . وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجبارة تغلب على بيت المقدس وقتك بيتى إسرائيل واقتض أبكارهم ، فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم ، وطلب اليهود زيتاً لوقيد الهيكل فلم يجدوا إلا يسيراً وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة إلى تمام ثمان ليال ، فاتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه (الحنكة) وهو بمعنى التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقذار شيعة الجبار . وبعضهم يسميه (عيد التبريك) . وقيل : إن عيد التبريك كان فيه استتمام نزول التوراة وسلمت إلى أئمتهم لتوضع في الهيكل . وهم يخرجون فيه التوراة ويتبركون فيها .

القول في أعياد المسلمين

ولما انجرت الكلام إلى ذكر غالب أعياد الأمم ، وبيان عاداتهم وسننهم في مواسمهم على الوجه الأتم ، اقتضى ذلك أن نذكر ما اشتهر من أعياد المسلمين على سبيل الاختصار ، إذ قد بسط الكلام عليها العلماء الأخيار ، فنقول : قد أسلفنا أنه كان لكل قوم من الأمم يوم يتجمعون فيه ويخرجون من بلادهم بزيئتهم وتلك عادة لا ينفك عنها أحد من طوائف العرب والعجم ، وقد قدّم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال : قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر قيل : هما النيروز والمهرجان ، وإنما بدلا لأنه ما من عيد

في الناس إلا وسبب وجوده تنويه بشعائر دين أو موافقة أئمة مذهب أو شيء مما يضاهي ذلك نفخى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تركهم وعاداتهم أن يكون هنالك تنويه بشعائر الجاهلية أو ترويج لسنة أسلافهم فأبدلها بيومين فيهما تنويه بشعائر الملة الحنيفة ، وضم مع التجميل قيها ذكر الله وأبواباً من الطاعات لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب ولئلا يخلو اجتماع منهم من إعلاء كلمة الله إحداها : يوم فطر صيامهم وأداء نوع من زكاتهم فاجتمع الفرح الطبيعي من قبل تفرغهم عما يشق عليهم وأخذ الفقير الصدقات ، والعقل من قبل الابتهاج بما أنعم الله عليهم من توفيق أداء ما افترض عليهم وأسبل عليهم من إبقاء رؤوس الأهل والولد إلى سنة أخرى . والثاني : يوم ذبح إبراهيم ولده إسماعيل وإنعام الله عليهما بأن فداه بذبح عظيم . إذ فيه تذكر حال أئمة الملة الحنيفة والاعتبار بهم في بذل المهج والأموال في طاعة الله تعالى وقوة الصبر وفيه تشبه بالحاج وتنويه بهم وشوق لما هم فيه ولذلك سن التكبير وهو قوله تعالى (ولتكبروا الله على ما هداكم) يعني شكراً لما وفقكم للصيام ، ولذلك سن الأضحية والجهر بالتكبير أيام منى واستحب ترك الحلق لمن قصد التضحية وسن الصلاة والخطبة لئلا يكون شيء من اجتماعهم بغير ذكر الله وتنويه شعائر الدين وضم معه مقصد آخر من مقاصد الشريعة وهو أن كل ملة لا بد لها من عرصة يجتمع فيها أهلها لتظهر شوكتهم وتعلم كثرتهم ولذلك استحب خروج الجميع الصبيان والنساء وذوات الخدور والخيفين ويعتزلن المصلي ويشهدن دعوة المسلمين ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخالف في الطريق ذهاباً وإياباً ليطلع أهل تلك الطريقين على شوكة المسلمين . ولما كان أصل العيد الزينة استحب حسن اللباس والتقليل من أي ضرب الدفوف ومخالفة الطريق والخروج إلى المصلي وسنة صلاة العيدين أن يبدأ بالصلاة من غير أذان ولا إقامة يجهر فيها بالقراءة يقرأ عند إرادة التخفيف : « سبح اسم ربك الأعلى » . و« هل أتاك » . وعند الإتمام « ق » و« اقتربت الساعة » يكبر في الأولى

سبعاً قبل القراءة والثانية خمساً قبل القراءة ، وعمل الكوفيين أن يكبر أربعاً
كتكبير الجنائز في الأولى قبل القراءة وفي الثانية بعدها ، وهما سنتان وعمل
الحرميين أرجح ثم يخطب يأمر بتقوى الله ويعظ ويذكر . وفي الفطر خاصة أن
لا يندو حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترأ وحتى يؤدي زكاة الفطر إغناء للفقراء
في مثل هذا اليوم ليشهدوا الصلاة فارغى القلب وليستحق مخالفة عادة الصوم عند
إرادة التنويه بانقضاء شهر الصيام . وفي الأضحية خاصة أن لا يأكل حتى يرجع
فياً كل من أضحيتها اعتناء بالأضحية ورغبة فيها وتبركاً بها ولا يضحي إلا بعد
الصلاة لأن الذبح لا يكون قربة إلا بتشبه الحاج وذلك بالاجتماع للصلاة والأضحية
سنة من معز أو جذع من ضأن في كل أهل بيت وقاسوها على الهدى فأقاموا
البقرة عن سبعة والجزور عن سبعة مقامها . ولما كانت الأضحية من باب بذل
المال لله تعالى وهو فوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم) كان تسمينها واختيار الجيد منها مستحباً لدلالته على صحة رغبته في الله
فلذلك يتق من الضحايا أربع : المرجاء البين ضلعها ، والعوراء البين عورها ،
والمريضة البين مرضها ، والعجفاء التي لا تنقى ، وينهى عن أعظم القرن والأذن
وسن استشراف العين والأذن وأن لا يضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء .
والمقابلة : ما يقطع من قبل أذنها أى مقدمها . والمدابرة : التي تقطع من مؤخر أذنها
والشرقاء : مشقوقة الأذن . والخرقاء : مقطوعة الأذن ثقباً مستديراً . وسن الفحل
الأقرن الذي ينظر في سواد — أى سواد العينين — ويبرك في سواد — أى
سواد البطن والصدر — ويطأ في سواد — أى سواد الأرجل — لأن ذلك
تمام شباب المعز ومن أذكار التضحية : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض الخ اللهم منك وإليك ولك من الله والله أكبر . واستيفاء الكلام على
الأعياد الزمانية والمكانية والاجتماعية وما حدث منها في الإسلام في كتاب
(اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

بيان ما كان العرب يعنعون في أعيادهم ومواسمهم

كانوا في أيامهم ومواسمهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل المثمنة والبرود المعجبة والفرسان منهم يتسابقون على الخيل والأجواد ييسرون أى يلعبون باليسر^(١) وصبيانهم يلعبون أنواعاً من الملاعب قد استوفاهما صاحب القاموس، ويزمرون بالدفوف والمزاهر ونحو ذلك مع التغنى بأراجيز وأبيات من الشعر أنشدوها في أيامهم كيوم بفاث^(٢)، وكان لهم أولاً فن الشعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الأجزاء تفصيلاً يكون كل جزء منها مستقلاً بالإفادة لا ينقطع على الآخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزئة أولاً ثم بتناسب الأجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهجوا به فامتاز من بين الكلام بحظ من الشرف ليس لغيره لأجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديواناً لأخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكماً لقراءتهم في إصابة المعاني وإجادة الأساليب واستمروا على ذلك . وهذا التناسب الذي من أجل الأجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الأصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى إلا أنهم لم يشعروا بما سواه لأنهم حينئذ لم ينتحلوا علماً ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة أغلب نحلهم ، ثم تغنى الحداثة منهم في حداثهم وإبلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجموا الأصوات وترنموا ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الإسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان المعجم وغلبهم عليه وكانوا من البداوة والفضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع في دين

(١) أى القمار .

(٢) بالعين المهملة والعين المعجمة ويشلت : موضع على ليلتين من المدينة

ويومه معلوم .

ولا معاش فهجروا ذلك شيئاً ما ولم يكن اللذوذ عندهم إلا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذى هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى قضاء العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ . وافترق الغنون من الفرس والروم فوقموا إلى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعاً بالعيان والطناير والمعازف والمزامير وسمع العرب تاجينهم للأصوات فاحتوا عليها أشعارهم وظهر بالمدينة (نشيط الفارسي) و (طويس) و (سائب) و (حار) مولى عبيد الله بن جعفر قسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم (معبد) وطبقته (وابن سريج) وأنظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت أيام بنى العباس عند إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلى وابنه إسحق وابنه حماد وكان من ذلك فى دولتهم ينفذ ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه إلى زمن بعيد وأمعنوا فى اللهو واللعب . واتخذت آلات الرقص فى الملبس والقصبان والأشعار التى يترنم بها عليه وجعل صنفاً وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكركج وهى تماثيل خيل مسرجة من الخشب معاقبة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرون ويفرون ويثاقفون . وأمثال ذلك من اللعب الممدّ للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك فى بغداد وأمصار العراق وانتشر منها إلى غيرها . وكان للموصلين غلام اسمه (زرياب) أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه إلى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس فبالغ فى تكريمه وركب للقائه وأثنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات وأحلّه من دولته وندمائه بمكان فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطغى منها بإشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضايتها إلى بلاد العدو بأفريقية والمغرب وانقسم على أمصارها وهذه الصناعة آخر ما يحصل فى العمران من الصنائع لأنها كالية فى غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح وهو أيضاً ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه . كذا فى مقدمة المبر .

ذكر هراء العرب والغناء والتغني

تَغْنَى بالشعرِ إن ما كنتَ قائله إنَّ الغناء لهذا الشعرِ مضمَّارٌ
يقولون فلان يتغنى بفلان أو فلانة إذا صنع في أحدهما شعراً قال ذو الرثمة :
أحبُّ المكانَ القفرَ من أجل أننى به أَتَغْنَى بِاسْمِهَا غيرَ مُعْجَمٍ
وكذلك يقولون حدا به إذا عمل فيه شعراً . قال المرار الأسدي :
ولو إني حدوثُ به أرفأنتُ نعامته وأبصر ما يقول^(١)

وغناء العرب على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمزج . « فأما النصب »
فغناء الركبان وغناء الفتيان . قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : وهو الذى يقال له
المراثى وهو الغناء الجنابى اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل
فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من الطويل فى العروض .
« وأما السناد » فالثقل ذو الترجيع الكثير النغات والنبرات ، وهو على ست
طرق : الثقيل الأول وخفيفه والثقل الثانى وخفيفه والرمل وخفيفه « وأما
المزج » فالخفيف الذى يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف
الحلوم . قال إسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتحت
العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم فغنوا الغناء المجزء المؤلف بالفارسية
والرومية وغنوا جميعاً بالميدان والطنابير والمعازف والمزامير . قال الجاحظ :
العرب تقطع الألحان الموزونة والمعجم تمطط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل
فى الوزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون : ويقال : إن أول من أخذ من
ترجيعة الحداء مضر بن نزار بن معد بن عدنان سقط عن جبل فانكسرت يده
فحملوه وهو يقول وايداء وايداء ، وكان أحسن خلق الله تعالى صوتاً وجرماً فأصفت

(١) قال المجد : أرفان أرفئنا نافر ثم سكن ، والنعامة الجهل ، قال فى
التاج يقال سكنت نعامته ثم قال : قال المرار الفقعسى :
ولو إني حدوث به أرفأنت نعامته وأبفض ما أقول
(٢٤ — أول)

إليه الإبل وجدت في السير فجلت العرب مثالا لقوله هايدا هايدا يحدون في الإبل ،
حكى ذلك عبد الكريم في كتابه ، وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل
منهم كان في إبله أيام الربيع فأمر غلاماً له بيمض أمره فاستبطأه فضر به بالعصا فجعل
يشتم في الإبل ويقول يا يداه يا يداه قال له : الزم الزم فاستفتح الناس الحداء من ذلك .
وذكر ابن قتيبة : إنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وحكى الزبير
ابن بكار في حديث رَفَعَه : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقوم من
بنى غفار حين سمع حادِيَهُمْ بطريق مكة ليلاً فقال إليهم : إن أباكم مضر خرج
إلى بعض رعائه فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصاً فضرب بها كف غلامه فعدا
الغلام في الوادى وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الإبل ذلك فمطفت عليه .
فقال مضر لو اشتق مثل هذا انتفعت به الإبل واجتمعت فاشتق الحداء « وأما
التغبير » فهو تهليل أو ترديد صوت بقراءة أو غيرها حكى ذلك ابن دريد . وحكى
أبو إسحق الزجاج قال : سألتى بعض الرؤساء لم سمي التغبير تغبيراً ؟ قلت : لأنه
وضع على أنه يرغب في الغابر أى الباقي أى يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة
وقال غيرى : إنما قيل له تغبير لأن ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار فعرض جوابانا على
أبى العباس ثعلب فاستجاد جوابى . ويقال للمراسل في الغناء : المتألى حكاة غلام ثعلب ،
والله تعالى ولى التوفيق .

* * *

السلام على عادات عرب الجاهلية في المأكل والمشرب

إعلم أن جميع سكان الأقاليم الصالحة اتفقوا على مراعاة آدابهم في مطعمهم
ومشربهم وملبسهم وقيامهم وقعودهم وغير ذلك من الهيئات والأحوال وكان
ذلك كالأمر المفطور عليه الإنسان عند سلامة مزاجه وظهور مقتضيات نوعه عند
اجتماع أفراد منه ورأى بعضها لبعض وكانت لهم مذاهب في ذلك ، فكان منهم
من يتخذها على قواعد الحكمة الطبيعية فيختار في كل ذلك ما يرجى نفعه ولا

يخشى ضرره بحكم الطب والتجربة ، ومنهم من يتخذها على قوانين الإحسان حسبها تعطيه ملته ، ومنهم من يريد محاكاة ملوكهم وحكائهم ورهبانهم ، ومنهم من يتخذها على غير ذلك ، وكانت عادات العرب في ذلك أوسط العادات ولم يكونوا يتكفون في المطاعم والمشارب تكلف المعجم ، وكانت لهم في هذا الباب عوائد مستحسنة ومألوفات يتلقاها دوو العقول بالقبول ، من ذلك أنهم كانوا يبيرون في الغداء ويرون أن ذلك أقرب إلى راحة البدن وصحته . وسئل ابن هبيرة عن ذلك فقال : إن فيه ثلاث خصال ، الأولى أنه ينشف المرة . والثانية : يطيب النكهة^(١) . والثالثة : أنه يمين على المروءة . قيل . وكيف يمين على المروءة ؟ قال إذا خرجت من بيتي وقد تغديت لم أتطلع على طعام أحد من الناس . وكانوا يؤخرون العشاء رغبة في ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجاتهم وعودهم من مسارحهم وغاراتهم ولأن بلادهم حارة الهواء فكما ذهبت منه شدة يبرد الليل كان الطعام أمسى ، والشاهية في الأكل أدعى ، والأصل الأصيل في ذلك مراعاة الضيوف فقد كان لهم مزيد اعتناء بأمرهم كما تنطق بذلك أسماءهم وأخبارهم . قال قائلهم :

إني إذا خفيت ناري لمرملة ألقى بأرفع تل رافعا ناري

ذاك وإني على جاري لذوحدب أحنو عليه بما يحني على الجار

المرملة : الجماعة التي نفد زادها ورجل مرمل لاشيء له مشتق من الرمل كأنه لا يملك غيره كما يقال ترب الرجل إذا افتقر يقال أرمل الرجل إذا نفد زاده وافتقر فهو مرمل وجاء أرمل على غير قياس والجمع أرامل وأرملت المرأة فهي أرملة للتي لازوج لها لا فتقارها إلى من ينفق عليها . وقال الأزهري لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة فليست بأرملة والجمع أرامل . والتل ما ارتفع من الأرض . وإيقاد النار في الأماكن المالية من أخلاق الكرام حتى يهتدى الضيف

(١) يقال نكه الرجل على فلان ونكه له نكها من بابي نفع وضرب إذا تنفس على أنفه ونكبه نكها يتعدى بنفسه أيضا إذا فعل ذلك ليشم ريح فمه ليعلم هل شرب أم لا واستنكهه كذلك والنكهة مثل تمرز اسم منه كذا في المصباح .

إليه في الليل المظلم ويأتى . يقول : إذا خفيت نار غيرة بأن لا توقد في أيام الجذب والقحط فأنا أو قدما في تلك الأيام لتمتدى إلى الضيوف يصف نفسه بشدة الكرم وبسط الكف للمستبر فدين . وقال الأحوص :

عودت قومي إذا ما الضيف نهني . عقر العشار على عسرى وإيسارى
أراد بقوله نهني طرقتى ليلا فنهني . والمقر ضرب قوائم البعير بالسيف ولا يكون المقر في غير القوائم . وربما قيل عقره إذا نحره ، والعشار جمع عشاء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهي عند العرب أعز الإبل فذبجها للضيف يكون غاية في الجود والإكرام . وقوله على عسرى وإيسارى أى أعقرها له على كل حالة سواء كنت معسراً أو موسراً . وعقر العشار مشتمل على إيقاد النار ودال عليه فكأنه قال عودت قومي أى أوقد النار للطارق . وقال حريث بن عئاب الطائي :

عوى ثم نادى هل أحستم قلائصاً . وسمن على الأنخاذ بالأمس أربما^(١)
غلام قليبي يحف سبالة . ولحيته طارت شعاعاً مقرعاً^(٢)
غلام أضلته النبوح فلم يجد . بما بين خبت فلهبائة أجما^(٣)
أناساً سوانا فاستمانا فلم يرى . أذا دلج أهدى بليل وأسمما^(٤)

(١) فاعل عوى هو غلام في أول البيت الذى بعده وقوله هل أحستم يريد أحسستم قال الجوهرى وربما قالوا ما أحسست منهم فقالوا أحد السنين استثقلاً وهو من شواذ التخفيف والقلائص جمع قلوبس وهي الناقة الشابة، وجملة وسمن على الأنخاذ صفة قلائص . (٢) قليبي منسوب إلى قابج بضم القاف وفتح اللام وهي قبيلة أو منسوب إلى القليعة مصغر قاعة وهي موضع في طرف الحجاز واسم مواضع آخر ، ويحف بالحاء المهملة يقال يقال حف الرجل شاربته حفا من باب قتل إذا احفاه أى بالغ في قصه ، والسبالي بالكسر الشارب ، والشعاع بالفتح المتفرق ، والمقرع بالقاف وفتح الزاى المشددة المفتول يعنى أن لحيته من الهواء والبرد تفرقت وصارت كالفتائل (٣) النبوح بضم النون والموحدة وحاء مهملة ضجة الحى وأصوات كلابهم ، وخبت بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو اسم ماء لكلب وقيل أكندة وموضع آخر ، والهبائة موضع في أطراف الربدة خارج المدينة المنورة وكانت فيه حرب من حروب داخس لعبس على ذبيان . (٤) قوله فاستمانا أى تصيدنا والتسمى التصيد والمسماة جوبرب يلبسه الصائد البحر وقوله فلم يرى هذه الالف نشأت من اشباع فتحة الراء وهو بالبناء للمفعول بمعنى يعلم والضمير فيه للغلام ، والدلج بفتح الحاء اسم مصدر من ادلج ادلاجاً أى سار الليل كله فان خرج آخر الليل فقد ادلج بتشديد الدال كذا في المصباح .

فقلت أجراً ناقة الضيف إننى جدير بأن تلقى إنائى مترعا^(١)
 فما برحت سجواء حتى كأنما تنفادر بالزيزاء برساً مقطما^(٢)
 كلا قادميها يفضل الكف نصفه جلد الحبارى ريشه قد تزلما^(٣)
 دفعت إليه رسل كوما جلدة وأغضيت عنه الطرف حتى تضلما^(٤)
 إذا قال قطنى قلت آليت حلقة لتغنى عني ذا إنائك أجمأ^(٥)
 يدافع حيزوميه سخن صريحها وحلقاً تراه للثالة مقنما^(٦)
 إذا عم خرشاء الثالة أنفه تقاصر منها للصريح وأقما^(٧)
 وشرح هذه الأبيات يطول وقد أراد الشاعر أن هذا الغلام شردت له
 قلائص أربع نفرج في طلبها حتى أظلم عليه الليل فضل عن الطريق فعوى حتى
 سمعت الكلاب صوته فنبخته فاستدل بصوتها علينا فجاء فسأل عن قلائصه .
 والعرب تزعم أن سارى الليل إذا أظلم عليه فلم يستتب بحجة ولم يدر أين الحلة

(١) اجر بفتح الهمزة وكسر الجيم امر من اجررته رسنه اذا تركته يصنع
 ما يشاء يعنى خدوا رسنها ودعوها تاكل ما شاءت، وناقة الضيف الناقة التى
 جاء راكبها عليها وهذا من اخلاق الكرام فان اكرام دابة الضيف غاية الاكرام
 عند الضيف وانائى بالمد والاضافة الى الياء والانىاء الوعاء ، ومترع من ترعت
 الاناء بالتشديد وارتعته أى ملأته وهذا كناية عن الخصب والكثرة .
 (٢) سجواء بالنصب خبر برج وسجواء بالمهملتين والمد أى ساكنته عند
 الحلب ، ونفادر تترك ، والزيزاء بكسر الزاى الاولى والمد الموضع الصلب من
 الارض والبرس بكسر الموحدة واهمال الراء والسين القطن شبه ما سقط من
 اللبن به . (٣) الحبارى بضم المهملة بعدها موحدة وبالقصر طائر على شكل
 الاوزة براسه وبطنه غبرة ولون ظهره وجناحيه كلون السماني غالبا ، وتزلع
 تغلغ . (٤) الرسل بكسر الراء اللبن ، والكوما بفتح الكاف والمد الناقة العظيمة
 السننم والجلدة بفتح الجيم وسكون اللام هى ادسم الابل لبنا والجمع
 الجلالد بالكسر ، والطرف العين ، وتضلع امتلا ما بين اضلاعه . (٥) قطنى أى
 حسبى أى قلت قد حلفت أن تشرب جميع ما فى إنائك . (٦) قوله حيزوميه
 هو ما اكتنف حاقومه من جانبي الصدر ، والسخن الحار ، والصريح اللبن
 الذى ذهب رغوته ، والثالة بضم المثناة رغو اللبن يريد أنه يرفع حلقه
 لاستيفاء اللبن ومقنع اسم مفعول من اقنع راسم اذا رفعه . (٧) الخرشاء
 بكسر الخاء جلد الحية وقشرة البيضة العليا بعد أن تكسر ويخرج ما فيها ثم
 يشبه به كل شئ فيه انتفاخ وتفتق وخروق ، واقمعا يقال اقمعت ما فى
 السقاء أى شربته كله .

أى القوم النزول وضع وجهه مع الأرض وعوى عواء الكلب لتسمع ذلك الصوت
الكلاب إن كان الحى قريباً منه فتجيبه فيقصد الأبيات . قال الفرزدق :

وداع بلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجعاً ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو أن ينه إذ دعا فتى كائن ليلي حين غارت نجومها
بعثت له دهاء ليست بلقحة تدر إذا ما هب نحساً عقيمها
ابن ليلي : هو أبو الفرزدق . ومعنى بعثت له دهاء : أى رفعتها على أنافها .
ويعنى بالدهاء القدر واللحمة الناقة أراد أن قدره تدر إذا هبت الريح عقياً لا مطر
فيها . وما أحسن قول ابن هرمة :

ومستنجح يستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب مُعَصِمُ
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أو ليفزع نُومُ
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع إتيان الحبين مَطْعَمُ
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجم
يقال فزعت لفلان : إذا أغثته . والمهبون : الموقظون له ولأهله وهم الأضياف .
وإنما كان له معهم مطعم لأنه ينجر لهم ما يصيب منه وأراد بقوله يكلمه من حبه الخ
بصبيته وتحريكه ذنبه . ومثله قوله أيضاً :

وإذا أتانا طارق متسور نبحت فدلته على كلابي
وفرحن إذ أبصرنه يضربنه من أنسها بشرائير الأذئاب
يقال شرشر الكلب إذا ضرب بذنبه وحركه للأنس . وأما قول الأخطل :
دعاني بصوتى واحد فأجابه منادٍ بلا صوت وآخر صيت

فمنه أن ضيفاً عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتى
واحد . وقوله فأجابه منادٍ بلا صوت : أى نار رفعها له فرأى سناها فقصدها ،
والصيت الآخر الكلب لأنه أجاب عواءه . والمقصود من ذكر هذه الأبيات
بيان ما كان للعرب من مزيد الاعتناء بالضيف حتى أوقدوا النيران فى الليل

وأتخذوا الكلاب ليهتدى إليهم من لم يعرف المنازل . ومن عاداتهم المحمودة وأفعالهم الجميلة ، أنهم كانوا إذا ألمَّ بأحدهم ضيف ظهرت البشاشة على وجهه وتلقاه بالترحيب والتكريم ، وأدّوا له آداب الضيافة كلها فإنه حين يستقر بالضيف المقام يسرع إلى أهله ليحييهم بنزلهم بحيث لا يكاد يشعر به أحد ، وهذا من كرم رب المنزل المضيف أنه يذهب باختفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه فيستحي فلا يشعر به إلا وقد جاده بالطعام بخلاف من يسمع ضيفه ويقول له أول من حضر مكانكم حتى أتاكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه ، وقد تاملوا هذه السنن من أبيهم إبراهيم عليه السلام فهو أول من قرى الضيف ، وتأمل ثناء الله سبحانه عليه في إكرام ضيفه حيث يقول سبحانه (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون) ففي هذا من الثناء على إبراهيم وجوه متعددة . منها : أنه وصف إكرام ضيفه بأنهم مكرمون أى إن إبراهيم أكرمهم . ومنها : قوله تعالى إذ دخلوا عليه فلم يذكر استئذانهم ، ففي هذا دليل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم فبقى منزل مضيفه مطروقا لمن ورده لا يحتاج إلى استئذان ، بل استئذان الدخول دخوله وهذا غاية ما يكون من الكرم . ومنها : قوله لهم سلام بالرفع وهم سلموا عليه بالنصب والسلام بالرفع أكمل فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتجدد والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم فإن قولهم سلاما يدل على سلامنا سلاماً وقوله سلام أى سلام عليكم . ومنها : أنه حذف المبتدأ من قوله قوم منكرون ، فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لوقال أنهم قوم منكرون ، فحذف المبتدأ هنا من لطف الكلام . ومنها : أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنزلهم والروغان هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر

به وهذا من كرم المضيف على ما سبق . ومنها : أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة .
فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهياً للضيوفان ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم
من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه . ومنها : قوله فجاء بمجل سمين دل
على خدمته للمضيف بنفسه ولم يقل فأمر لهم بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه
ولم يبعثه مع خادمه وهذا أبلغ في إكرام المضيف . ومنها : أنه جاء بمجل كامل
ولم يأت ببضعة منه وهذا من تمام كرمه . ومنها : أنه سمين لا هزيل . ومعلوم أن
ذلك من أغر أموالهم . ومثله يتخذ للاقتناء والتربية فأثر به ضيفانه . ومنها :
أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك . ومنها أنه قربه إليهم ولم يقر بهم إليه :
وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس المضيف ثم تقرب الطعام إليه وتحمله إلى حضرته
ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه . ومنها : أنه قال لهم
ألا تأكلون ، وهذا عرض وتلف في القول وهو أحسن من قوله كلوا أو مدوا
أيديكم ونحوها وهذا مما يعلم الناس بمقوالمهم حسنه ولطفه ، ولهذا يقولون بسم الله
أو ألا تتصدق ألا تجبر ونحو ذلك . ومنها : أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه
رآهم لا يأكلون ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل بل كان إذا
قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم : ألا
تأكلون ، ولهذا أوجس منهم خيفة أي أحسها وأضرها في نفسه ولم يبدها لهم .
فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب وماعداها من
التكلفات التي هي تحلف وتكلف إنما هو من أوضاع الناس وعاداتهم وكفى بهذه
الآداب شرفاً وغزراً . ومن تصفح أخبار العرب وأشعارهم وجدهم في أمر
الضيافة على تلك الآداب ، وأنهم لم يغيروا شيئاً منها بعد مرور الأزمان
والأحقاب . حتى إنهم كانوا يقومون بأمر من يرد إلى مكة من الحاج بالغاً ما بلغ ،
وكان هاشم وهو أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حضر الحج قام
في قريش فقال : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وهم ضيف الله وأحق

الغنيف بالكرامة ضيفه فاجعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة فيها فإنه والله لو كان لي مال يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ على حسب قدرته وطاقته فيصنع به للحاج طعاماً حتى يصدروا وهذه هي الرفادة التي هي من سنن قصي على ما سبق . وهاشم هو الذي هشم الثريد لقومه بمكة وكان اسمه عمراً كما يشعر به قول الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأصيف

أشار في البيت الثاني إلى رحلة الشتاء والصيف ، وهو أول من سنها لقريش .

ومن عاداتهم في هذا الباب أنهم يقولون من الأكل ويقولون البطنة تذهب القطنة . أي الذي يملأ بطنه من الطعام تذهب منه فطنته . وكانوا يعيبون الرجل الأكل الجشع . قال الشنفرى :

إذا مُدَّتِ الأيدي إلى الزادِ لم أكنُ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ^(١)

وقيل للحارث بن كلدة طبيب العرب في الجاهلية : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأزم . يريد قلة الأكل وقد أصاب في ذلك . قال بعض حكمائهم : أي بني لا أمر ما طالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب ، والله درابن كلدة إذ زعم أن الدواء هو الأزم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة ، أي بني لم صار الضب أطول عمراً لأنه يتلغ النسيم ، أي بني قد بلغت تسمين عاماً ما نقص لي سن ولا انتشر لي عصب ولا عرفت ذنين أنف^(٢) ولا سيلان عين

(١) الجشع : اشد الحرص والماضي جشع بكسر الشين وتجشع كذلك ورجل جشع وقوم جشعون وهذا من جنس قول حاتم :

أكف يدي من أن تنال أكفهم إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معا

(٢) الذنين رقيق المخاط أو ماسال من الأنف رقيقاً أو عام فيهما وذنين

تفرح والاذن من يسيل منخراه والذناء للأنثى .

ولا سلس بول ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك انتهى . وقال الأصمى : تقول العرب فى الرجل الأكل : إنه برم قرون . البرم الذى يأكل مع الجماعة ولا يجعل شيئاً . والقرون الذى يأكل تمرين تمرين ، ويأكل أصحابه تمر تمر . والحاصل أن الشبع مذموم بالمقل والنقل ومضاره كثيرة فإنه يقسى القلب بخلاف الجوع فإنه يرققه ويصفيه فيتهيأ به لإدراك لذة المناجاة وللتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يتأثر به حتى كأن بينه وبينه حجاباً وذلك من قسوة القلب الحاصلة من الشبع ولذلك قال بعض العارفين : القلب إذا جاع أو عطش صفوا ورق ، وإذا شبع عمى . ومن مضاره أنه يفسد الذهن لأنه يكثر البخار فيورث البلادة حتى إن الصبى إذا أكل أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك . ومنها : أنه يعطل القوى الباطنة عن إدراك المعاني الكاملة والعلوم الفاضلة واستجلاء المعارف ، واستجلاء العوارف . قال لقمان لابنه : يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادات . ومنها : أنه ينشط الأعضاء على المعصية لأن منشأ المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادتهما لا محالة الأطعمة فبتقليلها يضعفان ويتكثيرها يقويان . وإذا قويتا تحصل المعاصى ، وقد وردت عدة أحاديث فى ذم الشبع . منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (المؤمن يأكل فى مِعَى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء) أى يأكل سبعة أضعاف المؤمن ، أو أن شهوته سبعة أمثال شهوة المؤمن وتكون الأمعاء كناية عن الشهوة لأن الشهوة هى التى تقبل الطعام وتأخذه كما تأخذ الأمعاء وليس المعنى زيادة أمعاء الكافر على أمعاء المؤمن ، حسب ابن آدم لقيمت يقمن ضلبه إن كان ولا بد من التجاوز عما ذكر فلتكن أثلاثاً ، فثلاث للطعام . وثلاث للشراب ، وثلاث للنفس . والله در العرب حيث رعو فى مأكلهم هذه الدقائق والأسرار وهم زمن الجاهلية .

تفصيل الوصف بكثرة الأكل وترتيب عند العرب

لما كان كثرة الأكل عندهم معيياً وليس ذلك بمنزلة واحدة بل هو درجات متفاوتة كما تدل عليه لغتهم فقد قالوا: إذا كان الرجل حريصاً على الأكل فهو **نهم** و**شرة**. فإذا زاد حرصه وجودة أكله فهو **جشع**. فإذا كان لا يزال **قرماً**^(١) إلى اللحم وهو مع ذلك أكل هو **جمع**. فإذا كان يتتبع الأطعمة بحرص ونهم فهو **لموس** و**لحوس**. فإذا كان رغيب البطن كثير الأكل فهو **عيصوم**. فإذا كان أكله عظيماً اللقم واسع الخنجور فهو **هبلع**. فإذا كان مع شدة أكله غليظ الجسم فهو **جمطرى**. فإذا كان يأكل أكل الحوت الملتقم فهو **هلقام** و**تلقامة** و**جراضم**. فإذا كان كثير الأكل من طعام غيره فهو **مجلح**. فإذا كان لا يبقى ولا يذر من الطعام فهو **قحطى**. وهو من كلام الحاضرة دون البادية. قال الأزهري أظنه نسب إلى القحط لكثرة أكله كأنه نجا من القحط. فإذا كان يعظم اللقم ليسابق في الأكل فهو **مدهبل**. فإذا كان لا يزال جائعاً أو يرى أنه جائع فهو **مستجيع** و**شحنان** و**لهسم**. فإذا كان يتشمم الطعام حرصاً عليه فهو **أرشم**. فإذا كان **شهوان** شهماً حريصاً فهو **لمعظ** و**لمعوظ**. فإذا دخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع فهو **وارش**. فإذا دخل عليهم وهم يشربون ولم يدع فهو **واغل**. فإذا جاء مع الضيف فهو **ضيفن**. وقال الجاحظ في عيوب الأكل الزقاق الذى فى فيه لقمة لم يسفها فيشرب الماء ويسمى زاق الفرخ أيضاً. والمبلعم الذى فى فيه لقمة لم يسفها ويبادر خلفها بأخرى. والمحلجل الذى يأخذ سكرجة فيحركها ليختمع الأبرار فيأكل ويترك ملحاً ساذجاً. والمغربل الذى يحرك طبق الرطب والباقلاء وما أشبهه ثم يأكل نقاوته. والمقرب الذى يجمع اللحم بين يديه على رغيب كأنه قبة ويدع رفقاءه بغير لحم. والمنعل الذى يأخذ لقمة أكبر مما يسع فاه فيضع يده أو كسرة تحتها. والمعلق الذى فى فيه لقمة وفى يديه أخرى.

(١) القرم محركة شدة شهوة اللحم.

مطاعم العرب الشهيرة

كان مأكولهم في غالب الأزمان لحوم الصيد والسويق والألبان وربما ابتلع أحدهم الريح أو مضغ القيصوم^(١) والشيخ أو حَرَش اليربوع^(٢) والضب أوصاد الطَّبِّي والأرنب. وكان الغالب من أهل باديتهم لا يعاف شيئاً من المأكَل لقلتها عندهم. ومنهم من كان يعاف القذر ويتجنب عن أكل كل مادبٍّ ودرج. وكان أحسن اللحوم عندهم لحوم الإبل ولا يفضلون شيئاً عليها، وكان منهم من يستطيع أكل الضب.

« يقول قائلهم »

أَكَلْتُ الضَّبَابَ فَمَا عَفَّتْهَا وَإِنِّي اسْتَهَيْتُ قَدِيدَ النَّعَمِ^(٣)
وَلَحْمَ الْخُرُوفِ حَنِيدًا وَقَدْ أَتَيْتُ بِهِ فَارًّا فِي الشَّبَمِ
وَأَمَّا الْبَهْضُ وَحَيْثَانُكُمْ فَأَصْبَحْتَ مِنْهَا كَثِيرَ السَّقَمِ
وَرَكِبْتُ زُبْدًا عَلَى تَمْرَةٍ فَنَعِمَ الطَّعَامُ وَنَعِمَ الْأَدَمُ
وَقَدْ نَلْتُ مِنْهَا كَمَا نَلْتُمْ فَلَمْ أَرَفِهَا كَضْبٍ هَرَمِ
وَمَا فِي التِّيُوسِ كَبِيضُ الدَّجَاجِ وَبِيضُ الدَّجَاجِ شِفَاءُ الْقَرَمِ
وَمَكَنَ الضَّبَابُ طَعَامَ الْعَرَبِ وَكَاشِيَهُ مِنْهَا رُؤْسُ الْعَجَمِ

قوله الحنيد: أى الشوى. وماء الشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة ماء الأسنان. والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء وبالضاد المعجمة الأرض باللين. والقرم بفتح القاف وكسر الراء الرجل يشتهى اللحم. والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون فى آخره بيض الضب. والكشى كشية بضم الكاف وإسكان الشين المعجمة وهى شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه. . وكان الاصطيداد

(١) نبت وهو صنفان أنثى وذكر النافع من اطرافه وزهره مر جدا .

(٢) يقال حرش الضب يحرشه حرشا وتحراشا صاده كاحترشه بأن يحرك يده على باب حجره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذ .

(٣) هذه الايات لأبى الهندي .

ديدنا لهم وسيرة فاشية حتى كان ذلك أحد المكاسب التي عليها معاشهم ، وكان لهم شغل شاغل عن الاعتناء بأمر المأكل لاضطرارهم إلى النقلة في الغالب لرعى مواشيهم وتشاغلهم بالحروب وغزو بعضهم بعضاً . وأما ما كان يتعاطاه غيرهم من التأنق في الأطعمة المتنوعة والألوان الشهية فلم تكن العرب تعرفها ولا كانت تمر على أذهانهم ، حتى حكى أن عبد الله بن جُدعان وكان سيداً شريفاً في قريش وفد على كِسْرَى مرة وأكل عنده الفالودج فتعجب منه وسأل عن حقيقته فقيل له هي لباب البر يُلبَكُ مع العسل فابتاع من عنده غلاماً يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالودج فوضع موائده بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالودج فليحضر فكان ممن حضر أمية ابن أبي الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلةٍ رأسٌ وهادى وأنت الرأسُ تقدم كلَّ هادى
له داعٍ بمكة مُشمَلٌ وآخرٌ فوقَ دارته يُنادى^(١)
إلى رُدْحٍ من الشيزى ملاء لباب البرِّ يُلبَكُ بالشهاد^(٢)

وكان للعرب أطعمة شهيرة يتخذونها من لحوم وحبوب وألبان وغير ذلك « فمنها السخينة » وهي تتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء وإنما يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال وهي التي كانت تعير بها قريش . حكى أن معاوية قال للأحنف : ما الشئ الملقب في البجاد ؟ فقال : السخينة ، وإنما أراد معاوية قول القائل :

إذا ما مات ميتٌ من تميم فسرك أن يعيش نجى بزاد^(٣)

(١) اشعمل اشرف والقوم في الطلب بادروا فيه (٢) الردحة سترة تكون في مؤخر البيت أو قطعة تزداد فيه والرداح الخفيفة العظيمة ، والشيز والشيزى خشب أسود يتخذ منه القصاع وقوله لباب البراي من لباب البر وروى البيت الثالث هكذا : إلى رده من الشيزى عليها الخ (٣) هذا الشعر ليزيد ابن عمرو بن الصعق الكلابي وذكر الجاحظ انه لابی المهوس الاسدى ، وقوله اذا ما مات ميت من تميم ، قال ابن السيد فيه رد على أبى حاتم السجستاني ومن ذهب مذهبه لان أبا حاتم كان يقول قول العامة مات الميت خطأ والصواب مات الحي وهذا الذي انكره غير منكر لان الحي قد يجوز أن يسمى ميتا لان

بَحْبَزٍ أَوْ بَتَمَرٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ^(١)

تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ حَرِصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(٢)

وكان الأحنف من تميم ، وإنما أراد الأحنف بالسخينة رعى قوم معاوية بالبخل
لأنهم كانوا يقتصرون عليها عند غلاء السعر حتى صار هذا اللفظ لقباً لقريش واسماً
لهم . قال حسان :

زَعَمْتَ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا وَلِيُغْلِبَنَّ مَغَالِبُ الْغَلَابِ

ويروى أن كعباً لبس يوم أحد لامة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت
صفراء ولبس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأمته فخرج كعب أحد عشر جرماً ولما
قال كعب :

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك

أمره يؤول الى الموت كما يقال للزرع قصيل لأنه يفصل اى يقطع وتقول العرب
بئس الرمية فيسمونها رمية لأنها مما يرمى ويقال للكباش الذى يراد ذبحه
ذبيحة وهو لم يذبح وضحية ولم يضح بها ، وقال الله تعالى : (انك ميت
وانهم ميتون) وقال : « انى ارانى أعصر خمرًا » وانما يعصر العنب . وهذا
النوع فى كلام العرب كثير والعجب من انكار أبى حاتم آياه مع كثرتة وقد
فرق قوم بين الميت بالتشديد والميت بالتخفيف فقالوا الميت بالتشديد
ما سيموت والميت بالتخفيف ما قد مات وهذا خطأ فى القياس ومخالف السماع
أما القياس فان ميت المخفف انما اصله ميت المشدد فخفف وتخفيفه لم
يحدث فيه معنى مخالفا لمعناه فى حال التشديد كما يقال هين وهين وهين وهين
فكما ان التخفيف فى هين وهين لم يحل معناهما فكذاك تخفيف ميت . وأما
السماع فانا وجدنا العرب لم تجعل بينهما فرقا فى الاسعمال ومن أبين
ما جاء فى ذلك قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
قال ابن قنعاى الاسدى :

الا ياليتنى والمزء ميت وما يغنى عن الحدثان ليت

ففى البيت الاول سوى بينهما وفى البيت الثانى جعل الميت المخفف الحى الذى
لم يموت ، الا ترى ان معناه سيموت فجرى مجرى المثل انك ميت وانهم
ميتون فجعل الميت بالتشديد ما قد مات .

(١) البجاد : الكساء فيه خطوط (٢) قوله لياكل رأس لقمان الخ انما ذكر
لقمان ابن عاد لجلالته وعظمته يريد انه لشدة نهمه وشهره اذا ظفر باكلة
فكانه ظفر برأس لقمان لسروره بما نال واعجابه بما وصل اليه كما يقال لمن
يزهى بما فعل ويفخر بما أدركه كأنه قد جاء برأس خاقان .

هذا « ومنها الحريقة » وهي أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب فيحسى وهي أغلظ من السخينة يبقى بها صاحب العيال على عياله إذا عضه الدهر « ومنها الضحيرة » وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق « ومنها العذيرة » وهي دقيق يحلب عليه لبن ثم يحمى بالرضيف^(١) « ومنها العكيسة » وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب « ومنها الغريقة » وهي حلبة تضم إلى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والثفساء « ومنها الرغيدة » وهي اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلحق « ومنها الأصية » وهي دقيق يعجن بلبن وتمر « ومنها الرهية » وهي بر يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن يقال ارتهى الرجل إذا أخذ ذلك « ومنها الوليقة » وهي طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن « ومنها اللويقة » وهي مالن من الطعام وفي حديث عبادة ولا آكل إلا مالوق لى « ومنها الألوقة » وهي أيضاً المالن منه إلا أن اللويقة اللين « ومنها الخزيفة » وهي شحمة تذاب ويصب عليها ماء يطرح عليه دقيق فيلبك به وهي عند الأطباء ثلاث : الخبز والسكر والسمن ، وشتان ما بينهما « ومنها الرغيفة » وهي حسو من دقيق وماء وليست في رقة السخينة « والريكة » وهي طعام يتخذ من بر وتمر وسمن . ومنها المثل « غرثان فاربكوا له »^(٢) « والتابينة » وهي حثالة يتخذ من دقيق أو نخالة ويحمل فيه غسل وإنما سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها . وفي الحديث : عليكم بالتلبينة . وكان إذا اشتكى أحدهم في منزله لم تنزل البرمة حتى يأتى أحد طرفيه ومعناه حتى يبرأ من علته أو يموت ، وإنما جعل هذان طرفيه لأنهما منتهى أمر الليل « والوشيقة » وهي أن يغلى اللحم ثم يرفع يقال منه وشقت أشق وشقاً . وقال الحسن بن هانئ :

(١) الرضيف كامير : اللبن يغلى بالرضفة (٢) يقال دخل ابن لسان الحمرة على أهله وهو جائع عطشان فبشروه بمولود واتود به فقال : والله مادرى أكله أم أشربه ، فقالت امرأته : غرثان فاربكوا له ، أى اخلطوا له طعاماً ، ويروى فأكبوا له من البكيلة وهي أقط يلبت بسمن فلما طعم وشرب قال كيف الظلا واهم فارسلها مثلاً ، والظلا ولد الظبية فاستغاره أولده ، يضرب لمن قد ذهب همه وتفرغ لغيره ، وقيل يضرب مثلاً للرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك .

حتى رفعنا قدرنا بضرامها واللحم بين موزم وموشق
 « والمعينة » بالعين غير معجمة طعام يطبخ ويجعل فيه جراد وهو الفشيمة أيضاً
 « والبغيث والغليث » الطعام المخلوط بالشعير فإذا كان فيه الزوان فهو المغلوث
 « والعريقة » وهي شيء يعمل من اللبن « والبكيلة » السمن يخلط بالأقط وهي التي
 عنها الراجز بقوله :

لَأَكَلَةٌ مِنْ أَقْطٍ وَسَمْنٍ أَلِينُ مَسًّا فِي حَشَايَا الْبَطْنِ^(١)
 مِنْ يَثْرَ بِيَاتٍ قَذَاذُ خُشْنٍ^(٢)

وقال أبو زيد هي الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو بسمن أو بزيت . وقال ابن
 الكلبي : هو الأقطُ المصحون تبكله بالماء كأنك تريد أن تمجنه : وقال ابن
 السكيت : وهي السويق والتمر يبلان بالماء « والمعينة » وهي الأقط بالسمن
 والتمر . وقيل هي الأقط الرطب يخلط بالتمر اليابس « والحيس »^(٣) وهو الأقط مع
 السمن والتمر « والجميع » وهو التمر مع اللبن وهو حلواء رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم « والبسيصة » وهو كل شيء خلطته بغيره مثل السويق بالأقط ثم تلتته بالسمن
 أو بالزيت ومثل الشعير بالنوى للإبل يقال بسسته أبسه بساً « والصناب » وهو
 الخردل مع الزبيب . « والبريك » وهو الزبد مع الرطب « والخبيط » وهو اللبن
 الرائب باللبن الحليب « والخليط » وهو السمن بالشحم « والنخيسة » وهو لبن
 الضأن يخلط بلبن المزم « والمرضة » وهي اللبن الحلو إذا اختلط مع اللبن الحامض
 « والوطيئة » وهي العصيدة الناعمة « النفيتة » وهي العصيدة إن ثخنت « واللفيتة »
 وهي النفيتة إذا زادت قليلاً فإذا انمقدت وتمسكت فهي العصيدة « والخزيرة »

(١) الاقط : قال الأزهرى يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى
 يمتص (٢) قال في التاج : الاقد سهم لاريش عليه ، وقيل هو المستوى البري
 بلا زرع فيه ولا ميل ، وقال اللحياني : السهم حين يبرى قبل ان يراش والجمع
 قد وجمع القذ قذان قال الراجز : من يثر بيات قذاذ خشن ، انتهى باختصار
 (٣) هر تمر واقط وسمن وانشد :

التمر والسمن والاقط الحيس الا انه لم يختلط

أن ينصب القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة . وأول من عمل الحزيرة سويد بن هريرة ، ولذلك قال شاعرهم لبني مخزوم :

وعلمتُم أكل الحزير وأنتم على غدواء الدهر صم صلاب^(١)
ومن تتبع كتب اللغة ونحوها وجد غير ما ذكرنا مما هو على هذا القبيل ولا
يسعنا استيعابه .

ولائم العرب الشهيرة

الولائم جمع وليمة ، وهى كل طعام يصنع لعرس وغيره ويدعى إليه . وقال الإمام الشافعى وأصحابه : تقع الوليمة على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من نكاح أو ختان وغيرها ، لكن الأشهر استعمالها عند الإطلاق فى النكاح وتقييد فى غيره ، فيقال وليمة الختان ونحو ذلك . وقال الأزهري الوليمة مأخوذة من الوم وهو الجمع وزناً ومعنى لأن الزوجين يجتمعان . وقال ابن الأعرابي : أصلها من تميم الشيء واجتماعه . وذهب غالب أهل اللغة إلى أن اسم الوليمة مختص بطعام العرس . وهو المنقول عن الخليل بن أحمد وتعلب وغيرها ، وجزم به الجوهري وابن الأثير . وقال صاحب المحكم : الوليمة طعام العرس والأملاك ، وجزم السارودي ثم القرطبي بأنها لا تطلق فى غير طعام العرس إلا بقرينة . وأما الدعوة فهى أعم من الوليمة وهى بفتح الدال على المشهور وضمها قطرب فى مثلثاته وغلطوه فى ذلك على ما قال النووي . قال : ودعوة النسب بكسر الدال وعكس ذلك بنو تيم الرباب ففتحوا دال دعوة النسب وكسروا دال دعوة الطعام انتهى . وما نسبته لبني تيم الرباب

(١) العدواء أرض يابسة صلبة وربما جاءت فى البشر إذا حفرت وقد يكون حجراً يحاد عنه فى الحفر ، وقيل العدواء المكان الذى لا يطمئن من قعد عليه يقال على مركب ذى عدواء أى ليس ب مطمئن ، وفى المحكم جلس على عدواء أى على غير استقامة .

نسبه صاحب الصحاح والمحکم لبنی عدی الرباب فالله أعلم . . . وولائم العرب ست عشرة ولية . الأولى « الخُرسُ » بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وهى الطعام الذى يصنع للنفساء لسلامة المرأة من الطلق . وقيل : هو طعام الولادة . والثانية « العقيقة » وهى ما يصنع للطفل بعد ولادته وتختص باليوم السابع . والثالثة « الأعدار » وهى ما يصنع للختان . والرابعة « ذو الحذاق » وهى ما يصنع لحافظ القرآن فهى مما حدثت بعد الإسلام . وقيل : إنه الطعام الذى يتخذ عند حذق الصبي ذكره ابن الصباغ فى الشامل . والخامسة « الملاك » وهى ما يصنع للخطبة . ويقال الأملاك . وطعامه يسمى (الشُنْدُخُ) بضم الشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقد تضم وآخره خاء معجمة مأخوذ من قولهم فرس شندخ أى يتقدم غيره سى طعام الأملاك بذلك لأنه يقدم الدخول . والسادسة « ولية العرس » وهى ما يصنع للدخول بالزوجة . والسابعة « الوضيعة » وهى ما يصنع للميت أى لأهل المصيبة . والثامنة « الوكيرة » وهى ما يصنع للبناء يعنى للسكن المتجدد مأخوذ من الوكر وهو المأوى والمستقر . والتاسعة « العقيرة » بعين مهملة قفاف وهى ما يصنع لهلال رجب . والعاشرة « التحفة » وهى ما يصنع للزائر . والحادية عشرة « الشُنْدُخُ » بالشين المعجمة والدال المهملة المضمومتين آخره خاء معجمة وهى ما يصنع عند وجود الضالة وقد سبق أنه يطلق أيضاً على طعام الأملاك والثانية عشرة « النقيعة » بالقاف ثم العين المهملة وهى ما يصنع للقدوم من السفر وقيل : النقيعة التى يصنعها القادم التى تصنع له تسمى التحفة . والثالثة عشرة « القرى » وهى ما يصنع للضيف . والرابعة عشرة « المأدبة » وهى ما ليس له سبب من ذلك . والخامسة عشرة « الجَفَلَى » بفتح الجيم والفاء . وهى التى تم دعوتها . والسادسة عشرة « النَّقْرَى » بفتح النون والقاف وهى التى تخص دعوتها . قال طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فىنا يَنْتَقِرُ

وصف قومه بالجوود وأنهم إذا صنعوا مأدبة دعوا إليها عموماً لا خصوصاً
وخص أيام الشتاء لأنها مَظَنَّةٌ قلة الشيء وكثرة احتياج من يدعى ، والآدب
بوزن اسم الفاعل من المأدبة وينتقر مشتق من التَقَرَّى .

أواني العرب المميّزة بأسماء مخصوصة

وحيث فرغنا من الإشارة الى ما كانوا عليه من أمر المطعم ناسب أن نذكر
آنيّتهم . وهي الدسيمة بالسين والعين المهملتين بوزن كريمة . والجفنة والقصة
والمكتلة والفَيْخَة بفتح الفاء والخاء المعجمة وتسمى بالسكَّرجة أيضاً بضم السين
المهملة والكاف والراء المشددة والجليم إناء صغير لا يشبع الرجل والصحفة تشبع
الرجل . والمكتلة تشبع الرجاين والثلاثة . والقصة تشبع الأربعة والخمسة . والجفنة
تشبع السبعة إلى العشرة . والدسيمة أكبرها . وقيل أكبرها الجفنة وهي التي
يذكرها الشعراء في شعرهم في الغالب كقوله :

لنا الجفّنات الغُرُّ يلعن بالضجى وأسيفنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما
وقد تقدت الخنساء على هذا البيت كما في المفتاح فقالت أي نغريكون في أن
له ولمشيرته وابن ينضوى إليهم من الجفان ما نهايتها في العدد عشرة وكذا من
السيوف . ألا استعمل جمع الكثرة الجفان والسيوف . وأي نغري أن يكون
جفنته وقت الضخوة وهو وقت تناول الطعام غراء لا معة كجفان البائع أما يشبه
أن قد جعل نفسه وعشيرته بائعي عدة جفّنات ثم أتى يصاح للمبالغة في التمدح
بالشجاعة . وقد قال وأسيفنا يقطرن . أما كان يجب أن يتركها إلى يسان أو
يفضن أو ما شاكل ذلك .

عادات العرب في الشرب

اعلم أن عادات العرب في الشرب وآدابهم فيه قد جاءت الشريعة بكثير
منها وهي مفصلة في كتبها . منها : الشرب قاعداً قالوا : فإن للشرب قائماً آفات

عديدة ، منها أنه لا يحصل له الرى التام ولا يستقر الماء فى المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة وحده إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويشوشها ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج . وكل هذا يضر بالشارب وأما إذا فعله نادراً أو الحاجة لم يضره ولا يمترض بالعوائد على هذا فإن العوائد طبائع ثوان ولها أحكام أخرى وهى بمنزلة الخارج عن القياس . ومن آدابه أن يقطع عن الشرب ثلاث مرات . فإنه أروى وأمرأ وأبرأ . فأروى أشد ريثاً وأبلغه وأنفعه وأبرأ من البرء وهو الشفاء أى يبرأ من شدة العطش ودائه لترده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه . وأيضاً فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة ، وأيضاً فإنه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها ولم يكسر سوَرَتَها وحدَتَها فان انكسرت لم تبطل بالكلىة بخلاف كسرها على التدريج ، وأيضاً فإنه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروى دفعة واحدة فإنه يخاف منه أن يطفىء الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كيثه أو يضعفها فيؤدى ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد وإلى أمراض رديئة خصوصاً فى سكان البلاد الحارة كالمرق والحجاز واليمن ونحوها وفى الأزمنة الحارة كشدة الصيف ، فإن الشرب وهلة واحدة مخوف عليهم جداً فإن الحار الغريزى ضعيف فى بواطن أهلها وفى تلك الأزمنة الحارة . وأما كونه أمرأ فإنه من مرىء الطعام والشراب فى بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع ومنه فكلوه هنيئاً مريئاً . هنيئاً فى عاقبته ، مريئاً فى مذاقه . وقيل معناه أنه أسرع انحداراً عن المرى لسهولته وخفته عليه بخلاف الكثير فإنه لا يسهل على المرى انحداره

ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يخاف منه الشرق بأن ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغص به فإذا تنفس رويداً ثم يشرب أمن من ذلك

ومن فوائد القطع ثلاثاً . إن الشارب إذا شرب أول مرة تصاعد البخار الدخاني الحار الذي كان على القلب والكبد لورود الماء البارد عليه فأخرجته الطبيعة عنها فإذا شرب مرة واحدة اتفق نزول الماء البارد وصعود البخار فيتدافعا ويتمالجان ومن ذلك يحدث الشرق والفضة ولا يهنا الشارب بالماء ولا يمر به ولا يتم ربه . وقد ورد في الحديث إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً ولا يعب عباً فإنه من الكُّباد . والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء هو وجع الكبد . وقد علم بالتجربة أن ورود الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها ، وسبب ذلك المضادة التي بين حرارتها وبين ماورد عليها من كيفية البرود وكميته ولو ورد بالتدريج شيئاً فشيئاً ولم يضادد حرارتها لم يضعفها . وفي الحديث أيضاً لا تشربوا نفساً واحداً كشرب البعير لكن اشربوا مثني وثلاث وسما إذا أتم شربتم واحمدوا إذا أتم فرغتم . ومن الآداب قطع النفس عند الشرب فإن الشارب إذا تنفس في القدح فخالط نفسه الماء استقذر وربما سقط من أنفه في الماء ما يستكره وأحدث فيه داء وربما كان في فم النافخ رائحة كريهة يعاف الماء لأجلها إلى غير ذلك من المضار وكانوا يكرهون الشرب من ثلثة الإناء وهذا من الآداب التي يتم بها مصلحة الشارب فإن الشرب من ثلثة القدح فيه عدة مفسدات . أحدها أن ما يكون على وجه الماء من قذى أو غيره يجتمع إلى الثلثة بخلاف الجانب الصحيح الثاني أنه ربما يشوش على الشارب ولم يتمكن من حسن الشرب من الثلثة . الثالث أن الوسخ والزهومة يجتمع في الثلثة ولا يصل إليها الفسل كما يصل إلى الجانب الصحيح . الرابع أن الثلثة محل العيب في القدح وهي أردأ مكان فيه فينبغي تجنبه وقصد الجانب الصحيح فإن الردى من كل شيء لاخير فيه . ورأى بعض السلف رجلاً يشتري حاجة رديئة فقال لا تفعل إن الله تعالى نزع البركة من كل ردى . الخامس أنه ربما كان في الثلثة شق وتحديد يجرح شفة الشارب . وكانوا يكرهون أيضاً الشرب من فم السقاء ، لأن تردد أنفاس الشارب

فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يَمان لأجلها. وربما غاب الداخل إلى جوفه من الماء فتضرر به ، وربما كان فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه ، وربما كان في الماء قذارة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه . وكانوا يحثون على تغطية الإناء لما في انكشافه من المحاذير التي لا تحصى . وفي الحديث : غطوا الإناء ، وأوكوا السقاء .

ما يعتبر به جودة الماء عند العرب

تعتبر جودة الماء من عشرة طرق . أحدها من لونه بأن يكون صافياً الثاني : من رائحته بأن لا يكون له رائحة البتة . الثالث : من طعمه بأن يكون عذب الطعم خلوه كالنيل والفرات ونحوها . الرابع : من وزنه بأن يكون خفيفاً رقيق القوام . الخامس : من مجراه بأن يكون طيب المجرى والمسلك . السادس : من منبعه بأن يكون بعيد المنبع . السابع : من بروزه للشمس والريح بأن لا يكون مخفياً تحت الأرض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته . الثامن : من حركته بأن يكون سريع الجرى والحركة . التاسع : من كثرت به بأن يكون له كثرة تدفع المخالطة له . العاشر : من مصبه بأن يكون آخذاً من الشمال إلى الجنوب أو من المغرب إلى المشرق . وإذا اعتبرت هذه الأوصاف لم تجدها بكاملها إلا في النيل والفرات وسيحون وجيحون ونحوها . وتعتبر خفة الماء من ثلاثة أوجه . أحدها سرعة قبوله للحر والبرد . الثاني : بالميزان . الثالث : أن تبل قطنتان متساويتان الوزن بمائتين مختلفين ثم يحففا بالغا ثم توزنا فأيهما كانت أخف فإؤها كذلك .

والماء وإن كان في الأصل بارداً رطباً فإن قوته تتنقل وتتغير لأسباب عارضة توجب انتقالها فإن الماء المكشوف للشمال المستور عن الجهات الأخر يكون بارداً وفيه ييس مكتسب من ريح الشمال . وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخر . والماء الذي ينبع من المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن ويؤثر في البدن تأثيره

والماء العذب نافع للمرضى والأصحاء والبارد منه أنفع وألذ . قالوا : ولا ينبغي شربه على الريق ولا عقب الجماع ولا عند الانتباه من النوم ولا عقب أكل الفاكهة ، وأما على الطعام فلا بأس به إذا اضطر إليه بل يتعين ولا يكثر منه بل يمتصه مصاً فإنه لا يضره البتة بل يقوى المعدة وينهض الشهوة ويزيل العطش . والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد ما ذكرناه وبائته أجود من طريه . قالوا : والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه في الخارج والحر بالعكس ، وينفع البارد من عفونة الدم وصعود الأمحرة من الرأس ويدفع العفونات ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان والأماكن الحارة ويضر كل حالة تحتاج إلى نضج وتحليل كالزكام والأورام ، والشديد البرودة منه يؤذى الأسنان ، والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والزلات وأوجاع الصدر . والبارد والحر بإفراط ضاران للعصب ولأكثر الأعضاء لأن أحدهما محلل والآخر مكثف . والماء الحار يسكن لدفع الأخلاط الحادة ، ويحلل وينضج ويخرج الفضول ويرطب ويسخن ويفسد الهضم شربه ويطفو بالطعام إلى أعلى المعدة وبرخيها ولا يسرع في تسكين العطش ويذبل البدن ويؤدي إلى أمراض رديئة ويضر في أكثر الأمراض ، وعلى أنه صالح للشيوخ وأصحاب الصرع والصداع البارد والرمد وأنفع ما استعمل من خارج والشديد السخونة يذيب شحم الكلى . وعلى كل حال أن الماء البارد أنفع ولا سيما إذا خالطه ما يحليه كالعسل والزبيب والسكر ونحو ذلك فإنه من أنفع ما يدخل البدن وأحفظ عليه صحته . ولهذا كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البارد الحلو . ولما كان الماء البائت أنفع من الذي يشرب وقت استقامته قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد دخل إلى حائط أبي الهيثم بن التيهان : هل من ماء بات في شئتي ؟ فأتاه به فشرب منه ، فإن الماء البائت بمنزلة المعجين الخير والذي شرب لوقته بمنزلة الفطير وأيضاً فإن الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه إذا بات والماء الذي في القرب والشنان ألذ من الذي يكون في آنية الفخار والأحجار

وغيرها عندهم ولا سيما أسقية الأدم ، ولهذا التمس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ماء بات في شنه دون غيرها من الأواني ، وفي الماء إذا وضع في الشنان خاصية لطيفة لما فيها من السام المنفتحة التي يرشح منها الماء ، ولهذا كان الماء في الفخار الذي يرشح ألد منه وأبرد في الذي لا يرشح .

المياه المشهورة عند العرب

منها ماء (الغيث) وهو لديهم لذيق الاسم على السمع والسمى على الروح والبدن تبتهج أسماعهم بذكره ، وقلوبهم بوروده ، وماؤه أطف المياه وأفضلها وأنفعها وأعظمها بركة ، ولا سيما إذا كان من سحب راعد واجتمع في مستنقعات الجبال وهو أرطب من سائر المياه لأنه لم تطل مدته على الأرض فيكتسب من يوسئها . ولم يخالطه جوهر يابس ولذلك يتغير ويتمغن سريماً للطافته وسرعة انفعاله وهل الغيث الربيعي أطف من الشتوي أو بالعكس فيه قولان ، قال من رجح الغيث الشتوي : حرارة الشمس تكون حينئذ أقل فلا يجتذب من ماء البحر إلا لطفه والجو صاف وهو خال من الأبخرة الدخانية والغبار المخالط للماء ، وكل هذا يوجب لطفه وصفاءه وخلوه من مخالط . وقال من رجح الربيعي : الحرارة توجب تحلل الأبخرة الغليظة وتوجب رقة الهوى ولطافته فيخف بذلك الماء وتقل أجزاؤه الأرضية وتصادف وقت حياة النبات والأشجار وطيب الهواء .

ومنها ماء (الثلج) و (البرد) و (الجمد) وهذا الماء قليل عندهم لغلبة الحرارة على قطرم ولكونه لديهم من أنفع المياه وأنقاها . ورد في الحديث : اللهم اغسلني من خطاياي بماء الثلج والبرد . والثلج له في نفسه كيفية حادة دخانية فائوه كذلك ، والحكمة في طاب الغسل من الخطايا بمائه ما يحتاج إليه القلب من التبريد والتصليب والتقوية ، ويستفاد من هذا الأصل طب الأبدان والقلوب ومعالجة أدوائها بضدها ، وماء البرد أطف وألد من ماء الثلج . وأما ماء الجمد وهو الحليد فيحسب أصله ، والثلج يكتسب كيفية الجبال والأرض التي يسقط عليها

في الجودة والرداءة وينبغي تجنب شرب الماء المثلوج عقب الاستحمام والجماع والرياضة والطعام الحار ولأصحاب السعال ووجع الصدر وضعف الكبد وأصحاب الأمزجة الباردة .

ومنها ماء (الآبار) و (القناء) و (العيون) وهذه المياه غالب مياه العرب . وقد جمع بعض الأدباء المتقدمين أسماء مياههم في رسالة لطيفة وذكر أصحابها جاهلية وإسلاماً وما ورد فيها من الشعر مما يطول ذكره . ومياه الآبار قليلة اللطافة وماء القناء المدفونة تحت الأرض ثقيل لأن أحدها محتقن ولا يخلو عن تعفن والآخر محجوب عن الهواء . وينبغي أن لا يشرب على الفور حتى يصدر للهواء ، وتأتي عليه ليلة . وأردؤه ما كانت مجاريه من رصاص أو كانت بئر معطلة ولا سيما إذا كانت تربتها رديئة فهذا الماء دنيء وخيم . وأما ماء بئر زمزم فهو عند العرب جاهلية وإسلاماً سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمناً وأنفسها ، وهو هزمة جبريل وسقيا أسما عيل عليهما السلام ، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنه قال لأبي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره : فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنها طعام طعم ، وشفاء سقم . وفي الحديث : ماء زمزم لما شرب له . وقد جرب كثير من الناس من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجبية ، وقد شوهد من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من الشهر ولا يجد جوعاً ويطوف مع الناس كأحدهم . وأما مياه العيون فالغالب عليها الثقل كأكثر مياه الآبار . وللأصمعي رسالة ذكر فيها ما اعتبرته العرب من الأسماء في البئر وأنواعها وآلاتها وهي فريدة في بابها ، وسند ذكر إن شاء الله عند الكلام على علومهم ما لهم من اليد الطولى في معرفة استنباط المياه وإجرائها وإن قسماً منهم يقال لهم (النصاتون) يضع أحدهم أذنه على الأرض فيعلم مسافة بعد الماء في تلك الأرض .

أسماء أواني المياه عند العرب

كما أن لأواني الأطعمة أسماء مخصوصة كذلك لأواني الشرب أسماء تخص

كلاً منها عن الأخرى ، وقد استوعبها ابن فارس وغيره في كتب فقه اللغة . منها « التبن » بكسر التاء وفتحها قال في القاموس هو قدح يروى العشرين . ومنها « الصحن » وهو العس العظيم . ومنها « العس » وهو القدح العظيم . ويقال : إنه الذي يروى الثلاثة والأربعة . ومنها « القدح » بفتح القاف والدال قال في القاموس هو آنية تروى الرجلين ومنها « القعب » بفتح القاف وسكون العين قال في القاموس : هو القدح الضخم الجافى أو إلى الصغر يروى الرجل . ومنها « القمير » بضم القين المعجمة وفتح الميم وهو قدح صغير أو أصغر الأقداح ، ويقال تغمر الرجل إذا شرب به .

تقديم العرب الأيمن في الشرب

إن العادة كانت جارية بين ملوك الجاهلية ورؤسائهم بتقديم الأيمن في الشرب وكانت عادة العرب مجارة ملوكهم بتقديم الأيمن فالأيمن في أى شرب كان وعلى ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته وهو :

صددت الكأسَ عنا أمَّ عمروٍ وكان الكأسُ مجراها اليمين

وقد أقر الشرع هذه العادة ولم يغيرها لفضل اليمين على اليسار . ولهم في شرب الخمر عوائد وآداب مذكورة في كتاب (مساوى الخمر) وكذلك أسماء أوقاته كالصبوح والغبوق ونحو ذلك ، وهكذا لما يشرب من اللبن وذكره يطول .

عادات العرب في سقى إبلهم وأسمائها

اعلم أن للعرب في سقى إبلهم عوائد مختلفة ولكل منها اسم يخصه ، فكانوا إذا أوردوها كل يوم يقولون : سقيناها رفها . أى في كل قوم . وإذا أوردوها يوماً وتركوها في المرعى يوماً قالوا : سقيناها غيباً . وإذا أقاموها في المرعى بعد يوم الشرب يومين ثم أوردوها في اليوم الثالث يقولون : سقيناها ربماً . ولا يقولون ثلثاً أبداً لأنهم يحسبون يوم المقام مع يوم الشرب فيعدونها أربعة ويؤيده أنه يقال للحمى التى تأتى يوماً وتنقلع يومين ثم تأتى في الثالثة حتى الربع ، وتنام ظمأ الإبل

في الغالب ثمانية أيام فإذا أوردوها في اليوم التاسع منه وهو العاشر من الشرب الأول قالوا : سقيناها عشراً بالكسر فالعشر تسعة أيام أبداً لأن يوم الشرب الأول من العشر السابق في الواقع لا من هذا العشر . وإذا زادوا على العشرة قالوا : أوردناها رفها بعد عشر . وحكى عن الليث أنه قال : قلت للخليل زعمت أن عشرين جمع عشر والعشر تسعة أيام . فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعة وعشرين يوماً لتستكمل ثلاثة أسابيع . قال ثمانية عشر يوماً عشراً ضمنت إليها يومين من العشر الثالث فجمعتها بذلك الاعتبار . قلت : هل يجوز أن تقول للدرهمين مع الدائنين ثلاثة دراهم ؟ قال : لا أقيس على هذا وإنما أقيس على قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال : إن من طلق امرأته تطليقتين وعشر تطليقة تقع ثلاث تطليقات فتكافئ له أن يعتد بعشر تطليقة ويجعله تطليقة واحدة كاملة جاز لي أن أعتد بيوم عشر وأعدهما عشراً كاملاً .

الاعتماد في تغذية الماء

اختلف أطباء العرب في الماء هل يغذي البدن أم لا . فأثبت طائفة التغذية بناء على ما يشاهد من النمو والزيادة والقوة في البدن به ولا سيما عند شدة الحاجة إليه قالوا : وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة . منها النمو والاعتناء والاعتدال . وفي النبات قوة حس وحركة تناسبه ، ولهذا كان غذاء النبات بالماء فما ينكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء أو أن يكون جزءاً من غذائه التام . قالوا : ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه في الطعام وإنما أنكرنا أن لا تكون للماء تغذية البتة . قالوا : وأيضاً الطعام إنما يغذي بما فيه من المائية ولولاها لما حصلت به التغذية . قالوا : ولأن الماء مادة حياة الحيوان والنبات ، ولا ريب أن ما كان أقرب إلى مادة الشيء حصل به التغذية فكيف إذا كانت مادته الأصلية ، فكيف ينكر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الإطلاق ؟ قالوا : وقد رأينا العطشان إذا حصل له الرى بالماء البارد تراجعت إليه قواه ونشاطه

وحركة وصبر عن الطعام وانتفع بالقدر اليسير منه ورأينا المطشان لا ينتفع
بالقدر الكثير من الطعام ولا يحدثه القوة والاعتناء . ونحن لا ننكر أن الماء ينفذ
الغذاء إلى أجزاء البدن وإلى جميع الأعضاء وأنه لا يتم أمر الغذاء إلا به ، وإنما
ننكر على من سلب قوة التغذية عنه البتة ، ويكاد قوله عندنا يدخل في إنكار
الأمور الوجدانية . وأنكرت طائفة أخرى حصول التغذية به واحتجت بأمور
يرجع حاصلها إلى عدم الاكتفاء به وأنه لا يقوم مقام الطعام وأنه لا يزيد في نمو
الأعضاء ، ولا يخلف عليها بدل ما حلتته الحرارة ونحو ذلك مما لا ينكره أصحاب
التغذية فإنهم يعملون تغذيته بحسب جوهره وطاقته ورقته وتغذية كل شيء بحسبه
وقد شوهد الهواء الرطب البارد اللين اللذيذ يغذى بحسبه ، والرائحة الطيبة تغذى
نوعاً من الغذاء ، فتغذية الماء أظهر وأظهر .

ما يعالج به ضرر الماء

كان لهم طرق من العلاج لدفع مضرة ماء البحر إذا اضطر أحد منهم إلى
شربه ، منها أن يجمل في قدر ويجمل فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد
منفوش ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف فإذا كثر عصره من
عمل ذلك ولا يزال على هذا الفعل حتى يجتمع له ما يريد فيكون في الصوف من
البخار ما عذب ويبقى في القدر الرُعاق ، ومنها أن يحفر على شاطئه حفرة واسعة
يرشح ماؤه إليها جانبها قريباً منها أخرى ترشح هي إليها ثم تالفة إلى أن يعبث
الماء . ولهم في تصفية الماء ودفع كدورته حيل وذلك إذا ألجأت أحدهم الضرورة
إلى شرب الماء الكدر ألقى فيه قطعة من خشب الساج أو جراً ملتهباً يطفئ فيه أو
طيناً أرمينيا أو سويق حنطة ، فإن كدورته ترسب إلى أسفل .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

بلوغ الأرب - الجزء الأول

ثلاثة فهارس

الفهرس الأول - فى موضوعات الكتاب

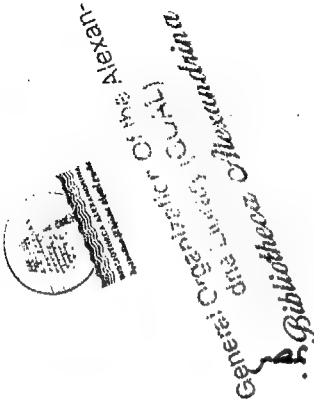
الفهرس الثانى - فى أسماء الرجال والنساء

الفهرس الثالث - فى أسماء البلدان والقبائل

عنى بجمعها وترتيبها

محمد جمال

صاحب المكتبة الأهلية - بمصر



الفهرس الأول

في مواضع الكتاب

صفحة		صفحة	
٩١	مطاعم الرياح	٢	مقدمة — إشارح الكتاب
٩٢	أزواد الركب	٥	مقدمة — لمؤلف الكتاب
٩٩	العرب أقرب للحلم من غيرهم	٨	تعريف العرب وبيان أنواعهم
١٠٣	العرب أشجع من غيرهم	١٠	وأقسامهم
١١٨	من ضرب بشجاعته المثل من العرب	١٠ و ٩	الطبقة الأولى، الثانية، الثالثة
١١٨	خالد بن جعفر بن كلاب العامري		الرابعة
١٢٠	بجمع بن هلال بن خالد بن مالك	١١	تعريف من يطلق عليه لفظ العرب
١٢٢	العرب أوفى من غيرهم	١٢	الفرق بين العرب والأعراب
١٢٥	من ضرب بوفائه المثل من العرب		في المعنى
١٢٥	عوف بن حلم	١٥	معنى الجاهلية وما تطلق عليه
١٢٧	حنظلة بن عفراء	١٨	فضل جنس العرب وما امتازوا به
١٣٣	الحارث بن ظالم المري	٣٨	العرب أحفظ من غيرهم
١٣٥	أبو حنبل الطائي	٤٠	العرب أقدر على البيان من غيرهم
١٣٦	الحارث بن عباد	٤٦	العرب أقرب للسخاء من غيرهم
١٣٦	السموأل بن غاديا الغساني	٧٢	أجواد العرب : حاتم الطائي
١٣٩	فكيمة بنت قتادة	٨١	كعب بن مامة الإيادي
١٣٩	أم جميل	٨٢	أوس بن حارثة بن لام الطائي
١٤٠	العرب أغير من غيرهم	٨٤	هرم بن سنان
١٤٧	مناظرة بين النعمان وكسرى	٨٦	عبد الله بن حبيب العبدي
١٥٨	كلام لابن المقفع في فضل العرب	٨٧	عبد الله بن جدعان التيمي
١٥٩	مذهب الشعوبية في العرب	٩٠	قيس بن سعد
١٦٤	شبه الشعوبية وأبطالها	٩١	عبد الكلبية
١٦٩	رد ابن قتيبة على الشعوبية	٩١	قتادة بن مسيلة الحنفي

صفحة	صفحة
٢٦٤ أسواق العرب أيام الجاهلية	١٧١ رد الشعوبية على ابن قتيبة
٢٧٠ مجتمعات العرب في جاهليتهم	١٧٣ قول الشعوبية في منالكح العرب
٢٧٨ مفاخرات العرب ومنافراتهم	١٧٣ الرد عليهم
٢٨٥ حديث ذى الجدين	١٧٥ أجمل ما قالته الشعوبية في العرب
٢٨٧ مفاخرة يمن ومضر	١٨٤ مساكن العرب في الجاهلية
٢٨٧ مفاخرة الأوس والخزرج	١٨٥ مساحة دور جزيرة العرب
٢٨٧ المنافرات الشهيرة في الجاهلية	١٨٧ وجه تسمية هذه الجزيرة
٢٨٨ منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة	١٨٧ ما اشتمل عليه الجزيرة من الأقسام
٢٩٧ منافرة بين فزارة وبني هلال	١٨٨ البلاد والمباني المشهورة: الحجاز
٢٩٨ قصة الفقعسى وضمرة	١٩٤ تهامة
٣٠١ منافرة جرير وخالد	١٩٩ العروض: اليمامة مدينة الرسول
٣٠٦ منافرة القعقاع وخالد	١٩٨ نجد — وأقوال الشعراء فيها
٣٠٧ منافرة هاشم وأمية	٢٠٢ اليمن
٣٠٨ حكام العرب في الجاهلية :	٢٠٤ المعادن والقصور التي فيها
٣٠٨ أكثم بن صيفي	٢٠٧ مأرب (سبأ)
٣١١ حاجب بن ززارة	٢٠٩ تدمير عجائبها
٣١٥ الأقرع بن حابس	٢١٢ ما جاور العراق من بلاد الجزيرة
٣١٦ ربيعة بن مخاشن	٢١٧ ديار بكر وربيعه ومضر
٣١٦ ضمرة بن ضمرة	٢٢٢ المواضع التي جاءت على ألسنة
٣١٦ عامر بن الظرب	الشعراء
٣١٩ غيلان بن سلبة	٢٢٧ ما كانت عليه مكة في الجاهلية
٣٢١ هاشم بن عبد مناف	٢٣٠ صفة الكعبة
٣٢٣ عبيد المطلب بن هاشم	٢٣٩ فضل مكة وذكر رؤسائها وأشرافها
٣٢٤ أبو طالب بن هاشم	٢٤٩ أشراف قريش في الجاهلية
٣٢٨ العاص بن وائل	والإسلام
٣٢٩ العلاء بن حارثة	أصحاب الفيل في مكة
٣٢٩ ربيعة بن حذار	٢٦٣ سؤال وجواب

صفحة		صفحة	
٣٦٤	أعياد المسلمين	٣٣٠	يعمر الشداخ
٣٦٧	ما كان العرب يصنعونه في أعيادهم	٣٣٠	صفوان بن أمية
٣٦٩	حداء العرب والغناء	٣٣٠	سلي بن نوفل
٢٧٠	عادات العرب في الأكل والمشرب	٣٣١	مالك بن جبير
	وصف كثرة الأكل وترتيبه	٣٣١	عمرو بن حمزة
٣٧٩	عند العرب	٣٣٤	الحارث بن عباد
٣٨٠	مطاعم العرب الشهيرة	٣٣٥	القليس الكنانى
٣٨٥	ولائم العرب الشهيرة	٣٣٥	ذو الإصبع العدواني
٣٨٧	أواني العرب المميزة بأسماء	٣٣٨	حكيمات العرب
	مخصوصة	٣٣٩	ابنة الخس
٣٨٧	عادات العرب في الشرب	٣٤٢	جمعة بنت حابس الإيادى
٣٩٠	ما يعتبر به جودة الماء عند العرب	٣٤٢	صحرة بنت لقمان
٣٩٢	المياه المشهورة عند العرب	٣٤٢	خضيلة بنت عامر
٣٩٣	أسماء أواني المياه عند العرب	٣٤٣	حذام بنت الريان
٣٩٤	تقديم العرب الأيمن في الشرب	٣٤٤	أعياد العرب وأفراحهم
٣٩٤	عادات العرب في سقى إبلهم	٣٤٥	أعياد المشركين
	وأسمائها	٣٤٨	أعياد المجوس
٣٩٥	الاختلاف في تغذية الماء	٣٥٧	أعياد القبط والنصارى
٣٩٦	ما يعالج به ضرر الماء	٣٦١	أعياد اليهود

الفهرس الثاني

في أسماء الرجال والنساء

ابن هشام ٨٨ و ١٩١
 ابو سفيان بن حرب ١٣٩ و ٢٢٨ و ٢٤٩ و ٢٦٩
 و ٢٨٨ و ٢٩٢ و ٣٠٨ و ٣٢٠
 ابن القمامي ١٤٧
 ابن سبيرين ١٥٠
 ابن غرسية ١٦٠
 ابن هبولة الفساني ١٦٧
 ابن وكيع ١٧٤
 ابن الراوندي ١٧٧
 ابن النحاس ١٧٩ و ٢٧٤ و ٢٧٥
 ابن خلكان ١٧٩ و ٢٢٠
 ابن سينا ١٨٢
 ابن عيينة ١٨٦
 ابن بكار ٩٢
 ابن بري ٩٥ و ١٥٢ و ١٧٩
 ابن الاثير ٩٥ و ٢٢٠ و ٢٤٠ و ٢٤٣ و ٢٨٥
 ابن مالك ١٠٦
 ابن الطويلة ١٢٣ و ٣١٣
 ابن الزيات ١٣٣
 ابن قنماس ٣٨٢
 ابن السكيت ٢٨٤
 ابن كثير ٣٢٦
 ابن الكلبي ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٨ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢
 ابن الزبيرى ٢٤٤
 ابن ام مكتوم ٢٤١
 ابن السراج ٢٤١
 ابن الربيع ٢٥١
 ابن مفرغ ٢٥٨
 ابن نوح (كنعان) ٢٦٠
 ابن غنفوه ١٩٦
 ابن احمر ٢٠١
 ابن الشجرى ٢١٢
 ابن عمر الثقفى ٢٢٠
 ابن المستوفى ٢٢٠
 ابن مقبل ٢٢٦

(١)

ابراهيم (عليه السلام) ١٧ و ٨٢ و ١٧٥ و ٢٢٩
 و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٤٠ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٥٣ و ٢٦٠
 و ٢٧٠ و ٢٢٢ و ٢٤٦ و ٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٦١ و ٢٦٥
 و ٢٧٥
 ابراهيم النخعي ٢٢٨
 ابراهيم الاحدب ١٣٥
 ابراهيم الموصلى ٣٦٨
 ابراهيم بن المهدي ٣٦٨
 ابرهة الاشرم ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥
 و ٢٥٧ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢
 ابرهة ذو المنار ٢٠٥
 ابرهة (الملك) ٢٠٥
 ابرهة بن الصباح ٢٠٥
 الابرش الكلبي ٢٨٧
 ابن الاعرابى ١٣ و ٣٠ و ٣٥ و ٧٣ و ٩١ و ٩٢
 و ١٤١ و ١٤٤ و ٢٠٠ و ٢٤٢ و ٣٠١ و ٣٣٣ و ٣٤٠
 و ٣٨٥
 ابن خالوية ١٥
 ابن رشيق ٢٣
 ابن دارة ٢٣
 ابن سيده ٢٣
 ابن الزيات ٢٥
 ابن ابى الاصبع ٢٥
 ابن هبيرة ٣٠ و ٣٧١
 ابن دريد ٣١ و ٩١ و ١٠٣ و ١٢٧ و ٢٥٦ و ٣١٦
 و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٨ و ٣٧٠
 ابن المكرم ٣١
 ابن الانبارى ٤٩ و ٢٣٥
 ابن هرمه ٥٠ و ٢٤٤ و ٣٧٤
 ابن علقم الفزارى ٥٢ و ٥٣
 ابن دارة القطافى ٧٥
 ابن ابى خازم ٨٣
 ابن قتيبة ٨٦ و ٨٩ و ١٤٢ و ١٦٩ و ١٧١ و ١٧٥
 و ١٨٧ و ٢٤٠ و ٢٤٤ و ٣٣٥ و ٣٧٠
 ابن الزبيرى ٨٧ و ٢٥٨

- ابن حجر ملك كنده ١٠
ابن خلدون ٢١٢
ابن المقفع ١٥٨ و ٣٤٩
ابن عباس ١٣ و ١٧ و ٣٦ و ١٧٥ و ٢٣٣ و ٣١٩ و ٢٢٢ و ٣٤٤
ابن حجر ٣٠٢ و ٢٢٤
ابن شاهين ٣١٥
ابن بريج ٣٦٨
ابنة الخس ٣٢٩ و ٣٤٠
ابنة هرم ٨٦
ابو العباس أبي غدة ١٢
ابو الهيثم ١٣ و ٣٩١
أبو ذر ١٥ و ١٧ و ٢٥ و ٩٨ و ٣٩٣
أبو العالية ١٨
أبو عبد الله الرزباني ٢٥ و ٣٢٢ و ٣١٩ و ٣٣١
أبو الفرج الاصبهاني ٢٥ و ٢٧ و ٩٦ و ١٣٤ و ١٣٥ و ٢١٤ و ٢٨٩ و ٢٩٧ و ٣١٩
أبو بكر العليمي ٢٥
أبو عمر وابن العلاء ٢٥ و ١٤٥
أبو عثمان الاشنانداني ٢٢
أبو فيد السدوسي ٣٧
أبو خالد الكلابي ٣٧ و ٣٨٤
أبو اسحق الكندي ٤٣ و ٣١٥
أبو العلاء ٤٧
أبو رياش ٥٣
أبو الطمحان (حنظلة) ٥٥
أبو تمام ٦٩ و ١٢٤ و ١٣٣ و ٣١٤
أبو زياد الاعرابي ٧٠
أبو هريرة ٧١ و ٩٨ و ٢٢٤ و ٢٣٨
أبو عبيدة ٧١ و ٨٧ و ٩١ و ١١٩ و ١٣٥ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٨٥ و ١٨٧ و ٢٤٧ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٢٨٨ و ٣١٦
أبو الخيبري ٧٤ و ٧٥
أبو محمد الحنظلي ٧٥
أبو حنيفة ٨٩ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٣٩٥
أبو لفدة الاصفهاني ١٩٩
أبو الندي ٩٢ و ٣٠٣
أبو جهل ١٩٠ و ٢٨٨ و ٢٩٢ و ٣٠٨
أبو سفيان ١٩٠ و ٢٣٦ و ٢٧٦
أبو ثمامة ١٩٦
أبو موسى الاشعري ٢٠٠
- أبو العتاهية ٢١٥
أبو الاسود ٢٤٥
أبو زيد ٢٨٧ و ٢٨٤
أبو هلال العسكري ٢٢٠
أبو جندب السكري ٢٢١
أبو احمد العسكري ٣٢٩ و ٢٣٠
أبو كلثوم بن الهرم ٢٢٢
أبو النجم ٢٢٢
أبو رياش ٢٢٤
أبو حاتم ١٢٠ و ٢٣٥ و ٢٣٦
أبو حذيفة بن الغيرة ٢٢٢
أبو الهيثم بن حذيفة ٢٢٣
أبو شريح الخزاعي ٢٣٨
أبو بكر بن عبد مناة ٢٤٦
أبو سيارة ٢٤٧ و ٢٤٨
أبو غبشان ٢٤٧
أبو حي بن مضر ٢٤٧
أبو رغال ٢٥٢ و ٢٥٣
أبو الطيب مسعود ٢٥٦
أبو قيس صيفي ٢٥٨
أبو الطيب المكي ٢٦٤
أبو جعفر المنصور ٢٦٩
أبو بردة ٢٧٩
أبو امية بن المغيرة ٩٢ و ٩٣
أبو طالب عم النبي ٩٣ و ٢٢٤ و ٣٢٦ و ٣٢٧
أبو وائل ٩٨
أبو سلمة ٩٨
أبو محمد الاعرابي ١٠٩ و ٢٩٨ و ٣٠٢ و ٣٠٦
أبو الابيض العبيسي ١١٣
أبو الفول الطهوي ١١٤
أبو الفتح ١١٥
أبو نؤاس ١٢٤
أبو عبد الله العواص ١٢٨
أبو الحوفزان ١٣٠
أبو حنبل الطائي ١٣٥ و ١٣٦ و ١٤٤
أبو زهير الزهراني ١٣٩
أبو دلف العجلي ٣١٤ و ٣١٥
أبو ذؤيب الهذلي ٣١٢
أبو سمل النيلي ٣١١
أبو الحسن الاثرم ٢٩٠

- ابو مسكين ٢٢٢
 ابو الهندي ٣٨٠
 ابو المهوس الاسدي ٣٨١
 ابو المنهال بقلية ١٤٢
 ابو العيلاء ١٥٨
 ابو عبيدة بن نبيشة ١٤٤
 ابو عبيد البكري ١٦٠ و ١٩٢ و ٢٢٢
 ابو عبيد المثنى ١٦٠
 ابو محمد الكرمانى ١٦٤
 ابو بكر (رضى الله عنه) ١٦٨ و ١٩٦ و ١٩٧
 و ٢٢٤ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٩٧ و ٣٣٠ و ٣٤٤
 ابو الغمقام ١٧٠
 ابو الغداء ١٨٢
 ابو الحسن السلامى ١٨٦
 ابي بن خلف ٢٧٥
 ابي بن كعب ١٩٠ و ٢٨٧
 احمد بن تيميه ١٢ و ٣٦٦
 الاحنف ٢٨٢ و ٣٨١ و ٢٤
 احمد بن عبد العزيز ٢٥
 احمد بن سعيد ٢٥
 الاحوص بن جعفر ٣٧
 احمد بن فارس ٤٥ و ٢٢٣ و ٢٩٤
 احمد بن حنبل ٧٢ و ١٦٢ و ١٦٤
 احمد بن عمار ٩٠
 الاحنف بن قيس ١٠٣
 احيحة بن الجلاح ١٣٦
 احمد بن يوسف الكاتب ٣٥١
 الاحوص ٢٨٨ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٧٢
 الاخل ٢٤ و ٨٢ و ٩١ و ٣١٤ و ٣٧٤
 آدم (عليه السلام) ١٧ و ١٦٦ و ١٧٥ و ٢٧٤
 و ٢٧٥ و ٣٥٧
 ادريس (عليه السلام) ١٧ و ١٧٥
 الادريسي ١٨٢
 ارطاة بن سهبة ٦١
 ارسطو ١٨١
 اربد بن قيس ٢٨٣ و ٢٨٤
 ارش بن عمرو ٣٠٦
 الارقم ١٨٩
 الازهرى ١٣ و ٣٠ و ٢٢١ و ٣٧١ و ٣٧٩ و ٣٨٤
 و ٣٨٥
 ازواد الركب ٩٢
- الازرقى ١٨٨ و ٢٦٦
 ازال بن قحطان ٢٠٤
 ازدشير بن بابك ٣٥٥ و ٣٦٣
 الاسكندر ١٦٥ و ٢١٩ و ٣٥١
 اسماعيل بن عمار ٢٤
 اسمعيل (عليه السلام) ٨ و ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧١
 و ١٧٥ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٤٠ و ٢٤٥ و ٢٤٦
 و ٢٤٧ و ٢٩٣
 الاسود بن مقصود ٢٥٣ و ٢٥٥
 اسماء زوجة زهير ٢١١
 الاسود بن يعفر ٢١٤
 اسحق الموصلى ٣٦٨ و ٣٦٩
 الاسود بن شريك ٢٨٤
 اسيد بن جزيمة ١٢٠
 اسمعيل بن هبة الله ١٢٩
 اسود بن المنذر ١٣٣
 اسحق بن مخلد ١٦٤
 اسحق (عليه السلام) ١٧٠
 الاشعر بن صرمة ٢٩٠
 اشهل بن ارش ٣٠٦
 الاشعت ٢٨١ و ٢٢٨
 آشود بن قبطم ٣٥٩
 الاصمى ٢٥ و ٢٨ و ٣٩ و ٨٢ و ١٥٢ و ١٨٥
 و ١٨٧ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٢٢٣ و ٢٢٧ و ٢٣٦ و ٢٣٩
 و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٧٨ و ٢٩٣
 الاصم عمرو بن قيس ٢٨٣
 اصم بن ابى ربيعة ٢٨٤
 الاصرم بن عوف ٣٠٣
 الاعمش ٢٣٧
 الاعشى ١٣٧ و ٢٣٢ و ٢٤٣ و ٢٨٩ و ٢٩٦ و ٢٩٧
 اعشى بن ثعلبة ١٧٧
 الافوه (الشاعر) ٢٢٤
 افريدون (الملك) ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤
 الاقرع بن حابس ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٣٠٢ و ٣٠٣
 و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٤٤
 الاقرع بن معاذ ٦٨
 اكثم بن صيفى ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ٣٠٦ و ٣٠٨
 و ٣١٠ و ٣١١
 الاكيدر ٢١١ و ٢٦٥
 امرؤ القيس ٢٧ و ٢٨ و ٣٠ و ٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧
 و ١٤٠ و ١٦١ و ١٧٦ و ٢٢٣

بلال الحيشي ٩ و١٦٨ و٢٤١ و٢٦٦
البلاذري ٢٢
بلقيس ٢٠٧ و٢٥١
بنت لبيد العامري ٩٢
بيوراسب ٢٥٢

(ت)

التبريزي ٤٧ و٥٥ و١٠٦
تبع الحميري ١٧٨
تبع الازهر ١٧٩
تبع الزائدة ٢٠٥
تبع ابو كرب ٢١٣
تماضر بنت عمرو الشريد ١١٩

(ث)

الثعالبي ١٢٨ و١٨٦ و٢١٠ و٢٤٦
الثعلبي ١٨
ثعلبية امرأة ابي حنبل ١٣٥
ثعلبة بن عمرو الفساني ٢١٢
ثعلب ٢٤٢ و٢٨٥
ثور بن شحمة ٨٧

(ج)

جابر بن حيان ٦٧
جابر بن رلان ١٩٣
جالينوس ١٨٢
جابر بن عبد الله ٢٢٢ و٢٢٣
جبريل (عليه السلام) ١٩٦ و٢٥٥ و٣٥٧ و٢٩٣
جيلة بن الحارث ٢١٢
جيلة بن الايهم ٢١٢
جرير ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٦ و٤٤ و٤٨ و٨٢
٩١ و١٦٦ و٢٢٣ و٢٢٤ و٣١٢ و٣٤٦
جرير بن عبد الله ٣٠١ و٣٠٢ و٣٠٣ و٣٠٤
جدلية امرأة ابي حنبل ١٣٥
جذيمة الابروش ١٢٧ و٢١٩
جساس بن نشبة ١٠٩
جمدة السلمي ١٤٢
جماد بن عبد التيمي ١٧٩
الجمدي ٢٢٤

الامام مالك ٢٣٦
أم حسان ٦٨
أم محمد ٦٨
اميه بن الصلت ٨٧ و٢٤٥ و٢٥٩ و٣٨١
ام سيار (أم ربيعة المكنم) ١٤٤
امية بن حزن ١٢٢
أم جميل ١٢٩
أم الطباء بنت معاوية ٢٩٠
أم البنين بنت ربيعة ٢٩٠
امية بن عبد شمس ٣٠٧ و٣٠٨
امية ١٩٠
امرؤ القيس بن النعمان ٢١٤
امية بن خلف ٢٤١
امية بن اسكر ٢٦٩
انو شروان ٣٥٥
انمار بن اراش ٣٠٦
انس بن مدره ٢٩٧ و٣٠٨
اهاب بن عمير العنسي ٢٠١
اوس بن حارثة ٨٢ و٨٣ و٨٤
وس بن حجر ١٧٨ و٢٤٤
اوس بن عمر النغلي ٢٢٠
ايوب بن سليمان ٣١٢
(ب)

بشينة ٢٠
بجير ١٦٨ و٢٣٤
بجيلة بنت صعب ٣٠٦
النجاري ١٧
بختنصر ٢١٢
بديع الزمان الهمداني ١٦٠ و١٦١
بدر الدين بن مخلد ١٩٣
بدر الدين الاسود ١٩٣
البستي ٣١١
بسطام بن قيس ٣٦ و٢٨٠ و٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٤
بشامة بن حزن ١١١ و١١٥
بشر بن ابي حازم ٧٣ و٨٣ و٨٤
بشر بن عبد الله ٢٨٩ و٢٩٢ و٣٠٨
بطليموس ١٨١
البغدادي (صاحب الخزائن) ٢٥ و٢٦
البغدادي ١١١
بقراط ٤٥
البكاء بن كعب ٢٢٣

جعفر بن محمد ٢٢٨
 جعفر بن كلاب ٢٨٩
 جمشاد (الملك) ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤
 جمعة بنت الخس ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢
 جميل بشينة ٣٠
 جناب بن عبد الله ٣٦٩
 الجوهرى ١٢ و ٢٢ و ٨٨ و ١٢٧ و ٥٠ و ٢٠١ و ٢١٦ و ٢٢٧ و ٢٧٢ و ٢٨٥
 (ح)
 حاجب بن زرارة ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥١ و ١٥٣ و ٢٨٢ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣٤٤
 الحارث بن عباد ١٣٦ و ١٥٤ و ٢٣٤
 الحافظ العراقى ١٦٤
 الحارث بن جبلة ٢١٢
 الحارث بن مضاف ٢٤٦
 الحارث بن عامر ٢٤٩
 الحارث بن قيس ٢٥٠
 حاطب بن عبد العزيز ٢٦٢
 حازم بن ابي حازم ٣٠٤
 الحارث بن ولة ٢٣٢
 حاطب بن قيس ٢٣٣
 حائر (مولى عبيد الله) ٣٦٨
 الحارث بن كلفة ٣٧٧
 حاتم الطائي ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٢ و ٨٣ و ٩٦ و ١٤٤ و ٢٧٧
 حجر بن خالد ٥٨ و ١١٤
 حجر بن حية ٦٢
 الحجاج بن يوسف ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٥٠
 حذيفة بن عبد فقيم ٢٥١
 الحرث بن ظالم ٦١ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٥١ و ١٥٧ و ١٥٨
 حريث بن غناب ١١٨ و ٣٧٢
 الحرث بن عمرو ١١٩ و ١٦٧
 حرب بن امية ٢٤٢
 حرملة بن الاشعر ٢٩٢ و ٣٠٨
 الحرث بن اراش ٢٠٦
 حرثان بن حارث ٢٣٦
 الحريرى ٢٣٩
 حزيمة بنت اراش ٣٠٦

حزام بنت الريان ٣٤٣
 الحسن بن ابي الحسين ٢٥
 الحسن بن وهب ٢٥
 حسان بن ثابت ٢٥ و ٢٦ و ١٠٥ و ٢٦٧ و ٢٨٧ و ٢٨٢
 الحسين بن مطير ٥٥
 الحسين بن علي ٩٥ و ٢٢١
 الحسن بن علي ٩٨ و ١٩٥
 حسان بن نشبة ١٠٩
 الحسن بن هانيء ١٦٨ و ٢٨٣
 حسان بن تبع ١٩٧
 حسان بن حنظلة ١٩٣
 الحسن بن عمر التغلبي ٢٢٠
 الحصين بن الحمام ٦١ و ١٠٥ و ١١٠
 الحصين بن بكر الربيعى ١٧٦
 الحصين بن نمير ٢٢٢
 الحطيئة ٨٢ و ٢٩٤
 حفص بن الاخيف ١٤٥
 حفيد بن رشد ١٨١ و ١٨٢
 الحكم بن عتيبة ١٧
 الحكم بن عتيبة ١٧
 حكيم بن حزام ٢٦٢
 الحكم بن هشام ٣٦٨
 خليل بن ابي حشبة ٢٤٦
 حماد الراوية ٤٠
 حماس بن ثامل ٦٤
 حميد بن ثور ٦٨ و ١٤١
 حماد بن زيد ٩٨
 حمير بن سبأ ١٧٨
 حمير (الملك) ٢٠٨
 الحموى (صاحب المعجم) ٢٢٢ و ٢٢٣
 حمزة الاصمى ٢٩٨
 حماد بن اسحق ٣٦٨
 حنش بن معبد ٥٤
 حندج بن البكاء ١١٩ و ١٢٠
 حنظلة بن غفران ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣
 حنطة الحميرى ٢٥٣ و ٢٥٤
 حنظلة بن الراهب ٢٨٧
 حوش الكلبي ١٢٨
 الحوفزان ١٦٧ و ٢٨٠ و ٢٨٤
 الحزيرت بن نفيذ ٢٣٦

حيان بن ربيعة ١٠٧

(خ)

خالد بن الوليد ٧١ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٢٠ و ٢٥٠ و ٢٩٧ و ٢٤٦

خالد بن جعفر ١١٨ و ١١٩ و ١٢٣ و ١٥١ و ١٥٥ و ٢٢٤

خالد بن الفضل ١٢٧

خالد بن سلمة ١٦٠

خالد بن سنان ١٧٦

خارجة بن ضرار ١٩٢

خالد بن صفوان ٢٨٧

خالدة بنت جعفر ٢٩٠

خالد بن اوطاة ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤

خالد بن مالك ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٢٩ و ٣٣٠

خالد بن عبد الله ٣٥١

خبينة بنت رياح ١١٩

خدعة بنت اراش ٣٠٦

خداش بن زهير ٢٦٨ و ٢٦٩

خراز بن عمرو ٦٣

خزيمة بن ثابت ٢٨٧

خصيلة بنت عامر ٣٤٢

الخطابي ٢٤٦

خفاف بن ندبة ٣١٢

الخفاجي ٣١ و ٤٥

خلف الاحمر ٢٩

خلف بن خليفة ٩٩

الخليل (عليه السلام) ١٧١

الخليل بن احمد ٢٨٥ و ٢٩٥

خماعة بنت عوف ١٢٥ و ١٢٦

الخنساء ٢٥ و ٢٧٦ و ٣٨٧

الخوارزمي ١٨٦

خويلد بن وللة ٢٥٤

(د)

داود (عليه السلام) ١٨ و ١٤٢

داود بن عيسى العباسي ٢٧٠

داود الضرير ٢٧٧

الدارقطني ٢٤١

دريد بن الصمة ٢٢٥ و ٢٦٨

دردى (وزير فرنسا) ٣٩ و ١٧٩

دعبل ٦١

دغفل النسابة ١١٨

الدميري ٢٣٧

ديهث - المرى ١٢٤

ديسم بن طارق ٢٤٢

(ذ)

ذهل بن تميم ٢٢

ذهل بن شيبان ١١٨

ذهل بن ثعلبة ١١٨

الذهبي ١٧٥

ذو الرمة ٢١ و ٢٠١ و ٣٦٩

ذو الاصبع ٣٦ و ٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨

ذؤاب بن اسماء ١٢٥ و ١٢٦

ذو القرنين ١٧٨

ذو نفر ٢٥٢ و ٢٥٣

(ر)

الراغب الاصفهاني ١٣

رواية جميل ٢٦ و ٣٠

رواية نصيب ٢٦ و ٢٧

رواية كثير ٢٦

الراعي ٢٢٤

ربيعة المرى ١٠٥

ربيعة بن مقروم ١١٥

ربيعة بن مكرم ١٢١ و ١٤٤ و ١٤٥

الربيع بن ابي العقيق ١٢٨

الربيع بن فصيح ١٧٧

ربيعة بن مالك ٢٨٣ و ٢٨٤

ربيعة بن حذار ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٢٩

ربيعة بن مخاشن ٣١٦

رستم ٣٥٤

الرشيد ٣٥١ و ٦٤

رغوان مجاشع بن وازم ٢٠

الرقابي بن المنذر ١١٤

رياح بن الاشل ١١٩

الرياشي ١٨٥ و ١٨٧

ريحانة اخت عمرو معد يكرب ١٦٧

(ز)

الزبيدي ٢٢ و ٣٥ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ٣١٦ و ٣٢٨

الزبير بن بكار ٢٥ و ٨٨ و ٢٣٣ و ٢٤٥ و ٢٧٢ و ٢٧٥

٣٧٠ و ٣٢٨

ضرار بن الخطاب ٢٥٢ و ١٣٩
ضمرة بن ضمرة ٢١٦ و ٣٠٠ و ٢٩٩ و ٢٩٨

(ط)

طاهر بن الحسين ١٦٠
طالب بن أبي طالب ٢٥٩
الطبري ٢٦١
الطبراني ٢٦٦
الطرماح ٢٣
طرفة بن العبد ٢٨٦ و ٢٢٦ و ١٧٨
طريف بن تميم ٢٦٨ و ٢٦٧
طريف بن ارش ٣٠٦
الطفيل بن مالك ٢٨٤ و ٢٨٣
طهورة (الملك) ٣٤٨
طويس ٣٦٨

(ع)

عائشة (رض) ٢٤١ و ٢٣٣ و ١٧٢ و ٩٨ و ٩٠ و ١٥
عامر بن حارثة ١٧٩
عامر بن صعصعة ٢٣
عامر بن مالك ٢٨٨ و ٢٨٤ و ٢٨٣ و ٢٨٠ و ٢٣٣ و ٢٤٠
٢٩٢ و ٢٩١
عامر بن الغرب ٣٣٠ و ٣١٨ و ٣١٧ و ٣١٦ و ٣٦
٣٤٣ و ٣٣٢
عامر بن جشم ١٧٩
عامر بن احيمر ٧٦ و ٧٥
عائكة بنت عبد المطلب ٩٣ و ٩٢
عائكة بنت عبد المطلب ٩٣ و ٩٢
عائكة بنت عتبة ٩٢
عائكة بنت قيس ٩٢
عامر بن الطفيل ١٧١ و ١٥٦ و ١٥١ و ١٢١ و ١١٧
و ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣
٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦
عامر بن جذرة ١٧٩
عامر بن مضاض ٢٣٠
العاصم بن وائل ٢٢٩ و ٢٢٨ و ٢٢٧
عاصم بن الافلح ٢٨٧
عامر بن علقمة ٢٨٧
عائكة بنت الاشتر ٢٩٩
عاطس بن خلاص ٣٤٣
العباس (رض) ٢٧٦ و ٢٤٩ و ١٦٢
العباس بن مرداش ٣١٢ و ٢٧٥ و ١١٢

شريك النعمري ٢٣

شريح بن الاحوص ٦٦

شريح بن قرواش ١١٢

شريح بن مسهر ١١٢

شرقي بن القطامي ٢٣٢ و ١٧٩ و ١٢٩

شريك بن عمرو ١٣٢ و ١٣١ و ١٣٠

شرحيل بن عمرو ٢٠٥

شريك بن الامور ٢٨٤

الشريسي ٢٨٩

شرحيل بن حسنة ٣١٥

شظاظ (النسي) ٢١٨

شبيب (عليه السلام) ١٧٥

الشعبي ٢٣٢ و ٨٢ و ٣٦

شقران مولى سلامان ٥٦

شقة بن ضمرة ١٥٧

الشنفرى ٢٧٧ و ١٠٤

شهاب الدين صاحب العقد ١٤٧ و ٩٧ و ٩٤ و ٧٤

٢١٣ و ١٧٣

شهلاء بنت ارش ٣٠٦

شهاب الدين الحموي ٣٥٧

شيث (عليه السلام) ٢٧٤ و ١٧٥

شيبه ١٩٠

شيبه بن ربيع ٢٤١

(ص)

صالح (عليه السلام) ١٧٥ و ١٦٦

الصاحب بن عباد ١٦٢ و ١٦١ و ١٦٠

الصاغاني ٢٢٣ و ٢٠١

صخر بنت لقمان ٣٤٢

صخر بن العلية ٣٠٤

صمصمة بن معاوية ٣١٨

الصفدي ١٢٤

صفوان بن امية ٣٣٠ و ٢٥٠

الصمة بن عبد الله ١٩٨

صهيب ١٦٨

صهيبه بنت ارش ٣٠٦

الصولي ٢٥١ و ٢٥٠

(ض)

ضبة بن اد ١٦٩

الضحالك ٢٥٤ و ٢٥٣

ضرار بن الازور ٧١

- عبد الرحمن الداخل ٣٦٨
عبد الملك بن قريظ ٢٥
عتيبة بن بجير ٤٧ و ٦٧
عتيبة بن حارث ١٢١
عتبة ١٩٠
عتبة بن ربيعة ٢٠٢ و ٢٤١
عتبة بن علاثة ٢٨٣
عتبة بن سنان ٢٨٤ و ٢٨٣
عتيك بن قيس ٢٢٣ و ٢٢٢
عثمان (رضي الله عنه) ٢٣٥ و ٢٢٤ و ١٥٠ و ٢٥٠
و ٢٢٧ و ٢١٦ و ٢٤٩
عثمان بن طلحة ٢٤٩
عدى بن حاتم ٢٨٤ و ٧٢ و ٢٨٤
عدى بن ربيعة ١٣٦
عدى بن سعد ٢١٤
عروة بن الورد ٦٨٥٠
عروة بن زيد الخيل ٥٦
الغرندس ٧١
المسقلاني ١٥
عصام حاجب النعمان ١٧٢
عطبرة السكسكي ١٧٩
عطاف بن حاجب ١١٣ و ١٢ و ٢٤
عقد الدولة ١٨٦
عقيل بن علفه ١٠٥
عكرمة بن ابي جهل ٢٣٦
عكرمة بن عدنان ٢٥٦ و ٢٣٧
فك بن عدنان ٢٢٧
المكلى ٦٦
على (رضي) ١٧٠ و ١٦٨ و ١٥٧ و ١٢٧ و ٥٧
على بن يحيى ٢٥
علقمة بن علاثة ٢٨٨ و ٢٨٤ و ٢٨٣ و ١٥٥ و ١٥١
و ٢٨٩ و ٢٨٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧
علقمة بن سيف ٥٤
علقمة بن فراس ٩٢
الملوى ١٠٥
على بن هلال ١٧٩
على بن الجهم ١٧٤
على بن حمزة ٢٤٨ و ٢٢٤
العلاء بن خازنة ٢٢٩
عمر (رضي الله عنه) ١٤٣ و ١٤٢ و ١٣٩ و ٨٦ و ١٥٠
و ١٤٤ و ١٦٨ و ١٧٢ و ١٢ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٣٤
و ٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٥
- عباس بن خليل النمرى ٢٠١
عبيد بن غاضرة ٢٢
عبيد بن حصين ٢٣
عبد الله بن حبيب ٨٧ و ٨٦
عبد القاهر ٢٤
عبد الملك بن عمر ٢٧
عبيد بن الابرس ١٢٨ و ٧٣
عبد الله بن حبيب ٨٧ و ٨٦
عبد العزيز بن مروان ٨٦
عبد الله بن جديان ٢٧٦ و ٩٠ و ٨٩ و ٨٨ و ٨٧
و ٢٨١ و ٢٢٤
عبد الكلية ٩١
عبيد الله بن العباس ٢٤٣ و ٩٧ و ٩٦ و ٩٥ و ٩٤
عبد الله بن جعفر ٩٧ و ٩٤
عبيد الله بن ابي بكر ٩٧
عبد الله بن معمر ٩٧
عبد الله بن الزبير ٢٣٤ و ٢٣٣ و ٢٣٢ و ١٩٧ و ١٦٤
و ٢٦٣
عبد الملك بن مروان ٢٣٦ و ٢٢٤ و ١٧٢
عبد شمس بن وائل ١٧٨
عبد الرحمن الاول ١٨٣
عبد الرحمن الثالث ١٨٣
عبد الملك بن الحسن ١٩٣
عبد الله بن الدمينه ١٩٨
عبد القادر الحسنى ٢٢٢
عبيد بن عمر ٢٢٣ و ٢٢٢
عبد الله بن عباس ٢٢٢
عبد الله بن صفوان ٢٢٣
عبد الله بن خالد ٢٣٥
عبد الله بن خالد ٢٣٥
عبد الله بن سعد ٢٣٦
عبد الله بن خطل ٢٣٦
عبد الدار بن قصى ٢٤٨ و ٢٤٧
عبد مناف ٢٤٨ و ٢٢٤
عبد المطلب بن هاشم ٢٧٢ و ٢٥٦ و ٢٥٤ و ٢٥٣
و ٣٢٤ و ٣٢٣
عبد الله الزبيرى ٢٥٨
عبد الله بن قيس الرقيات ٢٦٠
عقير بن ارش ٣٠٦
عبد الله بن عامر ٢١٦
عبيد الله بن عبد الله ٣٥٥ و ٣٥٢
عبد الله بن معديكرب ١٤٣

(ف)

فاطمة بنت الخرشب ١٥٢
فاطمة بنت عبد شمس ٢٩٠
الفخلمي ١٥٨
فدكي البهراني ٥٤
الفراء ١٧.١٣
الفرزدق ١٧٢١٢٥١٣٤١٦٥٨١٢٢١٢١٢٠
و ٢٦.٦ و ٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٩ و ٢٧٤
فراسياب (الملك) ٢٥٦ و ٢٥٥
الفصل بن العباس ٢١٥
فكيهة بنت قتادة ١٢٩
فهم بن اراش ٢٠٦
فيروز بن يزدجرد ٢٥٠
فيمون ٢٤٧

(ق)

القالي ٢٤٠ و ٢٢٢٨ و ٢٢٢ و ١٢٧
قابوس بن النعمان ١٣١ و ٢٠١
القاسم بن عقيل ٢٠٢
قالد بن حكيم الربيعي ٢٠١
القاضي عياض ٢٤١
القاضي منصور الهروي ٢١١
قبيصة بن مسعود ٢٨٤ و ٢٨٢
قتادة بن مسلمة ٩١
قتيبة بن مسلم ١٨٧
قحافة بن عوف ٢٩٢
قدامة بن جعفر ٢١٦
قراد بن اجدع ١٢٢ و ١٣٠
قردة بنت مندرس ٢٠٧
القرطبي ٢٨٥
قس بن ساعدة ١٧٢ و ١٧٨ و ٢٦٧ و ٢٠٩
قسطنطين ٣٦٠ و ٣٥٧
قصي بن كلاب ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٧٦
قطري بن الفجاءة ١٠٦
قطرب ٢٨٥
القمقاع بن زارة ٣٠٧ و ٣٠٦
القمقاع بن معبد ٢٢٩ و ٢٣٠
القلقشندي ١٧
القلمس الكناني ٢٣٥ و ٢٣٩ و ٢٤٢
قيس بن خالد الشيباني ٣٦
قيس بن زهير ١٥٣ و ٢٧

٢٩٧ و ٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٣٥٤
عمرو بن الشريد ١٥١ و ١٥٤ و ١٥٥
عمرو بن كلثوم ٢٩١ و ٢٩٢ و ١١٢ و ١١٣ و ١٢١ و ١٢٢ و ٢٩٤
عمر بن لجأ ٢٢ و ٢٢٢
عمر بن الاشعث ٢٢
عمر بن شبة ٢٥
عمرو بن هيرة ٢٧
عمر بن عبد العزيز ٨٢ و ١٦٥ و ٢٥٠
عمرو بن حمية النوسي ٣٦ و ١٧٩ و ٣٣٢ و ٣٣٣
عمرو بن الاطنابة ١٠٥٥ و ١٠٥٧
عمرو بن الاهثم ٦٠
عمرو بن هند ٨٢ و ١٢٦ و ١٢٧
عمرو بن بحر الجاحظ ٨٧ و ٢٤٧ و ٢٩٨ و ٣٦٩
٣٨١ و ٣٧٩
عمرو بن مرة ٩٨
عمرو بن معدى كرب ١٢١ و ١٢٢ و ١٤٢ و ١٥١
١٦٧ و ١٥٧
عمرو بن قارب ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧
عمرو بن مسعود ١٢٧
عمرو بن شفيق ١٤٥
عمران بن مرة ٢٨٤ و ٢٨٢
عمرو بن خثام ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٤
عمرو بن العاص ١٩٠ و ٢٢٨
عمرو بن عامر ٢٠٨
عمرو بن الحارث ٢١٢
عمرو بن لحي ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٤٧
العمراني ١٤٢
عميلة الغزاري ٥٣
عنتر العبيسي ١٠٦ و ١٠٧ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٦٧ و ١٩٣
عوف بن معلم ١٢٥ و ١٢٧ و ١٣٦
عوف بن النعمان ٢٨٢ و ٢٨٤
عوف بن الاحوص ٢٨٤
عيسى (عليه السلام) ١٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٧
٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١
عياض بن ديهث ١٢٣
عبيدة بن حصن ٢٩٢ و ٣٠٨ و ٣١٥
العيني ٣٣٨
عياض بن غنم ١٢٠
(غ)

الغوث بن اراش ٢٠٦
غيلان الشعبي ١٦٠
غيلان بن سلمة ٢٩٢ و ٣١٩ و ٣٢٢ و ٣٢١

المطلى بن زياد ٩٨
معاوية بن عباد ١١٩
المقر البارقى ١٢٢
معاوية بن مالك ٢٨٤ و ٢٨٣
معبد ٣٦٨
المعتضد ٣٥٢
معاذ بن جبل ٢٨٧
معبد بن نضلة ٣٠٠ و ٢٩٩
معبد بن زدارة ٣٠٦
معاذ بنت ضرار ٣٠٦
المفضل ٣١٠ و ٣١٧ و ٣٤٣
مفروق بن عمران ٢٨٤ و ٢٨٣
مفروق بن عمر ٢٨٣
المقنع الكندى ٦٩
مقيس بن حبابه ٢٣٦
مقسم بن بهر ١٧٩
منصور بن الزبرقان ٦٤
النمر بن ماء السماء ٧٥ و ٧٦ و ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٩
و ١٣٠ و ٢٤٧
النمر (ابنه) ٨٣
منقذ بن الطماح ١٢٥
منبه ١٩٠
النمر بن امرئ القيس ٢١٣
المنخل الشكرى ٢١٥
النمر بن ساوى ٢٦٥
منوهر ٣٥٦
مهر (الملك) ٣٥٢
المهلب بن ابي صفرة ٢٨٧
مهلب بن امرئ القيس ٣٣٤
موسى (عليه السلام) ١٨٩ و ١٨٠ و ٢٤٠ و ٣٥٩
و ٣٦١ و ٣٦٣
الموصلى ١٢٩ و ١٣٠
المويزان ٢٥٥
الميداني ٧٤ و ٨٦ و ٩٢ و ١٢٠ و ١٢٥ و ١٣٠
و ١٣٤ و ٢٨٩ و ٣١٦ و ٣١٨ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٢
و ٣٤٢ و ٣٤٣
(ن)
الناطقة الديباني ٢٥ و ٦٥ و ٧١ و ٧٣ و ١٢٠
و ١٥٧ و ١٧٢ و ٢٠٩ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢٤١ و ٢٤٨
نابت بن اسمعيل ٢٣٠
نبيشة بن حبيب ١٤٥

٣٩٣
محمد بن سعيد ٢٥
محمد بن عباس الرياشى ٢٥
محرز مولى ابي هريرة ٧٤
الحزم بن سلمة ١٤٣
محمد بن سلام ١٤٥
محمد بن عبد الملك ١٨٨
محمد بن علي ٢٢٨
محيى بن جعفر ٢٨٩
المختار بن عوف ٢٤٧
المختار بن عوف ٢٧٠
مدلج بن سويد ١٤٤
مذحج بن عامر ٢٢٧
المدائنى ١٧٩ و ١٨٧ و ٢٩٧ و ٣١٠ و ٣١٥
مرة بن محكان ٤٨
المرار الفقصى ٦٧ و ٢٠٢ و ٣٦٩
مروان القزط ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧
مرة بن مرامر ١٧٩
المرار الاسدى ٣٦٩
مرد خاى ٣٦٣
مريم (عليها السلام) ٣٥٧ و ٣٥٨
المرزوقى ٣١٣
مروان بن سراقه ٢٩٢ و ٢٣ و ٠
الساور بن هند ٦٢
مسكين الدارمى ٦٦
مسافر بن ابي عمرو ٩٢
مسروق ٩٨
السيب بن علس ١٤٢
المسعودى ١٨٢ و ٣٥٢ و ٣٥٨ و ٣٦١
مسلمة الكلابى ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١١
مسعود بن معتب ٢٥٢
مسروق بن ابرهة ٢٦١
مصعب بن عبد الله ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٢٨ و ٢٣٦
مضر بن ربيع ٦٣
مضايف الجرهمى ٢٤٥
مضر بن نزار ٣٦٩
مطاعم الرياح ٩١
معاوية ٢٤ و ٥٧ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٦ و ٢٠٢ و ٢٣٧
و ٢٨٣ و ٢٨٥ و ٢٨١
معن بن زائدة ٤٩
معر بن المثنى ٨٤
معن بن اوس ٩٦ و ٩٧

- النجاشي ٢٢٥ و ٢٥١
 نشيط الفارسي ٦٨
 نصر ١٤٢
 النصر بن شميل ١٦٠
 النصر بن الحارث ١٩٠
 نضلة بن عبد العزى ٣٢٩
 النعمان بن المنذر ٣٢٨ و ٣٢٤ و ٣٥٨ و ٧٣ و ٨٣ و ١٢٧
 ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٧ و ١٤٨
 ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٧٢ و ٢٠٩ و ٢١٥ و ٢٢٦
 ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٥ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٤
 ٢٣٩
 النعمان بن عمرو ٢١٢
 النعمان الأكبر ٢١٣
 النعمان بن بشير ١٧٨
 نعيم بن حجة ٣٠٤
 نفيلة بن عبد المدان ٨٨
 نفيل بن حبيب ٢٥٢ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧
 نمرود ٨
 النمرى ٦٤
 نمر بن عامر ١٢٢
 نهشل بن دارم ١١٦
 نوح (عليه السلام) ١٧ و ١٦٦ و ١٧٥
 النووى ٣٨٥ و ١٥
 نوفل بن معاوية ٢٦٢
 نوفل بن جابر ٢٩٩
 (ه)
 هاجر ام اسماعيل ١٧١ و ٨١
 هاشم بن مناف ٨٧ و ٢٤٤ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٢١
 هامان ٣٦٣
 هانيء بن قبيصة ٢٨٣ و ٢٨٤
 الهرم (الشاعر) ٣٣٣
 هرم بن سنان ٨٤ و ٨٥ و ٨٦
 هرم بن قطبة ١١٨ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٢٩٦ و ٢٩٧
 ٣٠٨
 هرون الرشيد ٢١٩
 هشام بن الوليد ١٣٩
 هشام بن عبد الملك ١٦٠ و ٢٨٧ و ٣٥١
 هلال بن رزين ١١٠
 الهمداني ٢١٣
 هند بنت الريان ٢١٩
 هند بنت مالك ٣٠٦
 هود (عليه السلام) ١٦٦ و ١٧٥ و ٨٨
 هوذة بن علي ٨٧
 الهيثم بن عدى ١٦٠ و ٣١٩
 (و)
 الواقدي ١٩١ و ١٩٢ و ٣٢٤
 وادعة بنت اراش ٣٠٦
 ودالك بن نميل ١٦
 ورقاء بن نهم ١٢٠
 وردة بنت قتادة ١٣٩
 وضاح اليمن ١٤١
 الوليد ٤٠
 الوليد بن طريف ٢١٧
 الوليد بن عبد الملك ٢٣٥
 وهب بن عبد قصي ٣٠٧
 (ي)
 يحيى (عليه السلام) ٣٥٨
 يحيى بن منصور ١٠٨
 يحيى بن ايوب ٢٢٨
 يحيى بن حمدة ٢٢٩
 يحيى بن خالد ٣٥١
 يزيد بن العثيرة ٦٧
 يزيد بن الجهم ٦٨
 يزيد بن معاوية ٢٣٢ و ٢٣٤
 يزيد بن زعفة ٢٤٩
 يزيد بن سعد ١٢١
 يزيد بن المهلب ١٣٤
 يزيد بن قطن ١٣٩
 يزيد بن الصق ٢٨٣ و ٢٨٤
 يزيد بن عمرو ٣٨١
 يعقوب (عليه السلام) ٩٥
 يعمر بن نفانة ٢٥٤
 يعمر الشداخ ٣٣٠
 يكسوم بن ابرهة ٣٦١
 يوسف (عليه السلام) ١٢٣ و ٣١٢
 يونس بن حبيب ١٢٧

الفهرس الثالث

في أسماء البلدان والقبائل وغيرها

٢٤٢ و ١٩٤ أم القرى	(١)	١٩٤ أبام
٢٢٨ أم رحم		٢٨١ الإبطح
٢١٨ آمد		٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٦
٢٠٨ اميم		١٩٥ ابناء طمر
٢١٦ و ٢١٣ و ٢١٢ و ٢٠٩ و ١٧٩		١٩٥ أبو قبيس
٩٦ الانصار		١٩٤ أبيم
٣٦٨ و ٣٥٩ و ٢٠٩ و ١١		١٩٣ اجا وسامى
٢٠٦ انمار		١٩٥ اجيادان
١٨٢ و ١٨٠ و ١٨٢		١٩٥ احد
١٨٧ و ١٩١ و ٢٩٠ و ١٨٩ و ١٠		١٩٧ الاحساء
٢٠٦ اياد		٢٠٢ الاحص
١٨٥ و ١٨٤ ايلة		٢٥٩ الاخاشب
(ب)		١١ اذريجان
٣٤٨ و ٢١٢ بابل		٢١٢ اذرح
١٨٦ و ١٨٥ بالنس		٢١٠ ارض نمود
٢٠٦ باب المندب		٣٠٤ و ٢٠٣ ارض حكم
٢٢٨ الباسة		٢٠٥ ارض زبيد
٣٦٣ بجى		٢٠٥ ارض عيس
١٩٧ و ١٨٧ و ١٨٦ و ١٨٥ و ١٥ و ٩		٢٠٤ ارض وادعة
٢٦٥ و		١٢ الارمن
١٨٧ و ١٨٥ و ١٨٤ و ٩١		١١ ارمينية
١٤ البحر المحيط		٢٠٣ اريجة
٢٠٦ و ١٨٧ و ١٨٥ و ١٨٤		٢٠٥ ازال
١٩٧ و ١٨٧ و ١٨٥ و ١٨٤		١٨٣ اسبانيا
١٩٥ البحر الاحمر		١٨١ الاسكندرية
٣٥٨ بحيرة الاردن		٣٦٨ اشبيلية
١٩٣ و ١٨٨ بدر		٣٦٣ و ٣٥٤ و ٣٥٠
٢٠٣ برع		١٩٥ افاعية
٣٥٣ برس		٢١٢ الافرنج
١٥١ و ١٥١ البربر		٣٦٨ و ١٤ افريقية
١٤ برقة		١٢ الاراد
١٩٥ البردة		٢٤٧ آل صوفان
١٨٣ البيهني		٢١٥ آل جفنة
١٩١ بسل		٢١٣ آل النعمان بن المنذر
١٩٤ بسوم		
١٩٩ البشر		

بنو جذيمة ٢.٢	البصرة ١١ و ٢٣ و ١١٧ و ١٥٨ و ١٨٠ و ١٨٥
بنو جابر ٢٩٩ و ٣٠٠	١٨٦ و ١٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢١٦
بنو جهينة ٢٩٠	بصرى ١١١
بنو جعفر ٢٩٦	بمدان ٢٠٣
بنو جديلة ٢٢٦	بغداد ١٨٠ و ١٨١ و ٢١٣ و ٣٦٨
بنو جمع ٢٧٥	بكة ٢٥٨ و ٢٢٧
بنو جمع ٢٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨	بكر بن وائل ٢١ و ٢٢ و ١٠٠ و ١٢٣ و ١٢٤ و ٢١١
بنو جشم ٣٠٤	٢١٧ و ٢٨١ و ٢٨٦ و ٢١٣ و ٢٣٤
بنو حمير ٨١٠ و ٨١٠ و ١١ و ٢٢٤ و ٢٤٤	البلقاء ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢١٢
بنو حنيفة ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١١ و ٢٤٥	بلد ٢٢١
بنو حرمة ٢٩٠	بنو اسد ٨٤٥ و ١١٢ و ١١٨ و ١٢٨ و ٢٧٧ و ٢٧٨
بنو الحارث ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩	٢٢٩ و ٢٤٩
بنو حارثة ٢٧٩	بنو اسرائيل ٣٦٤ و ١٣٧
بنو خثعم ١١٧ و ٢٤٦	بنو اعيان ١١٨
بنو خزاعة ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٠٨ و ٢٢٢	بنو اشجع ١٢٥
٣٣٠ و	بنو اسمعيل ١٦٣ و ٢٢٢
بنو خندف ٢٨٣	بنو اسحق ١٦٣
بنو خالد ٢٨٨ و ٢٩١	بنو امية ١٧١ و ٢٤٩ و ٣٣١
بنو دارم ١١٦	بنو الاصبط ٢٠٢
بنو ذبيان ١١٠ و ١٢٢ و ٢٠٢ و ٣٧٢	بنو اسيد ٣١٦
بنو ربيع ٤٨	بنو الاحوص ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣
بنو رسول ٢٠٥	بنو ايوب ٣٥٩
بنو زبيد ١٨٤ و ٢٧٥	بنو الاحابيش ٢٦٧
بنو زهرة ٢٧٧ و ٢٧٨	بنو بكر بن عبد مناف ١٨٠
بنو زيد ٣٠٣ و ٣٠٤	بنو بكر بن كلاب ٧١
بنو سنان ٨٥	بنو بكر ٢١١ و ٢٥٤
بنو سليم ١٤٢ و ٢٦٧	بنو بجيلة ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٦ و ٣٤٦
بنو سعد ٢٤٧ و ٢٨٣	بنو بكر بن عبد مناة ٢٦٨
بنو سهم ٢٥٠ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩	بنو تميم ٢٤ و ٢٢ و ١٠٣ و ١٢٤ و ١٤٢ و ٢٢٨
بنو شيبان ١٠٠ و ١١٦ و ١١٧ و ١٢٦ و ٢١١ و ٢٦٨	٢٣٦ و ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤
٢٨٢ و ٢٨٣	٢٩٩ و ٣٠٨ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٤٤
بنو شريك ٢٨٥	٣٤٥ و
بنو صدام ١١٧	بنو تغلب ١١٠ و ٢١١ و ٢٤٩ و ٢٧٨ و ٢٧٧
بنو ضبة ٢١٨	٣٨٥ و
بنو طى ٨٤ و ١١٨ و ١٨٤ و ٢٠٢	بنو ثعل ٣٥
بنو طريف ٢٩٩	بنو ثعلبة ٥٤
بنو عتاب ٥٤	بنو ثور ١١٠
بنو عبد مناف ٦٣ و ٢٤٨ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩	بنو ثقيف ١٩١ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٢١
بنو عيلان ٦٨	بنو جفنة ١٠
بنو العنبر ٨٧ و ٢٠٠	بنو جوشن ١٠٥
بنو عبد مناة ١٠٨	بنو جرم ١٧٠
بنو عدى ٩ و ٢٥٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨	

بنو نزار ٣٠٥	بنو عبس ٣٧٢ و ٢٠٠ و ١٢٦ و ١٢٥ و ١١٠
بنو النضير ٣٢٢	بنو عامر ١١٠ و ١٢٢ و ١٩٨ و ٢٣٦ و ٢٦٠
بنو نمر ٦٤	و ٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٩٣ و ٣٢١
بنو نيهان ٨٤	بنو عوف ٢٤٢ و ١٧٠
بنو نصر ٣٢١ و ٢٩٩ و ٢٦٩ و ١٩١	بنو عدوان ٢٤٨ و ٢٤٧
بنو نوفل ٣٠٠ و ٢٤٩	بنو عبد الدار ٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٤٩ و ٢٤٨
بنو نغار ٢٣٧	بنو عبد الله بن دارم ٢٦٥
بنو نهشل ١١٦	بنو غنيل ٢٦٧
بنو هوازن ٢٧٠ و ٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٦٧ و ١٩٤ و ١١٨	بنو مرة ١٩٢
بنو هاشم ٢٤ و ١٤٧ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٧١ و ١٧٦	بنو عثمان ٢٧٩ و ٢٠٩
و ١٨٤ و ٢٥٠	بنو غطفان ١٠٥ و ٨٥
بنو هذيل ٢٥٣ و ١٩١ و ١٤٢	بنو غفار ١٩٣ و ٢٧٠
بنو هرم ٩٢٦	بنو فزارة ٢٩٧ و ٢٨١ و ٢٤٨ و ١٢٥ و ١٢٣ و ٢٢
بنو هلال ٢٩٨ و ٢٩٧	٢٩٨
بنو وتار ٣٠٠	بنو فهر ٢٧٥ و ٢٤٧ و ١٤٥
بنو الوحيد ٢٩١	بنو فقيم ٢٥١
بنو وائل ٢٣٤	بنو فقص ٣٠٠ و ٢٩٩
بنو يربوع ٢٠١	بنو قيس ٢٩٦ و ٢٨٣ و ١٧١ و ١١١ و ١١٣ و ٣٣
بيت لحم ٣٥٨	بنو قضاعة ٣٤٤ و ٣٣٠ و ١٧٠ و ٥٠ و ١٠٥ و ١٠٠
البوبات ١٩٤	بنو قريظة ١٠١
البيضاء ١٩٥	بنو قعين ٢٩٩
بيجان ٢٠٤ و ٢٠٣	بنو قصي ٣٣٠ و ٣٢٢ و ٢٧٥ و ٢٤٤ و ٢٢٢
بيت الفقيه ٢٠٦	بنو قسر ٣٠٣
(ت)	بنو قليبي ٣٧٢
التبابعة ٢١٢ و ٢٠٥ و ١٠١	بنو كلب ٣٠٣ و ٢٨٧ و ٢٦٥ و ٢١١ و ١١٠ و ١٠٨
تبالة ٧١	٣٠٤
تبعة ٩١١	بنو كلاب ٢٩٧ و ١١٠
تبوك ١٩٥	بنو كنانة ٢٦٩ و ٢٦٨ و ٢٥٣ و ٢٤٣ و ١٨٠ و ١٤٤
التتر ١٢	و ٣٤٤ و ٣٣٠ و ٢٧٠
تدمر ٢١٢ و ٢١٠ و ٢٠٩	بنو كندة ٢٨٢
الترك ٢٠٩ و ١٨١ و ١٢ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٩ و ٢٠٩	بنو محارب ٢٤
حز ٢٠٥	بنو مطر ٤٩
تهامة ١٤ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٩ و ٢٠٠	بنو مازن ٢٠١ و ١٤٣ و ١١٥
و ٣٥٣ و ٢٠٢	بنو مجاشع ١٢١
توضح ١٦١	بنو مرة ٢٩٠ و ١٤١ و ١٢٤ و ١٢٥
تيس ٢٠٣	بنو مالك ١٤٣
تيماء ٢١١ و ٢١	بنو مجيد ٢٠٤
(ث)	بنو منقذ ١٦٧
شيران ١٩٥	بنو مخزوم ٢٧٨ و ٢٧٧ و ٢٥٠
شير الاعرج ١٩٥	بنو المصطلق ٢٦٧
شير ٢٥٥ و ١٩٥	بنو محارب ٢٧٧
	بنو نمير ٢١٨ و ١٢٢ و ٢٣ و ٢٢

الحجاز ١٨٤ و ١٨١ و ١٩٤ و ٣٩ و ١٩ و ٨
 ١٨٦ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٦
 ٢٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٩ و ٢٦٧ و ٣٣١ و ٣٦٨ و ٣٧٢
 حجر ٢١١ و ٢١٠ و ٢١١
 الحجون ٢٣
 الحديبية ٢٤ و ١٩٥
 حديثة الموصل ٢١٦
 الحديثة ٢٢١
 الحرار ١٨٨
 حرة ليلي ١٨٨
 حران ٢١٦
 الحريرة ٢٧
 حراء ٢٥٥
 جزوى ٢١
 الحزورة ٢٤
 حضرموت ٢٠٣ و ٢٠٦ و ٢٠٨
 حفنور ٢٠٣
 حفاش ٢٠٣
 حفر ابي موسى ١٨٥ و ٢٠٠ و ٢٠١
 حفر بنى العنبر ٢٠٠
 الحفير ٢١٢
 حفية ٢١٣
 حلب ٢٠٢
 حلوان ٢١٦
 حمراء غرناطة ١٨٣
 حمص ٢٠٩
 الخمس ٢٤٢
 حنظلة ٢١
 حنين ٣١٥
 حوران ١٨٦ و ٢١٢
 الحويرثية ٢٠١
 الحيرة ١ و ١٥١ و ١٧٩ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢٨٦
 و ٣٤٥

(خ)

الخابور ٢١٧ و ٢١٩
 خبت ٣٧٢
 خراسان ٩ و ١١ و ٢١٣ و ٢١٦ و ٢٥٣ و ٢٥٧
 الخزرج ٥٧
 الخزر ١٤٨ و ١٥٩
 الخضراء ٢٠٣

(٢٧ - ل)

ثبير غيناء ١٩٥
 الثلبوث ٢٠٢
 ثمود ٢٠٨ و ٢١١
 ثور ١٩٥ و ٢١
 الثوية ١٢٧

(ج)

جامع قرطبة ١٨٣
 الجار ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٢
 جبلة الابهمية ٢١٢
 جبال هملاى ١٨٣
 جبال فاران ٢٤
 جبال الصمان ٢٥٩
 جبل الستار ١٤٢
 جبل طى ١٧٨
 جبل يثرب ٢٣٩
 جبل حراء ٢٥٥
 جبل القديد ٢٤٦
 جبل البرز ٢٤٩
 جبل قاف ٢٤٩
 الجحفة ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٣ و ٢٠٠
 جدة ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٢٣٢ و ٢٣٧
 جديس ٢٠٨
 جديلة قيس ٢٤٣
 الجريب ٢٠٢
 جرم ٢٠٨ و ٢٣٥ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٨
 جزيرة العرب ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٧
 و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢٢٠ و ٢٢٢
 الجزيرة الغراتية ١٨٥
 جزيرة ابن عمر ٢٢٠
 جعفر ٢٠٣
 الجمرانة ٢٣٧
 جلدان ١٩١
 جلى ٢٠٢
 الجماء ١٩٥
 جناب ١١
 الجندل ٢١١
 جوف حمدان ٢٠٣ و ٢٠٥
 الجوزجان ٣١٦
 جى ٣٥
 الحبشة ٣٢٥ و ٣٢٧

(ح)

الروم ١٢ و ١١ و ١٤٧ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٩٥ و ٢١٣
و ٢٢٢ و ٢٠١ و ٢٠٤ و ٢٦٠ و ٢٦٨ و ٢٦٩
ريدة ٩٣

(ج)

زافا ١٤
الزباد ٢١١
زبيد ١٨٥ و ٣٠٣ و ٢٠٦
الزحمة ٢٠٩
الزلالة ١٩٥
ززم ٢٩٣
زنانة ١٥
الزوراء ٢١٣

(س)

سايمر ٢٤٠
سببا ٢٠٧ و ٢٣١
سبوحة ١٩٤
السراة ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥
سردد ٢٠٣
سروج ٢١٩
سروسحيم ٩٣
سفوان ١١٧
السقيا ١١٨
سلع ١٤٢
سلميه ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٠٩
السمائة ١٨٥
سميراء ٢٠٠
سمرقند ١٨١
السند ٩
سنجار ١٨١
السودان ٩ و ١٥٩
السوس ١٤
السواد ٢١٥ و ٢١٦
سوق حباشة ٢٦٧ و ٢٧٠
سوق حجر ٢٧٠
سوق حضرموت ٢٦٦
سوق ذي المجاز ٢٦٦
سوق صحرار ٢٦٦
سوق صنعاء ٢٦٦
سوق عمان ٢٦٥
سوق عدن أبين ٢٦٦
سوق عكاظ ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠
سوق هجر ٢٦٥

الخط ١٥

الخنمة ١٩٥

خولان ٢٠٤

خيبر ١٩٢ و ١٩٥ و ٢٤٤ و ٢٧٠

خيصى ١٩٤

(د)

دادة ١٩٤

دارا ٢١٩

دارة نبيت ٢٠٢

دجلة ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠

دجلة العلت ٢١٦

دخر ٢٠٣

دنياوند ٣٥٤

دومة الجندل ٢١١ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٣١٥

دومة ٢١١

دومة العراق ٢١١

ديار بكر ٢١٧

ديار ربيعة ٢١٧

ديار مفر ٢١٧

ديار بارقي ٢٦٧

(ز)

ذات عرق ١٨٧ و ٢٠٠

ذات اثمار ٢١٢

ذباب ١٩٥

الذنوب ١٢٨

ذو المجاز ١٩١ و ١٩٢ و ٢٦٦ و ٢٧٠

(ر)

الرباب ٢١

الريذة ٢٠٠ و ٢٧٢

رخم ٢٦٨

رجبة مالك بن طوق ٢١٩

ربيعة الفرس ٢١١

ربيعة ٩ و ١٠ و ٢١ و ٣٦ و ١٤٠ و ١٤٩ و ١٨٩

٢٠٦ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٣٠٦

٣٤٤ و ٣٤٤

رضوى ١٩٥

الرفقة ٢١٩

رمال الاحقاف ٢٠٦

رهاط ١٨٨

(ق)

القارة ١٨.
قاع بولان ٢٠.١
القادسية ٣٠.٢ و ٣٥٤
القيط ٣٥. و ٣٥٧ و ٣٦١
ققطان ١. و ١٦٣ و ١٧٦ و ١٨٠ و ٢٠٧ و ٢٠٨
قرشيش ١. و ٩٢ و ١٤٧ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٧٦
و ١٨٠ و ١٨٤ و ١٩٠ و ١٩٥ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣
و ٢٣٦ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦
و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥
و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٦١ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧
و ٢٧٢ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٩٢ و ٣٠٤ و ٣٠٨ و ٣٢٠
و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧
و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٥ و ٣٧٧ و ٣٨١
قرطبـة ١٨. و ١٨٣
قرين ١٩٥
الqramطة ١٩٧ و ٢٦٣
قربتا ابن عامر ٢٠٠
قرقيسيا ٢١٩ و ٣٠٢
القرن الاحمر ٢٣٩
قرن المنازل ٢٦٧
القدس ١٤٢ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦٣ و ٣٦٤
(اطلب فلسطين)
فرح ١٩٥ و ٢٢٩ و ٢٦٢
قسطنطينية ١٤ و ١٨١ و ٣٦٠
القسطل ٢١٢
قصر الزهراء ١٨٣
قصر غمدان ٢٠.٤ و ٢٠.٥
قصر ظفار ٢٠.٥
قصر سلمين ٢٠.٥
قصر ناعقل ٢٠.٥
قصر بينون ٢٠.٥
قصر صرواخ ٢٠.٥
قصر المشب ٢٠.٥
قصر المنقاء ٢٠.٥
قصر موكل ٢٠.٥
قصر بلقيس ٢٥١
قصر براقين ٢٠.٥
قصر معين ٢٠.٥
قصر تلعم ٢٠.٥
قصر هكر ٢٠.٥

عرقه ١٩٢ و٢٣٧ و٢٣٩ و٢٤٤ و٢٦٦ و٢٧٠ و٢٤٦
 عرنبة ٢٠٤
 عسفان ١٩٣ و٢٠٠
 العسكريان ٢٠٠
 عسي ٢٠٣
 عشر ١٩٤
 العقبة ١٨٤
 عقبة ٢٣٩
 عك ١٧٠
 عكل ٢١ و١٧٠
 عكاظ ١٨٨ و١٩١ و١٩٢ و٣٠٣
 علافة ٢٠٣ و٢٠٦
 عمان ١٨٥ و٢٠٤ و٢٠٨ و٢٦٦
 العمالقة ٢٣٥
 عمر ٢١
 عمر ١٩٥
 عين التمر ٢١١ و٢١٣

(غ)

غرناطة ١٨. و ١٨٣.
غزوان ١٩١
غسان ٣٤٤
القمي ٢١٣
هجرة ٢٠٠
هولة دمشق ١٨٦ و ٢٢٠
الهور ١٨٧

(ف)

فارس ٩ و ١١ و ١٢ و ١٤٢ و ١٤٧ و ١٥٩ و ١٨٠ و
 ١٨٤ و ١٨٦ و ٢٠٤ و ٢٤٧ و ٣٠١ و ٣٤٧ و ٣٠٤ و
 ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٦ و ٣٥٥ و
 ٣٦٣ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و
 واضح ٣٤٤
 الفتق ١٩١
 فداك ١٩٢
 الفرات ١٨٥ و ١٨٧ و ٢١٣ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠ و
 ٢٢٢ و
 فرنسا ٣٩ و ١٨٠ و ١٨٣ و
 فقفس ١١٨
 فلج ٢٠٠
 فلسطين ٣٥٨ (اطلب القدس)
 فوم ٢٠٤ و ٢٤٣ و

(م)

مارب ٢.٣ و ٢.٤ و ٢.٧ و ٢.٨
 مارد ٢١١
 الملازمين ٢٣٩
 الميضة ٢.٣
 مجنة ١٩٢
 المجوس ٣٥٨
 محسر ٢٣٩
 مخلاق ٢.٣
 المخا ٢.٦
 المدينة المنورة ١. و ١٣٩ و ١٤٢ و ١٨٤ و ١٨٦
 و ١٨٨ و ١٩. و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٥ و ١٩٦
 و ٢.٠ و ٢.١ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢. و ٢٣٨ و ٢٣٧
 و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٣٦٤ و ٣٦٨ و ٣٧٢
 مدين ١٨٥ و ٢١. و
 مدرج عثمان ١٩٣
 الدائن ٣٥٤
 المربد ١٥٨
 مر الظهران ١٩٢
 المراح ١٩٤
 المرقية ١٩٤
 مراد ٢.٤
 مروة ٢٣٩
 مزدلفة ١٩٥ و ٢٣٩ و ٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٦٢
 المسجد الحرام ٢٤٣ و ٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٣٨
 و ٢٤٨ و ٢٦١
 مسور ٢.٣
 الشاعر ٢٦٢
 الشعر الحرام ٢٦٢
 مصر ١١ و ١٤ و ١٨٤ و ٢.٧ و ٢.٦ و ٢١٢ و ٣٥. و
 و ٣٥٣
 مصنة ٢١٢
 مضر ٩ و ١. و ٣٦ و ١٢٣ و ١٤٥ و ١٧٦ و ١٨٩
 و ٢.٦ و ٢١١ و ٢٤٧ و ٢٨. و ٢٨٧ و ٣.٦ و ٣١١
 و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣٧. و
 معافر ٢٦٦
 معان ٢١٢
 المقرب الأقصى ١٤ و ٢.٩ و ٣٦٨
 المقس ٢٥٣ و ٢٥٦ و ٢٦. و
 المفجرة ١٩٥
 المقرأة ١٦١

قصر الاهجر ٢.٥
 قصر دورم ٢.٥
 قصر اعماد ٢.٥
 قصر ابي ٢١٢
 قصر الفضا ٢١٢
 قصر منار ٢١٢
 قصر السيد ٢١٢
 قصر حارب ٢١٢
 قصر برقع ٢١٢
 قصر بركة ٢١٢
 قصر الخورنق ٢١٢ و ٢١٤ و ٢١٥
 قصر السدير ٢١٤ و ٢١٥
 القصيم ٢.٠ و ٢.١
 القطيفات ١٢٨
 القطيف ١٨٥
 القطنانة ٢١٣
 قطربل ٢١٩
 قطربل بغداد ٢١٩
 قطوراء ٢٤٥ و ٢٤٦
 قميضان ٢٤٥ و ٢٤٦
 القليعة ٣٧٢
 القموص ١٩٥
 قموس القرى ٢.٢
 القناطر ٢١٢
 قنونا ٢٦٧

(ك)

كاظمة ١٨٥ و ٢.٠
 كرمان ٩
 الكعبة المشرفة ١٨٤ و ٢٢٩ و ٢٢. و ٢٣٢ و ٢٣٣
 و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٤٢ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨
 و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧٢
 و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٣ و ٢٤٦
 الكلب ٣٤١
 الكلدانيون ٣٦٣
 الكفوان ١٩٤
 الكوفة ١٢٧ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٦ و ٢.٠ و ٢٦٣
 و ٢.٢ و ٣٥٣

(ل)

ليلة ١٩١

[Redacted header line]

1

